

قواعد النشر

أولاً : شروط النشر

- ١- أن يكون البحث متمسماً بالأصالة والابتكار، والمنهجية العلمية، وسلامة الاتجاه، وصحة اللغة، وجودة الأسلوب.
- ٢- ألا يكون البحث قد سبق نشره، أو قدم للنشر لجهة أخرى.
- ٣- جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة خاضعة للتحكيم.

ثانياً: تعليمات النشر

- ١- يقدم الباحث طلباً بنشر بحثه.
- ٢- يتقدم الباحث بثلاث نسخ مطبوعة عبارة عن (أصل وصورتان) باللغة العربية منسوخة بواسطة الحاسب الآلي ببرنامج (Microsoft Word) متوافق (IBM) وعلى وجه واحد فقط، ويكون على ورقة مقاس (A4) مع ترك (3 سم) لكل هامش، ومترقمة ترقيماً متسلسلاً، بما في ذلك الأشكال والجداول، بالإضافة إلى نسخة إلكترونية وملخص باللغتين العربية والإنجليزية، بحيث لا تزيد كلماته عن (٢٠٠) كلمة أو صفحة واحدة.
- ٣- تكون الكتابة بالخط المشهور (Traditional Arabic) العناوين بحجم (٢٠) أسود، والمتم بحجم (١٨) عادي، والحواشي بحجم (١٤) عادي.
- ٤- لا تزيد صفحات البحث عن أربعين صفحة.
- ٥- يكتب عنوان البحث، واسم الباحث، وعنوانه، ولقبه العلمي، والجهة التي يعمل بها.
- ٦- يتم العزو إلى المراجع وفق ما يلي:
 - أ) الكتب: ويعزى إليها بإحدى طريقتين ولا مانع من استخدامهما في البحث الواحد.

الطريقة الأولى: ذكر المرجع في متن البحث باسمه المختص، يليه الجزء والصفحة، ورقم الحديث أو الفقرة إن وجد، مثال ذلك: أخرجه البخاري في صحيحه (٨٨/١ ح ١٦٦) أو قال النووي في المجموع ٢٩/٨ : "...."

الطريقة الثانية: ذكر المرجع في الحاشية، فيضع الباحث رقماً للحاشية في المكان المناسب، ثم يضع الحاشية أسفل الصفحة مثال ذلك: قال ابن قدامة "....." (١)
 - ب) الدوريات: ويعزى إليها في الحاشية بذكر عنوان البحث ثم اسم الدورية التي هو فيها، مثال ذلك: وذكر الدكتور في بحثه أنه لم يقف على أحد قال بهذا "...." (٢).
- ٧- توضع حواشي كل صفحة أسفلها.
- ٨- في مسرد المراجع يبدأ بذكر اسم الكتاب كاملاً، ثم مؤلفه، وسنة الوفاة، ثم من تولى طبعه وسنة الطبع، وكذا في الدوريات يذكر عنوان البحث ثم صاحبه ثم اسم المجلة وعددها.
- ٩- عند ورود أعلام إسلامية وعربية في متن البحث أو الدراسة، تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العلم متوفى، وإذا كانت الأعلام اجنبية فإنها تكتب بحروف عربية، وبين قوسين بحروف لاتينية، ويذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.
- ١٠- لا يجوز إعادة نشر أبحاث المجلة في أي مطبوعة أخرى إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير.
- ١١- لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.
- ١٢- يعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشرين مستلة من بحثه المنشور بدون مقابل، على أن يتحمل المؤلف تكاليف ما زاد عن ذلك طبقاً لما تقرره هيئة التحرير.
- ١٣- يلزم الباحث إجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين، مع تعديل ما لم يعدل.
- ١٤- تعبر المواد المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها فقط.
- ١٥- تصدر المجلة أربعة أعداد في السنة نصف فصلية.

عناوين المراسلة

ترسل جميع مواد النشر والمكاتبات إلى :

المجلة العلمية لجامعة القصيم (العلوم الشرعية)، ص.ب/ ٦٦٠٠ /الرمز/ ٥١٤٥٢ بريدة - المملكة العربية السعودية
هاتف ٠٦٣٢٢٠٣٣٠، تحويلة ٢١٤٥ هاتف مباشر وفاكس/ ٣٢٢٠٣٥٨ (٠٦)
بريد إلكتروني / qu.mgllah@gmail.com



مجلة العلوم الشرعية

ربيع ثاني ١٤٣٥هـ - فبراير ٢٠١٤م

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. صالح بن محمد السلطان

الأستاذ الدكتور بقسم الفقه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

الأعضاء

أ.د. عبدالله بن عبدالعزيز الغصن

الأستاذ الدكتور بقسم السنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

أ.د. أحمد محمد جاد عبدالرزاق

الأستاذ الدكتور بقسم العقيدة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

أ.د. حميد العربي الوافي

الأستاذ الدكتور بقسم أصول الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

د. علي حسين شطناوي

الأستاذ الدكتور بقسم الأنظمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

د. عبدالله بن سليمان المطرودي

الأستاذ الدكتور بقسم الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

أمين المجلة

د. محمد فوزي عبد الله الحادر

استاذ الفقه المساعد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة القصيم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فتقدم هيئة تحرير مجلة جامعة القصيم العلمية (فرع العلوم الشرعية) بين أيدي قرائها المجلد السابع / العدد الثاني ، والذي يحوي جملة من الأبحاث المميزة والمتنوعة في تخصصات علوم الشريعة ، إضافة إلى مراجعات كتاب متخصص في قسم الأنظمة ، وملخص الأول رسالة جامعية تناقش في كلية الشريعة بجامعة القصيم ، وهي كالآتي :

• تعدد أبنية المصادر في القرآن دراسة بلاغية "سورة محمد صلى الله عليه وسلم" نموذجاً. وهو يعد محاولة للكشف عن بلاغة استخدام المصدر في القرآن وسر تعدد أبنيته، وبيان دور المبني ونوعه في تحديد المعنى ، كما وتُعني بالإجابة عن عدول التعبير القرآني من صيغة إلى أخرى.

• الأثر النصراني في عقيدة الألوهية وما يتعلق بها عند النصرانية. وبحث في إظهار الأثر النصراني في عقائد النصرانية وبيان بطلان ما يعتقد النصرانيون ومخالفة الإسلام وبيان أن الدين الإسلامي بريء مما ينسب إليه من عقائد فاسدة.

• أحاديث العين "جمعاً ودراسة"

وهو يبحث في مفهوم العين وموقف الشارع منها، واستقراء أحاديث العين، ودراستها دراسة حديثة وموضوعية، وتميز الثابت من غيره من الأحاديث الواردة في العين، مع بيان طرق الوقاية والعلاج منها

• كتاب الاساس في معرفة إله الناس "دراسة وتحقيق"

وهذا البحث عبارة عن تحقيق كتاب الأساس في معرفة إله الناس لشرف الدين هبة الله البارزي إمام الشافعية في عصره، الذي تتبع الخلل الذي قد يكون في موضع الربوبية من المنحرفين، فتناوله بالاصلاح والرد والنقض لهؤلاء.

• أحكام الهبة للأولاد.

وهذا البحث يتناول جانباً مهماً من جوانب العدل على مستوى الأسرة، وهو العدل بين الأولاد في العطايا والهبات، من خلال تحديد مفهوم الهبة وهبة الأولاد بالذات، وأهمية العدل بين الأولاد في الهبة وحكم رجوع كل من الأب أو الأم في هبته لأولاده.

• اثبات المؤمنين لصفة العينين لرب العالمين.

بحث لصفة من صفات الله تعالى الذاتية التي دل عليها الكتاب والسنة، ألوهي صفة العينين الله تعالى، من خلال ذكر الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وجملة من أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين وأقوال المخالفين لأهل السنة في اثبات هذه الصفة.

• مضامين التفكير وضوابطه واستراتيجيات تنميته في القرآن الكريم.

وهو بيان مضامين دعوة القرآن الكريم للفكر وتحديد ضوابط التفكير في القرآن الكريم، وإبراز استراتيجيات تنمية التفكير، ومحاولة لإبراز دعوة القرآن الكريم لذلك، من خلال حث القرآن الكريم على استخدام العقل الذي ميز الله به الإنسان على باقي المخلوقات.

- أوجه الاتفاق والافتراق بين الأديان الكتابية في الشرائع والشعائر في ضوء القرآن الكريم. ويهدف إلى الكشف عما بين الأديان الكتابية من وجوه الاتفاق والافتراق في الشرائع والشعائر مبيناً ما يلتقي وما يفترق فيه في هذا المجال، كما أبان السمات البارزة والتي يتميز بها كل دين.
- كتاب موجز التمويل العقاري "دراسة تأصيلية مقارنة في أنظمة التمويل العقاري السعودي". وهو يعرض الأنظمة الأربعة للنظام الائتماني أو التمويل العقاري وهي: التمويل العقاري، والرهن العقاري، والتمويل التأجيري وأخيراً مراقبة شركات التمويل.
- رسالة بعنوان عقود التحوط من مخاطر تذبذب أسعار العملات. وهي رسالة ماجستير للطالب طلال بن سليمان الدوسري، وإشراف الأستاذ الدكتور صالح بن محمد السلطان، حيث أنها تعتبر أول رسالة علمية تناقش في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم بتاريخ ١٤٣٠/٧/١هـ.
- وفي النهاية نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا لما فيه خير العلم والعلماء والله الموفق

رئيس تحرير المجلة

أ.د. صالح بن محمد السلطان

المحتويات

صفحة

- تعدد أبنية المصادر في القرآن دراسة بلاغية سورة محمد (ﷺ) نموذجاً
د. خلود "محمد أمين" محمود الحواري ٤٨٥
- الأثر النصراني في عقيدة الألوهية وما يتعلق بها عند النصيرية
د. سعيد بن محمد بن حسين بن معلوي ٥٢١
- أحاديث العين جمعاً ودراسة
د. انتصار بنت ابراهيم العمر ٥٩٧
- كتاب الأساس في معرفة إله الناس دراسة وتحقيق القاضي: شرف الدين: هبة الله
بن عبدالرحيم البارزي
د. عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الميمان ٦٥٩
- أحكام الهبة للأولاد
د. عقيل بن عبد الرحمن بن محمد العقيل ٧٠٥
- إثبات المؤمنين لصفة العينين لرب العالمين
د. خالد بن ضحوي الظفيري ٧٥٥
- مضامين التفكير وضوابطه واستراتيجيات تنميته في القرآن الكريم
د. أحمد محمد نجادات، و د. حسن محمد العمري ٨٣٥

أوجه الاتفاق و الافتراق بين الأديان الكتابية في الشرائع والشعائر في ضوء القرآن

الكريم

د. أحمد سليمان البشيرة ٨٩٥

مراجعات الكتب ٩٦٣

الرسائل الجامعية ٨٩٩

تعدد أبنية المصادر في القرآن دراسة بلاغية سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) نموذجاً

د. خلود "محمد أمين" محمود الحواري

أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة

ملخص البحث. جاءت هذه الدراسة محاولة الكشف عن بلاغة استخدام المصدر في القرآن، وسر تعدد أبنيته، ومناسبة كلٍ للسياق القرآني، وبيان دور المبنى ونوعه في تحديد المعنى. وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن عدول التعبير القرآني عن صيغة إلى أخرى، إذ لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر؛ فإذا نظرنا في أبنية المصادر نجد روعة إيثار بناء على آخر في القرآن الكريم، وقد أفاد المفسرون من صيغة الكلمة في إبحار السر البلاغي لانتقاء الكلمة، وأثر ذلك في المعنى. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين: المبحث الأول: وهو يتناول الجانب النظري من حيث: تعريف المصدر، وبيان أنواعه، وأسباب تعدد أبنيته. وقد اقتصر فيه على أهم المقدمات دون التوسع في اختلافات اللغويين. المبحث الثاني: وهو الدراسة التطبيقية للمصادر في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد تناولت فيها ما اشتهر تعدد أبنية المصادر فيه؛ فلم أتناول ما لم يشتهر له مصدر ثان كمصدر الحق مثلاً. ثم قارنت أبنية المصادر محل الدراسة مع أخواتها في القرآن؛ لمعرفة مناسبة كل مصدر في سياقه، وأثر الصيغة في تحديد الدلالة؛ وبذا يظهر إعجاز الكلمة القرآنية. ثم الخاتمة التي سجلت فيها نتائج البحث، والتي تدور في مجملها حول أسباب تعدد أبنية المصادر، والإجابة عن عدول التعبير القرآني من صيغة إلى أخرى في المصدر، وعرضت فيها توصيات، منها: الدعوة إلى دراسة موضوع تعدد أبنية المصادر دراسة علمية تأصيلية؛ بتعهد صيغ المصادر جميعها في القرآن بالدراسة والتحقيق؛ علماً بتثري المكتبة القرآنية بموضوع شائق ممتع متصل ببلاغة القرآن العظيم، والله من وراء القصد.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ؛ أن مَنْ عَلَيْنَا بِأَنْ جَعَلْنَا مُسْلِمِينَ ،
وجمعنا على كلمة الحق والدين ، ورفعنا بالقرآن العظيم ؛ حبل الله المتين ، نزله على
قلب نبيه ، محمد (صلى الله عليه وسلم) بلسان عربي مبين ، وأزكى الصلاة ، وأتم
التسليم ، على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبدالله ، وعلى آله الطاهرين ، ومن
سار على هديه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فخدمة لكتاب الله تعالى ؛ في فهم آياته ، وتأمل إعجازه ، جاءت هذه الدراسة
محاولة الكشف عن بلاغة استخدام المصدر في القرآن ، وسر تعدد أبنيته ، ومناسبة كل
للسياق القرآني ، وبيان دور المبنى ونوعه في تحديد المعنى . وتهدف الدراسة إلى الإجابة
عن عدول التعبير القرآني عن صيغة إلى أخرى ؛ إذ لا بد أن يصحبه عدول عن معنى
إلى آخر ؛ فإذا نظرنا في أبنية المصادر نجد روعة إيثار بناء على آخر في القرآن الكريم ،
وقد أفاد المفسرون من صيغة الكلمة في إِبْصَارِ السَّرِّ البلاغي لانتقاء الكلمة ، وأثر ذلك
في المعنى .

أهمية البحث

تظهر أهمية البحث في كونه يبحث في موضوع ذي صلة بالقرآن الكريم ،
وإعجازه البياني ، وسر انتقاء الكلمة ، وميز فصاحة القرآن العزيز على الطريقة العربية
السليمة ، والمعاني البلاغية للصيغ والأبنية ودورها في تحديد الدلالة ، أي : انتقاء
الكلمة من حيث صيغتها ، وكذلك في ارتباط البحث بالجانب التطبيقي - الذي هو
أجدى من الدراسة الوصفية العامة - حيث اتخذت سورة محمد (صلى الله عليه
وسلم) نموذجاً .

الدراسات السابقة

وأما عن الدراسات السابقة التي وقفت عليها في موضوع الدراسة فهي :

١ - المصدر ودلالته البلاغية في القرآن الكريم، د. أبو سعيد محمد عبدالمجيد، وهو بحث يهدف إلى بيان دور المصدر في علوم البلاغة الثلاثة؛ فبتنكيره: يفيد التعظيم، والتفخيم، والتقليل، وبزيادة التاء وإنابته عن أفعل التفضيل: يفيد المبالغة. وكذلك يقوم المصدر بوظيفة التشبيه بأنواعه: كالبلغ، والمرسل، والمجمل وغيره، وكذلك يأتي المصدر للدلالة على المجاز اللغوي والعقلي؛ وبذا يتضح افتراق هذا البحث عن دراستي في الهدف والوسائل؛ فهو لم يعن بالإشارة إلى تعدد أبنية المصادر واختلاف دلالتها تبعاً لسياقها في القرآن.

٢ - بحث في المصدر في القرآن الكريم: أبنيته، ووظائفه الدلالية، د. هادي نهر، أستاذ اللغويات في جامعة عدن، وقد وقعت دراسته في جانبين: نظري: بين فيه مفهوم المصدر، وأسباب تعدد أبنيته، رافضاً أن يكون اختلاف الأبنية راجعاً إلى اختلاف اللهجات، أو كون ذلك مظهراً من مظاهر النيابة الصرفية فحسب؛ بل لخصوصية كل بناء من هذه الأبنية.

وقد أثبت الباحث ما يطمئن إليه من خلال دراسة تطبيقية، اختار لها محمداً، وهو تفسير الإمام القرطبي - رحمه الله - مبيناً جملة من الظواهر اللغوية في استعمال المصدر في القرآن، مبرزاً موقف الإمام القرطبي من المصادر الواردة في القرآن، والتي تتمثل في ثلاثة محاور: الأول: إشارته إلى اختلاف الأبنية المصدرية دون توجيه للأسباب. والثاني: عرض الخلاف بترك إبداء الرأي أحياناً، أو الاجتهاد للوقوف على الأرجح أحياناً أخرى. والثالث: موقف اجتهادي واضح للإمام يقرره بالبرهان؛ مبيناً أن توارد الأبنية وتعددها لا يجري اعتباطاً أو من قبيل المترادفات؛ وإنما يجري ذلك إيذاناً بدلالة محددة للبناء المعين لا يشاركه فيها بناء مصدري آخر.

وهذا ما يهدف د. هادي إلى إثباته ، وهو ذاته الهدف الذي يحمله بحثي مع اختلاف ظاهر في الوسائل والمحددات ، فليبيان خصوصية بناء المصدر في هذا القرآن العظيم كانت دراسة تطبيقية مقارنة لأبنية المصادر في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) وسيلتي لذلك ؛ مستهدية بما يهمس به السياق ، وما قرره علماء العربية من أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى ؛ مستعينة بالجهود المباركة للغويين والمفسرين في الكشف عما بين هذه الأبنية من خصائص دلالية متميزة.

وهذه اللبنة ، والنفس ترقب من يتم البناء في هذا الموضوع الشائق الثري ؛ بتعهد أبنية المصادر جميعها في القرآن الكريم بالبحث والمقارنة ، في رسائل علمية رصينة. والله على كل شيء قدير.

محددات الدراسة

المصادر الصريحة الواردة في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وما ألحق بها كاسم المصدر والمصدر الميمي ؛ والتي تعددت أبنيتها ، واشتهر لها مصدر آخر في العربية : سواء أذكره القرآن أم عدل عنه.

منهج الدراسة

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي : القائم على تتبع ألفاظ المصادر الصريحة ، وما ألحق بها كاسم المصدر والمصدر الميمي ، الواردة في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والتي تعددت أبنيتها واشتهر لها مصدر آخر في العربية : سواء أذكره القرآن أم عدل عنه ؛ فلم أذكر في دراستي ما لم يشتهر له مصدر ، أي : لم تتعدد أبنية المصدر فيه.

ومن ثمّ المنهج التحليلي المقارن: القائم على دراسة أبنية المصادر، وسياقها الذي جاءت فيه للتفريق بينها، ومعرفة مناسبة كل مصدر في سياقه، وأثر الصيغة في تحديد الدلالة.

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مبحثين:

المبحث الأول: وهو يتناول الجانب النظري من حيث: تعريف المصدر، وبيان أنواعه، وأسباب تعدد أبنيته، وقد اقتصر في أهم المقدمات دون التوسع في اختلافات اللغويين.

المبحث الثاني: وهو دراسة تطبيقية للمصادر في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) التي اشتهر التعدد في أبنيتها. واجتهدت فيما ليس للعلماء فيه رأي، أو إشارة؛ فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ولا أعدم أجرا - إن شاء الله -. والله أسأل أن يسدد الخطأ، ويقوم الزلل، والله من وراء القصد.

المبحث الأول: المصدر: مفهومه، وأسباب تعدد أبنيته

المطلب الأول: تعريف المصدر

المصدر: "اسم الحدث الجاري على الفعل"^(١)

فهو حدث مطلق دون التقييد بزمان، كما لا يدل على شيء آخر غير الحدث. يقول ابن جنّي في تعريفه: "كل اسم دل على حدث وزمان مجهول، وهو وفعله من لفظ واحد"^(٢).

(١) ابن الحاجب، كافية ابن الحاجب مع شرح الرضي ٢ / ١٧٨.

فالمصدر بذاته لا يدل على الزمان ؛ وإنما الزمان من ملازماته ، يقول العكبري :
 (فإن لفظ المصدر لا يدل على زمان البتة ؛ وإنما الزمان من ملازماته"^(٣) .
 ويقول ابن يعيش : "والمصادر لا تدل على الزمن من جهة اللفظ ؛ وإنما الزمان
 من لوازمها وضروراتها"^(٤) .

ونصَّ ابن مالك في الألفية على ذلك ؛ فقال :

"المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن"^(٥)

وننتهي إلى أن المصدر يدل على الحدث دلالة مطلقة ، مجردة من الزمان ، ومن
 التقيد بوصف ، أو دلالة إضافية لدلالته على ما يؤدي به الحدث .
 وتكون دلالة المصدر على الحدث دلالة مطابقة ؛ بمعنى أن الحدث هو كل دلالة
 المصدر وليس جزءاً من معناه ، وبهذا يتميز المصدر عن كل الصيغ التي تتضمن معنى
 الحدث ، فالفعل يدل على الحدث دلالة تضمينية ؛ بمعنى أن الحدث جزء من معنى
 الفعل إذ يشاركه فيها الزمن ، وكذلك الصفة ؛ الحدث جزء من معناها إذ يشاركه
 الموصوف (فاعل أو مفعول) ، وكذلك في اسم الآلة ؛ يشارك الحدث في المعنى الأداة
 التي يؤدي بها الحدث"^(٦) .

(٢) اللمع، ص ٤٨ .

(٣) العكبري، المسائل الخلافية، ص ٤٥ .

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١ / ٢٣ .

(٥) ألفية ابن مالك، ص ٢٩ .

(٦) ينظر: وسمية منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ص ٣٦ - ٣٧ .

المطلب الثاني: اسم المصدر

لم يُحدد لاسم المصدر تعريف موحد؛ فقد أطلقه الأقدمون من النحاة واللغويين على كثير من الكلمات التي لا يجمعها إطار واحد. وقد اجتهد أ.د. محمد المهدي في النظر في أقوالهم وجمع شتاتها؛ ليخرج بتعريف -اعتمده مجمع اللغة العربية في القاهرة - حيث قال: "ما دل على الحدث، مع زيادة معنى مرتبط بالحدث لا يدخله في الأبواب الصرفية، أو ليس له فعل يجري عليه"^(٧).

فاسم المصدر مشارك للمصدر العام في الدلالة على الحادثة، إلا أن اسم المصدر دال على الحدث وعلى زيادة في المعنى متعلقة بالحدث، وهذه الزيادة لا تدخله في الأبواب الصرفية الأخرى؛ فهو ليس دالا على الحدث والذات كالمشتقات، وعلى وقوع الحدث مرة واحدة كاسم المرة، ولا على هيئة صاحبه ووصفه كاسم الهيئة... الخ؛ بل حكم النحاة على أمثلتها بأنها اسم مصدر لأنها دلت على الحدث وعلى علميته كفجار، أو على الحدث وانتهاء الغاية كالخصاد، أو الحرفة كالخياطة، أو الكثرة كالتردد، أو على الحدث وأثره ومصلته كالثواب لما يثاب به، والعطاء لما يعطى، أو على الحدث وما يتحقق به كالوضوء والطهور، أو لم يجر على الفعل المستعمل له كأقرض قرضاً^(٨) وهو ما عبر عنه بما نقص عن حروف فعله^(٩).

(٧) محمد مهدي، الصرف الميسر، ص ٧٦ - ٧٧.

(٨) ينظر: محمد مهدي، الصرف الميسر، ص ٧٦ - ٧٧.

(٩) ينظر: الصبان، حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك،

وأما عن الفرق الدلالي بين اسم المصدر والمصدر ؛ فإن استعمال المصدر أقوى دلالة على المعنى المراد من استعمال اسم المصدر ؛ ففرق دلالي بين "تكليماً" و "كلاماً" في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ^(١٠).

المطلب الثالث: المصدر الميمي

عرفه المبرد بأنه: المصدر الذي تلحقه الميم في أوله زائدة، فقال: "اعلم أن المصادر تلحقها الميم في أولها زائدة ؛ لأن المصدر مفعولٌ. فإذا كان كذلك جرى مجرى المصدر الذي لا ميم فيه في الإعمال وغيره، وذلك قولك: ضربته مضرباً..." ^(١١).
ويضيف السيوطي إلى هذا التعريف أنها تدرك بالقياس فيقول: "ولهذه الأفعال مصادر دخلت الميم زائدة في أولها تدرك بالقياس" ^(١٢).

ويمثل له ب: المَرَّ والمضْرَب... الخ ^(١٣).

المطلب الرابع: المصدر الصناعي

وهو من المصطلحات المتأخرة، واستخدامه قليل عند القدماء، ولم يُذكر له في القرآن الكريم إلا مثالان: (رَهْبَانِيَّةً)، و(جَاهِلِيَّةً). فهو المصدر المَكْوَن من إضافة ياء النسب، وتاء النقل إلى الكلمة المراد صنع المصدر منها ^(١٤).

والمصدر الصناعي يدل على الحَدَث، وعلى صفة في الاسم، ثم إن دلالة المصدر على الحدث دلالة على مطلق الحدث، أما الدلالة في المصدر الصناعي فهي لأداء وظيفة أخرى: وهي استغراق صفات المعنى الأصلي، ونسبة هذا المعنى إلى

(١٠) ينظر: هادي نهر، المصدر في القرآن، ص ٢١.

(١١) المبرد، المقتضب، ١١٩ / ٢.

(١٢) السيوطي، المزهر، ٩٦ / ٢.

(١٣) السيوطي، المزهر، ٩٦ / ٢.

(١٤) ينظر: محمد المهدي، الصرف الميسر، ص ٨٢ - ٨٥.

طوائفه ؛ وهو يكتسب الدلالة على ما يحيط من الهيئات والأحوال إن صنع من اسم المعنى ؛ فالرجولة تعني خلاف الأنوثة ، والرجولية تعني هذا أيضا مضافا إليه الشهامة والمروءة...^(١٥).

المطلب الخامس: ظاهرة تعدد أبنية المصادر وأسبابها

إن المتتبع للمؤلفات اللغوية من معاجم وكتب في اللغة ، يتبين حقيقة تعدد صيغ المصادر في اللغة العربية ، وهذا التعدد لا يحصى بسهولة ؛ فالجذر اللغوي الواحد تتعدد مصادره بحيث تكثر أو تقل ، فمنها ما ضبط بالقياس ، ومنها ما ترك للسمع^(١٦).

فيورد أبو حيان أربعة عشر مصدرا للفعل "لقي" فيقول: "اللقاء: استقبال الشخص قريبا منه ، والفعل منه لقي يلقى ، وقد يقال لاقى ، وهو فاعل بمعنى الفعل المجرد ، وسمع للقى أربعة عشر مصدرا ، قالوا: لقى ، لقياء ، ولقية ، ولقاء ، ولقاء ، ولقى ، ولقي ، ولقياء ، ولقياء ، ولقيا ، ولقيانا ، ولقيانة ، وتلقاء"^(١٧).

وللفعل "شنىء" ستة عشر مصدرا يقول في ذلك: "الشنآن: البغض ، وهو أحد مصادر شنىء. يقال: شنىء يشنأ شنأ وشنأنا مثلثي الشين فهذه ستة: وشناء ، وشناءة ، وشناء ، وشنأة ، ومشنئة ، ومشنئة ، وشنانا ، وشنانا"^(١٨).

فهذه ستة عشر مصدرا وهي أكثر ما حفظ للفعل.

وقد وردت ظاهرة تعدد المصادر في كتب كثيرة منها ما جاء في مخصص ابن سيده عنوانا يدل على التعدد وسمه بـ "باب مصادر مختلفة الأبنية ، متفقة الألفاظ ؛ صيغَت على ذلك للفرق"^(١٩).

(١٥) ينظر: هادي، نحر، المصدر في القرآن، ص ١٨ - ١٩.

(١٦) ينظر: الجوارنة، تعدد الأبنية العربية في المعاني الصرفية، ص ٢١٤ وما بعدها

(١٧) أبو حيان، البحر المحيط، (١/ ١٠٢).

(١٨) أبو حيان، البحر المحيط، (٤/ ١٥٥).

وقد التمس لظاهرة تعدد أبنية المصادر أسباب أهمها:

أولاً: المعيار اللهجي

وهو تفسير قديم، أخذ به المُحدِّثون، ويعزو تعدد صيغ المصادر في الجذر اللغوي الواحد إلى اختلاف اللهجات، يقول الأَخفش: "اختلاف اللهجات العربية إنما جاء من قِبَل أنَّ أوَّل ما وضع منها وضع على خلاف؛ وإن كان مسوقاً على صحة وقياس" (٢٠).

فمثلاً: فَعَلٌ وفُعُولٌ. فَعَلٌ: حجازي، وفُعُولٌ: نجدي.

قال الفراء: "إذا جاءك فَعَلٌ مما لم يسمع مصدره؛ فاجعله فَعَلًا للحجاز، وفُعُولًا لنجد" (٢١). (٢٢).

ثانياً: المعيار الدلالي

وهو السبب الأهم في اختلاف المصادر؛ فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به، لا يستعمل له المصدر الآخر، أو يكثر استعماله فيه.

فمن ذلك استخدام القرآن الكريم (ضلالة) بدلا من (ضلال) في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦١. قال الزمخشري: "فإن قلت: لم قال لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ولم يقل ضلال كما قالوا؟ قلت:

(١٩) ابن سيده، المخصص (٤/٣٣٧)

(٢٠) السيوطي، المزهر، ١/٥٥ - ٥٦.

(٢١) الرضي، شرح الشافية، ١/١٥١ - ١٥٢.

(٢٢) ينظر: فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ص ٢٢، وسمية منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي،

الضلالة أخصّ من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر، فقلت: مالي تمرة" (٢٣).

ومنه (الضَّرُّ) و(الضَّرُّ): فهو "بالفتح: الضرر في كل شيء، وبالضم: الضرر في النفس من مرض وهزال" (٢٤). قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَإِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]. فالضر عام مقابل النفع، "فرق بين البناءين لافتراق المعنيين" (٢٥).

وقد اختص القرآن الكريم قسماً من المصادر بمعنى معين: كالصَّوم والصَّيَّام، فقد اختص كلمة الصَّوم بمعنى الصمت قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]. ولم ترد الصَّوم إلا في هذا الموضع.

وأما الصَّيَّام: فقد ورد في القرآن الكريم (٩) مرّات، كلّها بمعنى العبادة المفروضة (٢٦).

ويجدر التنبيه إلى أنّ الاختلاف في دلالات هذه المصادر من زاويتين: الأولى: زاوية البنية الصّرفية مجردة، أعني خارج السّياق؛ ففرق بين دلالة المصدر الميمي والمصدر الصريح، سواء أكانا خارج السّياق أم في داخله. والثانية: من زاوية السّياق حيث يتضح الفرق بين البناءين أكثر فأكثر (٢٧).

(٢٣) الزمخشري، الكشاف، (٢/ ١١٣).

(٢٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٣٣٥.

(٢٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٣٣٥.

(٢٦) ينظر: فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ٢٣-٢٤، وسمية منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي،

٣٨٠ - ٣٨٣.

(٢٧) ينظر: هادي نهر، المصدر في القرآن، ص ١٥.

المبحث الثاني: المصادر التي تعددت أبينتها في سورة محمد ﷺ

أولاً: المنّ

ورد مصدر المنّ في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَامًا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

وورد في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٢]. ولم يرد مصدر آخر لهذا الفعل في القرآن ك (مِنَّة) مثلاً.

قال الراغب: "والمِنَّةُ: النِّعْمَةُ الثَّقِيلَةُ، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنِّعْمَةِ، وعلى ذلك قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، (كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) [النساء: ٩٤]...، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النِّعْمَةِ، ولقبح ذلك قيل: المِنَّةُ تهدم الصَّنِيعَةَ، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النِّعْمَةُ حسنت المِنَّةُ". ثم بين أنّ في معنى المنّ في آية القتال: إشارة إلى الإطلاق بلا عوض^(٢٨).

وجاء في اللسان: "وَمَنْ يَمُنُّ مَنًّا...، وَمَنْ عَلَيْهِ مِنَّةٌ"^(٢٩).

ونلاحظ أن المنّ في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) عني به: الإطلاق من غير فدية^(٣٠). وهذا منّ بالفعل كما قال الراغب، وهو من مَطْلُوب التوجه إليه.

(٢٨) ينظر: المفردات، الراغب، ص ٤٧٤

(٢٩) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٤١٧ - ٤١٨.

(٣٠) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٣/٥٧. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/٢٠٩.

وأما المن في الآيتين: فقد اقترن بالأذى، وهو التحدث بما أُعطي، حتى يبلغ ذلك المُعطى فيؤذيه^(٣١) وهو من القول وهو أمر منهى عنه مستقبح فيما بين الناس.

وأما لم لم يستخدم القرآن المصدر (منة)؟ فقد اجتهدت في ذلك تبعاً لتفريق اللسان السابق؛ أن المنّة: تبين فضل المُعطي على من يعطيه؛ ولا فضل له في الحقيقة، ولا نريد إظهار ما تحمله الصيغة من هذا المعنى في المقامين، ففي الأول: وهو إطلاق الأسرى بلا عوض، وقطعاً لا نريده مطلقاً في مقام الصدقة والعطية.

ثانياً: الفداء

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله: ﴿فَأَمَّا مَا بَعْدُ وَإِنَّمَا فَدَاءُ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ١٤].

في حين ورد المصدر فدية في ثلاثة مواضع وهي: قوله ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقوله: ﴿وَأَنبِئُوا الْحَيَّةَ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥].

والفداء والغدية مصدران لفعل واحد وهو فدى.

وقد بين الإمام الراغب -ببصيرته الثاقبة - الفرق بينهما، وخروج كل منهما إلى معنى مستقل، فقال: "الفداء حفظ الإنسان عن النابئة بما يبذله عنه"، ومثل لذلك

(٣١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٦٥٩/٢. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٨٠.

بآية سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، والفدية: "ما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادة قصر فيها" ككفارة اليمين، كفارة الصوم...^(٣٢).

والمح ابن فارس إلى هذا؛ فقال: "الفاء، والذال، والحرف المعتل: كلمتان متباينتان جداً. فالأولى: أن يُجعلَ شيءٌ مكانَ شيءٍ حمىً له، والأخرى شيءٌ من الطعام" ^(٣٣).

فيلحظ أنّ ما يبذل فداءً يكون عاصماً وحمىً له من نائبة عظيمة كالأسر. فالأسير معرض لإصابة القتل في أية لحظة، ويفدي نفسه بالمال، أو غيره من الأسرى، أو بأي شرط يشترط عليه^(٣٤).

وليس مثله الفدية؛ التي يبذلها صاحبها جبراً عنه؛ لنقص أو تقصير بدر منه. ولعلّ الفدية حملت معنى خاصاً في سورة الحديد؛ لأنها جاءت في سياق الحديث عن يوم القيامة والحياة الأخرى، وشدة ما يعالجه الكفار والمنافقون من عذاب؛ لكن لا فدية تقبل تحميهم من هذا العذاب المحيط، فالיום لا يؤخذ منكم أيها المنافقون أي شيء تبذلونه يسيراً أم كثيراً؛ بل أنتم قاطنون في جهنم؛ هي المأوى والمسكن لكم، والفدية قد تقبل في الدنيا؛ لكن لا تقبل في الآخرة.

ثالثاً: عاقبة

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في الآية العاشرة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ [محمد: ١٠].

(٣٢) ينظر: المفردات، ص ٦٢٧.

(٣٣) معجم مقاييس اللغة، ٤ / ٤٨٣.

(٣٤) ينظر الرازي، التفسير الكبير ٢٨ / ٤٥.

وجاء هذا المصدر في اثنين وثلاثين موضعاً. منها: ﴿ قَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ۖ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. وقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤]. وقوله: ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَادَرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: ٥١]. وقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَىٰ ۚ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الروم: ١٠]. ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٩].

وجاءت مصادر أخرى للفعل ذاته في القرآن. وهي: (عقبى) في خمسة مواضع هي: قوله تعالى: ﴿ وَيَذَرُهُمْ بِالْحَسَنَةِ الْيَسِينَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢]. وقوله: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]. وقوله: ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلْمُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [الرعد: ٣٥]. ﴿ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]. وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلُّمُ الْكُفْرِ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٤٢].

و(عقباً) جاءت في سورة الكهف: ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٤٤].

وقبل أن نتأمل هذه الآيات التي وردت فيها هذه المصادر - وإخالك قد علمت الفرق بينها - أبقى مع الإمام الأحمدي، الراغب الأصفهاني، وهو يحدثنا عن الفرق بين هذه المصادر، ثم نرى هل يشهد لذلك الاستعمال القرآني.

يقول الراغب: " والعُقْبُ والعُقْبَى يختصان بالثواب نحو: ﴿ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢]، والعاقبة إطلاقها

يختصّ بالثواب نحو: ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُنْقِبِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾ [الروم: ١٠] " (٣٥).

قلت: لعل الإمام الراغب أراد بجمعه بين المصدرين (عُقِبَ) و (عُقِبِي) وكونهما يختصان بالثواب، أي: يأتيان في سياق بيان حسن ثواب المؤمنين وجزائهم وعاقبة أمرهم.

وقد يفرق بينهما أن المصدر (عقبا) والذي جاء في موضع وحيد في سورة الكهف: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤]. جاء بمعنى المرجع والخاتمة (٣٦). مسجلا للمؤمنين حسن مآلهم، وخير خاتمته؛ فخير عاقبة في الآجل إذا صار المطيع إلى الله الولي الحق (٣٧). ويؤيد هذا المعنى العطف على (ثوابا)، والعطف مقتض المغايرة فالعقب ليس الثواب والجزاء وإن أسهم في بيان هذا الجزاء.

أما (عقبى) فهي جزاء الأمر (٣٨). يختص بثواب وعاقبة الخير حتى فسرت بالجنة وأصبحت اسماً عليها؛ فعاقبة الآخرة، الجنة بدلاً من النار، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]. وقوله: ﴿فَنِعْمَ عَقَبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

ولكن نجد هذا المصدر (عقبى) ممثلاً لمصير الكافرين ألا وهي النار؛ فكيف نخرِّج ذلك؟

أقول: إنَّ مَنْ يقرأ الآية الكريمة من أولها يتبين الأمر لديه؛ فقد جاءت (عقبى) مع الكافرين، مقابلة ومشاكلة لعقبى مع المؤمنين. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ

(٣٥) ينظر: المفردات، ٥٧٥.

(٣٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦١٩/١.

(٣٧) ينظر: الطبري، جامع البيان، ٢٩/١٨.

(٣٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦١٩/١ والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز ٨١/٤.

الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿الرعد: ٣٥﴾. وأما قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢] فتفسر على أن المقصود العاقبة المحمودة أيضاً؛ فيأتي الكافر العذاب من حيث هو في غفلة عنه، فحينئذ، يعلم لمن هي العاقبة المحمودة^(٣٩).

بقي أن أشير إلى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ﴿١٤﴾ ولا يخاف عُقْبَاهَا ﴿الشمس: ١٤ - ١٥﴾. ولا يعنى بالعقبى هنا الجزاء؛ بل التبعة؛ فقد يخاف المعاقبون من الملوك من عاقبة ما يفعلونه وتبعته، وليس كذلك رب العزة^(٤٠).

وأما (العاقبة): فالغالب أنها تستعمل في العقوبة وجزاء السوء، وذلك واضح في الآيات التي مثلنا بها، ومثلها كثير، وذلك عند الإضافة كما بين الراغب - رحمه الله - كعاقبة المكذبين، وعاقبة المجرمين، وعاقبة المفسدين، وعاقبة الظالمين... الخ. إذن: فالأمر واضح؛ أن العاقبة قد تستعمل في العقوبة عند الإضافة، ويشهد لذلك الاستعمال القرآني.

أما عند الإطلاق؛ فتدل على جزاء المؤمنين، وأن عاقبة الخير هي الأصل. قال ابن المنير: (إن المؤدي إلى حمد العاقبة مأمور به والمؤدي إلى سوتها منهي عنه، فمن ثم كانت عاقبة الخير هي الأصل)^(٤١). ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [بالأعراف: ١٢٨]. وقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ نَجَعَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنَّاقِينَ﴾ [التقصص: ٨٣].

(٣٩) ينظر: أبوحيان، البحر المحيط، ٥ / ٣٩٠.

(٤٠) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ١٦ / ٢٦٢.

(٤١) حاشية الكشف، ٢ / ٥٠٦.

وقوله: ﴿وَأَمْرًا هَلَكًا بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْتَأْذِنُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

[طه: ١٣٢].

وأما إضافة عاقبة إلى الأمور كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤١]. فلا تختص بالعقوبة؛ إنما جاءت عامة، والمعنى: مرجعها إلى حكم الله وتقديره^(٤٢).

رابعاً: هدى

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَفْوَهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وورد في القرآن في ثمانية وأربعين موضعاً منها: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢]. ﴿وَبَيَّنَّتْ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]. ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدًى اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٣]. ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١].

ولم يأت الفعل (هدى) في القرآن على غير هذا المصدر، (كهداية) مثلاً.

قال الراغب: "والهداية: دلالة بلطف ومنه الهدية، ... وخص ما كان دلالة بهدیت، وما كان إعطاء بأهدیت، نحو: أهدیت الهدية وهدیت إلى البيت"^(٤٣).

(٤٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ١٥٧.

(٤٣) المفردات، ص ٨٣٥.

وقد ذكر الراغب أقسام الهداية الربانية للإنسان، ثم مثل للهداية الثالثة والرابعة آيات من سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقال: "الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. والرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، المعني بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمٍ﴾ [محمد: ٥]"^(٤٤).

ثم قال الراغب: "وكل هداية نفاها الله عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها؛ فهي ما عدا المختص في الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة"^(٤٥).
فما جاء في القرآن الكريم بهذا المصدر (هُدًى) يدل على هداية الدين فحسب؛ فالهدى خاص بالإرشاد والتبين فيما يتصل بأمر الدين، أما الهداية؛ فأتم وبها تتحقق المعرفة.

قال الهروي: " (وهديت القوم الطريق) بغير ألف أيضا، أهديهم (هداية)، فأنا هاد، وهم مهديون: أي عرفتهم إياه ودللتهم عليه، وهذه لغة أهل الحجاز، ومنه قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة ٦] وغيرهم يقول: هديتهم إلى الطريق، فيعديه بحرف الجر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ [سورة الشورى ٥٢، ٥٣]. وهديتهم (في الدين هدى): أي دللتهم، وأرشدتهم، وبينته لهم، والهدى ضد الضلال، وهو الرشاد والدلالة"^(٤٦).

(٤٤) المفردات، ص ٨٣٥ - ٨٣٦.

(٤٥) المفردات، ص ٨٣٦.

(٤٦) الهروي، إسفار الفصح، ١/٤٣١-٤٣٢.

خامساً: تقوى

وجاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. وقد أتى مصدر (التقوى) في ستة عشر موضعاً في القرآن، منها: ﴿وَتَكَرَّرُوا فَاِنَّكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، و﴿وَلِبَاسُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣] الخ. وأما المصدر (ثقة) فقد أتى في موضعين في السورة نفسها، وهما: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أصل المادة: وقى يقي، و"الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره... والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه. ثم يسمّى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحذور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات..."^(٤٧).

"والتقوى في الطاعة يراد به الإخلاص، وفي المعصية يراد به الترك والحدز"^(٤٨). وتحمل التقوى في المواضع التي ذكرت في القرآن على التقوى في تعارف الشرع الذي بين سابقاً.

أما (الثقة)؛ فمعناها في الآية ٢٨ من سورة آل عمران، كما قال الزمخشري: (إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه يدعوكم إلى موالاتهم،

(٤٧) الراغب، المفردات، ص ٨٨١، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٥ / ٤٠١.

(٤٨) ينظر الجرجاني، التعريفات، ص ٦٨.

والمقصود بتلك الموالاتة مخالفة ومعاشرة ظاهرة؛ والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء، وانتظار زوال المانع^(٤٩)، فيفهم من كلامه: أن الثقة هنا مصدر يدل على الخوف حسب تسمية الشيء بمقتضيه، كما بين الراغب، أي الثقة هنا على معناها اللغوي، وعلى معنى الخوف خاصة.

أما الثقة في الآية الثانية؛ فلم أجد - فيما اطلعت عليه من كتب التفسير - إلا من يفسر الثقة بالتقوى، أو بواجب التقوى. من ذلك قول الزمخشري: (حَقُّ ثِقَاتِهِ: واجب تقواه وما يحق منها، وهو القيام بالموجب واجتناب المحارم، ونحوه (فَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) يريد: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً)^(٥٠). فالثقة: المبالغة في التقوى، أو لعلها تحمل معنى الخشية من الله، كما حملت حملت الثقة في الآية الأولى معنى الخوف من الأعداء. ولا يخفى الفرق بين الخشية والخوف. والله تعالى أعلم.

سادسا: الذكرى

جاءت في سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمُ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

وأنت (ذكرى) في اثنين وعشرين موضعا آخر في القرآن منها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢]. وقوله: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَآئِنَ لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَهُ يَرْجُوكَ ۚ أَوْ يُذَكِّرُ فَانْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: ٣ - ٤]. ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ

(٤٩) الكشاف، ١/ ٤٢٢.

(٥٠) الكشاف، ١/ ٤٥٠.

ذَكَرَى الدَّارِ ﴿[ص: ٤٦]. وكذلك في ص: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى
لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿[ص: ٤٣].

وجاء في مقابل ذلك المصدر (ذكر) في سبعين موطناً منها ما هو مقترن بلفظ
الجلالة (الله) كما في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيُضِدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿[المائدة: ٩١]. وقوله: ﴿أَلَا يَذُكُرُ اللَّهُ نَطْمِئِنُّ
أَلْقُلُوبُ ﴿[الرعد: ٢٨]. وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ ﴿[النور: ٣٧]. وقوله: ﴿إِنَّكَ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ
أَكْبَرُ ﴿[العنكبوت: ٤٥].

ومطلقاً؛ ليدل في غالبها على القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿[الحجر: ٩]. وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿[النحل: ٤٤].. الخ.

وقبل أن أفرق بين هذين المصدرين، أخرج على ما سطره الراغب، حيث
قال: "الذكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من
المعرفة، وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً
باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء في القلب، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر
بالقلب. وذكر باللسان.... والذكرى: كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى:
﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿[ص: ٤٣]" (٥١).

فأقول بعد الاعتماد على الله، ومن ثمّ ما سبق، وبعد تأويل الآيات: إن الذكر في القرآن جاء لمعان مختلفة، مثل: القرآن، والشرف، والتسبيح، والعبادة الخاصة بذلك، ... الخ^(٥٢).

وجاءت بمعنى (التذكر) في مواطن منها: ﴿فَأَنسَنَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وهذا الذي يعيننا هنا في مقابلة مصدر الذكرى، والذي قدمت أن الراغب حدده بكثرة الذكر؛ وهو أبلغ من الذكر، ويشهد لذلك الاستعمال القرآني بمجيء الذكرى في مواطن تقتضي المبالغة بالذكر، كما في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومعناه: "إن تأتهم الساعة؛ فكيف لهم ذكراهم؟، أي تذكرهم واتعاضهم إذا جاءتهم الساعة، يعني: لا تنفعهم الذكرى حينئذ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ كَانُوا فِيهَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الفجر: ٢٣]"^(٥٣).

فمجيء الساعة، وحضور أهوالها، لا ينفع معه حتى المبالغة في الذكر والتذكر. وكذا أضيفت الذكرى لأولي الألباب؛ والتذكرة البليغة لا تكون إلا لهم. فهم أهل لفهمها.

وهذا الذكر الكثير هو الذي ينفع المؤمنين، ويسبب لهم الفلاح: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. والله تعالى أعلم

(٥٢) ينظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٣٠١-٣٠٦، والدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص ١٨٠.

(٥٣) الزمخشري، ٤/ ٣١٥. وينظر الألوسي، روح المعاني ٥٢/٢٦

سابعاً: متقلب

ورد في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]. ولم يرد في غير هذا الموضع.

أما (تقلب): فقد ورد في خمسة مواضع، هي قوله تعالى: ﴿ قَدْ زُرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وقوله: ﴿ لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦]. وقوله: ﴿ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ۗ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِ ۗ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]. وقوله: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [النحل: ٤٦]. وقوله: ﴿ فَلَا يَعْزُرَكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾ [غافر: ٤].

قال الراغب: " وَتَقَلُّبُ الشَّيْءِ: تغييره من حال إلى حال.... وَتَقَلُّبُ الْأُمُورِ: تديبها والنظر فيها.... وَتَقَلُّبُ اللَّهِ الْقُلُوبَ وَالْبَصَائِرَ: صرفها من رأي إلى رأي،... وَالتَّقَلُّبُ: التَّصَرُّفُ " (٥٤).

وقال ابن فارس: (القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خالص شيءٍ وشريفه، والآخر على ردِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة) (٥٥).
وما يعيننا هنا هو الأصل الثاني، ويبدو معنى التقلب: وهو الحركة الظاهرة والتردد من جهة إلى جهة، واضحاً في الآيات الكريمة.

أما (المتقلب): ففيه إلى جانب الدلالة على أن كل أحد متحرك في الدنيا دائماً نحو معاده غير قار (٥٦) الإشارة إلى المكان، وهذا ما يفصح عنه استخدام المصدر الميمي

(٥٤) الراغب، ص ٦٨٢.

(٥٥) معجم مقاييس اللغة، ٥ / ١٨.

(٥٦) ينظر: الألوسي، روح المعاني ١٤ / ١٠٠٤.

الذي يعد أكثر تأكيداً للمعنى المراد من المصدر الصريح؛ لأن فيه زيادة على الحدث بما يشير إلى الوجه الذي ينزل إليه، والمكان الذي يحل فيه^(٥٧).

وكذلك نلمس المعنى في المصدر الميمي المعطوف عليه وهو مثواكم؛ فالمادة تدل على الإقامة مع الاستقرار، والصيغة تدل على المكان أيضاً.

ثامنا: القتال

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عِشْرَ مَوْضِعًا آخَرَ مِنْهَا: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧]. وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَتَالِ فِيهِ قُلُوبٌ قَاتِلٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولم يأت الفعل (قاتل) على غير هذا المصدر في القرآن؛ فلم يستخدم مقاتلة مثلاً. جاء في اللسان: "وقاتله: مقاتلة وقتالاً"^(٥٨).

ومعنى القتال في مواضع وروده عند المفسرين^(٥٩) جهاد المشركين. قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ [محمد: ٢٠] كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ

(٥٧) هادي نحر، المصدر في القرآن، ص ٤٨. بتصرف

(٥٨) ابن منظور، لسان العرب ١١/٥٤٨.

(٥٩) ينظر مثلاً: الطبري، جامع البيان، ٢٢/١٥٤، والزمخشري، الكشاف، ١/٢٩١، والرازي، التفسير

الكبير، ٦/٣٨٤، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/٣٧.

في معنى الجهاد فإذا أنزلت وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم، وسقطوا في أيديهم" (٦٠).

وهنا يظهر الفرق بين المصدرين: القتل والمقاتلة، وبين سرّ عدول القرآن عن مصدر المقاتلة بمصدر القتال؛ لأنه لما أراد بيان فرض الجهاد والإذن به، ودعا إليه منهجا محكما باقيا إلى يوم القيامة، عبر عنه بالمصدر القتال. وليس كذلك صيغة المقاتلة؛ فهي قد تكون من مقدمات القتال، أي المباراة التي تسبق التحام الصفوف. قال الرازي: "وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَنَّ الْمَقَاتِلَةَ تَكُونُ قَبْلَ الْقِتَالِ" (٦١) وقد تكون نزالا مرة واحدة لا يعقبه التحام، قال ابن سيده: "وأما فاعلت فإنك إن أردت الواحدة قلت قاتلته مقاتلة، وراميته مراماة، ولا تقول قاتلته قتالة لأن أصل المصدر في فاعلت مفاعلة لا فعال، وإنما تجعل المرة على لفظ المصدر الذي هو الأصل" (٦٢)، وليس إلى ذلك قصد القرآن بالجهاد فهما عاما باقيا ركنا من أركان الاسلام وذروة لسنامه. والله أعلم.

تاسعا: الطاعة

ورد المصدر (طاعة) في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذْ عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].
 وورد كذلك في موطنين اثنين هما: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

(٦٠) الزمخشري، الكشاف، ٣٢٤/٤

(٦١) الرازي، التفسير الكبير، ١٢٣/٩.

(٦٢) الزمخشري، الكشاف، ٣٢٤/٤

وقوله: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٥٣].

أما (طوعاً) فقد أتى في أربعة مواضع، هي: قوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّ دِينَ اللَّهِ يَجْعُونَ لَهُمْ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]. وقوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٥٣]. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]. وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

(قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: يُقَالُ أَمْرُهُ بِأَمْرٍ فَأَطَاعَهُ، بِالْأَلْفِ لَا غَيْرِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لَهُ عَلَيَّ أَمْرُهُ مَطَاعَةٌ. قَالَ: وَقَدْ طَاعَ لَهُ إِذَا انْقَادَ لَهُ يَغْيِرُ أَلْفٌ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الطُّوعُ: نَقِيضُ الْكَرْهِ، لِتَفْعَلَنَّهُ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، وَطَائِعًا أَوْ كَارِهًا. وَطَاعَ لَهُ إِذَا انْقَادَ لَهُ، فَإِذَا مَضَى لِأَمْرِهِ فَقَدْ أَطَاعَهُ، وَإِذَا وَاَفَقَهُ فَقَدْ طَاوَعَهُ) (٦٣).

وقد فرق الراغب بينهما فقال: "الطُّوعُ: الانقيادُ، وبضادَه الكره...، والطَّاعَةُ مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر، والارتسام فيما رسم" (٦٤). وعد آية سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) من هذا الباب فقال: "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ" [محمد: ٢١]، أي: أطيعوا" (٦٥).

والذي يظهر من خلال الآيات؛ أن الطاعة جاءت في مواضعها في سياق الحديث عن المنافقين، وعن الطاعة التي يصورونها؛ فهي ليست طاعة حقيقية؛ بل هي طاعة في الظاهر؛ خديعة في الحقيقة، ويلتزم هذا المعنى مع التقدير الذي يُقال في

(٦٣) الأزهرى، تهذيب اللغة ٦٦/٣.

(٦٤) ينظر: الراغب، المفردات، ٥٢٩.

(٦٥) ينظر: الراغب، المفردات، ٥٢٩.

آية سورة النور وهو: طاعتكم طاعة معروفة؛ بأنها القول دون الفعل، لا التقدير أن ما يطلب منكم طاعة معروفة لا يرتاب فيها كطاعة الخالص من المؤمنين، وكذلك التقدير في آيتي سورة محمد والنساء أن ذلك من حكاية قولهم: أي قالوا: طاعة وقول معروف؛ وقولهم خديعة، وليس التقدير: طاعة وقول معروف خير لهم^(٦٦). ويلتئم هذا أيضاً مع ما يقابله من تعبير بالمصدر (طوعاً) وهو الانقياد، والموافقة، والاتباع.

فلنلاحظ أنه يوصف به جميع من في السموات والأرض من أحياء وجمادات؛ فالكل منقاد لله؛ والمؤمن منقاد له، ولا ينشز عن رتبة هذا الكون المنقاد إلا الكافر والمنافق، ولما كان الأمر كذلك عبر عن الائتمار للأمر بالطاعة، وعبر عن انقياد الكون بالطوع.

عاشرا: إسرار

وردت في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) تعقيباً على قول (سنطيعكم في بعض الأمر)، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦].

وفي سورة نوح أيضاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ١٩]. أما (السر) فقد ورد في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً منها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]. وقوله: ﴿وَمَنْ زَقَفْنَاهُ مِثْرًا زَقَفًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النحل: ١٧٥]. ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ [التوبة: ١٧٨].

(٦٦) ينظر: الزمخشري، الكشاف ٣/ ٤٤٣، و الألويسي، روح المعاني ١٤/ ١٠٣.

قال ابن فارس: "السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء. وما كان من خالصه ومستقره. لا يخرج شيء منه عن هذا" (٦٧).

وقال الراغب: "الإسْرَارُ: خلاف الإعلان، قال تعالى: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلُونَ﴾ [التغابن: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُ وَأَبْهَى﴾ [الملك: ١٣]، ويستعمل في الأعيان والمعاني، والسِّرُّ: هو الحديث المكتوم في النفس. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال تعالى: ﴿أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ (٦٨).

والمح إلى تفريق بينهما حيث قال: "إنَّ الإسْرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضى إليه بالسِّرِّ، وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره، فإذا قولهم أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهار، ومن وجه الإخفاء، وعلى هذا قوله: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩]" (٦٩).

يتبين مما سبق: أن السِّر هو الحديث المكتوم في النفس من غير أن يطلع عليه أحد، وهذا الذي يرجحه سياق الآيات؛ حيث تبين عظيم علم الله الذي يصل إلى خبايا النفوس وخلجاتها.

أما الإسْرار: فهو وإن كان فيه معنى الخفاء إلا أنه فيه إظهار من جهة أخرى؛ بأن المتكلم يظهر أمره لمن يريد أن يضع سره عنه.

وأيضاً: في استخدام صيغة (الإسْرار) بالمصدر دون اسم المصدر (السِر) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩] من التأكيد والمبالغة ما فيها، حيث

(٦٧) معجم مقاييس اللغة ٦٧/٣.

(٦٨) المفردات، ص ٤٠٤.

(٦٩) المفردات، ص ٤٠٤.

استعمال المصدر أقوى دلالة على المعنى من استعمال اسم المصدر الذي لا يدل على الحدث مباشرة؛ بل على الاسمىة، وحملت صيغة (إسرا) العموم كذلك، كما قال الألوسي في آية القتال: أي إخفاؤهم ما يقولون لليهود أو كل قبيح، ويدخل ذلك دخولاً أولياً^(٧٠).

الحادي عشر: رضوان

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

وقد استخدمه القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، كلها مختصة بـرضوان الله تعالى من هذه المواضع: قوله: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢]. وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]. وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارِعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

ولم يستخدم القرآن غيره من المصادر لأنه اقترن بما عند الله، وما عند الله عظيم وكثير، فناسب استخدامه، قال العسكري في الفروق: "وقيل: الرضوان: الكثير من الرضا، ولذلك خص في التنزيل بما كان من الله من حيث إن رضاه أعظم الرضا"^(٧١)، والتفريق بين الرضا والرضوان هو ما اختاره الراغب وغيره، فقال: (الرضوان: الرضا

(٧٠) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ١٤ / ١١٣.

(٧١) الفروق ص ٢٥٧.

الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى، خصّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من عند الله تعالى^(٧٢).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة في ظلال القرآن والتنعم بمآدبته يطيب لي أن أشير إلى بعض النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة:

١ - أهم أسباب تعدد أبنية المصادر هو المعيار الدلالي الذي يظهر في زاويتين خارج السياق أي من زاوية البنية الصرفية، وداخلي: السياق الذي يتضح معه الفرق أكثر فأكثر.

٢ - للسياق وما قرره علماء العربية من أن زيادة المبنى زيادة في المعنى، وما وضعه اللغويون من ضوابط لتحديد معاني أبنية المصادر إسهام في الإجابة عن عدول التعبير القرآني عن صيغة إلى أخرى في المصدر.

٣ - يشهد الاستعمال القرآني للمصادر في سورة محمد صلى الله عليه وسلم (نموذجاً) لروعة إثارة بناء على آخر في القرآن، حيث تسهم صيغة الكلمة في إبطار السر البلاغي لانتقاء الكلمة القرآنية.

التوصيات

الدعوة إلى دراسة موضوع بلاغة استخدام المصدر في القرآن وخاصة فيما يتصل بتعدد أبنيته دراسة علمية تأصيلية رصينة بتعهد صيغ المصادر جميعها في القرآن

(٧٢) المفردات، ص ٣٥٦. وينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٢ / ٤١٦ - ١٤٧، الشهاب الخفاجي، حاشية

الشهاب على البيضاوي، ١١/٣.

بالدراسة والتحقيق كلها تضيف جديدا إلى الدراسات البلاغية المتصلة بالقرآن الكريم
وتثري المكتبة القرآنية بموضوع شائق ممتع.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- [١] الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- [٢] الألوسي، محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة المطبعة المنيرية، دار إحياء التراث - بيروت.
- [٣] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- [٤] ابن جنبي، أبو الفتح عثمان بن جنبي الموصلي النحوي، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، ١٩٧٢م.
- [٥] الجوارنة، أحمد محمود، تعدد الأبنية العربية في المعاني الصرفية، ط ١، المركز القومي للنشر - الأردن، ٢٠١١م.
- [٦] ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط: ١، مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- [٧] ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر، الشافية في فن الصرف والخط، عالم الكتب - بيروت، ط ٣، ١٩٨٤م.

- [٨] أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
- [٩] الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين المصري الحنفي، حاشية الشَّهابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ (الْمُسَمَّاةُ) عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، دار صادر - بيروت.
- [١٠] الدامغاني، الحسين بن محمد، إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبدالعزيز الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م.
- [١١] الرازي، الفخر محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث، العربي - بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- [١٢] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة بيروت.
- [١٣] الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- [١٤] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- [١٥] السامرائي، فاضل، معاني الأبنية في العربية، جامعة بغداد - بغداد، ١٩٨١م.
- [١٦] ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص - تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- [١٧] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، *المزهر في علوم اللغة*، وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد الله ومحمد علي، دار الكتب العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٨٦م.
- [١٨] محمد بن علي الصبان الشافعي، *حاشية العلامة الصبان على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك*، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- [١٩] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- [٢٠] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، *معاني القرآن*، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر.
- [٢١] الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تحقيق: محمد علي النجار - عبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ٣، ١٤١٦ - ١٩٩٦
- [٢٢] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.
- [٢٣] ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، *ألفية ابن مالك*، دار التعاون.
- [٢٤] المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، *المقتضب*، تحقيق: محمد عبد الخالق عضية، عالم الكتب - بيروت.
- [٢٥] منصور، وسمية، *أبنية المصدر في الشعر الجاهلي*، جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

- [٢٦] ابن المنير، أحمد بن محمد الاسكندراني، الانتصاف مطبوع بهامش الكشاف، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ١٩٩٥ م.
- [٢٧] المهدي، محمد المختار، الصرف الميسر، ط ٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- [٢٨] نهر، هادي، المصدر في القرآن الكريم، مركز عبادي - عدن، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- [٢٩] الهروي، أبو سهل محمد بن علي بن محمد النحوي، إسفار الفصيح، دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٢٠ هـ.
- [٣٠] ابن يعيش، يعيش بن علي النحوي، شرح المفصل، تحقيق: جماعة من العلماء، إدارة المطبعة المنيرية - القاهرة.

Multiplicity of Infinitive Structure in the Qur'an A Rhetorical Study Chapter 47 (Muhammad) as a Case Study

Dr. Khulud (Mohammad-Ameen) Mahmoud Al-Huwary

Exegesis and Qur'anic Sciences, Specialization: Qur'anic Rhetoric

Assistant Professor - Taibah University, Faculty of Arts and Humanities, Department of Qur'anic Studies

Abstract. This study attempts to detect communication using source in the Koran, and the mystery of multiple premises and suitable both for the Quranic context, the role of the building type in defining meaning, the study aims to answer Washington Quranic expression language to another, must be accompanied by reversing the meaning to another, looking at his sources find splendor at the preference in the Quran, and explainers of the formula reported in Word selection on eyesight password rhetorical wathrzelk. owing to the nature of the research that Come study deals with two issues: the first topic: it addresses the theory in terms of the definition of source and statement types and causes of multiple premises, which were limited to the most important premises without expanding the linguistic differences: b. II applied to sources in Al-fighting which dealt with known multiple buildings which did not address the sources unless a second source is known as a source for example and then compare buildings right sources studied with her sisters in the Quran to find out appropriate for each source in context and impact formula in determining significance thus appears Quranic miracles floor and then closing recorded resultsSearch in its entirety on the causes of multiple buildings and answer sources cited Quranic expression language to another source offered recommendations which call for study of the topic of multiple buildings scientific study sources tasilet the pledge of almsadergmiaha formulas in Quran study and investigation may enrich the Koranic Library subject interesting matta connected eloquently Qur'aan God behind the intent.

الأثر النصراني في عقيدة الألوهية وما يتعلق بها عند النصرانية

د. سعيد بن محمد بن حسين بن معلوي

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

المدينة المنورة ٤١٤٤٢ ص.ب: ٦٣٩٣

smmalwi@gmail.com

ملخص البحث. هذا البحث يختص ببيان تأثر طائفة النصرانية بالنصرانية المحرفة في معظم عقائدها، ومنها عقيدة الألوهية، وأن هذا التأثير صاحب النصرانية في العصور المبكرة لنشأتها، ويتضح هذا التأثير في جوانب مختلفة في العقيدة النصرانية، منها: اعتقاد النصرانية بألوهية "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه، ونسبة الربوبية إليه، والاعتقاد بأن له طبيعتين: طبيعة إلهية حيث مقام الألوهية، وطبيعة بشرية اختلطت بها مع الناس، وكذلك قولهم بالحلول والتجسد، وبالتثليث المتمثل في اعتقاد ألوهية وربوبية: "علي بن أبي طالب" و"محمد صلى الله عليه وسلم" و"سلمان الفارسي"، والقول بعقيدة الفداء والخلاص. وكل هذه العقائد هي من صميم عقائد النصارى في المسيح عليه السلام.

ويهدف البحث إلى إظهار الأثر النصراني في عقائد النصرانية، وبيان بطلان ما يعتقدونه النصرانيون ومخالفته للإسلام، وبيان أن الدين الإسلامي بريء مما ينسب إليه من عقائد فاسدة. وقد توصل الباحث إلى أن النصرانية لا تخرج في معظم أصول عقائدها عن الديانة النصرانية المحرفة، وأن هذا التأثير لا يزال إلى عصرنا هذا.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل السموات والأرض ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، وأصلي وأسلم على الهادي البشير محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

يقول عبدالقاهر البغدادي^(١) رحمه الله: ((اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم))^(٢).

ومن أخطر الفرق الباطنية في هذا العصر: فرقة النصيرية، التي عاثت فساداً في البلاد وفي العباد، وبدعم غير خفي من اليهود والنصارى أعداء الملة والدين. وهذا الدعم مبني على تقارب في القلوب والمعتقدات، وعلى وجه مخصوص بين النصيرية وبين النصرانية المحرقة. فكان من الأهمية بمكان الكشف عن طبيعة هذه العلاقة بين هاتين العقيدتين الفاسدتين.

أيضاً فإن أمر النصيرية اختلط على غالب المسلمين ممن يحسن الظن بهم؛ ومن هذا الباب كان لزاماً على من ينتسب إلى العلم وأهله كشف حقيقتهم وبيان خطرهم على المسلمين. ومما يدخل في هذا بيان أن عقائد هؤلاء النصيرية ليست من الإسلام في شيء؛ بل هي خليط من ديانات أخرى بعضها غارق في الوثنية، وبعضها يعود إلى

(١) أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله، الفقيه الشافعي، ولد ببغداد ونشأ بها، وسكن نيسابور، وتفقه على أبي إسحاق الاسفرايني وجلس مكانه بعد وفاته، ومن تصانيفه: أصول الدين، الفرق بين الفرق وغيرها. توفي في اسفراين سنة (٤٢٩هـ) ودفن إلى جانب شيخه رحمهما الله. ينظر فوات الوفيات: ٣٧٠/٢.

(٢) الفرق بين الفرق: ص ٢٨٢.

اليهودية والنصرانية المحرفتين. ولأن البحث في هذا الباب يطول اقتصرنا على بيان تأثير النصرانية المحرفة في النصيرية وتأثر الأخيرة بها.

ومما سهل للنصيرية الانتشار في بلاد المسلمين، وتحقيق مآربهم الحاقدة، غفلة عوام المسلمين عنهم، وعدم معرفتهم بعقائدهم الفاسدة. وهذا يرجع إلى ما عُرف عن النصيرية من التكتّم الشديد على عقائدهم وطقوسهم؛ واختيار من يرون فيه النجاسة والمحافضة على أسرار المذهب من أبناء طائفتهم لتعليمهم عقائدهم السرية؛ وقد ورد في كتبهم الحرص على كتمان مذهبهم والتستر على عقائدهم، ومن ذلك ما ورد في كتاب الصراط: ((واعلم يا مفضل أن الله أسراراً، فأحب أن يعبد سراً. ومعنى ذلك أن السرّ لا يطلع عليه))^(٣). يقول "فيليب حتي"^(٤) عن النصيرية: ((أما المعروف عن مذهبهم، فليس بالشيء الكثير، إنّه مذهب سرّي الطابع، كهنوتي النظام، باطني التعليم، ومدوناتهم المقدّسة لم يُعرف عنها بمقدار ما عُرف عن مدونات الدروز؛ فإنّ الكثير من هذه قد كُشف في أعقاب الفتن الأهلية التي نشبت في غضون القرن التاسع عشر. وإذ وجدت هذه الملة نفسها جماعة صغيرة خارجة، بين أكثرية معادية، آثرت اللجوء إلى العمل في الخفاء، وهي الآن اللغز الديني الذي لم يُحلّ حلاً كاملاً في

(٣) كتاب الصراط، للمفضل بن عمر الجعفي: ص ١٦٨.

(٤) فيليب خوري جيّ (١٣٠٤-١٣٩٩هـ)، كاتب ومؤرخ ومستشرق أمريكي من أصل لبناني. ولد في لبنان وتخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت، وحصل على الدكتوراة من جامعة كولومبيا، وعُين أستاذاً لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم انتقل إلى جامعة برنستون بأمريكا أستاذاً للغات السامية، ثم رئيساً للجامعة نفسها. له عدد كبير من المؤلفات أغلبها في التاريخ. ينظر تنمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف: ١٠١/٢.

الشرق الأدنى))^(٥). وقد أشار ابن الأكفاني^(٦) قديماً إلى هذه السرية، حيث يقول عن النصيرية: ((ويخفون مقالتهم وكتبهم))^(٧).

أهداف البحث

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

- ١ - الكشف عن خطورة فرقة النصيرية على الإسلام والمسلمين.
- ٢ - الوقوف على حقيقة معتقدات النصيرية وبيان زيفها وفسادها.
- ٣ - بيان أن الفرق الباطنية وفي مقدمها النصيرية تستمد عقائدها من أديان باطلة.

٤ - التأكيد على أن تعاون النصيرية مع النصرانية هو ثمرة للتوافق في العقائد.

٥ - بيان أن الدين الإسلامي بريء مما ينسب إليه من عقائد فاسدة.

الدراسات السابقة

لم أقف - حسب علمي - على من أفرد الحديث عن هذه المسألة ببحث مستقل.

أما خطة البحث فهي على النحو التالي:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة، وقد شملت مباحث

الدراسة ما يلي:

(٥) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، فيليب حتي: ٢/٢٢٠. وينظر رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى

مجاورة لها، كارستن نيبور: ٢/٣٤١.

(٦) محمد بن إبراهيم بن ساعد الانصاري السنجاوي، ويعرف بابن الأكفاني، أبو عبد الله: طبيب عالم. ولد ونشأ

في "سنجار" وسكن القاهرة، فزاوّل صناعة الطب، وتوفي فيها سنة (٥٧٤٩هـ) ينظر: الأعلام للزركلي:

٥/٢٩٩.

(٧) إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: ص ٨٦.

التمهيد: بيان مصطلحات البحث :

المطلب الأول: في حقيقة الألوهية

المطلب الثاني: التعريف بالنصرانية.

المطلب الثالث: حقيقة النصيرية ونشأتها.

المبحث الأول: الأثر في التسمية.

المبحث الثاني: أثر النصرانية في النصيرية في اعتقادهم بألوهية علي بن أبي

طالب ﷺ

المبحث الثالث: أثر النصرانية في النصيرية في القول بالطبعين الإلهية والبشرية

لعلي بن أبي طالب ﷺ

المبحث الرابع: أثر النصرانية في النصيرية في الاعتقاد بالتجسد (الحلول).

المبحث الخامس: تأثير النصرانية في النصيرية في اعتقادهم بالتثليث.

المبحث السادس: المعنى والكلمة.

المبحث السابع: أثر عقيدة الفداء والخلاص النصرانية في عقيدة الهبطة

والخلاص عند النصيرية.

وأما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث فهو منهج استقرائي نقدي، قائم على

عرض أوجه تأثير النصيرية بالنصرانية في المسائل المبحوثة، ومن ثم نقدها وبيان زيفها

في ضوء القرآن والسنة.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله

وصحبه وسلم.

التمهيد: بيان مصطلحات البحث

المطلب الأول: في حقيقة الألوهية

الألوهية، أو الإلهية، مأخوذة من: أَلَهٌ، يَأْلَهُ إلهَةً وَأُلُوهُةً، وهي العبادة مع المحبة والتعظيم. يقال: تَأَلَّه: إذا عَبَدَ معظماً محباً^(٨). قال المقرئزي^(٩) رحمه الله: ((الإلهية: كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً، ويفردونه بالحب، والخوف، والرجاء، والإخبار، والتوبة، والنذر، والطاعة، والطلب، والتوكل، ونحو هذه الأشياء))^(١٠).

فالتأله يكون من العباد لخالقهم سبحانه، فهو المستحق لها المتفرد بها، وهو الإله المعبود بحق، لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته. ولا تستقيم حياة العباد، ولا تصلح أمورهم إلا بتحقيق توحيد الألوهية، يقول ابن القيم رحمه الله: ((إن قوام السموات والأرض والخلقة بأن تأله الإله الحق، فلو كان فيهما آلهة أخر غير الله لم يكن إلهاً حقاً؛ إذ الإله الحق لا شريك له، ولا سمي له، ولا مثل له، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما به صلاحها؛ إذ صلاحها بتأله الإله الحق. كما أنها لا توجد إلا باستنادها إلى الرب الواحد القهار، ومستحيل أن تستند في وجودها إلى ربين متكافئين، فكذلك يستحيل أن

(٨) ينظر مادة "أله" في مفردات الراغب: ص ٨٢، وفي لسان العرب: ٤٦٧/١٣، وينظر الداء والدواء، لابن

القيم: ص ٥٣٢، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ: ص ١٦.

(٩) أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزي (٧٦٦-٨٤٥هـ)، مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة. من أشهر تآليفه كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخط المقرئزي. ينظر الأعلام للزركلي:

١٧٧/١.

(١٠) تجريد التوحيد المفيد: ص ٤٤.

تستند في بقائها وصلاحتها إلى إلهين متساويين. إذا عرفت هذا فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً... أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها. بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره... ولا صلاح لها إلا بحببتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها... والمقصود أن إله العبد الذي لا بد له منه في كل حالة وكل دقيقة وكل طرفة عين فهو الإله الحق الذي كل ما سواه باطل، الذي أينما كان فهو معه. وضرورته وحاجته إليه لا تشبهها ضرورة ولا حاجة، بل هي فوق كل ضرورة وأعظم من كل حاجة^(١١).

المطلب الثاني: التعريف بالنصرانية

النصرانية: هي الديانة التي يتعبد بها النصارى، وقد ورد تسميتهم في القرآن بالنصارى؛ الذين يزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام. كما وردت تسميتهم بالنصارى في كتابهم المقدس: ((وجدنا هذا الرجل آفة من الآفات، يثير الفتن بين اليهود كافة في العالم أجمع، وأحد أئمة شيعة النصارى))^(١٢).

وتسمى النصرانية بالمسيحية، وهذه التسمية فيها نظر؛ وذلك أنها لم ترد في القرآن الكريم، وهي تسمية حادثة لم تكن في عصر المسيح، ولم تنتشر بين أتباعه القريبين من عصره؛ فقد دُعي النصارى بالمسيحيين أول مرة عام (٤٢) أو (٤٣) للميلاد، جاء في قاموس الكتاب المقدس: ((دعي المؤمنون مسيحيين أول مرة في أنطاكية نحو سنة ٤٢ أو ٤٣ م. ويرجح أن ذلك اللقب كان في الأول شتيمة.. وقد شاع

(١١) طريق الهجرتين: ١١٩/١-١٢١.

(١٢) أعمال الرسل، الإصحاح الرابع والعشرون: ٥.

بمعنيين، الأول: المقرّر بالديانة المسيحية، والثاني: المؤمن الحقيقي. والمعنى الأخير أحسن من الأول))^(١٣).

كما أن في التسمية بالمسيحية نوعاً من التزكية بدعوى الانتساب إلى المسيح عليه السلام، الذي هو بريء مما عليه النصرانية المحرفة، فضلاً على أن النصراني بدلوا دين المسيح وحرفوه^(١٤).

المطلب الثالث: حقيقة النصيرية ونشأتها

تنتسب هذه الفرقة إلى محمد بن نصير النميري، وكنيته أبو شعيب، ويسمونه: "وحيد العين"، وأصله من فارس، وهو مولى لعلي بن محمد الهادي المكنى بأبي الحسن العسكري^(١٥)، الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية، وذكر الخنصيري أن محمد بن نصير هو باب الإمام العسكري^(١٦).

انتسب ابن نصير إلى الشيعة الاثني عشرية، ثم ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر، وأنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري الذي هو بزعمه إله رب العالمين، فلم تقرّ له الإمامية بذلك، فانفصل عنهم وكون له طائفة نسبت إليه، واتخذ من مدينة سامراء مقراً له، وقد ظل زعيماً لطائفته النصيرية إلى أن هلك سنة ٢٦٠هـ أو سنة ٢٧٠هـ.

(١٣) قاموس الكتاب المقدس، مادة "مسيحي": ص ٨٨٩.

(١٤) ينظر الإصلاح والتعديل لما وقع في اسم اليهود والنصارى من التبديل، للشيخ عبدالله آل محمود: ٦١٦/٣-٦٢٠، ومعجم المناهي اللفظية، د. بكر أبو زيد: ص ٩٣، ودراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، أ.د. سعود الخلف: ص ١٢١.

(١٥) علي- الملقب بالهادي- بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر، الحسيني الطالبي (٢١٤-٢٥٤هـ)، عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد الاتقياء الصلحاء، وهو بريء من افتراءات الرافضة، ولد بالمدينة، ثم استقر بسامراء وبها توفي رحمه الله، وكانت تسمى "مدينة العسكر" وإليها ينسب. ينظر الأعلام للزركلي: ٣٢٣/٤.

(١٦) ينظر الهداية: ص ٣٢٣، والباكورة السليمانية: ص ٢٦.

وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، ويُحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتدلل، وأنه إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئاً من ذلك^(١٧).

ولم تكن هذه الفرقة تُعرف بالنصيرية أول أمرها؛ بل سميت بالنميرية في كتب الفرق والمقالات المتقدمة^(١٨). ثم اشتهرت باسم النصيرية عند المتأخرين من كتاب الفرق^(١٩).

وهذا الاسم اعترف به عامة النصيرية^(٢٠)، وأنكره بعضهم^(٢١).

-
- (١٧) ينظر فرق الشيعة، للنوبختي: ص ٩٣، والمقالات والفرق، للقمي: ص ١٠٠، والفرق بين الفرق: ص ٢٥٥، وشرح نهج البلاغة: ٣١٣/٤. والباكورة السليمانية: ص ٢٦، وطائفة النصيرية، د. سليمان الحلبي: ص ٣٩.
- (١٨) ينظر فرق الشيعة: ص ٩٤، والمقالات والفرق: ص ١٠١، الفرق بين الفرق: ص ٢٥٥، ومقالات الإسلاميين للأشعري: ص ١٥، والتبصير في الدين، للإسفرائيني: ص ١٢٩.
- (١٩) ينظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: ٥٠/٥، والملل والنحل، للشهرستاني: ١/١٨٨، وكيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام ومعه بيان الفرق الضالة لابن الجوزي: ص ١٠٤، والبرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي: ص ٦٧، وتلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، للفخري: ص ١٣٦.
- (٢٠) ينظر الباكورة السليمانية: ص ٢٦، ٦٩، ٧٥، ٩٦، ٩٨.
- (٢١) ينظر العلويون بين الأسطورة والحقيقة للنصيري هاشم عثمان: ص ٣١-٣٢، حيث ذكر عدم صحة نسبة هذا الاسم لابن نصير لأسباب أربعة، منها تأخر التسمية بهذا الاسم فلم تعرف عند كتاب الفرق الأقدمون، ومنها أنها كانت تعرف بالنميرية لا النصيرية، ورجح أن تكون النسبة إلى جبل يعرف بهذا الاسم تعيش فيه النصيرية.

ومن أبرز أئمة النصيرية قبل ابن نصير: المفضل بن عمر الجعفي (ت ١٨٠هـ)^(٢٢). ويعدده النصيرية باباً للأئمة، مستمدين ذلك من قول جعفر الصادق^(٢٣) فيه: ((يا مفضل لولا اعترافك بنعمة الله عليك في ذلك لما كنت باب الهدى))^(٢٤). وقيل إنه باب للإمام الثامن علي بن موسى الرضا^(٢٥)، وتعتبر كتبه مقدسة عند النصيرية^(٢٦).

(٢٢) قال الدكتور عبدالرحمن دمشقية: ((المفضل بن عمر ضعيف عند الجميع (جميع الرافضة). قال النجاشي: "المفضل بن عمر أبو عبد الله وقيل أبو محمد الجعفي الكوفي، فاسد المذهب! مضطرب الرواية لا يعاب به وقيل: إنه كان خطايا و قد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها و إنما ذكره للشرط الذي قدمناه له" (رجال النجاشي ٣٥٩/٢ - ٣٦٠). وقال ابن الغضائري كما نقل عنه صاحب مجمع الرجال للقهبائي ١٣١/٦ والحلي في رجاله ص ٢٥٨ وأبو داود الحلبي في رجاله ص ٢٨٠: "المفضل بن عمر الجعفي أبو عبد الله ضعيف متهافت مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شيء كثير وحمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً ولا يجوز أن يكتب حديثه. "مجمع الرجال للقهبائي ١٣١/٦ والحلي في رجاله ص ٢٥٨ وأبو داود الحلبي في رجاله ص ٢٨٠)) انتهى من رسالته للدكتوراة الموسومة بـ "استدلال الشيعة بالسنة النبوية في ميزان النقد العلمي": ص ١١١٩-١١٢٠.

(٢٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط، أبو عبد الله القرشي، الملقب بالصادق، مولده ووفاته بالمدينة (٨٠-١٤٨هـ)، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، من أجلاء التابعين، أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٥٥/٦. وينبغي التنبيه هنا إلى أن جعفر الصادق رحمه الله بريء مما تنسبه إليه الرافضة والباطنية مما هو مخالف للإسلام، وقد بلغه بعض تلك العقائد الفاسدة، والأقوال الباطلة فتبرأ منها، وأنكرها. ينظر التشيع نشأته ومراحل تكوينه، أ.د. أحمد بن سعد حمدان الغامدي: ص ١٥٨-١٧١.

(٢٤) الهداية الكبرى، للخصبي: ص ٤١٩.

(٢٥) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٤٨-٢٠٣هـ)، الملقب عند الرافضة: بالرضي، له علم وبيان، ووقع في النفوس. صيره المأمون ولي عهده، فلم تطل أيامه، وتوفي رحمه الله. ينظر السير: ٣٨٧/٩.

(٢٦) العلويون بين الأسطورة والحقيقة: ص ٢٢٠، وطائفة النصيرية: ص ٣٨.

وبعد وفاة محمد بن شعيب النميري مؤسس الطائفة خلفه تلميذه محمد بن جنذب^(٢٧) زعيماً لقلّة من الشيعة الذين اعتنقوا النصيرية، ثم رأس الطائفة بعد محمد بن جنذب أبو محمد عبدالله ابن محمد الجنابلي الفارسي^(٢٨)، وكان يقيم في فارس في بلدة (جنبلا)، وإليه تنسب الطريقة الصوفية الجنبلاتية، وبسبب طريقتة الصوفية تبعه كثيرٌ من عوام الشيعة وبعض عوام السنة؛ فازداد في عهده أتباع المذهب النصيري ازدياداً ملحوظاً. سافر الجنابلي إلى مصر، وهناك تبعه في طريقتة وعاد معه إلى جنبلا في بلاد فارس رجل يدعى: الحسين بن حمدان الخصبي^(٢٩)، الذي خلفه في مشيخة الطريقة وفي رئاسة الطائفة، والذي يعتبر هو المؤسس الفعلي للنصيرية. ترك الخصبي مدينة جنبلا وقصد العراق ليكون تحت حماية "بني بويه" المنتسبين إلى الرض، والذين سيطروا على الدولة العباسية، وألف كتاب "رست باش" ويعني الطريق إلى الاستقامة وأهداه إلى

(٢٧) لم تذكر المصادر عنه إلا أنه من بلاد فارس، ينظر النصيرية، د. سهر الفيل: ص ٢٤.

(٢٨) عبد الله بن محمد الحنان الجنابلي الفارسي (٢٣٥-٢٨٧هـ)، داعية "النصيريين" ورئيسهم وعالمهم في عصره، من أهل جنبلا (في إيران حالياً). وهو مؤسس الطريقة "الجنبلاتية" التي انفرد أصحابها اليوم باسم "النصيرية" في منطقة اللاذقية بسورية، وكانت له رحلة إلى مصر وغيرها، توفي بجنبلا. ينظر الأعلام للزركلي: ١١٨/٤.

(٢٩) الحسين بن حمدان الخصبي (ت ٣٥٨هـ) زعيم النصيرية في عصره، مصري الأصل رحل إلى (جنبلا) في بلاد فارس. وتلمذ لعبد الله بن محمد الجنابلي، ثم خلفه في رئاسة النصيرية. وانتقل إلى بغداد، واستقر في حلب إلى أن توفي. وقبره في شماليها معروف إلى الآن. ألف كتباً في المذهب وغيره، منها: الهداية الكبرى، وأسماء النبي، وأسماء الأئمة، والإخوان، والمائدة. قال ابن حجر: ((الحسين بن حمدان بن الخصبي الخصبي.. قيل أنه كان يوم سيف الدولة وله أشعار في مدح أهل البيت، وذكر ابن النجاشي أنه خلط وصنف في مذهب النصيرية واحتج لهم قال وكان يقول بالتناسخ والحلول)) لسان الميزان لابن حجر: ١٥٨/٣، وينظر الأعلام للزركلي: ٢٣٦/٢.

عضد الدولة ابن بابويه القمي^(٣٠). ثم لما انتشرت تعاليمه وبانت حقيقة معتقده، قُبض عليه، وألقي في السجن؛ ولما لاحت له فرصة هرب، وأشهر بين أتباعه بأن السيد المسيح خلَّصه ليلاً^(٣١).

انتقل الخصبي بعد ذلك إلى حلب، واتصل بسيف الدولة الحمداني^(٣٢)، وهو من الشيعة الغلاة كما وصفه ابن تيمية^(٣٣)، فساعدته هذا الأمير على بث دعوته، وجمع كلمة الطائفة، وأهداه الخصبي كتابين هما: "الهداية الكبرى"، و"المائدة". وفي حلب استقر مركز الطائفة، وأنشأ الخصبي للنصيرية مركزين أولهما في حلب ورئيسه محمد علي الجلي والآخر في بغداد ورئيسه علي الجسري، ولقد امتدت دعوة الخصبي إلى سنجار في الموصل.

والنصيرية يعتقدون بأنه المشرع الفعلي لهم، جاء في سورة "الشهادة": ((ولا رأى إلا راية شيخنا وتاج رؤوسنا وإمام عصرنا وقدوة ديننا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الذي شرع الأديان في سائر البلدان عليه رضوان الملك العلي الأنزع

(٣٠) عضد الدولة: فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي (٣٢٤-٣٧٢هـ) تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة. وهو أول من لقب في الإسلام "شاهنشاه". قال عنه الذهبي: ((كان شيعياً جلدأ، أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي، وبنى عليه المشهد، وأقام شعار الرض، وأتم عاشوراء، والاعتزال))، توفي ببغداد ودفن في النجف. ينظر السير للذهبي: ٢٤٩/١٦، والأعلام للزركلي: ١٥٦/٥.

(٣١) ينظر تاريخ مختصر الدول، لابن العربي: ص ٢٥٩-٢٦٠، والباكرة السليمانية: ص ٢٦. والإشارة إلى المسيح فيه دلالة لا تخفى على ارتباط العقيدة النصيرية بالنصرانية منذ نشأتها.

(٣٢) علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي (٣٠١-٣٥٦هـ)، الأمير الحمداني، صاحب المنبي ومدوحه. ولد في ميفارقين (بديار بكر). ملك واسطاً وما جاورها، ومال إلى الشام فامتلك دمشق. وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣ هـ وتوفي فيها، ودفن في ميفارقين. ينظر السير: ١٨٧/١٦، والأعلام للزركلي: ٣٠٣/٤.

(٣٣) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٧٧/١٣.

الديان))^(٣٤). وجاء في سورة "الأول": ((وقد دلنا إليه، وأرشدنا إليه شيخنا، وسيدنا، وتاج رؤوسنا، وقدوة ديننا، وقرّة أعيننا، السيد أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصبّي، قدّس العلي روحه))^(٣٥).

ولعل من أسباب انتشار النصيرية في عهد الخصبّي: البيئة التي ظهر فيها الخصبّي؛ فدولة بني بويه التي حكمت العراق وفارس كانت رافضية، وبنو حمدان أمراء حلب هم من الروافض. كما ساهم في انتشار النصيرية أن الخصبّي كان يختار بعناية من يشاهد فيهم الكفاءة من الرافضة، ويدعوهم إلى الدخول في الطريقة الجبلانية التي استحال أفرادها إلى الشعب النصيري^(٣٦).

انتقل مركز ثقل النصيرية في عهد أبي سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني^(٣٧) من حلب إلى جبال اللاذقية سنة (٤٢٣هـ) جرّاء المخاصمات التي

(٣٤) المجموع، لأبي سعيد الميمون الطبراني، تحقيق: رينيه دوسو: ص ١٩٤.

(٣٥) المجموع: ص ١٨٢.

(٣٦) ينظر تاريخ العلويين،: ص ٣١٨-٣٢٤، والعلويون بين الأسطورة والحقيقة: ص ٢٢٦، وطائفة النصيرية: ص ٣٩-٤٠، وإسلام بلا مذاهب: ص ٣٣٣-٣٣٤، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية: ص ١٣٦-١٣٣.

(٣٧) أبو سعيد سرور بن القاسم الطبراني، الملقب بالميمون، وولادته في طبرية سنة ٣٥٨هـ، نشأ في بلدته، وتعلّم القراءة والكتابة، ثم ذهب إلى حلب مركز الدعوة الخصبّية؛ فتلمذ على محمد بن علي الجلي الحلبي، وخلفه في الرئاسة الدينية، له من المؤلفات: كتاب الحاوي في واجبات التلاميذ، وكتاب الدلائل بمعرفة المسائل، وكتاب المجموع، وله كتب أخرى. توفي باللاذقية سنة ٤٢٧هـ. ينظر كتاب المجموع والطريقة الخصبّية، عبد الحميد الدجيلي، مقال نشر في مجلّة المجمع العلمي العراقي: المجلد (٤) ج ٢، سنة ١٩٥٦م (ضمنه هاشم عثمان في كتابه "العلويون بين الأسطورة والحقيقة"): ص ١٦٩، وينظر الباكورة السليمانية: ص ٢٨، وتاريخ العلويين: ص ٣٢٤-٣٢٥.

وقعت بين أصحاب الطبراني وبين الفرقة الإسحاقية^(٣٨)، وبذلك تحوّل مركز الطريقة إلى مدينة اللاذقية، ولا يزال هناك حتى الآن^(٣٩). ثم تناوب على زعامة النصيرية عدة مشايخ، حتى مجيء الأمير حسن المكزون السنجاري^(٤٠)، الذي قدم من سنجار إلى جهات اللاذقية بناء على طلب من طائفة النصيرية. وقد استقر المكزون في جبال النصيرية وألف كتباً وأشعاراً في المذهب النصيري وفي التصوف، وهي مشحونة بالمعاني والألغاز والرموز الباطنية^(٤١)، ثم ظهر بعده مشايخ عدة من النصيرية، ولا يزال يتناوب على النصيرية مشايخ منهم إلى وقتنا الحاضر.

(٣٨) الإسحاقية نسبة إلى: "إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان أبو يعقوب النخعي الأحمر" المتوفى سنة (٢٨٦هـ) يقولون بمقالة النصيرية: إن علياً هو الله، وأنه يظهر في كل وقت، وأنه هو الذي بعث محمداً ﷺ. وكان أبرصاً، فكان يطلي البرص بما يغير لونه، فسمي الأحمر لذلك. والخلاف بين الإسحاقية وبين النصيرية هو في طبيعة علي: فالنصيرية أقرب إلى تقرير الجزء الإلهي، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة كما يذكر الشهرستاني؛ وبعض من كتب في الفرق لم يذكر بينهما فرق، وهو الصحيح. ينظر تاريخ بغداد: ٧/٤٠٨، وتاريخ الإسلام للذهبي: ٢٠/٣٠٣. الملل والنحل للشهرستاني: ١/١٨٩. والأنساب للسمعاني: ١/٢٢٤، ولسان الميزان: ٢/٧١.

(٣٩) ينظر الباكورة السليمانية: ص ٢٨، وتاريخ العلويين: ص ٣٢٤-٣٢٥، وطائفة النصيرية: ص ٤١.

(٤٠) حسن بن يوسف مكزون بن خضر (٥٨٣-٦٣٨هـ)، الأمير السنجاري، تعدده النصيرية من كبار رجالهم. كان مقامه في سنجار، أميراً عليها، ثم توجه إلى اللاذقية نجدة للنصيريين، فبقي زمناً، ونظم أمور النصيرية، ثم تصوف واعتزل الناس. مات في قرية (كفر سوسة) قرب دمشق، وقبره معروف فيها. ينظر الأعلام للزركلي: ٢/٢٢٧.

(٤١) ينظر الحركات الباطنية في الإسلام، مصطفى غالب: ص ٢٧٣.

المبحث الأول: الأثر في التسمية

هناك تشابه في التسمية بين النصرانية وبين النصرانية، فالحروف واحدة، والخلاف في مواضعها فقط. وهذا الذي جعل مستشرقاً مثل "رينيه دوسو"^(٤٢) يعلل تسمية النصرانية بهذا الاسم للصلة الظاهرة في الاسم بين مسمى نصيري ومسمى نصراني هذا من جهة، ومن جهة أخرى لمشابهة النصرانية للنصارى في كثير من المعتقدات والتقاليد والطقوس الدينية، والأعياد، بالإضافة إلى تقديس كل من الطائفتين للخمر والتآلف الظاهر بينهما^(٤٣).

يقول الدكتور حسن إبراهيم^(٤٤): ((وثمة تفسير آخر لا يزال مألوفاً عند السُّنَّين الذين يجاورونهم؛ ولكنه يدخل بلا ريب في نطاق الاشتقاق المتداول لهذا الاسم؛ فيجعله ذا صلة بلفظ نصراني أو نصاري، ومما يقرب إلى الذهن أن النصرانية لا يزالون يحتفظون ببعض تقاليد (طقوس) النصارى، كاحتفال ببعض الأعياد النصرانية مثل عيد الميلاد^(٤٥)

(٤٢) رينيه دوسو (١٨٦٨-١٩٥٨م) مستشرق فرنسي، رأس متحف اللوفر بباريس حتى تقاعده، دارت أبحاثه حول سوريا من أقدم العصور حتى العصر الإسلامي، درس اللغات الشرقية في جامعة السوربون، قام بعدة رحلات إلى سوريا، وكتب عنها أبحاثاً عدة. ينظر موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي: ص ٢٦٩.

(٤٣) ينظر تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن: ٢٥٣/٤.

(٤٤) حسن إبراهيم حسن (١٣١٠-١٣٨٨هـ) دكتور في التاريخ والفلسفة، مصري. ولد في طنطا، وتعلم في الجامعة المصرية القديمة والمعلمين العليا وجامعة لندن، ودرس التاريخ الإسلامي في كلية الآداب بالقاهرة، واختير عميداً لها، ثم مديراً لجامعة أسيوط، وعين للتدريس في جامعة الرباط بالمغرب، ومات أستاذاً في جامعة بغداد، ودفن بالقاهرة ينظر الأعلام للزركلي: ١٧٨/٢.

(٤٥) هو عيد ميلاد المسيح المحتفل به عادة. أنشئ هذا العيد في روما سنة ٣٣٣م. وحُدِّد تاريخه في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ليحل محل "عيد الشمس غير المغلوبة" الذي كان الوثنيون الرومانيون يحتفلون به في ذلك اليوم، وهو يوافق يوم الانقلاب الشتوي (بدء فصل الشتاء) ينظر: معجم الإيمان المسيحي. مادة "ميلاد":

وعيد الفصح (القيامة)^(٤٦)، ويعتبرونهما من الأعياد الكبرى، كما أن بعضهم يحمل أسماء مسيحية الأصل مثل متى ويوحنا (جون) وهيلانة^(٤٧). وذهب بعض الباحثين إلى أن النصيريين نتجوا عن اقتران الأهلين بالإفرنج، مستندين على ما هو موجود بين النصيريين من شقر الشعور، وزرق العيون، وعلى بعض أسماء الأسر التي يزعمون اشتقاقها من اللغات الإفرنجية^(٤٨)، وهذا الرأي إن صح في حق جزء منهم؛ لكنه لا يصح في جميعهم؛ والادعاء بأن الإفرنج تمكنوا من إيجاد هذا النسل الوافر بظرف قرنين ونصف مبالغ فيه؛ خصوصاً وأن الإفرنج لم يقر لهم قرار في بلاد المسلمين.

وقد ذهب بعض المستشرقين - كالألماني مسيو هارتمان^(٤٩) - إلى أن سبب تسمية النصيريين بهذا الاسم أن أغلبهم هم بقايا الإفرنج في بلاد المسلمين فسموا بهذا الاسم^(٥٠)، وهي تطلق هنا من باب الاحتقار، فالنصيري هو تصغير احتقاري لكلمة نصراني^(٥١)، وهذا كسابقه يصح على بعضهم وليس كلهم؛ إذ وجودهم سابق للحروب الصليبية.

(٤٦) عيد الفصح: الفصح اسم عبري معناه: عبور، ويعرف بعيد الفطير أيضاً، وعيد قيامة المسيح، حيث يزعمون أن المسيح عليه السلام قام فيه بعد الصلب، وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها الخميس، ثم صعد إلى السماء. ينظر: معجم الإيمان المسيحي. مادة "فصح": ص ٣٥٤، والأعياد وأثرها على المسلمين، د. سليمان السحيمي: ص ٥٢.

(٤٧) ينظر تاريخ الإسلام السياسي: ٢٥٣/٤.

(٤٨) ولاية بيروت في العهد العثماني: ١٠٦/٢.

(٤٩) مارتن هارتمان (١٨٥١-١٩١٩م) مستشرق ألماني، أقام مدة طويلة في الشرق، ثم عين أستاذاً للعربية بجامعة برلين، من آثاره: "الإسلام تاريخ وعقيدة وقانون" طبع سنة ١٩٠٩م، و"رسائل من سوريا"، طبع سنة ١٩١٣م. ينظر الموسوعة العربية الميسرة: ٢٥١٩/٤.

(٥٠) ولاية بيروت في العهد العثماني: ١٠٦/٢.

(٥١) مادة النصيري في دائرة المعارف الإسلامية، لويس ماسينيون (ضمَّنَّها الحسيني عبدالله في كتابه "الجنود التاريخية للنصيرية العلوية": ص ٩٣).

في حين ذهب آرنست رينان^(٥٢)، وهنري لامس إلى أن ديانة النصيريين في الأساس هي النصرانية، ومن هنا كانت التسمية^(٥٣)؛ وهذا - إن صح - فيكون نتيجة اختلاط عقائد هؤلاء النصارى بالنصيرية التي استقرت في اللاذقية بعد انتقالها من حلب في عهد الميمون الطبراني، إلا أن الثابت والصحيح - كما سبق ذكره - هو أن تسمية النصيرية بهذا الاسم هو نسبة إلى إمامهم محمد بن نصير النميري، والله أعلم.

المبحث الثاني: أثر النصرانية في النصيرية في اعتقادهم بألوهية علي بن أبي طالب ❁
 إن من أخطر العقائد التي تؤمن بها غلاة الفرق عموماً هو تقديس البشر وإنزالهم منزلة الخالق جل وعلا، أو منزلة الأنبياء عليهم السلام. يقول الشهرستاني عن هؤلاء الغلاة: ((هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فرموا شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير. وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة))^(٥٤). وقال ابن خلدون: ((ومنهم طوائف يسمون الغلاة، تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة،

(٥٢) مستشرق فرنسي (١٨٢٣-١٨٩٢م) عني خصوصاً بتاريخ المسيحية، وتاريخ شعب بني إسرائيل، أقام في لبنان أكثر من عامين، وتجول في فلسطين ومصر، من كتبه: تاريخ اللغات السامية، وابن رشد والرشدية،

وغيرها. ينظر موموسوعة المستشرقين: ص ٣١١.

(٥٣) ولاية بيروت في العهد العثماني: ١٠٦/٢.

(٥٤) الملل والنحل: ١٧٣/١.

إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية، أو أن الإله حل في ذاته البشرية. وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه. ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم^(٥٥).

ومن هذا الباب فقد غلت النصيرية في علي ﷺ كما غلت النصارى في المسيح ﷺ، يقول ابن تيمية رحمه الله: ((فإن النصيرية أتباع أبي شعيب محمد بن نصير يقولون في علي بن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح))^(٥٦).

وغلو النصيرية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتمثل بنسبتهم الإلهية والربوبية إليه، وهذه نصوصهم من كتبهم تظهر بوضوح عقيدتهم الفاسدة في نسبة الربوبية والألوهية إلى بشر فان لا حول له ولا قوة، فقد جاء في سورة الشهادة: ((إني أشهد بأن ليس إلهاً إلا علي بن أبي طالب الأصلع المعبود أشهد بأني نصيري الدين، جندي الرأي، جنبلاني الطريقة، خصيبي المذهب، جلي المقال، ميموني الفقه، وأقرأ في الرجعة البيضاء، والكرة الزهراء، وفي كشف الغطاء، وجلاء العما، وإظهار ما كنتم، وإعلان ما خفي، وظهور علي بن أبي طالب من عين الشمس قابض على كل نفس، الأسد من تحته، وذو الفقار بيده، والملائكة خلفه، والسيد سلمان بين يديه، والماء ينبع من بين قدميه، والسيد محمد ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه. هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه. اشهدوا علي يا أسيادي، أن هذا ديني واعتقادي، وعليه اعتمادي، وبه أحيا وعليه أموت، وعلي بن أبي طالب حي لا يموت، بيده القدرة والجبروت. إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً علينا من ذكرهم السلام))^(٥٧). وجاء في سورة الإمامية:

(٥٥) تاريخ ابن خلدون المقدمة: ٢٤٨/١.

(٥٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٣٠٣/٤.

(٥٧) المجموع، لأبي سعيد الميمون الطبراني، تحقيق: رينيه دوسو: ص ١٩٤-١٩٥.

((علي بن أبي طالب القديم الأحد، الفرد الصمد، الذي لا يتجزأ ولا يتبعض، ولا ينقسم ولا يدخل في عدد، فهو إلهي وإلهكم، وإلهكم وإلهي))^(٥٨).

وفي بعض الأسئلة في أحد كتب النصيرية: ((- من الذي خلقنا؟ ج: علي بن

أبي طالب!

- من أين نعلم أنه إله؟ ج: مما قاله هو عن نفسه))^(٥٩).

يقول الشيخ محمود بعمره^(٦٠) في قصيدة له مستغنياً بعلي بن أبي طالب،

ومستجيراً به:

صديق يجربي ولا حميماً ومنجدا
تعالى عن التشبيه أو أن يحددا
ومحصي عديد المزن والطل والندى
وما تحتوي السبع السماوات سرمدا
جناه من الإصلاح والخبث والردى
ويا مالك الملكوت ياسامع النداء
وباب الهدى للطالبيين ومقصدى^(٦١)

وقعت بأشراك الذنوب ولم أجد
سوى حسن ظني في ولاية أنزع
محيط بأعمال العباد جميعها
وجمع نبات الأرض والترب والحصى
ومؤتيهم الأعمال كل بقدر ما
دعوتك يا ذو الطول والحول والقوى
بسر قديم الميم مع بدء حدثه

(٥٨) المجموع: ص ١٩٥.

(٥٩) كتاب تعليم ديانة النصيرية، مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس، رقم ٦١٨٢، عن مذاهب الإسلاميين:

٤٧٤/٢.

(٦٠) لم أجد له ترجمة.

(٦١) الإسلام في مواجهة الباطنية: ص ١٢١.

وهم يدعون ألوهية علي ﷺ، ويزعمون أنّ مسكنه السحاب، وإذا مرّ بهم السحاب، قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن. ويقولون: إنّ الرعد صوته والبرق ضحكته؛ وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب ويجلونه^(٦٢).

ويرى البرسي^(٦٣) أنه الله خصّ علياً بالألوهية: ((وذلك أمر قد خصه الله به؛ لأنه هو هو؛ بل إنه كلمة الله، وآيته وسره))^(٦٤)، ويعتقد أن علياً هو ((أبو الأشياء ومبدأها وحقيقتها ومعناها؛ لأن الكلمة الكبرى عنها برزت الموجودات، وهي سر سائر الكائنات))^(٦٥). ويقول في علي، إنه ((صاحب الولاية الإلهية، فهو الكلمة الربانية، ومولى سائر البرية، ولقد أحسن ابن أبي الحديد^(٦٦) فقال:

والله لولا حيدر ما كانت الدنيا ولا جمع البرية مجمع
وإليه في يوم المعاد حسابنا وهو الملاذ غداً لنا والمفزع))^(٦٧)

فعليٌّ عند النصيرية هو الإله الواحد الذي لا يفنى، والحاضر في كل مكان، والناظر إلى كل شيء، والمتحكم في الأكوان^(٦٨).

(٦٢) صبح الأعشى، القلقشندي: ٢٥٣/١٣.

(٦٣) رجب الحافظ البرسي الحلبي، يعد عند الرافضة من الحفاظ، وقد أثنوا عليه، إلا أنهم ذكروا أن في كتابه غلوا، ينظر موقف الشيعة الاثني عشرية من صحابة رسول الله ﷺ: ١٠١/١. وينظر التعليق على المصدر رقم

(١٧) في قائمة المصادر والمراجع.

(٦٤) مشارق أنوار اليقين، البرسي: ص ٣٢، وينظر المصدر نفسه: ١٥٩-١٧٢.

(٦٥) المصدر السابق: ص ٣١-٣٢.

(٦٦) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٦هـ) عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ. ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الانشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي، طبع له: شرح نهج البلاغة، والفلک الدائر على المثل السائر. ينظر الأعلام للزركلي: ٢/٢٨٩.

(٦٧) مشارق أنوار اليقين: ص ٤٤.

جاء في قداس الطيب عند النصيرية: ((اعلموا أن علياً بن أبي طالب، قائم معكم، وحاضر بينكم، يسمع ويرى، ويعلم ما فوق السماوات السبع، وما تحت الثرى، وهو عليم بذات الصدور، العزيز الغفور))^(٦٩). وجاء في قداس الإشارة: ((رب العزة، فالق الحبة، بارئ النسمة، ينبوع الحكمة، مفتاح الرحمة، سراج الظلمة، جبار الجبابرة، مبيد الأكاسرة... مفرج الكربات، صاحب المعجزات، داحي الأرض، عالم الغيب، مالك الدنيا، صاحب الآخرة والأولى))^(٧٠).

وفي السورة الثالثة واسمها "تقديسة أبي سعيد: ((أسألك يا مالك الملك، يا أمير النحل، يا علي، يا وهاب، يا أزلي، يا تواب، يا داحي الباب... يا من أنت الأحد، واسمك الواحد، وبابك الوجدانية، يا من ظهرت في السبع قباب الذاتية، بأن تجعل قلوبنا وجوارحنا ثابتة على معرفتك الزكية، وخلصنا من هذه الهياكل الناسوتية، ولبسنا القمصان النورانية، بين الكواكب السماوية))^(٧١).

وفي سورة الإشارة: ((يا أمير النحل، يا علي، يا عظيم بالتوحيد والتفريد والتنزيه والتجريد لك، يا علي، يا عظيم، يا أزل، يا قديم، يا بارئ، يا حكيم))^(٧٢).

وتضمن كتاب الهداية الكبرى للخصيبي إشارة إلى أقوال كانت منتشرة في عهد الرسول تقول بألوهية علي بن أبي طالب، وبأنه الأول والآخر والظاهر والباطن، وإن

(٦٨) ينظر الباكورة السليمانية: ص ٢٢، والعرب والعروبة: ٤/١٩.

(٦٩) الباكورة السليمانية: ص ٤٨.

(٧٠) المصدر السابق: ص ٥٦-٥٧.

(٧١) المجموع: ص ١٨٤.

(٧٢) المصدر السابق: ص ١٩١.

نسبها الخصيبي إلى أناس مناققين بزعمه^(٧٣)؛ لكن التقية هي ديدن الفرق الباطنية، وواقع النصيرية خلاف هذا. كما يستشهد الخصيبي بمخاطبة الشمس لعلي بن أبي طالب^(٧٤)، ورجوع الشمس من مغربها لأجل أن يصلي عليّ صلاة العصر التي فاته وقتها^(٧٥).

واعتقاد النصيرية ربوبية علي وألوهيته هو عين اعتقاد النصرانية ربوبية المسيح عليه السلام وألوهيته: ففي إنجيل يوحنا^(٧٦): ((في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً))^(٧٧). فالنص يفيد أن الكلمة هي الله، والله هو الكلمة الذي صار جسداً وحل بيننا في شخص المسيح، فالنتيجة أن المسيح هو الله.

وفي "رسالة بطرس"^(٧٨)، الأولى: ((مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح))^(٧٩). كما تنص رسائل بولس^(٨٠) صراحة على ربوبية وألوهية المسيح: ففي "رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس": ((باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا.

(٧٣) الهداية الكبرى: ص ١١٨-١٢١.

(٧٤) المصدر السابق: ص ١١٨-١١٩، ١٢٤.

(٧٥) المصدر السابق: ص ١٢٠-١٢٤.

(٧٦) يوحنا الرسول، من بيت صيدا في الجليل، من تلاميذ يسوع الأولين، وله في العهد الجديد خمسة أسفار منسوبة إليه. كان حياً سنة (٩٦م) ينظر قاموس الكتاب المقدس: ص ١١٠٨.

(٧٧) إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول: ١-١٤.

(٧٨) من تلاميذ المسيح، وبطرس كلمة يونانية يقابلها بالعربية: "صخر"، واسمه: سمعان بن يونا. كان صيادة في "كفر ناحوم" ثم تبع المسيح، وأخذ يدعو إلى النصرانية. يقال إنه مات مصلوباً في روما سنة ٦٤م. ينظر

معجم الإيمان المسيحي. مادة "بطرس": ص ١٠٨.

(٧٩) رسالة بطرس الأولى، الإصحاح الأول: ٣.

نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح))^(٨١). وفي "رسالة بولس إلى أهل أفسس" ((قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع))^(٨٢). وفي الرسالة نفسها نجد أن بولس يصف الله بأنه ((إله ربنا يسوع المسيح))^(٨٣). وفي "رسالة بولس لأهل فيلبي": ((لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب مجد الله الآب))^(٨٤). وجاء في رسالة بولس إلى أهل رومة: ((نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح))^(٨٥).

وفي "رسالة بولس إلى العبرانيين": ((لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابني أنا اليوم ولدتك. وأيضا أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً))^(٨٦).

ولاشك في أن بولس هو من أدخل تأليه المسيح في الديانة النصرانية، وهو أول من صرح بألوهية المسيح، وهو أمر يكاد أن يجمع عليه النصارى^(٨٧). وقد أصبح

(٨٠) "بولس" اسمه اليوناني، و"شاؤل" اسمه اليهودي قبل أن يدخل النصرانية. ولد بولس في طرسوس قيليقية (وهي في تركيا حالياً) سنة (١٠ ق.م) وتوفي مقتولاً في روما سنة (٦٧ م) لم يلتق بولس بعمسى ﷺ، ولم يعرفه، كان في بدء أمره شديداً على النصارى ويسعى لتسليمهم للحاكم الروماني، شاب الغموض والشك دخوله النصرانية. ولبولس دور كبير في تحريف النصرانية من ديانة توحيد إلى ديانة وثنية تؤمن بتعدد الآلهة، لفق عقائدها من وثنيات العالم القديم، وخرافات وأساطيره، له ثلاث عشرة رسالة ضمن الكتاب المقدس عند النصارى. ينظر كتاب بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكي، وقاموس الكتاب المقدس: ص ١٩٥، ٥٧٥.

(٨١) رسالة بطرس الأولى إلى أهل كورنتوس، الإصحاح الأول: ٢-٣.

(٨٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح الأول: ١٥.

(٨٣) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح الأول: ١٦.

(٨٤) رسالة بولس إلى أهل فيلبي، الإصحاح الثاني: ١٠-١١.

(٨٥) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح الأول: ٧.

(٨٦) رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح الأول: ٥.

(٨٧) ينظر قصة الحضارة: ١١/٢٥٣.

الاعتقاد بالوهية عيسى وربوبيته ملزماً لجميع النصارى بعد مجمع نيقية^(٨٨) سنة (٣٢٥م) وصدرت العقيدة الجديدة على النحو التالي: ((نؤمن بإله واحد، آب، ضابط الكل، خالق كل الأشياء، ما يرى وما لا يرى. ورب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الآب، المولود الوحيد، أي من جوهر الآب إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض. الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل وتجسد وتأنس وتألّم وقام أيضاً في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات))^(٨٩).

ولاشك في أن تأثير النصرانية في النصيرية في الاعتقاد بالوهية البشر وربوبيتهم ظاهر جداً، وقد ذكرنا نصوصاً عن كلتا الطائفتين في الاعتقاد بهذه العقيدة الفاسدة. ولقد أبطل الله تعالى نسبة الألوهية والربوبية إلى البشر حتى لو كان هذا البشر نبياً من أولي العزم، فضلاً عن أن يكون أقل منزلة من الأنبياء عليهم السلام. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(٨٨) المجمع عند النصارى: هو مجلس يُدعى إليه جميع أساقفة الكنائس، ويرأسه المقدم بين البطارقة، وعندما انقسمت الكنيسة إلى قسمين: أصبح بطريرك القسطنطينية هو الذي يرأس المجمع الأرثوذكسي، والبابا يرأس المجمع الكاثوليكي في روما. وما يتخذ في هذه المجمع من قرارات هي ملزمة لجميع الكنائس التي تتبعها، وتتفق معظم الكنائس على المجمع الأربعة الأول من بين أكثر من عشرين مجعماً. أما نيقيا: فهي مدينة من مدن آسيا الصغرى- ضمن تركيا حالياً. ينظر معجم الإيمان المسيحي: ص٤٣٦-٤٣٨، ٤٥٧-٤٥٨، ٥٢٠.

(٨٩) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا الخضري: ١/٦٣١، وينظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر: ٤٧/٣-٤٨.

[المائدة: ١٧]. وقال رداً على النصراني الذين زعموا أن الله ولداً، وأن هذا الولد إله مثل أبيه: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٩١]. وقال سبحانه نافياً أن يكون له ابن: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨ ﴿٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَلَاشَى الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لِمَرِّمِ: ٨٨ - ٩٣. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٥]، وقال على لسان عيسى ﷺ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٣٥ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٣٦ ﴿٣٦﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٦]. والله تعالى وصف عيسى ﷺ بأنه يحتاج ما يحتاجه الإنسان من متطلبات المعيشة: كالأكل والشرب والحاجة إلى الخلاء ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّي يُؤْفَكُونَ ۝٧٥ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٧٦ ﴿٧٦﴾ [المائدة: ٧٥ - ٧٦]، ومن كان حاله هذا فلا يصلح لأن يكون رباً وإلهاً للخلق؛ لأن الله جل وعلا لا يأكل: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وِلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤]. وما يقال في عيسى ﷺ يقال في

علي ﷺ، فهو بشر لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرراً إلا ما شاء الله، ويحتاج إلى ما يحتاج إليه سائر الخلق من لوازم المعيشة ونحوها؛ فكيف يجعل رباً وإلهاً وهو بهذه الصفات.

المبحث الثالث: أثر النصرانية في النصرانية

في القول بالطبيعتين الإلهية والبشرية لعلي بن أبي طالب ﷺ

تعتقد النصرانية بأن لعلي بن أبي طالب ﷺ طبيعتين: طبيعة إلهية في ضوئها يُعبد ويُدعى، وطبيعة بشرية، اقتضتها حاجة المخلوقين إليه، بها يستأنس ويؤلف. وأن ظهوره في صورة بشرية كان إيناساً لخلقهم. والطبيعة البشرية لعلي هي مؤقتة وليست دائمة بل انتهت يوم أن قتله عبدالرحمن بن ملجم الخارجي، حيث إن مقتل علي خلصه من طبيعته البشرية بحيث أصبح إلهياً خالصاً^(٩٠)، وإليك بيان ذلك:

جاء في كتاب الأسوس من كتب النصرانية المقدسة: ((يكون ظهور الرب بعجائبه الإنسية والقدرة التامة))^(٩١). وفيه: ((قال العالم: لا بد أن يجعل هيئة مثل جنس خلقه، حتى يكلمهم، فيفهموا عن أمره ونهيه. قال السائل: فيظهر كأنه خلقه، ويخلق خلقاً يستتر بهم، ويتكلم من خلالهم؟ قال العالم: هذا مما لا يمكن أن يحول من هيئته؛ ولكنه يخلق خلقاً يحتج بهم، ويتكلم منهم))^(٩٢). وفيه: ((قال السائل: فكيف صارت له صورة؟ قال العالم: لحاجة المخلوقين إليها، كحاجتهم إلى الكلام؛ لأنه لا كلام إلا من صورة))^(٩٣). وفيه: ((اللاهوت إنما فارق الناسوت لا موتاً؛ لأن

(٩٠) ينظر الملل والنحل: ١/١٨٨-١٨٩، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ١/٣٩٥.

(٩١) كتاب الأسوس: ص ٨٥.

(٩٢) كتاب الأسوس: ص ١٠٩، وينظر كتاب الصراط: ص ٦٢.

(٩٣) كتاب الأسوس: ص ١١٣.

الموت قد يكون بألم، وبغير ألم، فهو عقوبة السيئات، والله ليس عليه عقوبة من غير غيره^(٩٤).

وجاء في كتاب الصراط: ((واعلم يا مفضل أنه ظهر بما ظهر به من التوالد والمصاهرة والأولاد، وانظر إليه في حال الطفولة في البشرية كل ذلك تأنساً ليأنس به الخلق))^(٩٥).

وتزعم النصرانية أن من شأن الله (علي بن أبي طالب) أن يظهر للعالم لكي يأنس العالم بوجوده، إذا ما رآه من جنسه البشري: ((ظهر لتكون له الحجة على خلقه؛ وليأنس إليه المؤمن إذا رآه من جنسه بالبشرية))^(٩٦). ((وكان ظهوره بالبشرية عدلاً منه وإنصافاً؛ لثلا يكون على الله حجة بعد الرسول، فنطقه من البشر، وظهور المعجزات والقدر، دلهم على ذاته... فكان ظهوره قدرة، ونطقه حكمة، ودلالته على ذاته رحمة، وغيبته عظمة؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من يحيى عن بينة))^(٩٧)، ((ظهر لخلق كخلق مجانساً، وتقرب إليهم برأفته ورحمته مأنساً، وشاكلهم في الأجناس والصور، وباينهم في الحقيقة والجوهر))^(٩٨).

وحجة هذا الظهور تأتي من أن الذي يعبد إلهاً بعيداً لم يظهر نفسه للعالم يخشى عليه عبادة الغيب والعدم، قال يوسف الحلبي عن ربيعة^(٩٩) أحد المضلين: ((هذا الرجل يعبد الغيب، والغيب يقع فيه الزيادة والنقصان))^(١٠٠).

(٩٤) المصدر السابق: ص ١٢٣-١٢٤.

(٩٥) كتاب الصراط: ص ١٧٣.

(٩٦) العلويون الناصريون: ص ٤٥، عن كتاب الأصفير، لمحمد بن شعبة الخراساني: ق (أ٥).

(٩٧) المصدر السابق: ص ٤٥، عن كتاب الأصفير: ق (٢٩أب).

(٩٨) المصدر السابق: ص ٤٥، عن كتاب الأصفير: ق (١٧ب-١١٨أ).

(٩٩) لم أجد لهما ترجمة.

(١٠٠) العلويون الناصريون: ص ٤٥، عن كتاب المناظرة: ق (٧٣أ).

والنصيرية يجبون عبدالرحمن بن ملجم^(١٠١) قاتل علي لأنه بزعمهم خلص اللاهوت من الناسوت^(١٠٢)؛ حيث يعتقدون بأن الله حل في جسد علي منذ ولادته حتى خلص عبدالرحمن ابن ملجم قاتل علي اللاهوت من الناسوت^(١٠٣).

يقول الفقيه أبو محمد بن حزم^(١٠٤): ((يقول هؤلاء إن عبد الرحمن بن ملجم المرادي أفضل أهل الأرض وأكرمهم في الآخرة؛ لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد، وكدره! فاعجبوا لهذا الجنون))^(١٠٥).

وتؤكد النصيرية على هذا المعتقد الفاسد في صلواتهم، وقداساتهم، جاء في السورة الثانية عند النصيرية واسمها "تقديسة ابن الولي": ((يا علي بن أبي طالب، يا رغبة كل راغب، يا قديم باللاهوت، يا معدن الملكوت، أنت إلهنا باطناً، وإمامنا ظاهراً، يا من ظهرت فيما أبطنت، وأبطنت فيما ظهرت، وظهرت بالاستتار، واستترت بالظهور، وظهرت بالذاتية، وتعاليت بالعلوية))^(١٠٦). وجاء في سورة السجود: ((يا علي.. آمنت وصدقت بباطنك وظاهرک، وظاهرک أمامي ووصية،

(١٠١) عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري: أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة. ثم شهد فتح مصر وسكنها، وكان من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشهد معه صفين. ثم خرج عليه، وتعهد بقتله، فقصده الكوفة، وقتله ليلة ١٧ رمضان عام (٤٤٠هـ)، وقُتل ابن ملجم بعد ذلك ينظر الأعلام للزركلي: ٣/٣٣٩.

(١٠٢) ينظر البرهان في عقائد أهل الأديان، للسكسكي: ص ٦٧، وذكر مذاهب الفرق، لليافعي: ص ١٢٣.

(١٠٣) ينظر مدخل إلى المذهب العلوي النصيري، جعفر الكنج: ص ٢٠.

(١٠٤) علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، الفقيه الحافظ، ولد سنة (٣٨٤هـ)، انصرف لطلب العلم وترك ما كان عليه من الوزارة، تبع مذهب داود الظاهري، فنبذه علماء عصره، توفي سنة (٤٥٦هـ)، ينظر السير:

١٨٤/١٨.

(١٠٥) الفصل: ٥٠/٥، وينظر تاريخ الإسلام: ٢/٣٧٣.

(١٠٦) المجموع: ص ١٨٣.

وباطنك معنوي لاهوت))^(١٠٧). وفي سورة الشهادة: ((أشهد بأن الصورة المرئية، التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكلية، وهي الظاهرة بالنورانية، وليس إله سواها، وهي علي بن أبي طالب، وأنه لم يحاط، ولم يحصر، ولم يدرك، ولم يبصر))^(١٠٨). وفي سورة الإمامية: ((اشهدن علياً أيها النجوم الزاهرة، والكواكب النائرة، والأفلاك الدائرة، بأن هذه الصورة المرئية المعينة الناظرة هي علي بن أبي طالب القديم الأحد، الفرد الصمد.. إلهي وإلهكم.. أبو تراب الظاهر، بالأصلع الباطن، بالأنزع الظاهر.. برق لاهوته تحضعت له الأرقاب، وذلت له الأمور الصعاب، سر إله في السماء، وهو إمام في الأرض))^(١٠٩).

وتقول النصيرية: إن الإله حل في علي بن أبي طالب، فهو إمام في الظاهر، وإله في الباطن، لا يأكل ولا يشرب، ولم يلد ولم يولد، وهذا قسم اللاهوت. أما الظاهر منه فهو البشري الذي يأكل ويشرب، ويولد ويولد، وهو الناسوت. قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل: أما في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابي والتمثل بصورة البشر. وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه. فكذلك نقول: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص. ولما لم يكن بعد رسول الله شخص أفضل من علي ﷺ. وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي ﷺ دون غيره لأنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار. فقتال المنافقين ومكالمة الجن وقلع باب خبير لا بقوة جسدية:

(١٠٧) المصدر السابق: ص ١٩٠.

(١٠٨) المصدر السابق: ص ١٩٤.

(١٠٩) المصدر السابق: ص ١٩٥-١٩٦.

من أدل الدليل على أن فيه جزءاً إلهياً وقوة ربانية. إذ هو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيديه وأمر بلسانه^(١١٠).

جاء عند النصيريين بوضوح تام أن ((علي هو الله والله هو علي))^(١١١)؛ إلا أن ((اسم "علي" وقع على الناسوت، واسم الله وقع على اللاهوت))^(١١٢)؛ ((إن علي الظاهر مكون مخلوق من علي الباطن، والباطن هو الظاهر؛ ولكن لما علم من خلقه أنهم عاجزون عن إدراك نهاية اللاهوت تزيًا لخلقهم بصفة الجمال، بصفة نورانية شاكل بها الملائكة..، ولما ظهر للآدميين في الأرض ظهر لهم بصفة بشرية، شاكل بها البشر، وأظهر منها المعاجز والقدر، فعرف بظهوره عند المؤمنين، وأنكره الجاحدون، فلو لم يظهر بصورة لم يثبت عيانه، ولا صح وجوده، وكان المنكر له أصدق من المقر))^(١١٣).

يقول الشاعر النصيري إبراهيم الخريبة الثمان^(١١٤):

اعلم بأن إله الخلق كلهم	منزه عن صفات الخلق والبشر
كذا الصفات وجمع الوصف واقعة	على الحجاب الذي من ذاته خطر
وأظهر العدل بالتأنيس منه إلى	ما كان يخبر منه بالذي أمر
أبدى الظهورات في ذات الكمال لنا	في سالف الدهر والأحقاب والعصر
وليس تنظر منه غير ظاهره	والباطن الفرد هو اللاهوت المستتر
وفي البواطن هو اللاهوت محتجباً	وفي النواصيت موجود ومشتهر

(١١٠) ينظر طائفة النصيرية، د. سليمان الحلبي: ص ٤٧-٤٨.

(١١١) العلويون النصيريون: ص ٦٥، عن كتاب الأصفير: ق(٦أ).

(١١٢) المصدر السابق: ص ٦٥، عن كتاب الأصفير: ق(٦أ).

(١١٣) الإسلام في مواجهة الباطنية: ص ١١٨، عن تنزيه الذات عن الأسماء والصفات، محمد الكلازي:

ص ٤٠٨.

(١١٤) لم أجد له ترجمة.

هذا يقيني وديني لا أغيره بالثبث والنفي والعلم الذي ذكروا^(١١٥)

ومن النصوص الشعرية التي شاعت عن النصيرية:

أشهد أن لا إله إلا حيدرُ الأَنْزَعُ البطين
ولا حجاب عليه إلا محمدُ الصادقُ الأمين
ولا طريق إليه إلا سلمانُ ذو القوة المتين^(١١٦)

ويوضح بعض علماء النصيرية معنى قولهم في علي: "الأَنْزَعُ البطين" بقوله: ((وأما قولك: "إنه الأَنْزَعُ البطين"، فهو في الظهورات البشرية أَنْزَعُ من الناسوت، بطين باللاهوت، وَأَنْزَعُ من الولادة والولد... وفي النورانية أَنْزَعُ من الصفات، وبطين في الذات؛ لأن أسماءه وصفاته في النورانية لا تقع إلا على اسمه))^(١١٧).

والزعم بأن لعلي بن أبي طالب طبيعتين: بشرية وإلهية، هو عين ما زعمته النصرانية أن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية، وطبيعة بشرية، وأن المسيح ظهر في صورة بشرية محبة خلّقه. وأن المسيح قتل بزعمهم على الصليب فداء للبشر بسبب خطاياهم، ومن ثم تحرر من طبيعته البشرية، ولذا يقُدس النصراني الصليب لأنه خلص اللاهوت (الإله) من الناسوت (البشر) بزعمهم^(١١٨).

(١١٥) الإسلام في مواجهة الباطنية: ص ١٢٤.

(١١٦) منهاج السنة النبوية: ٥١٢/٢، ومجموع الفتاوى: ١٤٧/٣٥، ١٦١، كلاهما لابن تيمية، والمنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي: ص ١٠٧-١٠٨. قال محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى من منهاج الاعتدال (ص ١٠٨ الحاشية ١): ((أنشد هذه الأبيات لنفسه أحد أكابر رؤسائهم في شهور سنة ٧٠٠هـ)) كما ذكر ذلك الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري في الاستفتاء عن النصيرية، الذي رفعه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ونشرت فتواه في مجموعة رسائله)).

(١١٧) الإسلام في مواجهة الباطنية: ص ١٣٣، عن تنزيه الذات عن الأسماء والصفات، محمد الكلازي: ص ٤٠١.

(١١٨) ينظر تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا الخضري: ٣٣٨/١ وما بعدها، ٢٤٩/٣-٢٧٥.

وأول ظهور لهذه العقيدة الباطلة عند النصارى كان في عام (٤٥١م) عندما انعقد مجمع "خلقيدونية"^(١١٩). المسكوني للرد على مقالة "ديسوقرس"^(١٢٠). بطريرك الإسكندرية القائل: إن المسيح ذو طبيعة واحدة، هي طبيعة إلهية محضة. وقد كفر المجمع ديوقرس، وقرر إبعاده من الإسكندرية، كما أثبت المجمع أن المسيح شخص واحد ذو طبيعتين: طبيعة إلهية (لاهوتية)، وطبيعة بشرية (ناسوتية)^(١٢١).

وفي إنجيل يوحنا أن المسيح سأل اليهود: لماذا يسعون في رجمه؟ ((أجابيه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف^(١٢٢). فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً))^(١٢٣).

ويصف آرمينوس^(١٢٤) عيسى عليه السلام بأنه: ((ابن الله وابن الإنسان، ومؤلف من طبيعتين))^(١٢٥).

(١١٩) هو المجمع المسكوني الرابع، نسبة إلى خلقيدونيا: مدينة قبالة القسطنطينية، وقد دعا إلى هذا المجمع الأباطور مرقيانس بموافقة البابا القديس لاون عام (٤٥١م)، لاتخاذ قرار حول طبيعة المسيح. ينظر معجم الإيمان المسيحي: ص ٢٠٥.

(١٢٠) بطريرك الإسكندرية من سنة (٤٤٤م) حتى سنة (٤٥١م). أبعد عن كرسيه بعد مجمع "خلقيدونية"، لمخالفته المجمع في قوله بطبيعة واحدة للمسيح هي الطبيعة الإلهية. ينظر معجم الإيمان المسيحي: ص ٢٢٠.

(١٢١) ينظر تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا الخضري: ٢٩٩/٣-٢٩٠.

(١٢٢) التجديف في اللغة: هو الكفر بالنعمة، ينظر تاج العروس (١٢/١١٠).

وأما المراد بما عند أهل الكتاب، فجاء في قاموس الكتاب المقدس (ص ٢٥٣): ((تجديف شتيمة ونميمة. ويقصد بما في الكتاب المقدس كلام غير لائق في شأن الله وصفاته)).

(١٢٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح العاشر: ٣٣.

(١٢٤) أرمنيوس (١٥٦٠-١٦٠٩م) لاهوتي هولندي بروتستانتي، انتقد تعاليم كالغن، وقال بإمكانية الخلاص للبشر جميعهم. ينظر معجم الإيمان المسيحي: ص ٣١.

(١٢٥) أسطورة التجسد في المسيحية، دانييل إ. باسوك: ص ٧١-٧٢.

ويقول مارتن لوثر^(١٢٦): ((إننا نمزج الطبيعتين المتميزتين في شخص واحد، ونقول: الله هو إنسان، وإنسان هو الله))^(١٢٧).

أما كالفن^(١٢٨) فقال عن المسيح: ((إن الألوهية فيه توحدت واتحدت تماماً مع البشرية بنحو احتفظت فيه كل طبيعة من الطبيعتين بخواصها المتميزة كاملة تامة، وبالوقت نفسه شكَّلت الطبيعتان مسيحاً واحداً فقط))^(١٢٩).

والاعتقاد بالطبيعتين الإلهية والبشرية لعيسى عليه السلام، والتي تأثرت بها النصيرية هي عقيدة وثنية، ومن ((نتاج الفكر الفلسفي اليوناني، المؤسس على مقولات "المادة" و"الجوهر")^(١٣٠). إن القول بوجود طبيعتين في الشخص الواحد: طبيعة إلهية توصف بالصفات الكاملة، الغنية عن ما سواها، وبين طبيعة بشرية يعترها النقص، وتحتاج في قيامها إلى غيرها فيه تناقض لا يقبله العقل؛ إذ كيف يجتمع الذي لا يفنى مع الفاني، والقادر القوي مع المخلوق الضعيف، والعالم الذي أحاط بكل شيء علماً، مع من علمه محدود وقاصر؟

ومما يدل على بطلان هذه العقيدة تصورها والوقوف على حقيقتها؛ فهي تعني أن الله - تقدس وتنزه عن إفتراء الملحددين - كان نطفة في بطن مريم ثم مرّ بمراحل الحمل، حتى خرج كما يخرج المولود، فهذا القول من أشد الأفعال فساداً، وبطلانه

(١٢٦) مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٦٤م) راهب ألماني تزعم حركة الإصلاح البروتستانتي في ألمانيا. ينظر معجم الإيمان المسيحي: ص ٤١٧.

(١٢٧) أسطورة التجسد في المسيحية، دانييل إ. باسوك: ص ٧٢.

(١٢٨) جون كالفن لاهوتي فرنسي (١٥٠٩-١٥٦٤م) مؤسس المذهب الكلفيني نشر المذهب البروتستانتي في فرنسا ثم في

سويسرا. ينظر معجم الفلاسفة، جورج طرايشي: ص ٥٠٦.

(١٢٩) أسطورة التجسد في المسيحية، دانييل إ. باسوك: ص ٧٢.

(١٣٠) المصدر السابق: ص ٧٢.

ظاهر لكل عاقل. فهل يصح أن يكون خالق هذا العالم ومدبره كان يوماً محتاجاً إلى من يقوم على رعايته، وأكله وشربه؟ ثم إن هذا الإله يموت على الصليب كما تزعم النصرى، أو يقتله الخارجي ابن ملجم كما هو وقع لعلي رضي الله عنه، فكيف يكون ذا طبيعة إلهية، إذا كان معرضاً للصلب وللقتل؟

المبحث الرابع: أثر النصرانية في النصرانية في الاعتقاد بالتَّجسُّد (الحلول)

التجسد هو أن يظهر الله تعالى في صورة البشر؛ فيظهر بمظهر إنسان مثلنا ذي لحم ودم في وقت كونه إلهاً! فهو إله إنسان^(١٣١)، تعالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً.

ومصدر هذه العقيدة هي الديانات الشرقية، ثم انتقلت إلى الشرق الأدنى حيث نشأت النصرانية^(١٣٢)، واعتقدت بها الفرق الباطنية في بلاد المسلمين. ومنها: النصرانية. فالنصرانية ترى أن الله تعالى تجسد في علي بن أبي طالب بافترائهم^(١٣٣)، والغرض من هذا التجسد بحسب اعتقاد النصرانية ثلاثة أمور: الأول: امتحان للعالم، والثاني: إيناس لخلقه وتأليف لهم، والثالث: تذكير لهم وتنبية على توحيد.

يقول الكلازي: ((لما أراد الله امتحان العالم العلوي ظهر لهم في صورة طفل محتاج إلى التربية، وأراهم كيف يُربى وكيف يُغذى، ثم أراهم قدرته في صورة شاب.. ثم أراهم قدرته في صورة الشيخ الفاني.. فمن أقر بالظهور النوراني ولم يقر بالظهور البشري لم تكمل له المعرفة ولم يكمل إيمانه، ومن أقر بالظهور البشري ولم يقر

(١٣١) ينظر المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم، سعد رستم: ص ٦.

(١٣٢) ينظر أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم، دانييل إ. باسوك: ص ١٥-٤٤.

(١٣٣) ينظر التعريفات للجرجاني، مادة "النصرانية": ص ٢٦١.

بالظهور النوراني، لم تكمل له المعرفة والإيمان حتى يقر بظهور الباري في النورانية والبشرية))^(١٣٤).

وفي كتاب الصراط: ((يظهر للعالم.. محنة للخلق بما استحقوا واكتسبوا.. لا يتغير عن مكانه وإن ظهر لعباده، وإنما تتغير أبصار الناظرين إليه))^(١٣٥).

وجاء في كتاب الأسوس من كتب النصرانية المقدسة: ((الجوهر القديم ينتقل في الصورة كلها؛ ليذكر وينبه على توحيده، ويدل على قدمه وربوبيته وغير ذلك))^(١٣٦).

ومن الشروط التي شرطها الله على عباده بزعم النصرانية: اعتقاد أن علياً يظهر في كل صورة، جاء في كتاب الصراط: ((اعلم يا مفضل أن الشخص الظاهر هو رب كونكم الذي كونكم))^(١٣٧). وفيه: ((واعلم يا مفضل أن الشخص الذي يظهر بالقدرة الباهرة بالبشرية وهو بشري، وهو المعنى القديم الأزل الأحد))^(١٣٨). وهو ((يدخل في الأبدان طوعاً وكرهاً، ويخرج منها إذا شاء طوعاً وكرهاً كما ينزع أحدكم جبته وقميصه بلا تكلف ولا ريب))^(١٣٩).

وفي كتاب الصراط أيضاً يسأل جعفر الصادق تلميذه المفضل بن عمر الجعفي سؤالاً يقرر فيه عقيدة التجسد عند النصرانية، مؤكداً أن ذلك كله من خصائص القدرة الإلهية: ((فإذا قيل لك: إن شخصاً بشرياً ربُّ خالقٍ. فقلت: يا مولاي هذا أصعب

(١٣٤) الإسلام في مواجهة الباطنية: ص ١٣٢-١٣٣، عن تنزيه الذات عن الأسماء والصفات، للكلازي:

ص ٤١٩، ٣٤٦.

(١٣٥) كتاب الصراط: ص ١٤٧.

(١٣٦) كتاب الأسوس: ص ١١٩، وينظر الكتاب نفسه: ص ٨٣-٨٤، ١١٧، ١٥٥.

(١٣٧) كتاب الصراط: ص ١٤٦.

(١٣٨) كتاب الصراط: ص ١٣٥، وينظر الكتاب نفسه: ص ١٣٣-١٣٦.

(١٣٩) الهفت الشريف: ص ٩٦.

وأعظم وأدق. فقال: وإن قيل لك: إن رباً خالقاً رازقاً محيياً مميتاً له القدرة والمنة والمشية، والتكوين، إنه شخص بشري عاجز مقهور مضطهد مقتول محمول. أين تكون هذه المنزلة من المنزلتين؟ فقلت: يا مولاي، هذا يكون أعظم وأصعب^(١٤٠). وفيه أيضاً: ((الموت من أسماء الرب لقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، وكانت هذه يا مفضل إشارة إلى مولاك أمير المؤمنين جل جلاله))^(١٤١).

وفي سورة الشهادة: ((أشهد بأن الصورة المرئية، التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكلية، وهي الظاهرة بالنورانية، وليس إله سواها، وهي علي بن أبي طالب، وأنه لم يحاط، ولم يحصر، ولم يدرك، ولم يبصر))^(١٤٢).

وجاء في السورة الثانية عند النصيرية، واسمها "تقديسة ابن الولي": ((يا علي بن أبي طالب، يا رغبة كل راغب، يا قديم باللاهوت، يا معدن الملكوت، أنت إلهنا باطناً، وإمامنا ظاهراً، يا من ظهرت فيما أبطنت، وأبطنت فيما ظهرت، وظهرت بالاستتار، واستترت بالظهور، وظهرت بالذاتية، وتعاليت بالعلوية))^(١٤٣).

وجاء في سورة السجود: ((يا علي.. آمنت وصدقت بباطنك وظاهرك، وظاهرك أمامي ووصية، وباطنك معنوي لاهوت))^(١٤٤).

(١٤٠) كتاب الصراط: ص ٨٤-٨٥.

(١٤١) المصدر السابق: ص ٨٧.

(١٤٢) المجموع: ص ١٩٤.

(١٤٣) المجموع: ص ١٨٣.

(١٤٤) المصدر السابق: ص ١٩٠.

يقول الخصبيني:

كل ما نابني من الدهر خطب صحت يا جعفر إله الأنام
 أنت ربي وخالقي ومليكي وأنت ذو الكبرياء ولي النعام
 وأنت فوق السما على العرش تعلق وأنت في الأرض حاضر على الكلام
 وأنت أسماؤك الحسين وموسى وعليّ وأنت محي العظام^(١٤٥)

والحلول أو التجسد قالت به النصرانية في كتابهم المقدس المحرف؛ حيث إن عقيدة تجسد الله تعالى وظهوره بشكل إنسان هو عيسى بن مريم عقيدة أساسية من عقائد الكنيسة النصرانية بجميع فرقها وطوائفها، التي ترى جميعاً أن ذلك الإنسان الذي ولد من مريم العذراء، لم يكن في الحقيقة إلا الله تعالى نفسه -، أو بتعبير مفصل صفة الكلمة أو الابن لله والذي هو واحد في جوهره مع الله - الذي تجسد وتأنس وظهر بلباس بشري لتخليص بني البشر ونجاة الإنسان! فعيسى في نظر الكنيسة إله - إنسان، أي إنسان حقيقي مثلنا بنفس وقت كونه - هو بذاته - إلهاً كاملاً!^(١٤٦).

جاء في إنجيل يوحنا: ((في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً))^(١٤٧). وفيه أيضاً: ((أنا والآب واحد))^(١٤٨)، وفيه: ((الذي رأي فقد رأي الآب))^(١٤٩). وجاء في إنجيل يوحنا أيضاً قول منسوب للمسيح هو: ((أنا في الآب والآب فيّ))، وقوله: ((أيها الآب القدوس احفظهم

(١٤٥) الباكورة السليمانية: ص ٦٢.

(١٤٦) المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم: ص ٧، وينظر مذاهب الإسلاميين: ٥٨/٢-٦٠.

(١٤٧) إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول: ١-١٤.

(١٤٨) إنجيل يوحنا، الإصحاح العاشر: ٣٠.

(١٤٩) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر: ٩.

في اسمك الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن))^(١٥٠). وعنه أيضاً : ((في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم))^(١٥١).

وتجسد الكلمة في شخص المسيح لم تكن الغاية منه ((أن يوفر الفداء لبني البشر فحسب؛ بل ليعلن عن ذاته للبشر بصورة أكثر كمالاً))^(١٥٢)، ((فالمسيح هو إعلان الله للناس وبدونه لا نعرفه))^(١٥٣). فالسبب الأساسي التي من أجله تجسدت الكلمة هو إعلان الله عن ذاته، أما الغاية الكبرى فهي الفداء من الخطيئة التي وقع فيها آدم عليه السلام^(١٥٤).

وقد نُصِّ على هذه العقيدة الفاسدة في المجمع الخلقودوني الذي دعا إليه الإمبراطور ماريانوس لدحض بدعتي أفتيخوس^(١٥٥)، ونسطور^(١٥٦). وتألَّف ذلك

(١٥٠) إنجيل يوحنا، الإصحاح السابع عشر: ١١.

(١٥١) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر: ٢٠.

(١٥٢) المسيحية، د. عبد المنعم فؤاد: ص ١٨١-١٨٢ عن كتاب "هل تجسد الله؟": ص ٥٦.

(١٥٣) رسالة "التثليث والتوحيد" القسيس يسي منصور: ص ١٧٥.

(١٥٤) المسيحية، د. عبد المنعم فؤاد: ص ١٨٢.

(١٥٥) أفتيخوس أو أوتيا أو أو طاخي، قال "إن طبيعة المسيح الناسوتية تلاشت في الطبيعية الإلهية، فصار السيد المسيح بطبيعة واحدة ممتزجة". وقال أيضاً "إن المسيح لم يتخذ من الحشا البتول جسداً مماثلاً لجسدنا؛ ولكنه مرَّ به مروراً خيالياً". توفي بعد سنة (٤٥١ م). ينظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر: ٢٢٣/٣-٢٣٦، وتاريخ الفكر المسيحي، حنا الخضري: ٢٦٦/٣-٢٩٠.

(١٥٦) نسطور (٣٨٠-٤٤٩ م) بطريك القسطنطينية الذي قال إن مريم العذراء لم تلد إلهاً؛ بل ولدت إنساناً، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأفنوم الثاني، وهذا الاتحاد اتحاد مجازي، وليس حقيقياً؛ لأن الإله منح عيسى عليه السلام المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن. فنفى أن يوجد في المسيح عنصر إلهي كما تزعم بقية الطوائف النصرانية. وقد عقد له مجمع مسكوني لمحاكمته، ومطالبته بالإيمان بأن المسيح إله ابن إله، فرفض، وقال: لن أدعو طفلاً عمره شهران أو ثلاثة: الله. ينظر تاريخ الكنيسة، لوريمر: ٢١٥/٣-٢٢١، وتاريخ الفكر المسيحي، الخضري: ١٦٩/٢، ٢٦٦/٣-٢٩٠.

المجمع من ٦٣٠ أسقفًا، واستمر من ٨ - ٣١ أكتوبر سنة ٤٥١م وأجمع على: ((فلهذا ونحن تابعون الآباء القديسين، كلنا بصوت واحد نعلم البشر أن يعترفوا بالابن الوحيد، ربنا يسوع المسيح، الكامل في اللاهوت والكامل أيضاً في الناسوت. إله حق وإنسان حق، ذو نفس ناطقة وجسد، جوهر واحد مع الآب بحسب اللاهوت، ومن نفس جوهر معنا بحسب الناسوت، وهو مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية وحدها. مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب اللاهوت، وفي هذه الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا وُلد من مريم العذراء والدة الإله بحسب الناسوت. هو مسيح واحد وابن واحد ورب واحد والمولود الوحيد، كائن بطبيعتين غير ممتزجتين ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين، والفرق بين الطبيعتين لم يتلاشَ باتحادهما، بل خواص كل طبيعة منهما الخاصة باقية ومحفوظة ومجمعة في شخص واحد وأقنوم واحد غير منفصل ولا منقسم إلى شخصين، بل الابن الوحيد والمولود الوحيد الله الكلمة الرب يسوع المسيح كما أنبأت عنه الأنبياء منذ البدء، وكما علمنا الرب يسوع نفسه، وكما تسلّمنا قانون إيمان الآباء القديسين))^(١٥٧).

وجاء في رسالة بولس لأهل فيلبي: ((فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب))^(١٥٨). ويقول بولس: ((الله ظهر في الجسد تبرّر في الروح تراءى لملائكة كُرِّز به بين الأمم أو من به في العالم رُفِع في المجد))^(١٥٩).

(١٥٧) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر: ٢٢٨/٣-٢٢٩، وينظر تاريخ الفكر المسيحي، حنا الخضري: ٢٧٢/٣-٢٧٣.

(١٥٨) رسالة بولس إلى أهل فيلبي، الإصحاح الثاني: ٥-٨.

(١٥٩) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح الثالث: ١٦.

ولا شك في أن هذه العبارات المنسوبة للمسيح ﷺ لا تحمل تأويلاً غير تقرير عقيدة الحلول؛ مما يؤكد براءة المسيح ﷺ من هذه الأناجيل المنسوبة إليه، والتي يدعي النصارى فيها أن المسيح هو ابن الله. وقد بين سبحانه أن المسيح بشر، كغيره من البشر إلا أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه بالرسالة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]. وقال سبحانه وتعالى على لسان المسيح ﷺ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]. فكيف يقال إن الله تعالى تجسد في المسيح عليه، فضلاً أن يتجسد في من هو أقل منزلة من الأنبياء؟

وقد بين صلى الله عليه وسلم خطورة الغلو في الأشخاص، كما غلت النصرانية في عيسى عليه السلام، وغلت النصرانية في علي رضي الله عنه، فقال: «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله»^(١٦٠)، قال ابن حجر رحمه الله: ((الإطراء المدح بالباطل، قوله "كما أطرت النصارى بن مريم" أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك))^(١٦١). فالاعتقاد بأن المخلوق الضعيف فيه جزء إلهي هو غلو منهى عنه، وقول فاسد تكذبه نصوص الكتاب والسنة.

(١٦٠) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، رقم (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١٦١) فتح الباري: ٦/٤٩٠.

المبحث الخامس: تأثير النصرانية في النصرانية في اعتقادهم بالتثليث

التثليث: هو الاعتقاد بأن الإله الذي يستحق العبادة مكون من ثلاثة أقانيم (أشخاص) متساوية في الجوهر. وكلمة التثليث وردت في الكتاب المقدس في رسالة يوحنا الأولى: ((الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح والقدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد))^(١٦٢).

والنصرانية مثلثون تثليثاً مشابهاً لتثليث النصرانية؛ فقد قالوا بألوهية متحدة الحقيقة مثلثة الأجزاء؛ فعلي عندهم هو الآب، ومحمد هو الابن، وسلمان هو روح القدس، ويرمزون إلى الأقانيم الثلاثة بحروف العين والميم والسين التي يعتبرونها مقدسة^(١٦٣).

فهؤلاء الثلاثة يؤلفون الثالوث الإلهي عند النصرانية، ويفسر النصرانية هذا الثالوث كما يفسره النصرانية فيقولون ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة، فهم ثلاثة أقانيم في إله واحد، والثلاثة يتصفون كلهم بالألوهية، والعبادة توجه إليهم بحسب رتبهم في الربوبية، فعلي خلق محمد، ومحمد خلق سلمان، وسلمان خلق الأيتام الخمسة، فالمقدم علي ثم محمد ثم سلمان.

جاء في كتاب المناظرة: ((الميم وعلي وسلمان، شيء واحد ونور واحد))^(١٦٤)، و((الاسم والمعنى ليس بينهما فرق، ولا فاصلة، كنور الشمس من القرص))^(١٦٥).

(١٦٢) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الخامس: ٧.

(١٦٣) ينظر الباكورة السليمانية: ص ٣٠، وولاية بيروت: ٢/١٠٩-١١٠، ١١٣.

(١٦٤) العلويون النصرانيون بحث في العقيدة والتاريخ: ص ٤١، عن كتاب المناظرة للنشائي: ق(١٣٩ب).

(١٦٥) المصدر السابق: ص ٤١، عن كتاب المناظرة للنشائي: ق(٨٤ب).

قال المكزون السنجاري :

ودان بالتوحيد في تثليثه بأحد وواحد وما فطر
فوجد المعنى وقدم اسمه الأعلى وللو صف تلا كما أمر^(١٦٦)

جاء في كتاب الأسوس : ((هو بجوهره الواحد الذي ظهر بهذه الأشخاص في السماء، أما ترى الكتب كيف نطقت على ألسن النبيين عليهم السلام، أنه دخل على إبراهيم الخليل في هيئة واحدة ومثل واحد، حتى ظن إبراهيم أنهم ملائكة، فاتخذ لهم طعاماً؛ فلما تبين له أمرهم ذكر الميثاق بثلاثة أشخاص، فأمن بالديان وجعل الأديان واحدة، وذكر الميثاق، وكفاه المؤنة للواحد الذي ظهر بثلاثة أشخاص))^(١٦٧).

وجاء في سورة "العين العلوية" : ((بسر العين العلوية الذاتية الظاهرة الأنزعية، بسر الميم المحمدية، الهاشمية الملكوتية الحجابية القرصية النورانية، بسر السين السلسلية الجبرائيلية السلمانية البابية البكرية النميرية النصيرية، بسر ع م س))^(١٦٨). وفي سورة النسبة : ((بمعرفة "ع م س" : وهي بشهادة أن لا إله إلا الله علي بن أبي طالب الأصلع الأنزع المعبود، ولا حجاب إلا محمد المحمود، ولا باب إلا السيد سليمان الفارسي المقصود))^(١٦٩). وفي سورة السجود : ((للباب قصدت، وللاسم سجدت، وللمعنى عبدت))^(١٧٠). وفي سورة الإشارة : ((رفعت إشارتي بسر العين العلوية، بسر الميم المحمدية، بسر السين السلسلية، بسر عمس))^(١٧١). وفي سورة الفتح : ((أشهد بأن

(١٦٦) ديوان المكزون السنجاري: ص ١٢٣.

(١٦٧) كتاب الأسوس: ص ٨١، وينظر الكتاب نفسه: ص ١١٤-١١٩.

(١٦٨) المجموع، للطبراني: ص ١٩٢-١٩٣.

(١٦٩) المجموع: ص ١٨٥.

(١٧٠) المصدر السابق: ص ١٨٩.

(١٧١) المصدر السابق: ص ١٩٢.

مولاي أمير النحل علي اخترع السيد محمد من نور ذاته ، وسماه اسمه ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته ، متصل به ، ولا منفصل عنه ولا متصل به بحقيقة الاتصال ولا منفصلاً عنه في مباحدة الانفصال ، متصل به بالنور ، منفصل عنه بمشاهدة الظهور ، فهو منه كحس النفس من النفس أو كشعاع الشمس من القرص ، أو كدوى الماء من الماء ، أو كالفتق من الرتق ، أو كلمع البرق من البرق ، أو كالنظرة من الناظر ، أو كالحركة من السكون ، فإن شاء علي بن أبي طالب بالظهور أظهره ، وإن شاء بالمغيب غيبه تحت تلالي نوره . وأشهد بأن السيد محمد خلق السيد سلمان من نور نوره ، وجعله بابه ، وحامل كتابه ؛ فهو سلسل وسلسيل ، وهو جابر وجبرائيل ، وهو الهدى واليقين ، وهو بالحقيقة رب العالمين . وأشهد بأن سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام))^(١٧٢) .

والتعبير عن ذات محمد وعلاقتها بذات علي هو مثل تعبير الكنيسة النصرانية في بيان انبثاق الابن بالنسبة إلى ذات الأب ، كما أن الترتيب في العلاقة بين علي ومحمد وسلمان ، هو مشابهة للعلاقة التراتبية بين الأب والابن وروح القدس في النصرانية ، أيضاً فإن النصرانية تسمي سلمان بجبريل وبالروح الأمين وبروح القدس^(١٧٣) .
ويصرح علماء النصرانية بأن عقيدة التثليث تجمعهم حتى وإن اختلفوا في ترتيب عناصرها:

((إن الغاية الكبرى علي ، ومحمد أيضاً خالق ولو اعتقدنا بربوبيته فلا نخطئ ؛ لأن اعتقادنا واعتقادكم بالثالوث واحد))^(١٧٤) ، ((وهؤلاء الثلاثة هم الثالوث الأقدس))^(١٧٥) .

(١٧٢) المجموع: ص ١٨٧-١٨٨ .

(١٧٣) ينظر الإسلام في مواجهة الباطنية: ص ١٤٢ .

(١٧٤) الباكورة السليمانية: ص ٣٣ ، وينظر مدخل إلى المذهب العلوي النصراني، للكنج: ص ٢٢ .

وفي بعض الأسئلة في أحد كتب النصيرية: ((- لكن ما "المعنى" وما "الاسم" وما "الباب" ج: هؤلاء الثلاثة لا ينفصلون، كما في قولنا: بسم الله الرحمن الرحيم، فالله هو "المعنى"، والرحمن هو "الاسم"، والرحيم هو "الباب"))^(١٧٦). وفيها أيضاً: ((- ما علامة إخواننا المؤمنين الصادقين؟ ج: ع م س. وع: تدل على "علي". وم: تدل على "محمد". وس: تدل على "سلسل"))^(١٧٧). وفيها أيضاً: ((- ما معنى الكلمة الظاهرة والكلمة الباطنة؟ ج: الباطنة هي ألوهية مولانا؛ والظاهر هي قدرته. فظاهراً نقول عنه: مولانا علي بن أبي طالب، ويعني هذا باطناً "المعنى" و"الاسم" و"الباب"، الله الغفور الرحيم))^(١٧٨).

وفي ديوان المنتجب العاني^(١٧٩) تصريح بالثالوث المقدس عند النصيرية:

بني نمر رضاكم منتهى أملي وأتم دون خلق الله مقصودي
أيامكم فهي أيامي وقولكم قولي ومعبودكم بالسر معبودي
وللحجاب سجودي مع سجودكم وللعلي العظيم الشأن توحيدتي

(١٧٥) الباكورة السليمانية: ص ٣٠. وينظر نخبة الدهر في عجائب البر والبحر: ص ٢٠٤.

(١٧٦) كتاب تعليم ديانة النصيرية، مخطوط (ضمن كتاب مذاهب الإسلاميين: ٤٧٦/٢).

(١٧٧) كتاب تعليم ديانة النصيرية، مخطوط (ضمن كتاب مذاهب الإسلاميين: ٤٨٤/٢).

(١٧٨) كتاب تعليم ديانة النصيرية، مخطوط (ضمن كتاب مذاهب الإسلاميين: ٤٨٧/٢).

(١٧٩) محمد بن الحسن العاني الخديجي المضري، أبو الفضل، المنتجب: شاعر نصيري، ولد في عانة قرب بغداد عام (٥٣٣٠هـ) وإليها نسبته، ونشأ فيها وفي بغداد حيث استقر مدّة، ثم انتقل إلى حلب وسكنها، واتصل بحسين بن حمدان الخصبي وتلقى عنه العقيدة والطريقة وأصبح من دعاة، ثم غادرها إلى جبال اللاذقية، وله ديوان شعر ينحى فيه منحى الباطنية، وفيه قصائد يمدح فيها مشايخ النصيرية من أتباع الخصبي. توفي في حدود سنة (٤٤٠٠هـ)، ينظر ديوانه، والأعلام للزركلي: ٨٢/٦.

والباب سلمان منه أصل معرفتي كما به طاب في الفردوس تخليدي^(١٨٠)
ويقول:

بالعين والميم أسمو في الأمور وفي الباب الكريم الذي يدعى سلمان^(١٨١)
ويقول:

ولي ليوم معادي حسن ظني يا لله العظيم الذي يرجى ويرتقب
عليّ مولاي معنى لا نظير له والميم والسين ذخري إن دجت نوب
معنىً واسم وباب منتهى أمل الر اجي وذلك جدٌ غيره لِعَب^(١٨٢)

ويقول الشاعر النصراني حمدان جوفين^(١٨٣):

ثم اشهدوا يا إخوتي بعقيدتي عين وميم ثم سين قراري^(١٨٤)

والنصرانية يعظمون الثالث، ولا تنعقد اليمين عندهم إلا به، جاء في الباكورة
السليمانية: ((أما اليمين الثابتة عند النصرانية كافة فهي أن تضع يدك في يده، وتقول:
أحلفك بأمانتك عقد علي أمير المؤمنين، وبعقد (ع م س) فلا يمكنه بعد هذا اليمين أن
يكذب. وأيضاً بلّ أصبعك بريقك، واجعلها في عنقه، وتقول تبرأت من خطاياي،
وأوضعتها في عنقك، وأحلفك أيضاً بأساس دينك، بسر عقد (ع م س) أن تخبرني
عن صحة أمر كذا؛ فلا يمكنه الكذب بعد هذا))^(١٨٥).

(١٨٠) شرح ديوان المنتجب العاني (مخطوط) إبراهيم بن عبداللطيف عبدالرحمن إبراهيم مرهج: ق ١٤.

(١٨١) المصدر السابق: ق ٩٣.

(١٨٢) المصدر السابق: ق ٥٥.

(١٨٣) حمدان جوفين: شاعر نصري عاش في القرن السابع الهجري، كان حياً سنة (٦٧٥هـ) عن "موقع العقيدة
العلوية النصرانية" على الشبكة العنكبوتية.

(١٨٤) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم: ص ١٢٧.

(١٨٥) الباكورة السليمانية: ص ٩٨.

والمأمل فيما سبق ذكره عن النصيرية لا يكاد يجد فرقاً يذكر بينهم وبين النصارى، مما يؤكد تأثر النصيرية بعقيدة التثليث النصرانية. وقد صدرت عقيدة التثليث من مجمع القسطنطينية^(١٨٦) عام ٣٨١م؛ حيث تمت في هذا المجمع إضافة تأليه روح القدس وربوبيته على القانون الصادر من مجمع نيقية، فأصبح القانون الكنسي كما يلي: ((نؤمن بإله واحد، أب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، المولود الوحيد، قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر، الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وتأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطي. تألم وقبر وقام فى اليوم الثالث على ما فى الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه، وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجّد، الناطق بالأنبياء))^(١٨٧).

تقوم فكرة التثليث فى النصرانية على الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم، أو ثلاث خواص، وهى الأب والابن والروح القدس، وهذه الأقانيم الثلاثة هي: الذات والنطق والحياة ((فالله موجود بذاته، ناطق بكلمته، حي بروحه، وكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الإله تعطيه وصفاً معيناً، أو مظهراً

(١٨٦) عقدت فى مدينة القسطنطينية (استانبول حالياً) أربع مجامع مسكونية، أولها هذا المجمع الذي عقد سنة

(٣٨١م) وتقرر فيه التأكيد على ألوهية روح القدس، ينظر معجم الإيمان المسيحي: ص ٣٧٩.

(١٨٧) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس الحضري: ٦٦٥-٦٦٦.

خاصاً، فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الأب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس^(١٨٨).

فأركان التثليث عبارة عن ثلاثة آلهة: الأب والابن والروح القدس:

فالأب: وهو الأقوم الأول من الذوات الإلهية، مع كونه والد الأقوم الثاني فهو مكوّن الكائنات.

والابن: وهو الأقوم الثاني مع كونه ولد الأقوم الأول وابنه الوحيد؛ فإنه قد خلص العالم من الخطيئة.

وأما الروح القدس وهو الأقوم الثالث، فإنه يصدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، ومهمته عبارة عن إعطاء الحياة.

إن الأقانيم الثلاثة ليست ثلاثة آلهة، بل هم يدعون وجود إله واحد، باعتبار أن الواحد من الثلاثة وأن الثلاثة واحد^(١٨٩).

وفي ضوء هذا التقسيم فإن كل إله لا ينفرد بالألوهية منفرداً؛ بل يعتبر كل منهم ناقصاً حتى ينضم إليه الأقومان الآخران، فلكل أقنوم وظيفة خاصة به، وصفة تلازمه لا يتصف بها غيره. فالأب عاجز عن إعطاء الحياة وعن التلخيص، والابن عاجز عن إيجاد الكائنات وإعطاء الحياة، والروح القدس عاجز عن إيجاد الكائنات وعن التلخيص^(١٩٠).

وعقيدة التثليث لم تتضح لأتباعها النصراني، وهي بعيدة كل البعد عن فهم العقل وتصوره، إذ ((من الصعب علينا أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا

(١٨٨) الله واحد أم ثلاث، محمد مجدي مرخان: ص ٩.

(١٨٩) الإنجيل والصليب، دافيد بنجامين الكلداني (عبدالأحد داود): ص ٨-٩.

(١٩٠) ينظر المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، د. محمد وصفي: ص ١٠٨.

القاصرة))^(١٩١). على حد قول القس يسي منصور، لذا فإن ((تسمية الثالوث باسم الأب والابن والروح القدس تعتبر أعماقاً إلهية، وأسراراً سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها، أو نلصق بها أفكاراً من عندياتنا))^(١٩٢). بحسب تعبير القس توفيق جيد.

والتثليث هي عقيدة وثنية في أصلها نُقلت إلى النصرانية من الأديان الوثنية والفلسفة اليونانية، وممن قال بها من اليونان الفلاسفة الفيثاغوريون^(١٩٣) حيث يعتقدون أن العالم بما فيه محكوم بالعدد ثلاثة، وبالتالي فهم يستخدمون هذا الرقم في عبادة الآلهة بزعمهم^(١٩٤).

وقد أبطل الله عقيدة التثليث، وبين فسادها وكفر من قال بها، فقال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ۚ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال جل وعلا:

(١٩١) رسالة التثليث والتوحيد، القس يسي منصور: ص ٣٢.

(١٩٢) المسيحية، د.عبدالمعزم فؤاد: ص ٢٣٢، عن سر الأزل، للقس توفيق جيد: ص ٥٩، وينظر ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، للقس يوسف رياض: ص ٣٨.

(١٩٣) الفيثاغورية مدرسة فلسفية يونانية، المعلومات عن مؤسسها فيثاغورس (٥٧٠-٤٩٧ ق.م) ضئيلة. تقوم فلسفة هذه المدرسة على اعتبار أن العدد جوهر الأشياء، والأشياء مكوناتها وجوهرها أعداد، والأصل في الأعداد هو الواحد الذي يفيد الوحدة. ومن هنا قالوا بوحدة الوجود، ومن الواحد تنشأ الثنائية والكثرة. أما الفيثاغورية الحديثة أو الجديدة: فقد نشأت في القرن الأول (ق.م) واختلطت بتعاليم أفلاطون والرواقيين والمشائين، وهي حركة دينية أكثر منها فلسفية. اندمجت مع الأفلاطونية الحديثة في القرن الثالث الميلادي، تأثر بها الفيلسوف اليهودي: فيلون الإسكندري، والفيلسوف النصراني: القديس كليمنت. كما تأثرت بها فرق الباطنية: كالإسماعيلية، والنصيرية، وإخوان الصفا، والبهائية، والحروفية وغيرها. ينظر موسوعة الفلسفة: ٢/٢٢٨.

(١٩٤) ينظر الأصول الوثنية للمسيحية، اندريه نايتون وآخرون: ص ٦٧.

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ ۚ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطاله لعقيدة التثليث: ((وقولهم -أي النصرارى - : "فالإله واحد خالق واحد رب واحد"، هو حق في نفسه؛ لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة إيمانهم: "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو الأب في الجوهر". فأثبتوا هنا إلهين، ثم أثبتوا روح القدس إلهاً ثالثاً، وقالوا إنه مسجود له، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة، ويقولون: إنما ثبتت إلهاً واحداً، وهو تناقض ظاهر، وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي. ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصرارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا؛ بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين؛ ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصرارى لفرقوا عن أحد عشر قولاً، وقال آخر: لو سألت بعض النصرارى وامراته وابنه عن توحيدهم؛ لقال الرجل قولاً، وامراته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً))^(١٩٥).

المبحث السادس: المعنى والكلمة

المعنى عند النصيرية يقابل الكلمة عند النصرارى، وذلك أن الألوهية عند النصيرية تتعلق بثلاثة كما هو الحال عند النصرارى؛ فعلي هو المعنى، ومحمد هو

الاسم، وسلمان هو الباب. والعلاقة بين المعنى والاسم هي العلاقة بين "الباطن" الذي يمثله "المعنى"، وبين "الظاهر" الذي يمثله "الاسم".

و"المعنى" لا يطلق إلا على "علي بن أبي طالب"، ذكر الخصبي في كتاب الهداية عن علي بن حسان قال: ((أشاع قومٌ من الأضداد المقصرة بأن أبا شعيب ادعى المعنوية. فدخلت عليه وقلت: يا باب الهدى، إن قوماً من الأضداد لك ذكروا عنك أنك ادعيت المعنوية. فقال: والله لقد كذبوا...فقلت: يا أبا شعيب، اغفر لي ما ظننته فيك. فقال: ليس ذلك إليّ، فتوجه إلى مولاي أبي الحسن عليه السلام فإن غفر لك؛ فقد غفر الله لك))^(١٩٦).

ونجد هنا ذكراً للمعنوية، والمقصود بها القول في الإمام بأنه: المعنى، وهي عبارة عن تأليه؛ كما استقرت عليه عقائد النصيرية لاحقاً على القول: بالمعنى، والمراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والاسم، والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم، والباب، والمراد به سلمان الفارسي رضي الله عنه. واختصارها: ع.م.س.^(١٩٧)

والمعنوية عند النصيرية هي: ((جوهر الله وذاته، وهو الاسم الذي يطلق على الألوهة، في جميع ظهوراتها، وفي علاقتها مع الاسمية والبابية. لا تدرك المعنوية بذاتها بل بواسطة؛ ولذلك كان محمد واسطة ضرورية لإظهارها؛ ولذلك قيل: "علي هو محمد، وليس محمد هو علي؛ لأن القدرة ذاتية على المعنى كالحرارة الذاتية في النار، فإن طلبت الحرارة من النار فليست بنار"^(١٩٨)؛ يعني ذلك: أن النار تتضمن الحرارة؛ ولكن الحرارة لا تتضمن النار كلها. ففي النار

(١٩٦) الفرقة الهامشية: ص ٣٢٠، عن كتاب الهداية: ١٢٩ب، ولم اهتمد إلى مكانه في كتاب الهداية المطبوع.

(١٩٧) ينظر الفرقة الهامشية: ص ٣٢١.

(١٩٨) العلويون النصيريون بحث في العقيدة والتاريخ: ص ٦٠، عن مسائل ابن هارون الصائغ: ق ٥٣.

نور وإضاءة وحرارة وحركة ودخان، والحرارة لا تحتويها كلها، كذلك علي يتضمن محمداً وكل ما في «القبة المحمدية» ولكن محمداً لا يحتوي الحقيقة العلوية كلها»^(١٩٩).

ف"المعنى" له أهمية خاصة في المذهب النصيري؛ إذ هو رمز للألوهية المتمثلة في علي بن أبي طالب بحسب اعتقاد النصيرية.

ولاشتهار هذه العقيدة عند النصيرية أطلق عليها بعض مخالفينها اسم: "النصيرية المعنوية"^(٢٠٠).

ويقابل المعنوية عند النصيرية: "الكلمة" عند النصارى، وهي تطلق على عيسى باعتباره إلهاً ابن إله.

فالكلمة هي الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس عند النصارى، والمقصود به عيسى عليه السلام، والتعبير بـ "كلمة" للدلالة على المسيح، فإنه - بزعم النصارى - الله الذي ظهر متكلماً معلناً نفسه^(٢٠١).

ففي إنجيل يوحنا: ((في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.. والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً))^(٢٠٢).

(١٩٩) العلويون النصيريون بحث في العقيدة والتاريخ: ص ٦٠.

(٢٠٠) يسميهم حمزة الزوزني في الرسالة الدامغة (ق ٢) بـ ((النصيرية المعنوية)).

(٢٠١) ينظر مادة "كلمة" في قاموس الكتاب المقدس: ص ٧٨٥، وفي معجم الإيمان المسيحي: ص ٣٩٩.

(٢٠٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول: ١-١٤.

وما كتبه يوحنا يفيد أن "الكلمة" شخص تاريخي متجسد في المسيح^(٢٠٣) بزعمهم، كما أن هذا التعبير عن الكلمة إنما هو اجتهاد من يوحنا لتوصيل الحق للأمم بطريقة مفهومة - بزعمهم^(٢٠٤) -.

وقبل يوحنا لم ترد "الكلمة" عند النصارى بمعنى ألوهية المسيح ﷺ. وهدف يوحنا هو التأكيد على أن المسيح إله ابن إله: ((وبغية يوحنا في إنجيله إظهار ألوهية المسيح.. ويريد أن يرسخ في الأذهان أنه هو الله، وابن الله))^(٢٠٥).

ومصدر الاعتقاد بالكلمة جاء من المدرسة الرواقية^(٢٠٦)، ومن الفيلسوف اليهودي: فيلون^(٢٠٧)، ثم انتقلت إلى النصرانية، وسُطرت في أحد الأناجيل على يد يوحنا الذي يعزى إليه هذا الإنجيل^(٢٠٨).

(٢٠٣) قاموس الكتاب المقدس: ص ٩٠٣.

(٢٠٤) الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية، د. عبدالشكور العروسي: ص ٧٧، نقلاً عن كتاب "ألقاب المسيح" للقس منيس عبدالنور: ص ١٤٣-١٤٤.

(٢٠٥) الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية: ص ٨٤، نقلاً عن كتاب "يسوع المسيح شخصيته تعاليمه" للأب بولس إلياس اليسوعي: ص ٢٨.

(٢٠٦) مدرسة فلسفية نسبة إلى مكان كان يجتمع فيه بعض الفلاسفة في أثينا باليونان يطلقون عليه "الرواق"، وأطلق عليهم الإسلاميون: أصحاب المظلة، وحكاماء المظال، وأصحاب الاصطوان، والروحانيين، والرواقية: فلسفة أخلاقية مادية وفدت على أثينا مع الأجانب، فقد كان مؤسسها وخلفاؤه من الآسيويين، وإن كانوا قد تلقوا تعليماً يونانياً، وتأثروا بالفكر اليوناني. وتعتبر فلسفتهم خليطاً من فلسفة قدماء اليونان، وبعض الفلاسفة الشرقية: فأخذوا من هرقلطس قوله بالنار الحية، واللوغوس أو العقل أو الله المنبث في الكون، وازدهرت الفلسفة الرواقية في القرن الثالث قبل الميلاد على يد مؤسسها: زينون، وأرسى دعائمها أفريسيوس (٣٣١-٣٢٢ ق.م)، وكان أوفولها في القرنين الأول والثاني الميلاديين. ينظر: موسوعة الفلسفة: ١/٥٢٧.

(٢٠٧) فيلون الإسكندري (٢٠ ق.م-٤٠ ق.م) أول فيلسوف يهودي جمع بين الفلسفة واللاهوت، تركز فلسفته على التوفيق بين الدين اليهودي الذي يؤمن به، وبين الفلسفة اليونانية التي يعايشها. وقد تأثر في توفيقه بالمعتقدات الشعبية عند اليونان واعتقادهم بحياة الكواكب. ينظر معجم الفلاسفة: ص ٤٩٠.

(٢٠٨) ينظر موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي: ص ٢٤٧.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، وقال عز وجل:
 ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]،

والمقصود بالكلمة هنا: قوله تعالى للشيء: كن، فيكون، فالمسيح مخلوق
 بالكلمة، وليس هو الكلمة. والإضافة في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ إما إضافة
 تشريف كما يقال: بيت الله، ورسول الله، وناقاة الله. أو هي إضافة خلق وملك
 كقولك: هذه نعمة منه، أو روح منه: أي من الله، فهو خالقها ومالكها جل وعلا.

قال الإمام أحمد رحمه الله: ((المعنى في قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ فالكلمة التي ألقاها
 إلى مريم حين قال له: كن، فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو كن، ولكن بكن
 كان. فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقاً. وكذب النصراني والجهمية على الله
 في أمر عيسى.. وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة. وأمّا
 قول الله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ يقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرْنَاكُمْ مَّا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجنّ: ١٣]، يقول: من أمره. وتفسير "روح منه":
 إنما معناها: أنها روح بكلمة الله، خلقها الله، كما يقال: عبد الله، وسماء الله،
 وأرض الله)) (٢٠٩).

فمعنى الروح ((المذكور في القرآن الكريم في حق عيسى عليه السلام) هو الروح الذي بمعنى النفس المقوم لبدن الإنسان، ومعنى نفخ الله تعالى في عيسى عليه السلام من روحه أنه خلق روحاً نفخها فيه. فإن جميع أرواح الناس يصدق أنها روح الله، وروح كل حيوان هي روح الله تعالى، فإن الإضافة في لسان العرب تصدق حقيقة بأدنى الملابس، كقول أحد حاملي الخشبة لآخر: شل طرفك. يريد: طرف الخشبة، فجعله طرفاً للحامل.. فكيف لا يضاف كل روح إلى الله تعالى، وهو خالقها ومدبرها في جميع أحوالها؟.. وأما تخصيص عيسى عليه السلام بالذكر فللتبنيهِ على شرف عيسى عليه السلام، وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه.. وأما الكلمة فمعناها: أن الله تعالى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون، فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن))^(٢١٠).

المبحث السابع: أثر عقيدة الفداء والخلص النصرانية

في عقيدة الهبطة والخلص عند النصرانية

ينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد: غفران الخطيئة والخلص من ربقتها وتناجها. وذلك أن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا، ابتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة؛ ولكن الله من محبته لخلقه أرسل ابنه الوحيد إلى العالم؛ ليفتدي العالم بالموت على الصليب؛ لهذا كان المسيح هو الذي يخلص العالم من خطاياه، وأولها خطيئة أبيهم آدم^(٢١١)، يقول بولس: ((أرسل الله ابنه.. ليفتدي الذين تحت الناموس))^(٢١٢)، وجاء في إنجيل يوحنا: ((لم يرسل الله ابنه إلى

(٢١٠) الأجوبة الفاخرة، للقرائي: ص ١٥.

(٢١١) ينظر نظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون: ص ٤١-٤٢.

(٢١٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح الرابع: ٤-٥.

العالم ليدين العالم؛ بل ليخلص به العالم))^(٢١٣). وهذا الفداء ثمنه عظيم، فالملصوب هو إله ابن إله، يقول بطرس: ((عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفتنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح))^(٢١٤)، ويشترط لمن يستحق هذا الفداء أن يؤمن بأبوة الله للمسيح، والاعتراف بقيامة المسيح من الأموات، يقول بولس: ((إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت))^(٢١٥).

وهذا المعنى نجده عند النصيرية إلى حد كبير، فيعتقد النصيرية - كما تظهره معتقداتهم - أنهم كانوا في البدء قبل كون العالم أنواراً مضيئة، وكواكب نورانية، وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتغوطون، وكانوا يشاهدون علي بن أبي طالب ربهم وخالقهم، ثم أنهم فكروا بذواتهم أنهم أكرم الخلق، وأنهم ظنوا أنهم يرون علياً بكليته؛ لظنهم أنه مثلهم؛ فعاقبهم بأن أهبطهم إلى الأرض، وخلق لهم هياكل بشرية، وظهر لهم في حجاب كجنسهم البشري إيناساً لهم ورحمة؛ فمن اعتقد بألوهيته في ناسوته كما اعتقد ألوهيته في لاهوته فسيعود إلى ما كان عليه قبل الهبطة، ومن كفر بألوهية علي بن أبي طالب؛ فسيلبسه قمصان

(٢١٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح الثالث: ١٧. وينظر رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، الإصحاح الأول: ٥-٧، وقاموس الكتاب المقدس، مادة "خلاص" ص ٣٤٤، ومعجم الإيمان المسيحي، مادة "فداء"، و"فدية":

ص ٣٥١، وثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي: ص ٦٩.

(٢١٤) رسالة بطرس الأولى، الإصحاح الأول: ١٨-١٩.

(٢١٥) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح العاشر: ٩.

المسوخية، ويهبطهم إلى الدار السفلانية. فسبب الهبوط من الجنة هو معصية البشر الكبرى في عدم معرفة الإله الحق علي بن أبي طالب بزعم النصيرية^(٢١٦).
والخلاص يقع بالإيمان بأن علياً حلَّ في صورة البشر بألوهيته. وهذا الحل هو رحمة منه لعباده وتخفيفاً عليهم من هول مصيبة هبوطهم.

يقول شاعر النصيرية محمد بن كلازو^(٢١٧):

ذكرت زماناً كان لي قبل هبطتي ففاضت عبرتي وزادت حسرتي
فكنا بدار العز في أوج العلى نسير مع الأملاك في كل روضة
إلى أن أراد الله يتمم حكمه فقال سأهبكم إلى دار الدنية
وأظهر ذاتي في حجاب كجنسكم وأريكم حجابي كسراب البقعة
فمن قد عرفني حين أظهر بينكم حجاباً ويفردني عن البشرية
فذاك آمنه من الخوف والعنا وأخلصه من كل هول وشدة
ويرجع إلى ما منه أبدى مسارعاً وأسكنه في ظل روضات جنتي
سألتك يا "هبق"^(٢١٨) بذات أظهرتها لتوجدتها كجني بين البرية
وتمكننا منها عياناً تيقناً لإثبات إيجاد الظهور برؤية

(٢١٦) ينظر الباكورة السليمانية: ص ٦٩-٧١، وكتاب الأسوس: ص ١٢٧، ومدخل إلى المذهب العلوي النصيري: ص ٢٢. ومعرفة الله والمكزون السنجاري، أسعد أحمد علي: ٣٧١/١، وإسلام بلا مذاهب: ص ٣٧٦-٣٧٨.

(٢١٧) محمد بن يونس كلازو (أو الكلازي) توفي بعد ١٠١١ هـ-١٦٠٢ م، من قرية كلازو التابعة لأنطاكية، ومؤسس فرقة الكلازية النصيرية، التي تعتقد أن علياً في القمر، ينظر: العلويون بين الأسطورة والحقيقة: ص ٢٢٣.

(٢١٨) هبق: رمز للأدوار التي يمر بها القمر، وهو بزعمهم تجليات لعلي بن أبي طالب، فالهاء تعني الهلال، والباء: البدر، والقاف: القمر، ينظر الباكورة السليمانية: ص ٧٤.

وأنت من الناسوت يا باري الورى جللت ولكن هي إيناس ورحمة^(٢١٩).

وهذا يحاكي اعتقاد النصارى في أن المسيح هبط إلى الأرض في صورة بشرية للتكفير عن خطايا البشر، فالمسيح - بزعم النصارى - صلب فداء للبشرية كلها خلاصاً لهم عن خطيئة أبيهم آدم الذي عصى الله تعالى، وأكل من الشجرة، فأهبطه الله من الجنة بسبب معصيته هذه، وكان لابد أن ينال بني آدم نصيب من هذه الخطيئة بسبب ما فعله أبوهم آدم بحسب زعم النصارى، إلا أن الله رحمة منه لعباده قدم ابنه فداء للبشر عن هذه الخطيئة، فكان أن تجسد في صورة بشرية، واضطهد وصلب على الصليب ومات عليه، ودفن، ثم قام من قبره بعد ذلك. أما السبب في أن عيسى عليه السلام هو الذي فدى البشرية، فهو أن هذا الفادي ((يجب أن يكون خالياً من الخطيئة؛ فهو لو كان خاطئاً لاحتاج هو نفسه لمن يكفر عنه، وما صلح لكي يفدي غيره.. وأن لا تقلّ قيمته عن الإنسان ليمكنه أن يكفر عنه.. ولا ينفع أن يكون إنساناً عادياً، ثم يجب أن لا يكون مخلوقاً؛ فهو لو كان مخلوقاً لا تكون نفسه ملكه هو بل ملك الله خالقها، وبالتالي فلا يحق له تقديم نفسه لله.. ولكي يمكنه أن يمثل الإنسان أمام الله؛ يتحتم أن يكون إنساناً، وبهذا وحده يمكن أن يكون نائباً عنه، وأن يمثله أمام الله))^(٢٢٠)، وهذا كله لا يتحقق إلا في عيسى عليه السلام بحسب اعتقاد النصرانية المحرفة.

والفرق في الهبطة - التي نتج عنها الفداء وترتب عليه خلاص البشرية - بين النصرانية والنصرانية هو أن النصرانيين اهبطوا جميعاً بسبب خطاياهم، في حين اقتصر الهبوط على آدم عليه السلام بسبب معصيته عند النصارى. فمشابهة النصرانية للنصرانية من حيث مبدأ هذه العقيدة واضح، وتأثرهم بالنصارى بيّن، خصوصاً في الاعتقاد

(٢١٩) الباكورة السليمانية: ص ٧٢-٧٤.

(٢٢٠) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي: ص ٧٥-٧٦.

بالمخلص، الذي هو عليٌّ في النصيرية، والمسيح في النصرانية. من جانب آخر فإن النصيرية توافق النصرانية في أن عيسى فدى البشرية بنفسه بطبيعته الناسوتية دون طبيعته اللاهوتية، كما يفيد النص التصريح بألوهية المسيح ﷺ، فجاء في كتاب الأسوس: ((قال السائل: رأيت المسيح كان مختاراً ومضطراً حين قتل؟ فإن قلت أيها العالم كان مضطراً، فقد قلت إنه مقتول ومخلوق. وإن قلت أنه كان مختاراً فقاتله معذور. قال العالم: كان الحق الحقيقي مضطراً؛ لا لموضع أنه مخلوق؛ ولكنه أوجب على نفسه الاضطرار.. قال السائل: فما هذه الحجة التي تؤدي إلى الاختيار والاضطرار؟ قال العالم: امتحان وتشبيه ومكر يؤدي أنه يمكن من نفسه، وينظر فيطيعون أم يعصون. قال السائل: والمسيح الحق الحقيقي، ذو العلم والقدرة، لم يكن يعلم، أطيعون أم يعصون حتى يمتحنهم؟ قال العالم: إن المسيح الحق الحقيقي القدير العليم، لو فعل ذلك لنفسه لكان غنياً عن ذلك. وهو الغني عن الثواب والعقاب لنفسه؛ لأنه لا يحتاج إليهما. ولو عذبهم على ذلك من قبل أن يختاروه ويفعلوا ما فعلوه، كان ظالماً؛ لأنهم لم يفعلوا شيئاً. وإنما كان اختيارهم بامتحان؛ ليعلم أنهم فعلوا ما يوجب الحجة عليهم))^(٢٢١).

وعقيدة الفداء والخلاص النصرانية التي تأثر بها النصيرية هي أيضاً من العقائد الوثنية التي تقوم على فكرة تقديم قربان بشري إلى الآلهة، شكراً لها، وجلباً للغفران من الذنوب^(٢٢٢). وهذه العقيدة من الخرافات التي أقرت في عهد قسطنطين بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وكان مما أقر فيه أن المسيح - من أجل تخليص البشر من

(٢٢١) كتاب الأسوس: ص ١٤٩-١٥٠.

(٢٢٢) ينظر أسطورة التجسد في المسيحية، دانييل إ. باسوك: ص ٥٠، ونظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون:

خطاياهم - نزل، وتأنس، وتألّم، وقام من قبره في اليوم الثالث وصعد إلى السماء^(٢٢٣).

ومن التناقض في هذه العقيدة أن النصراني يصرحون بأن المسيح مات على الصليب، وأن الله يبعثه من الأموات^(٢٢٤). كما مر معنا قول بولس: ((إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت))^(٢٢٥). فكيف يموت الإله، ويحتاج إلى من يبعث فيه الحياة؟ هذا بين فساده لكل عاقل، وهذا يدل على أن المسيح عليه السلام بشر، وأنه لم يمت على الصليب كما زعمت النصراني، بل رفعه الله إليه، كما قال جل وعلا: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ^(١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(١٥٨) ﴾ [النساء: ١٥٧- ١٥٨].

أيضاً فإن الله جل وعلا ليس في حاجة إلى ذبح أحد من أنبيائه وإهانتته وإجباره أن يدفع ثمن ذنوب البشر جميعاً في سبيل أن تحصل لهم التوبة وغفران الذنوب، فالله لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا نُزِرْ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ^(٣٧) أَلَّا نُزِرْ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَىٰ ^(٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ^(٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ^(٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ^(٤١) ﴾ [النجم: ٣٦- ٤١]. ثم إن الله تعالى قد غفر لآدم عليه السلام معصيته، فقال سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ

(٢٢٣) ينظر تاريخ الفكر المسيحي، حنا الحضري: ١/٦٣١.

(٢٢٤) ينظر المصدر السابق: ١/٣٤٧-٣٦٢.

(٢٢٥) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح العاشر: ٩.

عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: ٣٧﴾، وقال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾﴾ طه: ١٢١-١٢٢. فكيف يؤاخذ العباد بذنب قد غُفِرَ.

الخاتمة

مما سبق ذكره يتضح تأثير النصرانية تأثيراً بيناً في عقائد النصيرية؛ في اعتقادهم في الألوهية، وما يتعلق بها. ولقد فطن علماء المسلمين - في زمنهم - إلى تأثير النصرانية في النصيرية؛ ومن ذلك ما قاله الذهبي^(٢٢٦) وابن حجر^(٢٢٧) رحمهما الله بأن ((الذين يقولون علياً هو الله: من وصل إلى هذا فهو كافر لعين من أخوان النصارى وهذه هي نخلة النصيرية))^(٢٢٨).

وكذا قال قبلهما: شيخ الربوة^(٢٢٩) بعد أن ذكر معتقدات النصيرية: ((وهذا ما أخذوه من النصارى))^(٢٣٠)، ومن الملفت للنظر أن استشهادهم بنصوص الإنجيل يتكرر في أكثر كتبهم في العقيدة^(٢٣١).

(٢٢٦) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، الحافظ الذهبي، (٦٧٣-٥٧٤هـ) ارتحل في طلب العلم وسمع من الكثير، في علم الحديث ورجاله، ومعرفة علله، ومن المبرزين في التراجم وتواريخ الناس. ينظر شذرات الذهب: ١٥٣/٦.

(٢٢٧) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، المعروف بابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) حبب الله إليه طلب الحديث وارتحل في طلبه، ومن أهم شيوخه: العراقي، وابن الملتن، وسمع من البلقيني والهيتمي وغيرهم. مؤلفاته كثيرة وفريدة من أهمها: فتح الباري. ينظر شذرات الذهب: ٢٧٠/٧.

(٢٢٨) ميزان الاعتدال، للذهبي: ٣٤٩/١، ولسان الميزان لابن حجر: ٧١/٢، في ترجمة "إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان أبو يعقوب النخعي الأحمر".

(٢٢٩) محمد بن أبي طالب الانصاري (٦٥٤-٧٢٧هـ). ولد في دمشق، وولي مشيخة الربوة (من ضواحيها) وتوفي في صفد. كان ذكياً فطناً، حلو الحديث، متقشفاً صبوراً على الفقر والوحدة، كثير الآلام والأوجاع، ينظم الشعر ويصنف في كل علم، سواء عرفه أم لم يعرفه، لفرط ذكائه. ينظر الأعلام للزركلي: ١٧٠/٦.

(٢٣٠) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لشمس الدين الأنصاري المعروف بشيخ الربوة: ص ٢٠٤.

بل إن القول بأن تأثير النصرانية في النصيرية كان منذ نشأتها ليس ببعيد، ففي فترة نشأة الفرق الباطنية ومنها النصيرية دخلت طوائف من النصارى في الإسلام لا حباً فيه بل لإفساده وهدمه؛ لم يخف أمرهم وحقيقتهم على خلفاء بني العباس رحمهم الله؛ فأعملوا فيهم السيف، قتلوا من قتلوا، وصلبوا من صلبوا منهم، قال الجاحظ^(٢٣٢): ((ألا ترى أن أكثر من قتل في الزندقة ممن كان يتحل الإسلام ويظهره، هم الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى، على أنك لو عدت اليوم أهل الظنة ومواضع التهمة؛ لم تجد أكثرهم إلا كذلك))^(٢٣٣). ويؤكد هذا الأمر المستشرق آدم متر^(٢٣٤) فيقول: ((كانت المذاهب النصرانية هي الأصل التي أتت منه جميع الآراء الأخرى التي جاء بها زنادقة ذلك العصر))^(٢٣٥).

وفي الختام أذكر أهم نتائج البحث، وهي:

أولاً: تعتقد النصيرية بألوهية علي عليه السلام، كما تعتقد النصرانية بألوهية المسيح عليه السلام.

ثانياً: تعتقد النصيرية بأن لعلي عليه السلام طبيعتين: طبيعة إلهية يسمونها اللاهوتية،

وطبيعة بشرية يسمونها الناسوتية، وهذا مثل اعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام.

(٢٣١) ينظر مدخل إلى المذهب العلوي النصيري، جعفر الكنج: ص ٢٣.

(٢٣٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكنايني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ)، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، ومن الأدباء المبرزين. مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلق. ومات والكتاب على صدره، قتله مجلدات من الكتب وقعت عليه. ينظر الأعلام للزركلي: ٧٤/٥.

(٢٣٣) الرد على النصارى ضمن رسائل الجاحظ: ٣/٣١٥-٣١٦.

(٢٣٤) آدم متر: مستشرق سويسري ألماني كان أستاذا للغات الشرقية في جامعة بال بسويسرة، توفي سنة (١٣٣٥هـ). ينظر الأعلام للزركلي: ٢٨١/١.

(٢٣٥) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متر: ٦٥/٢.

ثالثاً: تعتقد النصرانية أن علياً ﷺ تجسد في صورة بشرية، وكذلك تعتقد النصرانية في المسيح ﷺ أنه تجسد في صورة بشرية.

رابعاً: يعتقد النصيريون بالتثليث؛ حيث يؤلهون علياً ومحمداً □ وسلمان، والنصارى مثلثة أيضاً، إذ يؤلهون الآب والابن وروح القدس.

خامساً: يعتقد النصيريون بـ"المعنى" ويؤلهونه ويقصدون به علياً ﷺ، ويقابله اعتقاد النصارى في المسيح أنه "الكلمة" ويؤلهونها ويقصدون بها المسيح ﷺ.

سادساً: تتفق الطائفتان في الاعتقاد بالمخلص، الذي يفندي بنفسه أتباعه، وهو في النصرانية: علي بن أبي طالب، وفي النصرانية: المسيح عليه السلام.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

المصادر النصيرية

- [١] الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية، سليمان أفندي الأذني، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- [٢] تاريخ العلويين، محمد أمين غالب الطويل، دار الأندلس، بيروت.
- [٣] تزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس، للمكزون السنجاري النصيري، نشرها أسعد أحمد علي ملحقة بكتاب: "معرفة الله والمكزون السنجاري" الجزء الثاني.
- [٤] تنزيه الذات عن الأسماء والصفات، محمد الكلازي الأنطاكي، نشر مقتطفات منها أبو الهيثم في كتابه الإسلام في مواجهة الباطنية.

- [٥] ديوان المكزون السنجاري (ضمن: معرفة الله والمكزون السنجاري، أسعد أحمد علي، الجزء الثاني).
- [٦] رفع الشبهات عن عقائد العلويين، المحامي محمد أحمد علي، دار الفرقد، دمشق، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م.
- [٧] شرح ديوان المنتجب العاني، إبراهيم بن عبداللطيف عبدالرحمن إبراهيم مرهج، "مخطوط" في جامعة الملك سعود، رقم ٢٩٥٥ (٤.٨١١ / ش.م).
- [٨] عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين العلويين، عبدالرحمن الخير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
- [٩] العلويون في تركيا، يوسف الجهماني، دار الكنوز الأدبية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- [١٠] العلويون والتشيع، علي عزيز الإبراهيم، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- [١١] كتاب الصراط، للمفضل بن عمر الجعفي، تحقيق: المنصف بن عبدالجليل، المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م^(٢٣٦).
- [١٢] كتاب الأسوس، من كتب النصيرية المقدسة، نشره جعفر الكنج ضمن كتابه "مدخل إلى المذهب العلوي النصيري": ص ٧٣-١٥٦^(٢٣٧).

(٢٣٦) ذكر المكزون السنجاري "كتاب الصراط" في كتابه "تركبة النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس": ص ٢٧٢، ونقل عنه مستشهداً به. وكتاب الصراط فشبهه إجماع أنه يعد من كتب النصيرية، وينظر في ذلك إلى مقدمة محقق كتاب الصراط، للدكتور المنصف بن عبدالجليل، حيث يقول في ص ٨: ((أجمع أهل الاختصاص على أن هذا الكتاب أصل نصيري)).

(٢٣٧) جاء في كتاب الأسوس (ص ٧٣) سبب تسميته بهذا الاسم: لأنه أساس الحكمة، وأساس كل شيء، كما أنهم في ص ٧٥ ينسبون ما فيه من حكم إلى نبي الله سليمان الحكيم. والعالم الذي ورد في كتاب الأسوس هو المفضل بن عمر الجعفي، كما ذكر د. عبدالرحمن بدوي (مذاهب الإسلاميين: ٤٢٧/٢) ونسب

- [١٣] كتاب تعليم ديانة النصرانية، مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس، برقم ٦١٨٢، نشر قسماً منه د. عبدالرحمن بدوي في كتابه "مذاهب الإسلاميين".
- [١٤] المجموع، ويُعرف بكتاب: "سبيل راحة الأرواح ودليل السرور والأفراح إلى فالق الإصباح"، تأليف أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني، وقد اعتمدت على النشرة العربية لهذا المجموع التي ضمنها المستشرق "رينيه دوسو" [Irene dussaud] في كتابه: تاريخ العقيدة النصرانية [histoire et religion des nosairis]، ص ١٨١ - ١٩٨، نشر مكتبة إميل بوليون [librairie emile bouillon, editeur]، باريس ١٩٠٠م، [paris/1900] كما أن الحسيني عبدالله ألحق كتاب المجموع بآخر كتابه "الجزور التاريخية للنصرانية العلوية" ص ١٤٥ - ١٧٤.
- [١٥] المحمدية لمن يروم التفقه والتقوية، لمحمد بن يونس الكلازي الأنطاكي، نشر مقتطفات منها أبو الهيثم في كتابه الإسلام في مواجهة الباطنية.
- [١٦] مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، المحافظ رجب البرسي، دار الأندلس، بيروت (٢٣٨).

الكتاب إليه، كما نسب الكتاب إلى المفضل الجعفي د. المنصف بن عبدالجليل (ينظر مقدمة تحقيقه لكتاب الصراط للمفضل الجعفي: ص ٢٦)، وقد نقل المكزون السنجاري في كتابه "تزيكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس": ص ٢٩٧، قول للعالم أحد المتحاورين في كتاب "الأسوس".

(٢٣٨) هذا الكتاب وإن كان محسوباً على الاثني عشرية؛ إلا أن فيه من الغلو والتصريح بألوهية علي ما جعله مرجعاً لفرق العلي إلهية قاطبة، وفي مقدمتها: النصرانية. قال عباس العزاوي عن خطبة البيان ومثلها خطبة الافتخار وخطبة التنجنية: ((شاعت هذه الخطبة من طريق الغلاة من نصرانية، وخطابية، وشلمغانية، وأمثالهم، وهي من موضوعاتهم، وعليها شروح عديدة)) الكاكاوية: ص ٥٢. وقال أيضاً: ((ذاعت من طريق الغلاة، كما ذاع خبر معرفة الأئمة بالنورانية، وخبر بيان مقامات المعرفة للقائلين بألوهية الإمام علي وأولاده)) الكاكاوية: ص ٥٢-٥٣. والمحافظ البرسي هذا يعده عباس العزاوي رحمه الله من أتباع الفرق الباطنية العلي إلهية. وهو كما قال إذ إن كتاب البرسي: مشارق أنوار اليقين يصرح بألوهية علي وروبوته. ينظر الكاكاوية: ص ١٠٢. ((فمن مظاهر الغلو رجوعهم (أي النصرانية) واهتمامهم جداً بكتاب مشارق أنوار اليقين في ولاية أمير المؤمنين

[١٧] معرفة الله والمكزون السنجاري، أسعد أحمد علي، دار السؤال، دمشق - اللاذقية، ج ١: الطبعة الثالثة: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج ٢: الطبعة الخامسة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[١٨] النبأ اليقين عن العلويين، تأليف الشيخ محمود الصالح، دار المرساة، اللاذقية، ١٩٩٧م.

[١٩] الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، رواه المفضل بن عمر الجعفي، تحقيق وتقديم: د.مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية^(٢٣٩).

[٢٠] هل العلويون شيعة؟ هاشم عثمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

بقية مصادر البحث

للمحافظ رجب البرسي، وهو كتاب مشحون بالروايات الضعيفة، بل الموضوعة التي مضمونها يؤدي إلى الغلو والارتفاع. ومن شواهد ذلك اهتمامهم وطباعتهم (أي النصيرية) لخطبة البيان المنسوبة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، والتي حكم عليها المجلسي - وهو من كبار محدثي الشيعة الإمامية - بأنها موضوعة، والتي فيها الغلو الصريح، وأن علياً وقف بمنبر البصرة يقول: "أنا الأول والآخر... أنا الظاهر والباطن... أنا الذي أخرجت إبراهيم من النار.. أنا الذي فلقته البحر لموسى.. أنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت... الخ). الفرق والمذاهب الإسلامية، سعد رستم: ص ٢٧١.

(٢٣٩) هذا الكتاب من الكتب التي تواترت قدسيته عند النصيرية والإسماعيلية معاً، ومضمون الكتاب لا يمت إلى التعاليم الإسماعيلية بصلة، فهو يعدّ بكل وضوح في تراث النصيرية، بل ومن الكتب المعتمدة في المذهب النصيري. وقد نقل عنه الخصبي النصيري صاحب كتاب "الهداية الكبرى" ونقل عنه مؤلف "الباكورة السليمانية" في مواضع عدة لا تحصى من كتابيهما فينظرا، كما ينظر الغنوصية في الإسلام: ص ١٦٩-١٧٠، ومقدمة محقق كتاب الصراط، للدكتور المنصف بن عبد الجليل: ص ٢١.

- [٢١] الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- [٢٢] استدلال الشيعة بالسنة النبوية في ميزان النقد العلمي / د. عبدالرحمن دمشقية، رسالة دكتوراة موجودة على النت.
- [٢٣] الإسلام في البلقان: الدين والمجتمع بين أوروبا والعالم العربي، ه.ت. نوريس، ترجمة: عبدالوهاب علوب، مراجعة: محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- [٢٤] الإسلام في مواجهة الباطنية، المجاهد الكبير: أبو الهيثم، جدة، الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- [٢٥] الإصلاح والتعديل لما وقع في اسم اليهود والنصارى من التبديل، للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود (ضمن مجموعة رسائله)، العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- [٢٦] الأصول الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون وآخرون، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- [٢٧] الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢ م.
- [٢٨] الأعياد وأثرها على المسلمين، د. سليمان بن سالم السحيمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- [٢٩] الله واحد أم ثلاث، محمد مجدي مرجان (قبطي أسلم)، دار النهضة العربية، القاهرة.

- [٣٠] الأبناء الحفوية عن الشيعة العلوية، يوسف خليل محمد، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- [٣١] الإنجيل والصليب، دافيد بنجامين الكلداني (أسلم وتسمى بـ "عبدالأحد داود"). لا توجد بيانات نشر.
- [٣٢] البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي، تحقيق: د. بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- [٣٣] بولس وتحرير المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- [٣٤] تاريخ ابن خلدون المسمى "ديوان المبتدأ والخبر" عبدالرحمن بن خلدون، ضبط الأستاذ خليل شحادة، راجعه: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- [٣٥] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى: ٢٠٠٣ م.
- [٣٦] تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، دار الجليل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- [٣٧] تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

- [٣٨] تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا الخضري، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- [٣٩] تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ترجمة: عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- [٤٠] تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطيب المملطي المعروف بابن العبري، وقف على طبعه: الأب انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٠هـ.
- [٤١] التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفرائيني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- [٤٢] التشيع نشأته ومراحل تكوينه، أ.د. أحمد بن سعد حمدان الغامدي (ت ١٤٣٤هـ)، دار الدراسات العلمية/ دار ابن رجب، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- [٤٣] التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت: ١٩٨٥م.
- [٤٤] تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، علي بن محمد بن عبدالله الفخري، تحقيق وتقديم: د. رشيد البندر، دار الحكمة، لندن، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- [٤٥] تنمية الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- [٤٦] ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، يوسف رياض (نصراني)، نشر المؤلف الطبعة الخامسة: ١٩٩٧م.
- [٤٧] الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، إعداد وتعليق: الحسيني عبدالله، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠هـ.

- [٤٨] *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د.علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى، ١٤١٤هـ.
- [٤٩] *الحركات الباطنية في الإسلام*، د.مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- [٥٠] *دائرة المعارف الإسلامية*، أصدرها مجموعة من المستشرقين، ترجمة وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، دار المعرفة، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى: ١٩٣٣م. الطبعة الثانية ١٩٦٩م: مؤسسة دار الشعب، القاهرة.
- [٥١] *الداء والدواء*، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرّج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- [٥٢] *دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية*، أ.د. عبدالقادر بن محمد عطا صوفي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- [٥٣] *الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية*، د.عبدالشكور بن محمد أمان العروسي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- [٥٤] *ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة للسنة*، عبدالله بن أسعد اليافعي، تحقيق: د.موسى بن سليمان الدويش، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.
- [٥٥] *رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها*، كارستن نيبور، ترجمة: عبيد المنذر، الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م.
- [٥٦] *رسالة التثليث والتوحيد*، يسي منصور، الإسكندرية، الطبعة الثانية: ١٩٦٣هـ.

- [٥٧] الرسالة الدامغة للفاسق الرد على النصيري لعنه المولى في كل كور ودور، حمزة بن علي بن أحمد الدرزي، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، رقم (٢٤٦٩) بواسطة الشبكة العنكبوتية.
- [٥٨] سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- [٥٩] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد، ابن العماد الحنبلي. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.
- [٦٠] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- [٦١] صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: ديوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- [٦٢] طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، د.سليمان الحلبي، المطبعة السلفية، القاهرة.
- [٦٣] طريق المهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: رائد بن أحمد النشيري، عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.
- [٦٤] العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر الهجري، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- [٦٥] العلويون النصيريون بحث في العقيدة والتاريخ، أبو موسى الحريري، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٤م^(٢٤٠).
- [٦٦] الغنوصية في الإسلام، هاينس هالم، ترجمة: رائد الباش، مراجعة: د.سالمه صالح، منشورات الجمل، كولونيا - ألمانيا، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.
- [٦٧] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- [٦٨] فرق الشيعة، الحسن بن موسى النونجتي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- [٦٩] الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، حقق أصوله: محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.
- [٧٠] الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م.
- [٧١] الفرقة الهامشية في الإسلام، المنصف بن عبد الجليل، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م.
- [٧٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم (٤٥٦هـ)، تحقيق: د.محمد إبراهيم نصر - د. عبدالرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢٤٠) ذكر علي عزير إبراهيم في كتابه "العلويون والتشيع" ص ٥٥-٥٦، أن أبا موسى الحريري ليس إلا "الأب بطرس قزي"، فإن كان كذلك فإن هذا يجب أن يعطي هذا الكتاب مصداقية أكثر عند النصيريين؛ لأن مؤلفه من أقرب الناس عقيدة لهم، وليس من تأليف أعدائهم أهل السنة، والله أعلم.

- [٧٣] *فوات الوفيات والذيل عليها*، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: ١٩٧٣م.
- [٧٤] *قاموس الكتاب المقدس*، تأليف: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: بطرس عبد الملك وآخرون، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الحادية عشر: ١٩٩٧م.
- [٧٥] *الكتاب المقدس*، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٧م.
- [٧٦] *كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ ومعه بيان الفرق الضالة*، ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- [٧٧] *لسان الميزان*، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
- [٧٨] *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*، جعفر الكنج الدندشي، نشر المؤلف، سنة ٢٠٠٠م.
- [٧٩] *مذاهب الإسلاميين*، د.عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٧٣م.
- [٨٠] *المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك*، عماد الدين يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، دراسة وتحقيق: د.إبراهيم يحيى محمد قيس، الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- [٨١] *المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها*، د.عبدالمنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

[٨٢] المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم، ترجمة: سعد رستم، والكتاب عبارة عن ترجمة للفصل الأول الموسم بـ"أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم"، وللـفصل الثاني الموسم بـ"أسطورة التجسد في المسيحية" من كتاب "التجسد في الهندوسية والمسيحية: أسطورة الإله الإنسان"، دانييل.إ.باسوك، نشر دار الأوتل، دمشق، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.

[٨٣] معجم الإيمان المسيحي، الأب: صبحي حموي اليسوعي، والأب جان كوربون، دار المشرق، بيروت، بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.

[٨٤] معجم الفلاسفة، جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٩٧م.

[٨٥] معجم المناهي اللفظية. د.بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٧هـ - ١٤١٦هـ.

[٨٦] مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: هلموت ريتز، نشر: فرانز شتاينر بفيسبادن. الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

[٨٧] المقالات والفرق، سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمي، صححه وقدم له وعلق عليه: د.محمد جواد مشكور، مركز انتشارات علمي، الطبعة الثانية: ١٣٦٠هـ.ش.

[٨٨] الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- [٨٩] موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ترجمه عن الفرنسية: حافظ الجمالي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩١م.
- [٩٠] الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة باحثين، دار الجيل، بيروت - الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية المُحدّثة، ٢٠٠١م.
- [٩١] موسوعة الفلسفة، د.عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م.
- [٩٢] موسوعة المستشرقين، د.عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٩٣م.
- [٩٣] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية، الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ.
- [٩٤] نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، محمد أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة، عناية المستشرق الدنمركي: أوغست فرديناند ميرن، طبع في مطبعة الأكادسة الإمبراطورية في مدينة بطرسبورغ، سنة ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م.
- [٩٥] النصيرية، د.سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- [٩٦] نظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون، ترجمة المهندس: مناف حسين الياسري، شركة التوحيد للنشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- [٩٧] ولاية بيروت في العهد العثماني، محمد رفيق التميمي، ومحمد بهجت، بيروت: ١٩١٧م.

Christian impact on the doctrine of divinity and related doctrines of the Nusayris

Dr. Saeed Muhammad Hussain Malwi

Associate Prof. in the Department of Aqeedah (Islamic faith)
Faculty of Dawah (Islamic Call) and Theology
Islamic University of Almadinah
Postal Code: 41442, P.O. Box 6393 Almadinah
smmalwi@gmail.com

Abstract. This research deals with stating the influence distorted Christianity had on the Nusayri sect in most of their beliefs, including the doctrine of divinity, and that this influence has remained with the Nusayri sect right from the early times of its inception. This influence or vulnerability is clearly illustrated in various aspects of the Nusayri faith, including: their belief in the divinity of "Ali bin Abi Talib," may Allah be pleased with him, the ascription of Godhead to him, the belief that he has dual natures: the divine nature where he assumes the position of divinity, and the human nature where he mingled with the people. They also believe in Immanentism and Incarnation, Trinity in form of the belief in the Divinity and Godhead of "Ali bin Abi Talib", "Muhammad, (blessings and peace of Allah be on him)" and "Salman the Persian," and the doctrine of redemption and salvation. All these are the core beliefs of Christians about Christ, peace be upon him.

Moreover, the research aims to show the impact of the Christian beliefs on the Nusayri sect, state the invalidity of the belief of the Nusayris and its violation of Islam, and to state that the Islamic religion is innocent of the corrupt beliefs which are being attributed to it.

The researcher has concluded that the Nusayris in most of their beliefs are not far from the distorted Christian religion, and that this impact has existed up to our age.

أحاديث العين جمعاً ودراسة

د. انتصار بنت ابراهيم العمر

أستاذ الحديث المساعد في قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الدمام

ملخص البحث. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .. لما كانت الإصابة بالعين سبب للمرض والضرر فقد أصبح هاجساً عند كثير من الناس، مما اضطر بعضهم إلى اتخاذ وسائل تحول دون إصابتهم بهذا الداء، والتي لا تخلو في كثير من حالاتها من محذورات شرعية، ووسائل شركية، وساهم في ذلك انتشار بعض الأحاديث في العين التي عظمت تأثيرها وهي لا تخلو من ضعف أو وضع، فكان دراستها على ضوء الشرع، وتحقيق أسانيدها، وبيان المقبول منها والمردود أمر لازم، وهذا ما اشتغلت عليه في بحث أسميته " أحاديث العين جمعاً ودراسة "، مع بيان ما صح في كيفية دفعها، وعلاجها.

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ، فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٧٠، ٧١

أما بعد....

فإن الله سبحانه وتعالى خلق في الأجسام أرواح وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام؛ فإنه أمر مشاهد وإن اختلف الناس فيها بين إفراط وتفريط، وهذا ما سماه رسول الله ﷺ بالعين.

ولما كانت الإصابة بالعين سبباً للمرض والضرر فقد أصبح هاجساً عند كثير من الناس، مما اضطر بعضهم إلى اتخاذ وسائل تحول دون إصابتهم بهذا الداء، والتي لا تخلو في كثير من حالاتها من محذورات شرعية، ووسائل شركية، وساهم في ذلك انتشار بعض الأحاديث في العين التي عظمت تأثيرها وهي لا تخلو من ضعف أو وضع، فكان دراستها على ضوء الشرع وتحقيق أسانيدها وبيان المقبول منها والمردود أمر لازم، وهذا ما اشتغلت عليه في بحث أسميته "أحاديث العين جمعاً ودراسة".

مشكلة البحث

إن الوسوسة والخوف الشديد من العين نتيجة الإغراق في الشكوك والأوهام والظنون المبني على أحاديث واهية، وأخبار ضعيفة، يؤثر على سلوكيات الانسان، وتضعف قدرته على التعامل مع الواقع ومع من حوله، وتُصرفه عن المنهج السوي في التحصن منها، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة التصدي لبيان حال تلك الروايات ودراستها، ويمكن بلورة مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

هل كل ما ورد من أحاديث في العين ثابت ومقبول؟.

ما السبيل الصحيح لدفع العين والوقاية منها؟.

ما العلاج الشرعي في حال الإصابة بالعين؟.

وقسمت الدراسة فيه إلى مقدمة تمهيدية وفصلين:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث ومنهجه.

الفصل الأول: معنى العين والأقوال فيها.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى العين.

المبحث الثاني: الفرق بين العين والحسد.

المبحث الثالث: الأقوال في العين.

الفصل الثاني: أحاديث العين.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في ثبوت العين.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في التعوذ من العين.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في الرقية من العين.

المبحث الرابع : الأحاديث الواردة في الاغتسال من العين.

المبحث الخامس : الأحاديث الواردة في قوة تأثير العين.

المبحث السادس : فقه أحاديث علاج العين.

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث.

منهج البحث

وقد اتبعت في دراسة الفصول وترتيب الأحاديث وتخريجها المنهج التالي :

- جمع ما أجده مفيدا في بابه وموضحا للفكرة من الأحاديث ، والآثار ،
وأقوال العلماء دون إثقال بعدا عن الإطالة.

- قسمت الأحاديث على حسب موضوع كل حديث وأدرجته تحت عنوان

الفصل المناسب له.

- وضعت قبل كل حديث رقمين : الأول منها رقم الحديث في البحث ،

والثاني رقم الحديث في كل فصل.

- أسوق الحديث من أصح المصادر التي ورد فيها.

- أرتب مصادر التخريج حسب تقدم وفيات أصحابها ، وإذا وجدت

صاحب مصدر قد روى الحديث عن صاحب أحد المصنفات قبله أو من طريقه ذكرته
عقبه.

- إذا وجدت اختلافا في سند الحديث أو متنه فإني أدرسه دراسة مفصلة.

- أقسم تخريج الحديث المختلف فيه بحسب أوجه الاختلاف كل وجه على

حده.

- أدرس الاختلاف في الحديث ، وأبين الوجه الراجح وقرائن ترجيحه ،

وأنقل ما أجده من أقوال أهل العلم والعلماء.

- أترجم لكل راو بما يبين حاله بترجمة مختصرة بما يناسب طبيعة هذه الأبحاث.

- في دراسة رواية الإسناد أبدأ من المدار فمن فوقه، إلا إذا كان هناك حاجة لدراسة من دونه؛ كأن يختلفوا عليه مثلاً.

- شرح الألفاظ الغريبة من كتب الغريب، أو من معاجم اللغة المختلفة.

الدراسات السابقة المتصلة بالموضوع

بعد استقراء لكثير مما ألف في العين ونشر لم أقف - حسب علمي - على مؤلف جامع لأحاديث العين من أهم كتب السنة ودراستها وتحليلها، وجُل ما كتب كان عن الرقية المشروعة والأذكار المأثورة في الوقاية أو العلاج منها، فتاقت نفسي إلى الكتابة فيه.

أهداف البحث

- ١ - التحقيق في معنى العين وموقف الشارع منها.
 - ٢ - استقراء أحاديث العين، ودراستها دراسة حديثيه موضوعية.
 - ٣ - تمييز الثابت من غيره من الأحاديث الواردة في العين.
 - ٤ - بيان طرق الوقاية والعلاج منها.
- وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد مقبولاً عنده وأن يبارك فيه.

الفصل الأول: معنى العين والأقوال فيها

المبحث الأول: معنى العين

العَيْنُ في اللغة: العين والياء والنون أصل واحد صحيح، يدل على عضو يُبصر به ويُنظر، ثم يشتق منه. قال الخليل: العين الناضرة لكل ذي بصر. والعين تجمع على

أَعْيُنٌ وَعْيُونٌ وَأَعْيَانٌ، ويقال: عِنْتُ الرجل إذا أصبته بعينه، فأنا أَعْيُنُهُ، وهو معيون.^(١)

والعَيْنُ: أن تصيب الإنسان بعين، وعان الرجل يعينه عَيْناً، فهو عَائِنٌ، والمصاب مَعِينٌ، والمعيون الذي فيه عَيْنٌ.^(٢)

يقال: أصابت فلاناً عَيْنٌ إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها.^(٣)

والعين عند ابن القيم: هي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، وأصله من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين، وقد يعين الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه، وهذا أَرْدَى ما يكون من النوع الإنساني.^(٤)

وعرفها ابن حجر بقوله: " العين: نظر باستحسان مشوب بحسد، من خبيث الطبع تحصل للمنظور منه ضرر".^(٥)

وعرفها ابن خلدون بأنها: "تأثير نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات، أو الأحوال ويفرط في استحسانه، وينشأ عن ذلك حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك عمن اتصف به".^(٦)

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (١٩٩/٤).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣٥٧/١٠).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس لمحّب الدين الزبيدي (٤٤٣/٣٥).

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١٦٦/٤-١٦٧).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٢٤٥/١٠).

(٦) مقدمة ابن خلدون (٢٢٩/١).

وعرفتها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بقولها: "العين مأخوذة من عان يعين إذا أصاب بعينه، وأصلها من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرها إلى المعين".^(٧)

كما إن للعين مسمى آخر وهو: النَّفْس، والنَّافِس: العائن، والمنفوس: المعيون، يقال: أصابت فلاناً نفساً، ونفستك بنفس، إذا أصبته بعين.^(٨)
ويقال: رجل نفوس: إذا كان يصيب الناس بعينه.^(٩)
وهو المنتشر في البلاد النجدية، كما جاء استخدامه في بعض الأحاديث.^(١٠)

المبحث الثاني: الفرق بين العين والحسد

والعائن والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء، فيشتركان في أن كل واحد منها تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من يريد أذاه.
فالعائن: تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته.
والحاسد: يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً.
وفيفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده، من جماد أو حيوان أو زرع أو مال وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه.^(١١)

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (١٨٦/١) رقم (٦٣٨٧).

(٨) لسان العرب (٢٣٥/١٤).

(٩) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧٠/١٤).

(١٠) كما جاء عند مسلم في الرقية: "باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك"، سيأتي (ص ٣٣).

(١١) بدائع الفوائد لابن القيم (٧٥٢/٢).

والحسد مرض قلبي يخالف العين التي تصيب الشخص بما ينبعث منها من حرارة وإعجاب واستحسان بما تراه، وقد يصاحبها المرض القلبي أي الحسد وهو تمنّي زوال نعمة الغير وقد لا يصاحبها.

ويؤكد هذا التباين بين الحسد والعين هو أن علماء الحديث كالبخاري مثلاً يضعون الحسد في كتاب الأدب، ويضعون العين في كتاب الطب، وفرق بين الأدب وموضوعاته وبين الطب وأمراضه.

ولشدة ارتباطها بالعين نسب إليها الفعل، وليست هي الفاعلة، بل إن نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون العائن أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثرون في المعين بالوصف من غير رؤية.^(١٢)

المبحث الثالث: الأقوال في العين

تعددت الأقوال في حقيقة العين إلى عدة أقوال:

- أبطلت طائفة أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها.
- وقالت طائفة: إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعثت من عينه قوة سمية تتصل بالمعين، فيتضرر. كما تنبعث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان، فيهلك، فكذلك العائن.
- وقالت فرقة أخرى: لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية، فتتصل بالمعين، وتتخلل مسام جسمه، فيحصل له الضرر.
- وقالت فرقة أخرى: قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوة ولا سبب ولا تأثير أصلاً، وهذا مذهب منكري الأسباب والقوى والتأثيرات.

(١٢) ينظر: زاد المعاد (٤/١٦٦-١٦٧).

والحق أن الله سبحانه وتعالى جعل أحوال الأرواح وتأثيراتها، وتحريكها الأجسام وانفعالها عنه، كل ذلك بتقديره سبحانه خالق الأسباب والمسببات، بل إن هذا الهيكل الإنساني إذا فارقت الروح يصير بمنزلة الخشبة أو قطعة اللحم، وهذا أمر مشاهد محسوس، فترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يستحي منه، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فإن النفس الحبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود، فتؤثر فيه بتلك الخاصية، وهو أصل الإصابة بالعين.^(١٣)

ولخص القاضي عياض مذهب أهل السنة في هذا فقال: "وهكذا مذهب أهل السنة: أن المعيون إنما يفسد ويهلك عند نظر العائن بعادة أجزاها الله سبحانه أن يخلق الضرر عند مقابلة شخص لشخص آخر"^(١٤).

وقد تعددت التفسيرات العلمية المعاصرة في تحليل كيفية تأثير العين؛ كوجود طاقة كهربائية وراء كل حاسة من حواسنا الخمس تؤثر بعمق خطير على هيئة إشعاعات حارة تنفذ كأشعة الشمس في الأجسام المقابلة، وقد سنَّ رسول الله ﷺ للمعيون أن يغتسل بغسالة العائن ليبطل عمل الإشعاعات في جسد المصاب ويرجع التوازن المفقود إلى الجسم.

وهناك من أثبت قوة تأثير العين بإرسال ما يعرف بـ "النظرة المغناطيسية" وهي التعبير عن مطلب روحي قوي عن طريق العينين.

(١٣) ينظر: زاد المعاد (١٦٥/٤)، بدائع الفوائد (٧٥١-٧٤٩/٢).

(١٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨٢/٧).

وهناك من أثبت أن لكل أنسان موجة "ذبذبة" خاصة لا تشبه أي إنسان آخر كالبصمة تماماً في تميزها، وكل ما ينفصل عن الإنسان من شعر أو ظفر أو ريق أو عرق أو دم يحمل معه هذه الموجة الخاصة، ولا يبطل هذه الموجة إلا إتلافها لأنه يقطع تلك الذبذبة حتى لا يستفيد منها السحرة.^(١٥)

وحيث إن تأثير العين لا يخضع للإجراءات العملية التجريبية الحسية ؛ لأنه لا يقع تحت قدرة حواس الإنسان، فينبغي عدم الجزم بأي من هذه التفسيرات، وعدم الخوض في أمر غيبي بلا دليل شرعي أو حسي، فلم يرد نص يصف هذه الكيفية. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٧^(١٦).

الفصل الثاني: أحاديث العين

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في ثبوت العين

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العين حق. ونهى عن الوشم"^(١٧)

وأخرجه البخاري في كتاب الطب باب العين حق، (١٠/٢٤٩)، ح (٥٧٤٠) واللفظ له، وأحمد في مسنده (٣١٩/٢).

وأخرجه مسلم في السلام باب الطب والمرض والرقى (١٤/١٧٠) بدون قوله "ونهى عن الوشم"، ومثله أبو داود في كتاب الطب باب ما جاء في العين

(١٥) للإستزادة: انظر كتاب علم الموجة الذاتية للدكتور خليل مسيحة، قوة الفكر في الحياة العلمية، وليم فالكير، ترجمة رؤوف موسى، وكتاب كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية للشيخ عبدالله السدحان .

(١٦) سورة الاسراء (٣٦).

(١٧) الوشم هو: أن يُغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضر. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٨٩/٥).

(٣٦٢/١٠) ح (٣٨١٦)، وابن ماجه في الطب باب العين (١١٥٩/٢) ح (٣٥٠٧) ،
من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة.

والتعبير بأن "العين حق" يدل على أن الإصابة بالعين شيء ثابت موجود.
وقال بعدها: " ونهى عن الوشم "، والمناسبة بين هاتين الجملتين لم تظهر،
فكأنهما حديثان مستقلان، ولهذا حذف مسلم وأبو داود الجملة الثانية في روايتهما مع
أنهما أخرجاه من نفس الطريق، وذهب ابن حجر إلى احتمال أن يقال في المناسبة بين
هاتين الجملتين هو أن من جملة الباعث على عمل الوشم تغير صفة المشوم لثلا
تصبيه العين، فنهى عن الوشم مع إثبات العين، وأن التحيل بالوشم وغيره مما لا
يستند إلى تعليم الشارع لا يفيد شيئاً، وأن الذي قدره الله سيقع^(١٨).

٢- عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " العين حق، ولو كان شيء سابق القدر
سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا ".

أخرجه مسلم في السلام باب الطب والمرضى والرقى (١٧٠/١٤) واللفظ له،
والترمذي في الطب باب ما جاء أن العين حق والغسل لها (٢٢٣/٦) ح (٢١٤١)،
والنسائي في السنن الكبرى (١٠٢/٧) ح (٧٥٧٣) ،

من طريق وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس.
قال الإمام أبو عبدالله المازري^(١٩) مستدلاً به على ثبوت العين، منكرًا على من
نفاها: " بظاهر هذا الحديث قال أهل السنة والجمهور من علماء الأمة، وقد أنكره
طوائف من المبتدعة، والدليل على فساد ما قالوه أن كل معنى ليس بمحال في نفسه،

(١٨) ينظر: فتح الباري (٢٥٠/١٠).

(١٩) المازري هو الإمام أبو عبدالله محمد بن علي المازري المالكي مصنف كتاب المعلم بفوائد شرح مسلم، وشارح
كتاب التلقين لعبد الوهاب المالكي، وكان بصيرا بعلم الحديث مات سنة ٥٣٦ هـ . ينظر: سير أعلام

النبلاء للذهبي (١٠٤/٢٠).

ولا يؤدي إلى قلب حقيقة، ولا إفساد دليل فإنه من مجوزات العقول، فإذا أخبر الشرع بوقوعه فلا معنى لتكذيبه".^(٢٠)

٣- عن حابس التميمي، حدثني أبي أنه سمع النبي ﷺ يقول: " لا شيء في الهام^(٢١)، والعين حق".

ومدار الحديث على يحيى بن أبي كثير، واختلف عنه على وجهين:

الوجه الأول: يحيى بن أبي كثير، عن حية بن حابس التميمي، عن أبيه

أخرجه الترمذي في الطب باب ما جاء أن العين حق والغسل لها (٢٢١/٦) ح(٢١٤٠) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٣٠٦) ح (٩١٧)، وفي التاريخ الكبير تعليقا (١٠٧/٣)، وأحمد (٦٧/٤ و ٧٠/٥ - ٣٧٨)، والطبراني في الكبير (٣١ / ٤) ح (٣٥٦٢)، من طريق علي بن المبارك.

والبخاري في التاريخ الكبير (١٠٨/٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٥٥/٣) ح (١٥٢٨)، والطبراني في الكبير (٣١/٤) ح (٣٥٦١)، من طريق حرب بن شداد، كلاهما (علي بن المبارك، وحرب بن شداد) عن يحيى بن أبي كثير به، وزاد أحمد والطبراني: " وأصدق الطيرة الفأل".

(٢٠) المعلم بفوائد مسلم (١٥٥/٣)، وهذا الحديث جرى مجرى المبالغة في إثبات العين لا أنه يمكن أن يرد القدر شيء، إذ القدر عبارة عن سابق علم الله، وهو لا راد لأمره، وحاصله لو فرض أن شيئاً له قوة بحيث يسبق القدر لكان العين، لكنها لا تسبق فكيف غيرها. ينظر: فتح الباري (١٠/٢٥٠).

(٢١) الهام جمع هامة: وهي الرأس، واسم طائر، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها، وهي من طير الليل، وقيل: هي البومة. وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة، فتقول: اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت.

وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل روحه، تصير هامة فتطير، ويسمونه الصدى، فنفاه الإسلام ونهاهم عنه. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٥/٢٨٣).

الوجه الثاني: يحيى بن أبي كثير، عن حية بن حابس، عن أبيه، عن أبي هريرة أخرجه أحمد (٧٠/٥) من طريق حسن بن موسى وحسين بن محمد، والبخاري في التاريخ الكبير تعليقاً (١٠٨/٣)، من طريق سعد بن حفص، ثلاثتهم (حسن بن موسى، وحسين بن محمد، وسعد بن حفص) عن شيبان بن عبدالرحمن النحوي، عن يحيى بن أبي كثير به. ورواه من هذا الوجه أبان بن يزيد العطار كما في التاريخ الكبير (١٠٨/٣)، والعلل لأبن أبي حاتم (٦٦٢/٥)، لكنه لا يسمي حابساً، يقول: عن رجل، عن أبي هريرة، ومرة يقول: عن رجل، عن أبيه، عن أبي هريرة. ترجمة رواة الإسناد:

- يحيى بن أبي كثير الطائي، أبو نصر اليمامي: من صغار التابعين، حافظ مشهور، وذكر أبو حاتم وأبو زرعة أنه لم يدرك أحداً من الصحابة إلا أنس رآه ولم يسمع منه، وقال ابن حجر "ثقة ثبت، لكنه يدللس ويرسل". مات سنة ١٢٩هـ. (٢٢)

- حية بن حابس التميمي: حية بالثناة من تحتها على الراجح، وهم من زعم أن له صحبة، وذكره ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة في القسم الرابع وهم من لا صحبة لهم ولا ادراك وبيان غلط من غلط فيه، روى له البخاري في الأدب والترمذي حديثاً واحداً. وقال ابن حجر: مقبول. (٢٣)

(٢٢) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣٠١/٨)، جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي (ص١٢٦)، الكاشف (٣٧٣/٢)، تعريف أهل التقديس بمراتب الموصفين بالتدليس لابن حجر العسقلاني (ص٧٦)، تهذيب التهذيب (٢٣٥/١١)، تقريب التهذيب (٣١٣/٢).

(٢٣) ينظر: الجرح والتعديل (٣١٦/٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٤٨٥/٧)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٦٢٤/١)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٨٣/٢)، تهذيب التهذيب (٣/٦٢)، تقريب التهذيب (٢٥٢/١).

- حابس بن ربيعة التميمي: أبو حية، يعد في البصريين، يقال له صحبة، وروى عنه ابنه حية. قال البغوي: لا نعلم له إلا هذا الحديث.^(٢٤)

دراسة الاختلاف

هذا الحديث كما تقدم في التخريج قد اختلف فيه على يحيى بن أبي كثير، واختلف على من دونه في بعض التفاصيل، والرواة عنه ثقات، ولذا اختلف الائمة في الترجيح بين الوجهين، فتوقف البخاري في الترجيح، ورجح الترمذي الوجه الأول لأجل متابعة حرب بن شداد، وكذا فعل أبو حاتم ولعله بسبب رواية علي بن المبارك الذي كان له عناية خاصة بأحاديث يحيى، ورجح أبو زرعة الوجه الثاني لأجل متابعة أبان العطار، وصرح ابن عبد البر بأن الحديث مضطرب يختلف فيه على يحيى بن أبي كثير.^(٢٥)

وأياً كان الترجيح فالوجهان لا بد فيهما من حية بن حابس أو والده وهما مجهولان.

فالحديث ضعيف.

وحدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ طَرَقَ أُخْرَى:

الأول: أخرجه أحمد (٤٢٠/٢)، من طريق ابن وهب عن معروف بن سويد أنه سمع علي بن رباح يقول: سمعت أبا هريرة فذكره مرفوعاً بلفظ: "لا عدوى ولا طيرة، والعين حق".

(٢٤) ينظر: الاستيعاب في معرفة الصحابة لابن عبد البر (١/١٧٦)، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير

(٣١٣/١)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٢٨٥).

(٢٥) ينظر: التاريخ الكبير (٣/١٠٨)، سنن الترمذي (٦/٢٢١)، العلل الكبير للترمذي (ص ٢٦٦-٢٦٧)،

علل ابن أبي حاتم (٥/٦٦٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/١٧٦).

وفيه: معروف بن سويد الجذامي، وثقه الذهبي، وقال ابن حجر "مقبول" (٢٦).
الثاني: أخرجه أحمد (٤٨٨/٢)، من طريق سعيد الجريري عن مُضارب بن حَزْن قال: قلت - يعني لأبي هريرة - هل سمعت من خليلك شيئاً تحدثني، قال: نعم، فذكره مرفوعاً بلفظ:

" لا عدوى ولا هامة، وخير الطير الفأل، والعين حق "

وفيه: مُضارب بن حَزْن بن بشر التميمي، وثقه العجلي، وقال ابن حجر: "مقبول" (٢٧).

الثالث: أخرجه أحمد (٢٨٩/٢)، من طريق أبي معشر عن محمد بن قيس عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ:

" أصدق الطيرة الفأل، والعين حق "

وفيه: أبو معشر نجيح بن عبدالرحمن السُّندي وهو ضعيف (٢٨).

٤- عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق "

أخرجه أحمد (٢٢٣/٢) من طريق رشدين بن سعد، عن الحسن بن ثوبان، عن هشام بن أبي رقية، عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

وفيه: رشدين بن سعد المهري وهو ضعيف، واختلط في الحديث (٢٩).

(٢٦) ينظر: الكاشف (٢٨٠/٢)، تقريب التهذيب (٢٠٠/٢).

(٢٧) ينظر: الثقات للعجلي (٢٨١/١)، تقريب التهذيب (١٨٧/٢).

(٢٨) ينظر: المغني في الضعفاء (٤٥٣/٢)، تقريب التهذيب (٢٤١/٢).

(٢٩) ينظر: ميزان الاعتدال (٤٩/٢)، تقريب التهذيب (٣٠١/١).

٥- عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: " لا شيء في الهام والعين حق، وأصدق الطير الفأل ".

أخرجه الطبراني في الكبير (١٦٤/٨) ح (٧٦٨٦) من طريق عُفير بن معدان، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة.

وفيه: عُفير بن معدان الحمصي وهو ضعيف.^(٣٠)

٦- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم ".

أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٠/٢)، وعنه الطبراني في مسند الشاميين (٢٦٥/١ - ٣٣٠/٤) ح (٤٥٩ - ٣٤٦٦) من طريق ابن نمير.

وأخرجه أبو مسلم الكشي في سننه كما أشار إلى ذلك السيوطي في الجامع الصغير (٧٦/٤) ح (٣٩٠٦)، ومن طريقه أخرجه الطبراني في الموضوع السابق من طريق عيسى بن يونس، كلاهما (ابن نمير، وعيسى بن يونس) عن ثور يعني ابن يزيد، عن مكحول، عن أبي هريرة.

ترجمة رواية الإسناد:

- ثور بن يزيد بن زياد الكلاعي، أبو خالد الحمصي: وثقه أحمد وابن معين وغيرهما، إلا أنه كان يرى القدر، أخرجه أهل حمص لأجل هذا ثم رجح، وقال ابن حجر: " ثقة ثبت إلا أنه كان يرى القدر " مات سنة مائة وخمسين وقيل ثلاث وخمسين.^(٣١)

(٣٠) ينظر: المغني في الضعفاء (٦٣/٢)، تقريب التهذيب (٦٩/١).

(٣١) ينظر: تهذيب الكمال (٤١٨/٤)، الكاشف (٢٨٥/١)، تهذيب التهذيب (٣٠/٢)، تقريب التهذيب

(١٥١/١).

- مكحول الشامي، أبو عبدالله الدمشقي الفقيه: قال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفقه من مكحول. كثير الإرسال، حديثه عن أبي هريرة مرسلًا، قال أبو حاتم: سألت أبا مسهر: هل سمع مكحول من أحد من أصحاب النبي ﷺ، قال ما صح عندنا إلا أنس بن مالك. وقال الدار قطني: لم يلق أبا هريرة، وقال ابن حجر: " ثقة، فقيه، كثير الإرسال ". مات سنة ١١٣هـ أو ١١٤هـ. (٣٢)
- أبوهريرة صحابي مشهور: ثبت مما سبق أن مكحولًا لم يسمع من أبي هريرة ولم يلتق به.

فالحديث ضعيف لأنه منقطع.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في الاستعاذة من العين

- ١- عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يُعوذُ الحسن والحسين ويقول: " إن أباكما كان يُعوذُ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة (٣٣)، ومن كل عين لامة (٣٤) ".

أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب منه (٥٠٣/٦) ح (٣٣٧١) واللفظ له، وأبو داود في كتاب السنة باب في القرآن (٦٢/١٣) ح (٤٧١١)، من طريق جرير الضبي، والترمذي في كتاب الطب باب ما جاء في الرقية من العين باب ما جاء في الرقية

(٣٢) ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٤٠٧) جامع التحصيل (ص ١٢٠)، الكاشف (٢/ ٢٩١)، تهذيب التهذيب (٢٥٨/١٠)، تقريب التهذيب (٢/ ٢١١).

(٣٣) هامة: واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل كل ما له سم يقتل فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام. فتح الباري (٥٠٦/٦).

(٣٤) لامة: أي ذات لم، وأصلها من ألمت بالشيء، واللحم: طرف من الجنون يُلمُّ بالإنسان: أي يقرب منه ويعتريه. النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧٢). وقال الخطابي: أو هي كل داء وآفة تُلمُّ بالإنسان من خبل وجنون ونحوهما. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (٣/ ١٥٤٤).

بالمعوذتين (٢٢٠/٦) ح (٢١٣٨)، وابن ماجه في الطب باب ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به (١١٦٤/٢) ح (٣٥٢٥) من طريق سفيان الثوري، كلاهما (جرير، وسفيان) عن منصور بن المعتمر، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
 ٢- عن أبي سعيد قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَاتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ ".

أخرجه النسائي في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من عين الجان (٢٧١/٨) واللفظ له، من طريق هلال بن العلاء، وابن ماجه في الطب باب من استرقى من العين (١١٦١/٢) ح (٣٥١١) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٨/٤) ح (٢٣٢٧) من طريق العباس الدوري، ومحمد الصغاني، وهيثام بن قتيبة، خمستهم (هلال، وأبو بكر، والعباس، ومحمد الصغاني، وهيثام) عن سعيد بن سليمان، عن عباد بن العوام، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد.
 وأخرجه الترمذي في الطب باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين (٢١٨/٦) ح (٢١٣٥)، والنسائي في الكبرى في كتاب الاستعاذة في ذكر فضل ما يتعوذ به المتعوذون (٢٠٠/٧) ح (٧٨٠٤) عن هشام بن يونس الكوفي، أخبرنا القاسم بن مالك المزني، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، ولفظ الترمذي: " كان رسول ﷺ يتعوذ من الجان " دون كلمة "عين".

ومدار الحديث على الجريري، عن أبي نصر، عن أبي سعيد.

ترجمة رواة الإسناد:

- الجريري، سعيد بن إياس، أبو مسعود البصري: قال أحمد: كان محدث البصرة، وقال أبو حاتم: تغير حفظه قبل موته، وثقه ابن معين، وقال ابن حجر: ثقة، اختلط قبل موته بثلاث سنين. مات سنة ١٤٤هـ. (٣٥)

- أبو نصر، المنذر بن مالك بن قُطعة العوفي: وثقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي، وقال ابن حجر: ثقة، وزاد الذهبي: يخطيء، مات سنة ١٠٨هـ. (٣٦)

ويروي هذا الحديث عن الجريري اثنان، الأول:

- عباد بن العوام بن عمر الكلابي، أبو سهل الواسطي: وثقه ابن معين وأبو حاتم، وقال ابن حجر: ثقة، مات سنة ١٨٥هـ. (٣٧)

والثاني:

- القاسم بن مالك المزني، أبو جعفر الكوفي: وثقه العجلي، وابن معين، وقال مرة: ما كان به بأس صدوق، وقال أبو حاتم: صالح وليس بالمتين، وقال ابن حجر: صدوق فيه لين، مات بعد التسعين ومائة. (٣٨)

يتبين مما سبق أن الجريري قد اختلط، وقد عد العلماء الذين سمع منه قبل اختلاطه ولم يكن سماع كل من عباد، والقاسم بن مالك منهم، فأشكل أمرهما، فلم يدر هل أخذنا منه قبل الاختلاط أو بعده، فروايتهما عنه ضعيفة.

(٣٥) ينظر: الجرح والتعديل (١/٤)، تهذيب التهذيب (٦/٤)، تقريب التهذيب (٣٤٨/١).

(٣٦) ينظر: الكاشف (٢/٢٩٥)، تهذيب التهذيب (١٠/٢٦٨)، تقريب التهذيب (٢/٢١٣).

(٣٧) ينظر: الجرح والتعديل (٦/٨٣)، الكاشف (١/٥٣١)، تقريب التهذيب (١/٤٦٨).

(٣٨) ينظر: تهذيب التهذيب (٨/٢٩٨)، تقريب التهذيب (٢/٢٢٢).

٣- (٣/٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " استعينوا بالله، فإن العين حق "

أخرجه ابن ماجه في الطب باب العين (١١٥٩/٢) ح (٣٥٠٨) واللفظ له من طريق أبي هشام المخزومي، والطبراني في المعجم الأوسط (١٠٧/٦) ح (٥٩٤٥)، من طريق سهل بن بكار، والحاكم في المستدرک (٣٣٩/٤) ح (٧٥٧٧) من طريق أحمد بن إسحاق الحضرمي، ثلاثتهم (أبي هشام، وسهل، وأحمد بن إسحاق) عن وهيب، عن أبي واقد، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن عائشة رضي الله عنها. ولم يرو الحديث عن أبي سلمة إلا أبو واقد، وتفرد به وهيب. هذا الحديث إسناده ضعيف جداً، فيه:

أبو واقد صالح بن محمد بن زائدة الليثي: ضعفه ابن معين وعلي بن المديني وأبو زرعة وأبو حاتم والدارقطني، وقال البخاري: منكر الحديث، وتركه سليمان بن حرب، وقال ابن حجر في التقریب: ضعيف.^(٣٩) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/٢١٩): "هذا إسناده فيه مقال".

٤- (٤/١٠) عن عبدالله بن جراد عن رسول الله ﷺ قال: " العين والنفس كادا يسبقان القدر، فتعوذوا بالله من النفس والعين "

رواه الديلمي في الفردوس (٧٨/٣) ح (٤٢١٩)، من طريق عبدوس أخبرنا الحسين بن فتحويه، حدثنا هارون بن محمد هارون العطار، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن أبي الشعثاء الحنظلي، حدثنا سليمان بن محمد البجلي، حدثنا أبو حرب بن محمد الوزان، عن يعلى بن الأشدق، عن عبدالله بن جراد.

(٣٩) ينظر: التاريخ الكبير (٤/٢٩١)، الضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص ١٥٢)، تحذیب التهذیب (٤/٣٥٢)، تقریب التهذیب (١/٤٣٢).

هذا حديث موضوع، في إسناده:

- يعلى بن الأشدق العُقيلي، أبو الهيثم الجُزري: قال ابن عدي: "روى عن عمه عبدالله بن جراد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة مناكير، وهو وعمه غير معروفين"، وقال أبو حاتم: "ليس بشيء ضعيف الحديث". وقال ابن حبان: "لا تحل الرواية عنه بحال ولا الاحتجاج به" (٤٠).

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في الرقية من العين

١- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ: "اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ".

أخرجه البخاري في الطب باب رقية العين (٢٤٥/١٠) ح (٥٧٣٩) واللفظ له، من طريق محمد بن وهب الدمشقي، ومسلم في السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (١٨٥/١٤) من طريق سليمان بن داود، كلاهما "محمد وسليمان" عن محمد بن حرب، حدثنا محمد بن الوليد الزبيدي، أخبرنا الزهري، عن عروة بن الزبير، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ. قال الحافظ ابن حجر: "قوله: "فإن بها النظرة" اختلف في المراد بالنظرة فقيل: عين من نظر الجن، وقيل: من الإنس، وبه جزم أبو عبيد الهروي، والأولى أنه أعم من ذلك وأنها أصيبت بالعين، فلذلك أذن ﷺ في الاسترقاء لها، وهو دال على مشروعية الرقية من العين" (٤١).

(٤٠) ينظر: الجرح والتعديل (٣٠٣/٩)، المجروحين (٤٩٥/٢)، الكامل في الضعفاء (١٨٤/٩)، ميزان الاعتدال (٤٥٦/٤).

(٤١) فتح الباري (٢٤٨/١٠).

٢- عن عائشة رضي الله عنها " أمرني النبي ﷺ - أو أمر - أن نسترقى من العين ".
 أخرجه البخاري في الطب، باب رُقِيَةِ العَيْن (٢٤٥/١٠) ح (٥٧٣٨) واللفظ
 له من طريق محمد بن كثير، ومسلم في السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة
 والحمة والنظرة (١٨٤/١٤) من طريق عبدالله بن ثُمير، وابن ماجه في الطب باب من
 استرقى من العين (١١٦٠/٢) ح (٣٥١٢)، وأحمد (٦٣ / ٦) من طريق
 وكيع، ثلاثتهم (محمد بن كثير، وعبدالله بن غير، ووكيع) عن سفيان، قال: حدثني
 معبد بن خالد، قال: سمعت عبدالله بن شداد، عن عائشة رضي الله عنها.
 ٣- عن أنس بن مالك ﷺ، قال: " رخص رسول الله ﷺ في الرُقِيَةِ مِنَ العَيْنِ،
 وَالْحَمَّةِ^(٤٢)، وَالنَّمْلَةِ^(٤٣) ".

أخرجه مسلم في السلام باب استحباب الرقية من العين (١٨٥/١٤) واللفظ
 له، والترمذي في الطب باب ما جاء في الرخصة في ذلك (٢١٥/٦) ح (٢١٣٢) من
 طريق يحيى بن آدم، وابن ماجه في الطب باب ما رخص فيه من الرقى (١١٦٢/٢) ح
 (٣٥١٦) من طريق معاوية بن هشام، وأحمد في مسنده (١١٨/٣) من طريق وكيع،
 ثلاثتهم (يحيى بن آدم، ومعاوية بن هشام، ووكيع) عن عاصم الأحول، عن يوسف
 بن عبدالله بن الحارث، عن أنس ﷺ.

٤- عن جابر بن عبدالله قال: رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية. وقال لأسماء
 بنت عميس: " ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة^(٤٤)، تُصَيِّبُهُمُ الحَاجَةُ ". قالت: لا.
 ولكن العين تُسرع إليهم. قال: " ارقِهم " قالت: فعرضت عليه. فقال: " ارقِهم ".

(٤٢) الحمة: سُم الحيات والعقارب وما أشبهها من ذوات السموم، ومن العلماء من يذهب إلى أن حمة العقرب شوكتها. غريب الحديث لأبي الفرج الجوزي (٢٤٤/١).

(٤٣) النملة: قروح تخرج في الجنب. النهاية في غريب الحديث (١٢٠/٥).

أخرجه مسلم في السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (١٨٥/١٤) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد، وأحمد بن حنبل (٣٣٣/٣) من طريق روح بن عباد، كلاهما (الضحاك، وروح بن عباد) عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابراً فذكره.

٥- عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا رُقِيَةٌ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ دَمٍ يَرَقَاً ".

أخرجه أبو داود في الطب، باب في تعليق التمام (٣٦٩/١٠) ح (٣٨٦٦)، وأحمد في مسنده (٤٣٧/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٢٣٥/١٨) ح (٥٨٧)، والبيهقي في سننه (٣٤٨/٩) من طريق مالك بن مغول، والترمذي في الطب، باب ما جاء في الرخصة في ذلك (٢١٧/٦) ح (٢١٣٤)، والحميدي (٣٦٩/٢) ح (٨٣٦) من طريق سفيان بن عيينة، كلاهما (مالك، وسفيان) عن حصين بن عبدالرحمن السُّلمي، عن الشعبي به.

ومداره على الشعبي، واختلف عليه على أوجه:

الوجه الأول: الشعبي عن عمران بن حصين موقوفاً:

وهذه أخرجه البخاري في صحيحه (١٩١/١٠) ح (٥٧٠٥) من طريق محمد بن فضيل، عن حصين، عن الشعبي، عن عمران بن حصين قال: لا رقية إلا من عين أو حُمَّة. قال حصين: فذكرته لسعيد بن جبير، فقال: حدثنا ابن عباس...، فذكر حديث السبعين ألفاً.

(٤٤) ضارعة: الضَّارِع: التحيف الضاوي الجسم. يقال ضَرَع يَضْرَع فهو ضارِع وضَرَع. النهاية في غريب الحديث

الوجه الثاني: الشعبي، عن أنس ؓ مرفوعاً:

أخرجه أبو داود في الطب، باب في الرقى (٣٨١/١٠) ح (٣٨٧١) واللفظ له، والطبراني في الكبير (٢٥٤/١) ح (٧٣٣)، والدارقطني في العلل (١٠٩/١٢) ح (٢٤٩)، والحاكم في المستدرک (٤١٣/٤)، من طريق شريك النخعي، عن العباس بن ذريح عن الشعبي به.

الوجه الثالث: الشعبي، عن جابر ؓ مرفوعاً:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤١/٥) ح (٢٣٥٢١)، والهيثمي في كشف الأستار (٣٠٥٦)، والقضاعى في الشهاب (٨٥١)، وعند ابن أبي شيبة: عن الشعبي عن بعض أصحاب النبي ﷺ، من طريق مجالد، عن الشعبي به.

الوجه الرابع: الشعبي، عن بريدة بن الحُصيب الأسلمي، عن النبي ﷺ:

أخرجه الترمذي عقب الحديث رقم (٢١٣٤) تعليقاً، وابن خزيمة (٥٦٣/٢) ح (٢٢٦٣)، من طريق شعبة، عن حصين بن عبدالرحمن، عن الشعبي به. وغير شعبة يرويه عن حصين عن الشعبي عن بريدة موقوفاً. قال الدارقطني: "والحديث مضطرب".

والمحفوظ كما قال المزي في تحفة الأشراف (٧٧/٢) هو رواية حصين، عن الشعبي، عن عمران بن حصين موقوفاً.

وأخرج مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٢) ح (١٦٣) من طريق حصين بن عبدالرحمن، عن الشعبي، عن بريدة بن حُصيب موقوفاً عليه، وفيه رواية ابن عباس لحديث السبعين ألفاً.

والذي يظهر أن البخاري ومسلماً إنما أخرجا الحديث لأجل رواية ابن عباس التي ليس فيها اختلاف، ورواية حصين عن الشعبي جاءت عرضاً.^(٤٥)

٦- عن عبيد بن رفاعة الزُرقي: " أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله إن ولد جعفر تُسرِع إليهم العين أفأسترقي لهم؟، قال: نعم، فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ".

أخرجه الترمذي في كتاب الطب باب ما جاء في الرقية من العين (٢١٩/٦) ح (٢١٣٦)، وابن ماجه في كتاب الطب باب من استرقي من العين (١١٦٠/٢) ح (٣٥١٠) من طريق سفيان بن عيينة، والترمذي في الموضوع السابق ح (٢١٣٧)، والنسائي في الكبرى في كتاب الطب باب رقية العين (٧٣/٧) ح (٧٤٩٥) من طريق أيوب، كلاهما (سفيان، وأيوب) عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر به.

دراسة رواة الإسناد:

- عمرو بن دينار المكي، أبو محمد الجمحي، وثقه أبو حاتم والنسائي، وقال ابن حجر: " ثقة ثبت "، مات سنة ١٥٠هـ^(٤٦).

- عروة بن عامر القرشي، ويقال الجهني المكي، مختلف في صحبته، وقال ابن حجر: " روايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابياً "^(٤٧).

- عبيد بن رفاعة بن رافع الأنصاري الزُرقي، ولد في عهد النبي ﷺ، ووثقه العجلي^(٤٨).

(٤٥) ينظر: العلل لابن أبي حاتم (٣٣٢/٦)، العلل للدارقطني (١٠٩/١٢).

(٤٦) ينظر: التاريخ الكبير (٣/٦)، الجرح والتعديل (٢٣١/٦)، تهذيب التهذيب (٢٦/٨)، تقريب التهذيب (٧٣٤/١).

(٤٧) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢٤٨/٢)، تقريب التهذيب (١٩/٢).

(٤٨) ينظر: الجرح والتعديل (٤٠٦/٥)، تقريب التهذيب (٥٤٣/١).

الحديث صحيح، وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح ".

٧- عن عائشة رضي الله عنها قالت: " دخل رسول الله ﷺ فسمع صوت صبي يبكي فقال: ما لصبيكم هذا يبكي ؟ فهلا استرقيتم له من العين ".

أخرجه أحمد (٧٢/٦)، والطبراني في الأوسط (٣١٢/٤) ح (٤٢٩٥)، من طريق أبي أويس، حدثنا عبدالله بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها.
دراسة إسناد الحديث:

- أبو أويس، عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، قريب مالك وصهره.

قال أحمد: " ضعيف الحديث "، وقال مرة: " ليس به بأس ".

وقال ابن معين: " ضعيف الحديث "، وقال مرة: " صدوق وليس بحجة "، وقال مرة: " صالح وليس بذلك ".

وقال النسائي: " ليس بالقوي ".

وقال ابن عدي: " في أحاديثه ما يصح ويوافقه الثقات عليه، ومنها ما لا يوافقه عليه أحد ".

وقال أبو حاتم: " يكتب حديثه ولا يحتج به، وليس بالقوي ".

وقال ابن حجر: " صدوق يهملهم ". مات سنة ١٦٧هـ. (٤٩)

- عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: وثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي، ومثلهم قال ابن حجر. مات سنة ١٣٥هـ. (٥٠)

(٤٩) ينظر: الجرح والتعديل (٩٢/٥)، الكامل في الضعفاء (٣٠٠/٥)، ميزان الاعتدال (٤٥٠/٢)، المغني في الضعفاء (٥٤٦/١)، تقريب التهذيب (٥٠٥/١).

(٥٠) ينظر: تهذيب التهذيب (٤٦٦/١٢)، تقريب التهذيب (٤٨١/١).

- عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زُزارة الأنصارية: من فقهاء التابعين، قال ابن المديني: أحد الثقات العلماء بعائشة الأثبات فيها، وقال ابن معين: "ثقة حجة"، وقال ابن حجر: "ثقة" ماتت سنة ١٠٠هـ^(٥١).

- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

الحديث إسناده ضعيف.

فيه عبدالله بن عبدالله بن أويس لم يجرحه أحد في دينه وأمانته، وإنما عابوه بسوء حفظه، وأنه يخالف في بعض حديثه، ولم أقف على متابع له أو شاهد.

٨- عن عروة بن الزبير: أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ وفي البيت صبي يبكي، فذكروا له أن به العين، قال عروة: فقال رسول الله ﷺ "ألا تسترقون له من العين؟".

هكذا جاء مرسلًا عند مالك في كتاب العين باب الرقية من العين (٥٢٨/٢)، وأبو بكر بن أبي شيبة في كتاب العين باب من رخص في الرقية من العين (٤٨/٥) ح (٢٣٥٨٢)، من طريق سليمان بن يسار، أن عروة بن الزبير حدثه: أن رسول الله.....

قال ابن عبدالبر: "هذا حديث مرسل عند جميع الرواة عن مالك في الموطأ، وهو حديث صحيح يستند معناه من طرق ثابتة"^(٥٢).

وقصد بذلك أن معناه صحيح لورود الأمر بالرقية في أحاديث صحيحة.

(٥١) ينظر: الكاشف (٥١٤/٢)، تقريب التهذيب (٦٥٢/٢).

(٥٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر القرطبي (١٥٣/٢٣).

المبحث الرابع: الأحاديث الواردة في الاغتسال من العين

١ - عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشَعْبِ الْخُرَارِ مِنَ الْجُحْفَةِ^(٥٣) اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ، فَنظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مَحْبَأَةٍ^(٥٤)، فَلَبِطَ^(٥٥) بِسَهْلٍ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَمَا يُفِيْقُ، قَالَ: هَلْ تَتَّهَمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ، قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِرًا فَتَغَيَّطَ^(٥٦) عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَامَ يَفْتُلُ أَحَدُكُمْ أَحَاهُ، هَلَا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَكْتَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اغْتَسِلْ لَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ^(٥٧) فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهِ يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، يُكْفِي الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ".^(٥٨)

(٥٣) الجحفة تقع في شمال غرب مكة وقريبة من رابع، وكانت تسمى مهيعة وسميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها، وهي أحد المواقيت الخمسة للإحرام منها للحج والعمرة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١١١/٢). وشعب الخرار هو موضع قرب الجحفة، وقيل واد من أودية المدينة. المرجع السابق (٣٥٠/٢).

(٥٤) جلد محبأة: المحبأة: الجارية التي في خدرها لم تتزوج بعد؛ لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت. النهاية في غريب الحديث (٣/٢).

(٥٥) لبط: صرع، يقول: لبط بالرجل لبطاً إذا سقط. غريب الحديث للهروي (٢٦٨/١).

(٥٦) تغيط: تغيط كرب يلحق الإنسان من غيره، يقال: غاطني يغيطني، وقد غطتني يا هذا. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠٥/٤).

(٥٧) داخلة إزاره: الإزار هنا المزور وداخلته مما يلي جسده، وقيل: كناية عن موضعه من الجسد فظن بعضهم أنه كناية عن الفرج، وقيل: أراد وركه لأنه معقد الإزار. والذي يظهر أن المراد هو الملابس الملاصقة لجسد العائن، وغسله إنما هو إدخاله وغمسه في القدح. ينظر: غريب الحديث للهروي (٢٦٩/١)، شرح السنة للبعوي (١٦٥/١٢)، إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨٤/٧)، شرح مسلم للنووي (١٧٢/١٤)، زاد المعاد (١٦٤/٤)، فتح الباري (٢٥٠/١٠)، نيل الأوطار (٢١٦/٨).

(٥٨) تقدم تخريج جزءا منه في حديث رقم (٣).

مدار الحديث أبو أمامة بن سهل ، ويرويه عنه اثنان :

الأول : محمد بن شهاب الزهري

الثاني : ابنه محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف.

الطريق الأول: الزهري وقد اختلف عنه على وجهين ؛ فروي عنه مرة موصولاً،

ومرة مراسلاً.

الوجه الأول: الزهري، عن أبي أمامة بن سهل، عن أبيه موصولاً.

أخرجه أحمد (٤٨٧/٣) بلفظه من طريق أبي أويس، والطبراني في الكبير (٧٨/٦) من طريق ابن أبي ذئب ح (٥٥٧٨)، وإبراهيم بن إسماعيل ح (٥٥٧٣)، وعقيل ح (٥٥٧٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٩/٥) ح (٢٣٥٨٤) عن ابن أبي ذئب، أربعتهم (أبو أويس، وابن أبي ذئب، وإبراهيم بن إسماعيل، وعقيل) عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه فذكره.

دراسة رواة هذا الوجه:

- الزهري هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر الفقيه: متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة ١٢٥هـ.^(٥٩)

- أبو أمامة هو أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري، مشهور بكنيته، معدود في الصحابة، فإن له رؤية، لكنه لم يسمع من النبي ﷺ. قال البخاري: أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه.^(٦٠)

- سهل بن حنيف، أبو ثابت الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا، وثبت يوم أحد، روى عن النبي ﷺ، وكان من أمراء علي رضي الله عنه، مات بالكوفة سنة ٣٨هـ.^(٦١)

(٥٩) ينظر: تهذيب التهذيب (٣٩٥/٩)، تقريب التهذيب (١٣٣/٢).

(٦٠) ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني (٩٩/١)، ذكره في القسم الثاني وهو فيمن مات النبي ﷺ وهم دون سن التمييز.

الوجه الثاني: الزهري، عن أبي أمامة مرسلًا.

أخرجه مالك في كتاب العين باب الوضوء من العين (٥٢٧/٢) ح (٢٧٠٨)،
ومن طريقه النسائي في الكبرى كتاب الطب باب وضوء العائن (١٠٢/٧) ح
(٧٥٧٢)، والطبراني في الكبير (٧٩/٦) ح (٥٥٧٥).
وعند النسائي أيضا في الموضوع السابق ح (٧٥٧١)، وابن ماجه كتاب الطب
باب في العين (١١٦٠/٢) ح (٣٥٠٩) من طريق سفيان بن عيينة.
وعبدالرزاق في باب الرقي والعين والنفث (١٥/١١) ح (١٩٧٦٦) عن معمر،
ومن طريقه الطبراني في الكبير (٧٩/٦) ح (٥٥٧٤)، ثلاثتهم (مالك، وسفيان،
ومعمر) عن الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: مر عامر بن ربيعة
بسهل بن حنيف وهو يغتسل....

الطريق الثاني: محمد بن أبي أمامة، عن أبيه مرسلًا.

أخرجه مالك في العين باب الوضوء من العين (٥٢٦/٢) ح (٢٧٠٧)، ومن
طريقه النسائي في الكبرى في كتاب الطب باب العين (١٠٠/٧) ح (٧٥٧٠)،
والطبراني في الكبير (٨٢/٦) ح (٥٥٨٠).
والطبراني أيضا في الموضوع السابق ح (٥٥٨١) من طريق مسلمة بن خالد
الأنصاري، وح (٥٥٨٢) من طريق عبدالله بن أبي حبيبة، ثلاثتهم: "مالك،
ومسلمة، وعبدالله بن أبي حبيبة"، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه
سمع أباه يقول: فذكره.

دراسة الاختلاف:

اختلف في هذا الحديث بين الوصل والإرسال، وذكر الدارقطني في العلل رواية الزهري وسرد جماعة كثيرين يروونه مرسلًا، وذكر أن ابن أبي ذئب اختلف عليه، ورجح الإرسال، والترجيح ظاهر لقوة الذين رووه عن الزهري مرسلًا عن أبي أمامة، وفيهم مالك أثبت أصحابه، وبمتابعة ابنه محمد بن أبي أمامة.^(٦٢)

دراسة رواة هذا الطريق:

- محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري: ولد أبوه على عهد رسول الله ﷺ، وثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: "ثقة".^(٦٣)
- أبوه أبو أمامة أسعد بن سهل: تقدم في الطريق السابق.

فالحديث مرسل وهو الصحيح.

واختلفت ألفاظ الحديث في الأمر بالاعتسال ففي رواية أحمد المذكورة ورواية مالك قوله: "اعتسل له"، وفي رواية أخرى لمالك: "توضأ له"، وفي رواية النسائي وابن ماجه: "ثم أمره أن يتوضأ.."، وعند الطبراني وابن أبي شيبة قوله: "اغسلوه". وظاهر الأمر يفيد الوجوب، وحكى المازري فيه خلافاً وصحح الوجوب، ويتأكد بقوله عند مسلم: "وإذا استغسلتم فاغسلوا"^(٦٤)، ويتعين إذا خشى على المعيون الهلاك، فإنه يصير من باب من يتعين عليه إحياء نفس مسلم.^(٦٥)

(٦٢) ينظر: العلل للدارقطني (٢٦١/١٢).

(٦٣) ينظر: تهذيب التهذيب (٥٨/٩)، تقريب التهذيب (٥٧/٢).

(٦٤) تقدم في حديث رقم (٢).

(٦٥) ينظر: المعلم بفوائد مسلم للمازري (١٥٧/٣)، إكمال المعلم للقاضي عياض (٨٣/٧-٨٤)، فتح الباري

وتفسير هذا الغسل على قول الجمهور هو أن يؤتى بقدر ماء فيدخل يده في القدر فيمضمض ويمجه في القدر، ويغسل وجهه في القدر، ثم يصب بيده اليسرى على كفه اليمنى ثم بيده اليمنى على كفه اليسرى، ويدخل يده اليسرى فيصب على مرفق يده اليمنى، فيغسل يده اليسرى، ثم يده اليمنى فيغسل الركبتين، ويأخذ إزاره فيصب على رأسه صبة واحدة، ولا يدع القدر حتى يفرغ.^(٦٦)

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان يُؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين". أخرج أبو داود في الطب باب ما جاء في العين (٣٦٣/١٠) ح (٣٨٦٢) واللفظ له، ومن طريقه البيهقي (٣٥١/٩) من طريق جرير بن عبد الحميد، وابن أبي شيبة في كتاب العين باب من رخص في الرقية من العين (٤٩/٥) ح (٢٣٥٨٦)، من طريق سفیان الثوري بلفظ: "أنها - أي عائشة - كانت تأمر العائن أن يتوضأ فيغسل الذي أصابته العين"، كلاهما (جرير، وسفيان)، عن الأعمش، عن إبراهيم بن يزيد، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة رضي الله عنها.

دراسة رواة الإسناد:

- الأعمش، سليمان بن مهران، أبو محمد الكاهلي الأسدي: وثقه ابن معين وأبو حاتم، وقال ابن حجر: "ثقة حافظ، عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلّس"، مات سنة ١٤٨هـ.^(٦٧)

- إبراهيم بن يزيد النخعي، أبو عمران الكوفي: روى عن خاليه الأسود وعبدالرحمن ابني يزيد، قال أبو سعيد العلائي: "مكثر من الإرسال"، وقال أبو

(٦٦) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٤٩/٥).

(٦٧) ينظر: الجرح والتعديل (١٤٦/٤)، الكاشف (٤٦٤/١)، تقريب التهذيب (٣٩٢/١).

حاتم: " رأى عائشة، وأدرك أنساً"، وقال الذهبي: " رأساً في العلم"، وقال ابن حجر: " ثقة، إلا أنه يرسل كثيراً"، مات سنة ٩٦ هـ.^(٦٨)

- الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو: ويقال أبو عبدالرحمن، وثقه أحمد وابن سعد، وقال ابن حجر: " ثقة مكثر فقيه"، مات سنة ٧٤ هـ.^(٦٩)

الحديث إسناده صحيح وهو موقوف على عائشة، ولفظ سفيان هو المحفوظ فهو أقوى من جرير كما أشار إلى ذلك أحمد بن حنبل، وابن أبي حاتم وغيرهما^(٧٠).

المبحث الخامس: الأحاديث الواردة في تأثير العين

١- عن ابن عباس عن النبي ﷺ: " العين حق، تستنزل الخالق^(٧١)".

أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٤/١ - ٢٩٤) واللفظ له من طريق عبدالله بن الوليد العدني، والحاكم (٣٤٠/٤) ح (٧٥٧٨) من طريق عبدالرحمن بن مهدي، والطبراني في الكبير (١٨٤/١٢) ح (١٢٨٣٣) من طريق أبي حذيفة، ثلاثتهم (عبدالله بن الوليد، وعبدالرحمن بن مهدي، وأبي حذيفة) عن سفيان الثوري، عن دويد، عن إسماعيل بن ثوبان، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس.

دراسة رواة الإسناد:

- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي: قال يحيى بن معين: " سفيان أمير المؤمنين في الحديث"، وقال الخطيب البغدادي: " كان إماماً من

(٦٨) ينظر: الجرح والتعديل (١٤٤/٢)، جامع التحصيل للعلائي (ص ٥٨)، الكاشف للذهبي (٢٢٧/١)، تهذيب التهذيب (١٥٥/١)،، تقريب التهذيب (٦٩/١).

(٦٩) ينظر: تهذيب الكمال (٢٣٣-٢٣٤)، تهذيب التهذيب (٢٩٩/١)، تقريب التهذيب (١٠٢/١).

(٧٠) ينظر: العلل لأحمد بن حنبل (٢١٨/١)، تهذيب التهذيب (١٢٨/٩).

(٧١) تستنزل الخالق: أي الجبل العالي. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢٣٦/١).

أئمة المسلمين ومن أعلام الدين مجمع على أمانته، مع الاتقان والحفظ والضبط والورع والزهد. مات سنة ١٦١هـ. (٧٢)

- **دويد البصري**: ذكره البخاري في الكبير وفرق بينه وبين دويد بن نافع، وقال: "دويد سمع إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس به". وقال عنه أبو حاتم: "ليس هذا بدويد بن نافع، هو شيخ لين". وخلط بينهما ابن حبان في الثقات (٤١/٦) وتبعه الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة (ص ٤٥) وذكر في ترجمة إسماعيل بن ثوبان إن الذي روى عنه هو "دويد بن نافع". (٧٣)

- **إسماعيل بن ثوبان**: من أتباع التابعين ذكره البخاري في التاريخ الكبير وابن حبان في الثقات، وفرق كلاهما بينه وبين إسماعيل بن ثوبان التابعي، وجعلهما ابن أبي حاتم واحدا. (٧٤)

- **جابر بن زيد الأزدي، أبو الشعثاء الجوفي**: وثقه ابن معين وأبو زرعة والعجلي، وقال ابن حجر: "ثقة فقيه"، مات سنة ٩٣هـ وقيل ١٠٣هـ. (٧٥)

الحديث ضعيف فيه دويد البصري وهو لين.

وذكره الهيثمي في المجمع (١١٠/٥) وقال: "رواه أحمد والطبراني وفيه دويد البصري قال أبو حاتم لين، وبقية رجاله ثقات".

(٧٢) ينظر: تاريخ بغداد (١٦٥/٩)، تهذيب الكمال (١٥٤/١١)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٠٣/١)، تقريب التهذيب (٣٧١/١).

(٧٣) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٢٥١/٣)، الجرح والتعديل (٤٣٨/٣)، ميزان الاعتدال للذهبي (٢٩/٢).

(٧٤) ينظر: التاريخ الكبير (٣٤٩/١)، الجرح والتعديل (١٦٣/١/١)، الثقات لابن حبان (٤١/٦).

(٧٥) ينظر: الثقات للعجلي (٢٦٣/١)، تهذيب التهذيب (٣٤/٢)، تقريب التهذيب (١٥٢/١).

٢- عن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: " إن العين لتُولعُ الرجل بإذن الله، حتى يصعد حالقاً، ثم يتردى منه ^(٧٦)".

قال المناوي في شرحه للحديث قوله: " إن العين " أي: عين العائن من الإنسان أو الجان " لتولع " أي: تعلق " بالرجل " أي: الكامل في الرجولية، " حتى يصعد حالقاً " أي جبلا عاليا " ثم يتردى " أي يسقط " منه " لأن العائن إذا تكيفت نفسه بكيفية رديئة انبعثت من عينه قوة سمية تتصل به فتضره، وقد خلق الله في الأرواح خواصا تؤثر في الأشباح (أي الأجسام) لا ينكرها عاقل.

ومدار الحديث على ديلم بن غزوان العبدي واختلف عليه على وجهين:
الوجه الأول: ديلم، عن وهب بن أبي دُبي، عن أبي حرب، عن مَحْجَن، عن أبي ذر مرفوعاً

أخرجه أحمد في مسنده (١٤٦/٥ - ١٦٨) واللفظ له من طريق يونس بن محمد، والبزار (٣٨٦/٩) ح (٣٩٧٢) من طريق محمد بن عبد الملك القرشي، والطبراني في الأوسط (١١٩/٦) ح (٥٩٧٧) من طريق طالوت بن عباد، وابن عدي في الكامل (٥٨١/٣) من طريق الصلت بن مسعود، أربعتهم (يونس، ومحمد بن عبد الملك، وطالوت، والصلت بن مسعود) عن ديلم به.

الوجه الثاني: ديلم، ثنا وهب بن أبي دُبي، عن مَحْجَن، عن أبي ذر مرفوعاً.
أخرجه ابن عدي في الكامل (٥٨١/٣) من طريق ابراهيم بن محمد بن عرعة، عن ديلم به.

دراسة رواية الإسناد:

- ديلم بن غزوان العبدي، أبو غالب البراء البصري: قال ابن معين: "صالح"، وقال أبو حاتم: "ليس به بأس هو شيخ"، وقال ابن حجر: "صدوق يرسل".^(٧٧)
- وهب بن عبدالله بن أبي دُي وعنده البعض (دُي) الهُنائي: وثقه ابن معين والعجلي، وكذا قال ابن حجر.^(٧٨)
- أبو حرب بن أبي الأسود الديلي البصري: روى عن محجن، عن أبي ذر، وقال ابن عدي: "لعل أبا حرب هو محجن"، ولو سلمنا به لكان الإسناد منقطعاً حيث أن أبا حرب مات سنة ١٠٩ هـ وأبا ذر سنة ٣٢ هـ، وثقه الذهبي وابن حجر.^(٧٩)
- محجن هذا غير منسوب ذكره ابن حجر في تعجيل المنفعة (ص ٤٤٢) وقال: "روى عن أبي ذر في العين، وعنه أبو حرب بن أبي الأسود"، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه شيئاً، وذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه: "شيخ".^(٨٠)
- أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور: اسمه جندب بن بن جنادة على الأصح. والحديث قال فيه البزار: "لا نعلم أحداً رواه عن النبي ﷺ إلا أبو ذر ولا نعلم له طريقاً عن أبي ذر غير هذا الطريق".
- وذكره الهيثمي في المجمع (١٠٩/٥) وقال: "رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات".
- والحديث ضعيف فيه محجن غير معروف، وفيه ديلم بن غزوان وهو صدوق.

(٧٧) ينظر: الكامل (٥٨٠/٣)، الجرح والتعديل (٤٣٤/٣)، تهذيب الكمال (٥٠١/٨)، تقريب التهذيب (٢٨٥/١).

(٧٨) ينظر: الثقات للعجلي (٣٤٥/٢)، تهذيب التهذيب (١٤٤/١١)، تقريب التهذيب (٢٩٢/٢).

(٧٩) ينظر: تهذيب الكمال (٢٣٢/٣٣)، الكاشف (٤١٨/٢)، تقريب التهذيب (٣٨٢/٢).

(٨٠) ينظر: الجرح والتعديل (٣٧٦/٨)، الثقات لابن حبان (٤٤٨/٥).

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " العين حق تدخل الجمل القدر، والرجل القبر ".

مدار الحديث محمد بن المنكدر، ويروى عنه من طريقين:

الطريق الأول: سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر:

أخرجه ابن عدي في الكامل (١٤٩/٨ - ١٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (٩٠/٧)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٣٣٧/١٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٤٠/٢)، من طريق شعيب بن أيوب، ثنا معاوية بن هشام، عن سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر به.

الطريق الثاني: علي بن أبي علي اللهي، عن محمد بن المنكدر .

أخرجه ابن عدي في الكامل (٣١٦ / ٦) من طريق ابن أبي فديك، والقضاعي في الشهاب (١٤٠/٢) من طريق ابراهيم بن حمزة، كلاهما (ابن أبي فديك، و ابراهيم بن حمزة) عن علي بن أبي علي به.

أما الطريق الأول وهو طريق معاوية بن هشام، عن الثوري، فهو غلط أما من شعيب بن أيوب، أو من معاوية بن هشام، نقل الخطيب البغدادي عن أبي نعيم بن عدي قوله: " وحديث سفيان هذا عن محمد بن المنكدر، ويقال إنه غلط، وإنما هو عن معاوية، عن علي بن أبي علي، عن ابن المنكدر، عن جابر " (٨١).

وكذا قرره جماعة غيره من الأئمة:

قال ابن عدي في الكامل: " ولم يحدث عن محمد بن المنكدر من حديث الثوري عنه إلا معاوية " (٨٢).

(٨١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٣٨/١٠).

(٨٢) الكامل في الضعفاء (١٥٠/٨).

وقال في ترجمته لمعاوية: " وقد أغرب عن الثوري بأشياء ، وأرجو أن لا بأس به " (٨٣)

وقال أبو نعيم في الحلية: " غريب من حديث الثوري تفرد به معاوية ".
وقال اسماعيل الصابوني: وبلغني أنه قيل له " أي لشعيب " ينبغي أن تمسك
عن هذه الرواية ففعل. (٨٤)

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة شعيب: " وله حديث منكر ذكره الخطيب في
تاريخه " (٨٥). ولم يذكر الخطيب البغدادي إلا هذا الحديث وحديثاً آخر رواه مسلم.
فتبين من أقوال العلماء في الطريق الأول أنه يرجع إلى الطريق الثاني وهو طريق
علي بن أبي علي اللهبي، وهو طريق واه جدا، فعلي بن أبي علي هذا متروك واتهم،
قال عنه أحمد بن حنبل: " يروي أحاديث مناكير عن جابر ".

وقال البخاري: " منكر الحديث " .

وقال النسائي: " متروك الحديث " . وتركه أيضا أبو حاتم.

وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين. (٨٦)

فالحديث ضعيف جداً.

(٨٣) المرجع السابق.

(٨٤) ينظر: المقاصد الحسنة (ص ٢٩٤).

(٨٥) ميزان الاعتدال: (٢٧٥/٢)

(٨٦) ينظر: الضعفاء الصغير للبخاري (ص ٨٥)، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٢١٦)، الجرح والتعديل (

١٩٧/٦)، الكامل في الضعفاء (٣١٦/٦)، الضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص ١٩٤)، المغني في الضعفاء

للذهبي (٩٢/٢) .

٤- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " جل من يموت من أمتي بعد قضاء الله وكتابه وقدره بالأنفس يعني بالعين ".

أخرجه الطيالسي في مسنده (ص ٢٤٢) ح (١٧٦٠)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٣٦) ح (٣١١)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/٤٠٣) ح (٣٠٥٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٧/٣٣٨) ح (٢٩٠٠)، وابن عدي في الكامل (١٩١/٥).

والبخاري في الكبير (٤/٣٦٠) عن موسى بن إسماعيل، ومن طريق البخاري أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة طالب بن حبيب (٣/١٧٣).

وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/١٩١) من طريق أبي يزيد حبويه.

ثلاثتهم (الطيالسي، وموسى بن إسماعيل، وأبو يزيد حبويه) عن طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل، قال: حدثني عبدالرحمن بن جابر، عن أبيه.
دراسة رواة الإسناد:

- طالب بن حبيب بن عمرو الأنصاري: قال البخاري: " فيه نظر "، وقال الذهبي: " ضَعْف "، وذكره ابن عدي في الكامل، ثم قال: " نرجو أنه لا بأس به "، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: " صدوق يهم " ^(٨٧).

- عبدالرحمن بن جابر بن عبد الله الأنصاري، أبو عتيق المدني: وثقه العجلي والنسائي، وضعف ابن سعد روايته، وقال ابن حجر: " ثقة، لم يصب ابن سعد في تضعيفه " ^(٨٨).

(٨٧) ينظر: التاريخ الكبير (٤/٣٦٠)، الكامل في الضعفاء (٥/١٩١)، ميزان الاعتدال (٢/٣٣٣)، تقريب التهذيب (١/٤٤٨).

(٨٨) ينظر: الجرح والتعديل (٥/٢٦٦)، تهذيب التهذيب (٦/١٣٩)، تقريب التهذيب (١/٥٦٤).

- جابر بن عبد الله الأنصاري، صحابي مشهور: والإسناد ضعيف ؛ فطالب بن حبيب هذا قال عنه البخاري: " فيه نظر " وهو جرح شديد عنده، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير بقوله: " إن البخاري إذا قال في الرجل: " سكتوا عنه "، أو " فيه نظر " فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكنه لطيف العبارة في التجريح " (٨٩).

وصدر العقيلي كلام البخاري هذا في ترجمة طالب وقال: " وفي العين عن النبي ﷺ رواية من غير هذا الوجه بأسانيد جيد " (٩٠)، وكأنه ينكر هذه الرواية.

وساق ابن عدي في الكامل الحديث في ترجمة طالب بن حبيب، وهو يسوق في الترجمة ما يتفرد به الراوي ويستنكر عليه، كما أنه أضاف ما يدل على اضطراب الراوي طالب بن حبيب في روايته حيث رواه مرة عن شيخه عبدالرحمن بن جابر، ومرة عن محمد بن جابر، وذكر حديثاً آخراً اضطرب فيه يرويه عن شيخه عبدالرحمن بن جابر عن أبيه جابر، ومرة عن جده، وهذا كله يؤكد كلمة البخاري التي صدر بها ترجمته.

وذكر الحديث أبو الفرج ابن الجوزي في العلل المتناهية (٨٧٢/٢).

كما أن هذه الرواية بهذا الإسناد أعرض عنها جميع أصحاب الكتب الستة مع شهرته عن أبي داود الطيالسي ؛ فهو مخرج في كتب الرجال وكتب الغرائب فقط.

ومثل هذا الراوي إذا تفرد بالرواية فإن تفرد لا يقبل، وبعد حديثه منكراً.

كما أن المتن مشكل أيضاً، خاصة إن حمل على ظاهره، وهو أن العين ليست بقضاء الله وقدره، وللخروج من هذا لا بد من التكلف في تأويله، فيكون المعنى: أكثر من يموت - وإن كان الجميع بقضاء الله وقدره - من أمتي بالعين.

(٨٩) اختصار علوم الحديث لابن كثير (ص ١٠٧).

(٩٠) ينظر: الضعفاء الكبير (٢/٢٣١).

٥- عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " نصف ما يخفر لأمتي من القبور من العين ".

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٥/٢٤) ح (٣٩٩)، قال: حدثنا أبو عقيل أنس بن سالم الخولاني، ثنا عمرو بن هشام أبو أمية الحراني، ثنا عثمان بن عبدالرحمن الطرائفي، عن علي بن عروة، عن عبدالملك، عن داود بن أبي عاصم، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها .

هذا حديث موضوع، في إسناده علي بن عروة الدمشقي القرشي.

قال أبو حاتم: "متروك الحديث"، وقال ابن عدي: "منكر الحديث"، وقال ابن حبان: "كان ممن يضع الحديث"، ووصفه ابن حجر بقوله "متروك"^(٩١). ذكره الهيثمي في المجمع (١٠٩/٥) وقال: "رواه الطبراني وفيه علي بن عروة الدمشقي وهو كذاب". وقال العراقي في طرح التثريب (١٩٨/٨) "وإسناده ضعيف جدا".

٦- عن أنس بن مالك ؓ قال: كان عند رسول الله ﷺ يتيم مريض، فسأل عنه يوماً، فقالوا: إنه لميت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ " أفلا استرقيتم له، فإن ثلث منايا أمتي من العين ".

أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول (٨٠٣/٢) ح (١١٠٤)، من طريق الفضل بن محمد، ثنا محمد بن الوزير الواسطي، ثنا يوسف بن السفر، قال: حدثني مالك بن أنس، قال: حدثني ربيعة بن أبي عبدالرحمن، عن أنس بن مالك ؓ.

(٩١) ينظر: الجرح والتعديل (١٩٨/٦)، المجروحين (٨٣/٢)، الكامل في الضعفاء (٣٥٦/٦)، تهذيب التهذيب (٣١٩/٧)، التقريب (٩٩/١).

هذا حديث موضوع في إسناده يوسف بن السفر، أبو الفيض.

كاتب الأوزاعي، قال البخاري: "منكر الحديث"، وقال أبو زرعة وغيره: "متروك"، وقال النسائي: "ليس بثقة"، وقال ابن عدي: "روى بواطيل"، وقال الدارقطني: "متروك يكذب".^(٩٢)

المبحث السادس: فقه أحاديث علاج العين

إن من رحمة الله بعباده المؤمنين أن بيّن على لسان رسوله ﷺ كيفية دفع العين قبل وقوعها، وإذا وقعت كيف يعالج منها.

المطلب الأول: دفع العين قبل الوقوع

وهذا ينقسم إلى ما هو يتعين من العائن وهو:

- التبريك: وهي جملة مزيلة ومانعة للعين وشرها، ولذلك أمر النبي ﷺ أن نبرك على كل ما يستحسن ويعجب، وإذا كان العائن يخشى ضررَ عينه وإصابتها للمعين، فليدفع شرّها بقوله: اللّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ، كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما كان سهل بن حنيف: "ألا بَرَكْتَ" ^(٩٣). وقد أمر العائن أن يقول: "اللّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ" ليدفع تلك الكيفية الخبيثة بالدعاء الذي هو إحسانٌ إلى المعين، فإنّ دواء الشيء بضدّه.

وقسم آخر يتعين على المعين، وهو:

- الأذكار والأوراد الشرعية: إذا كانت العين سهما تخرج من نفس الحاسد أو العائن نحو المحسود والمعين فهي تصيب تارة وتخطئ تارة، فإن صادفته لا وقاية عليه

(٩٢) ينظر: الضعفاء الصغير للبخاري (١٢٧)، الكامل في الضعفاء (٤٩٧/٨)، الضعفاء والمتروكين للدارقطني

(ص ٢٥٧)، ميزان الاعتدال (٤/٤٦٦).

(٩٣) تقدم تخريجه في حديث رقم (١٧).

أثرت فيه لا بد، وإن صادفته حذراً محصناً لا منفذ فيه للسهم لم تؤثر فيه، وأعظم ما يحفظ الله بها الإنسان هي الأوراد والأذكار الشرعية:

- "قل أعوذ برب الفلق".

- "قل أعوذ برب الناس".

- قراءة آية الكرسي.

- الآيتان الأخيرتان من سورة البقرة.

- أوراد الصباح والمساء التي بسطها العلماء في كتب الأذكار.^(٩٤)

وذهب بعض العلماء إلى الاحتراز من العين بستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردّها عنه، واعتمدوا في ذلك على ما روي عن عثمان رضي الله عنه: " أنه رأى صبيّاً تأخذه العين جمالاً، فقال: دَسَّمُوا نُؤنَّته "^(٩٥) ذكرها الخطابي في غريبه وقال: رواه أحمد بن يحيى الشيباني^(٩٦)، عن محمد بن زياد الأعرابي^(٩٧)، ذكره أبو عمر^(٩٨) عنه. ثم قال

(٩٤) من كتب الأذكار: عمل اليوم واللييلة للنسائي، وعمل اليوم واللييلة لابن السني، والأذكار للنووي، والوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.

(٩٥) غريب الحديث للخطابي (١٣٩/٢)، وينظر: شرح السنة للبغوي (١٦٦/١٢)، مشارق الأنوار للقاضي عياض

(٩٦) أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، المعروف بثعلب، وهو أحد علماء اللغة ومشهوراً بالحفظ، وصاحب الفصيح والتصانيف. مات سنة (٢٩١هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٢٠٤/٥)، تذكرة الحفاظ (٦٦٦/٢).

(٩٧) أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، إمام اللغة، لزمه ثعلب تسع عشرة سنة. وانتهى إليه علم اللغة والحفظ، مات سنة (٢٣١هـ). ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٠/١)، تاريخ بغداد (٢٠٢/٣).

(٩٨) هو محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم، أبو عمر البغوي، المعروف بغلام ثعلب، ونقل الخطيب البغدادي عن شيوخه أنهم كانوا يوثقونه في الحديث. مات سنة (٣٤٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٣٥٦/٢)، وفيات الأعيان (٣٢٩/٤).

في تفسيره : " أراد بالنونة: النقرة التي في ذقنه، والتدسيم: أراد التسويد، أراد سودوا ذلك الموضوع من ذقنه ليرُد العين".

ومما يشكل على هذه الرواية عدة أمور:

- أن الأثر ذكر في كتب اللغة، ونقله عنهم بعض الشراح، ولم أقف عليه مسنداً، ومن ذكر في إسناده غلبت عليهم البضاعة اللغوية.

- من استدل بهذا الأثر فإنه عمد إلى تشويه نعمة من نعم الله عليه أو على أولاده أو زوجه أو ماله، أو يعمد إلى الكذب أو التزوير وخداع الناس، فكأنه بهذا انصرف إلى جنس معين من الاعتقاد، وهو اعتقاد النفع والضرر من الناس استقلالاً، وهذا ينافي كمال التوكل، والمأثور هو دفع الشرور والاستعاذة بولي النعمة وموليها من شر لصها وعدوها بالأذكار والأوراد الشرعية، فمن توكل عليه وانقطع بكليته إليه حفظه وحرسه وصانه.

- أن تدسيم النونة يزيد لها وضوحاً وجمالاً، مع أن المقصود من الحديث هو تقليل جمال الصبي، وهذا مما يشكل أيضاً في هذا الأثر.

يتبين من هذا أن تعمد الستر خوف العين لا أصل له، والله سبحانه وتعالى يقول: " وأماً بنعمة ريكَ فَحَدَّثْ " (٩٩)، فالمسلمون كانوا يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها، وإن ظهرت فلا بأس من غير إسراف، ولا خيلاء، ولا كسر نفوس الفقراء، وأن لا يغتر بها، كما أن التحدث بنعمة الله داع لشكرها، وموجب لتحيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن. (١٠٠)

(٩٩) سورة الضحى (١١).

(١٠٠) ينظر: تفسير ابن كثير (٥٥٩/٤)، تفسير السعدي (ص ٨٨٠).

المطلب الثاني: علاج الإصابة من العين بعد وقوعها

١ - الرقية: معناها:

العُوذة، والجمع رُقَى، وتقول: اسْتَرْقَيْتَهُ فَرَقَانِي رُقِيَةً، فهو راق، ورجل رَقَاءً: صاحب رُقَى. يقال: رَقَى الراقي رُقِيَةً ورُقِيًّا إِذَا عَوَّذَ وَنَفَثَ فِي عَوْدَتِهِ. (١٠١)
أما اصطلاحاً:

قال ابن حجر: "الرقية كلام يستشفى به من كل عارض". (١٠٢)

وقال ابن الأثير: "الرقية: العُوذة التي يرقى بها صاحب الآفة، كالحمي والصرع، وغير ذلك من الآفات". (١٠٣)

وقال ابن تيمية: "الاسترقاء أن يطلب من غيره أن يرقيه، والرقية من نوع الدعاء، وكان هو ﷺ يرقى نفسه وغيره ولا يطلب من أحد أن يرقيه" (١٠٤)

والرقية مشروعة للمصاب بالعين، امثالاً لقول النبي ﷺ الذي روته عائشة: "أمرني النبي ﷺ أن نسترقى من العين". (١٠٥)

وكذا قول أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عندما رأى في بيتها جارية في وجهها سَفْعَةٌ: "استرقوا لها فإن بها النظرة" (١٠٦).

وهذا دليل على أن علاج العين يكون بالرقية، ومما جاء في الرقية:

(١٠١) لسان العرب (٢٠٩/٦)، وينظر: تهذيب اللغة (٢٩٣/٩).

(١٠٢) فتح الباري (٥٧١/٤).

(١٠٣) النهاية في غريب الحديث (٢٥٤/٢).

(١٠٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢٨/١).

(١٠٥) تقدم تخريجه في حديث رقم (١٢)

(١٠٦) تقدم تخريجه في حديث رقم (١١).

- عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقيه جبريل قال: " باسم الله يُبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين " (١٠٧).

- عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: " يا محمد اشتكيت، فقال: نعم، قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك " (١٠٨).

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول: أتى جبريل عليه السلام، النبي ﷺ، وهو يُوعك. فقال: " بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من حسد حاسد، ومن كل عين الله يشفيك " (١٠٩).

ولم أقف على تحديد آيات معينة لرقية المعيون في المأثور عنه ﷺ كما هو الحال عند بعض الراقين، أو تكرار بعض الآيات عدة مرات، وإنما هذا اجتهاد منهم،

(١٠٧) أخرجه مسلم في السلام باب الطب والمرض والرقى (١٤/١٦٩).

(١٠٨) أخرجه مسلم في السلام باب الطب والمرض والرقى (١٤/١٧٠)، وابن ماجه في الطب باب ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به (٢/١١٦٤)، ح (٣٥٢٣)، من طريق أبي نضرة العبدى عن أبي سعيد الخدري.

(١٠٩) أخرجه ابن ماجه في الطب باب ما يعوذ به من الحمى (٢/١١٦٦)، ح (٣٥٢٧)، من طريق عمرو بن عثمان عن أبيه، وأحمد في مسنده (٥/٣٢٤) من طريق زيد بن الحباب وعلي بن عياش، كلهم عن ابن ثوبان عن عُمير - وهو ابن هانئ - أنه سمع جُنادة بن أبي أمية قال: سمعت عبادة بن الصامت، وذكره. وفيه ابن ثوبان وهو عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي مختلف فيه، وثقه أبو حاتم، وقال أبو زرعة: " شامي لا بأس به "، وضعفه النسائي، وقال ابن معين: " صالح الحديث ". ينظر: الجرح والتعديل (٥/٢١٩)، تهذيب التهذيب (٦/١٣٦)، تقريب التهذيب (١/٥٦٣).

وله شاهد من حديث أبو سعيد الخدري السابق ذكره.

قال البويصرى في الزوائد (٢/٢٢١): " هذا إسناد حسن "، وهو كما قال.

وأخرجه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠/٣٦٩) ح (١٠٧٧٦) من طريق سلمان رجل من أهل الشام عن جُنادة عن ابن الصامت بنحوه.

والأولى الرقية بالمأثور عنه ﷺ بصفة عامة ، وعدم الاعتقاد بنفع آيات معينة دون غيرها من غير مستند صحيح^(١١٠) ، والقرآن كله شفاء قال تعالى : " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " (١١١) .

وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط^(١١٢) :

- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته .
 - أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره .
 - أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى .
- ولا شك أن رقية المصاب لنفسه أفضل لأن النائحة الشكلى ليست كالنائحة المستأجرة ، وهذا إذا لم يعرف العائن ، وأما إذا عرف الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالاعتسال .

٢- اغتسال العائن للمعِين:

قال النووي: " الاستغسال أن يقال للعائن وهو الناظر بعينه بالاستحسان: اغسل داخلة إزارك مما يلي الجلد بماء ، ثم يصب ذلك على المعين وهو المنظور إليه " (١١٣) .

فالأصل في علاج المعين الحرص على معرفة العائن فيؤمر بغسل مغابنه وأطرافه وداخلة إزاره وصبه على رأس المعيون .

(١١٠) ولقد اطلعت على كثير مما ألف في الرقية الشرعية حيث حُصص فيها فصول للآيات والأوراد التي تقرأ على المعيون، وما يعرف عندهم بآيات الشفاء، أو غيرها مما لم يرد، وقد يكون كتاب " العواصم من الشيطان وصحيح الرقية الشرعية " للشيخ مصطفى العدوي تميز على غيره بأنه اعتمد على المأثور في الرقية .

(١١١) سورة الاسراء (٨٢) .

(١١٢) ينظر: فتح الباري (١٠/٢٤٠) .

(١١٣) المجموع شرح المهذب (٩/٧٥) .

أو يؤخذ من أثره إذا غلب على الظن أنه هو العائن، وقد يكون الأصل في هذا ما جاء في نهاية حديث سهل بن حنيف عندما عان عامر بن ربيعة في رواية عبدالرزاق: "وأمره فحسا منه حسوات" (١١٤).

وهذا من أقوى العلاجات وأفضلها، وليس في ذلك اتهام أو فتح لباب العداوة والبغض فإن العين قد لا تخطر ببال العائن؛ وإنما هو إعمال لحديث عامر بن ربيعة عندما سأل النبي ﷺ أهل المعين "هل تتهمون فيه أحد" (١١٥)، وهذا الاتهام لا بد أن يقوم على بينة كأن يسمعه أحد يتكلم بكلام، أو أن يخبر عن نفسه، أما الاعتماد على الظنون، وأقوال المشعوذين، أو الاستعانة بالجان، فهذا خطير جداً، وفيه إشاعة للعداوة وسوء الظن، وفتنة للناس، والنبي ﷺ أرشدنا في حال إذا لم يعلم العائن فحينئذ يلجأ إلى علاج نفسه بالرقية الشرعية.

وقد نبه ابن القيم إلى ضرورة الاعتقاد بنفع هذا العلاج وأنه لا ينتفع بها من أنكرها، ولا من سخر منها، ولا من شك فيها، أو فعلها مجرباً غير معتقد. (١١٦)

وأما ما ينتشر من علاجات للمعين غير ما ذكرت، أو وقايات من العين غير ما ورد عنه ﷺ فينبغي الحذر منه، فهي إما بدعية أو شركية فيها استعانة بغير الله، مع التنبيه إلى أن ليس كل ما يصيب الإنسان سببه العين، بل يجب التوقع بأن السبب قد يكون مرضياً عضوياً، فإن الإصابة بالعين لا يمكن قياسها بالنظر، وإنما هو ظن قائم

(١١٤) تقدم تخريجه في حديث رقم (١٧)، وقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "وهي أن يؤخذ من شعاره، أي: ما يلي جسمه من الثياب؛ كالثوب، والطاقيّة، والسروال، وغيرها، أو التراب إذا مشى عليه وهو رطب". القول المفيد على كتاب التوحيد (٩٩/١).

(١١٥) من حديث عامر بن ربيعة، تقدم تخريجه في حديث رقم (١٧).

(١١٦) ينظر: زاد المعاد (١٧١/٤).

على أعراض متفاوتة وغير واضحة، وقد يخطئ الظن ويصيب الطب، وهنا لا بد من بذل الأسباب في التداوي والعلاج.

المطلب الثالث: هل كلامه ﷺ في العين وحي وشرع، أم هو طب وتجربة؟

يندرج هذا تحت مسألة هل الحديث النبوي فيه ما هو رأي للنبي ﷺ وليس وحيًا؟ أم أن كل ما نطق به رسول الله ﷺ وحي من الله تعالى؟ والصحيح أنها وحي من الله تعالى إلا إذا جاءت قرينة تدل على أن ذلك من رأيه ﷺ، والأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى" (١١٧)، منطوق هذه الآية أن كل ما يقوله رسول الله ﷺ وحي من الله تعالى، لأن كلامه لا يصدر عن هوى وإنما يصدر عن وحي يوحى، ولا فرق في ذلك بين مجال ومجال.

- ما ورد عن عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه فقال: "أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق" (١١٨).

- حديث العسل الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه "أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتى الثانية، فقال: اسقه عسلاً، ثم

(١١٧) سورة النجم (٣،٤).

(١١٨) أخرجه أبو داود في العلم، باب كتابة العلم (٧٩/١٠) ح (٣٦٢٩)، وأحمد في مسنده (١٦٢/٢)، والدارمي في باب من رخص في كتابة العلم (١٢٥/١)، من طريق يحيى بن سعيد، عن عبيدالله الأحنس، عن الوليد بن عبدالله، عن يوسف بن ماهك، عن عبدالله بن عمرو. والحديث حسن، فيه عبيدالله بن الأحنس، أبو مالك الخزاز، وهو صدوق، روى له الجماعة، وبقيّة رجاله ثقات.

أتاه الثالثة، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه، فقال: فعلت، فقال: صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه، فبراً" (١١٩)

وأحاديث الطب تندرج تحت هذا، فالصحيح أنها وحي من الله تعالى، إلا إذا جاءت قرينة تدل على أن ذلك من رأيه ﷺ، ويؤكد هذا الرأي أمران:

الأول: السبق العلمي الذي في الحديث النبوي في مجال الطب الذي لا يمكن أن يكون من عنده وهو النبي الأمي، كما لا يمكن أن يكون من تراث عصره، فإن كثيراً مما ورد فيها لم يكتشف إلا بعد أكثر من ألف ومائتي سنة، ومنها ما لم يكتشف إلا في القرن العشرين.

الثاني: خلو أحاديث الطب من الأخطاء الطبية سواء في المعلومات البحثية، أو التشخيص، أو الوقاية، أو العلاج، فلو كان علماً تجريبياً لوقع الخطأ، ولكنه وحي منه سبحانه يعصمه من الأخطاء الشائعة.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين..
فبعد دراسة موضوعية لإربعة وعشرين حديثاً مما ورد مسنداً في العين، وبعض مسائله خلص البحث إلى النتائج التالية:

١ - أن الأدلة من السنة دلت على حقيقة العين، وأنها حق، وليست من جملة الأوهام والخيالات.

(١١٩) أخرجه البخاري في الطب، باب الدواء بال غسل، وقول الله تعالى: " فيه شفاء للناس " (١٧١/١٠) ح (٥٦٨٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب التداوي بالعود الهندي (٢٠٢/١٤).

- ٢ - مرض الإصابة بالعين لا يقع إلا بإذن الله تعالى ، وليس مرتبطاً فقط بنظر شخص لآخر بعيون مشوبة بالحقد والحسد.
 - ٣ - الإصابة بالعين لها تأثير على البدن ، وقد تؤذي الإنسان وتصرعه .
 - ٤ - التبريك عند الاستحسان والعجب يعد مانعاً بإذن الله من العين.
 - ٥ - التعوذ من العين والتحصن من شرها ، والحرص على الأذكار والأوراد هو المنهج الوقائي النبوي.
 - ٦ - التداوي بالرقية الشرعية والاستشفاء بالمأثور منها ، وخير أنواع الرقية أن يرقى المصاب بالعين نفسه.
 - ٧ - اغتسال العائن أمر لازم إذا طلب منه من أجل رفع ضرر العين.
 - ٨ - بعض ما اشتهر في العين من أحاديث والتي تثير الهلع والتوجس في النفس ضعيفة لا ترقى إلى مصاف الأحاديث المقبولة.
 - ٩ - كل ما ورد في العين وحي من الله سبحانه ، وليس علماً تجريبياً عرضة للصواب والخطأ.
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

- [١] الأدب المفرد. للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري ، ترتيب كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٥هـ.
- [٢] الاستدكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه " الموطأ " من معاني الرأي والآثار ، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار. تصنيف الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر ، حققه : د. عبد المعطي أمين قلعجي ، دار قتيبية ، دمشق - بيروت ، دار الوعي - حلب ، القاهرة ، ط الأولى ١٤١٤هـ.

- [٣] الإصابة في تمييز الصحابة. لشيخ الإسلام أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- [٤] أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري. للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ودراسة محمد بن سعد آل سعود، مطبعة جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- [٥] إكمال المعلم بفوائد مسلم. للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى اسماعيل، دار الوفاء، الرياض، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- [٦] الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. للحافظ ابن كثير، تحقيق أحمد شاكر، دار السلام، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- [٧] بدائع الفوائد. للعلامة أبي عبدالله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.
- [٨] تاج العروس من جواهر القاموس. لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت - لبنان - ١٤١٤هـ.
- [٩] تاريخ بغداد. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، حققه د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
- [١٠] تاريخ دمشق. للإمام علي بن الحسن الشافعي، المعروف بابن عساكر، دار الفكر.
- [١١] التاريخ الكبير. للحافظ أبي عبدالله إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- [١٢] تذكرة الحفاظ. للإمام أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- [١٣] تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي. للإمام الحافظ محمد عبد الرحمن المباركفوري، ضبطه وراجعاه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر.
- [١٤] تعريف أهل التقديس بمراتب الموصفين بالتدليس. للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، مكتبة المنار، الأردن.
- [١٥] تفسير المعوذتين. لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية، حرج أحاديثه موفق عبدالله العوض، دار طيبة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- [١٦] تقريب التهذيب. للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- [١٧] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- [١٨] تهذيب التهذيب. للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- [١٩] تهذيب الكمال في أسماء الرجال. للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني، تحقيق د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- [٢٠] تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد أحمد الأزهرري، تحقيق: يعقوب عبد النبي، الدار المصرية.
- [٢١] الثقات. للحافظ محمد بن حبان بن أبي حاتم، مؤسسة الكتب الثقافية.
- [٢٢] جامع التحصيل في أحكام المراسيل. للحافظ أبي سعيد بن خليل العلائي، تحقيق حمدي السلفي، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

- [٢٣] *الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير*. للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر.
- [٢٤] *الجرح والتعديل*. للحافظ أبي محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [٢٥] *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- [٢٦] *الدر المنثور في التفسير بالمتأثر*. لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ.
- [٢٧] *زاد المعاد في هدي خير العباد*. لابن قيم الجوزية، حققه شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة عشر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- [٢٨] *سنن أبي داود*. للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عوامة، المكتبة المكية، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- [٢٩] *سنن الدارقطني*. وهو شيخ الإسلام الإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- [٣٠] *سنن الدارمي*. وهو الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- [٣١] *سنن ابن ماجه*. وهو أبو عبد الله محمد القزويني، حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- [٣٢] *السنن الكبرى*. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- [٣٣] سنن النسائي. بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، دار الفكر ، بيروت ، ط الأولى ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م.
- [٣٤] سير أعلام النبلاء. للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ.
- [٣٥] شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لأبي الفلاح عبدالحفي بن أحمد العكري ، تحقيق عبدالقادر ومحمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ.
- [٣٦] شرح السنة للبغوي. للإمام الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير شاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٣ هـ.
- [٣٧] شرح مشكل الآثار. للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي ، حققه وخرّج أحاديثه ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- [٣٨] صحيح البخاري. وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الشعب.
- [٣٩] صحيح مسلم بشرح النووي. للإمام يحيى بن شرف النووي ، المطبعة المصرية ، الأزهر ، ط الأولى ١٣٤٩ هـ .
- [٤٠] الضعفاء الصغير للبخاري. للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمود زايد ، دار المعرفة ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ.
- [٤١] الضعفاء والمتروكين للدارقطني. للإمام علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، ط الأولى ١٤٠٠ هـ.
- [٤٢] الضعفاء والمتروكين للنسائي. للإمام أحمد بن علي النسائي ، تحقيق محمود زايد ، دار المعرفة ، ط الأولى ١٤٠٦ هـ.

- [٤٣] *طرح التثريب في شرح التثريب*. لعبدالرحيم بن زين العراقي، تحقيق أحمد زرعة، دار إحياء التراث العربي.
- [٤٤] *العبر في خبر من عبر*. لأبي عبدالله الذهبي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [٤٥] *علل الحديث لابن أبي حاتم*. لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد الرازي، نشر مكتبة المثنى، بغداد.
- [٤٦] *العلل المتناهية في الأحاديث الواهية*. للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- [٤٧] *العلل الواردة في الأحاديث النبوية*. للحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.
- [٤٨] *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. للشيخ العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار الفكر.
- [٤٩] *عون المعبود شرح سنن أبي داود*. للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، لبنان - بيروت، ط الثالثة ١٣٩٩هـ.
- [٥٠] *غريب الحديث*. للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق عبدالكريم العزباوي، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.
- [٥١] *غريب الحديث*. لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- [٥٢] *غريب الحديث*. للإمام أبي الفرج عبدالرحمن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

[٥٣] *الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية*. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.

[٥٤] *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

[٥٥] *فيض القدير شرح الجامع الصغير*. لعبدالرؤف المناوي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩١ هـ.

[٥٦] *القاموس المحيط*. لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٧ م.

[٥٧] *لسان العرب*. لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

[٥٨] *الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة*. للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة، ط الأولى ١٤١٣ هـ.

[٥٩] *الكامل في ضعفاء الرجال*. لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

[٦٠] *المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين*. لأبي حاتم محمد بن حبان، تحقيق محمود زايد، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى ١٣٩٦ هـ.

[٦١] *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

- [٦٢] *مجمّل اللّغة*. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللّغوي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- [٦٣] *المستدرّك على الصحيحين*. لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم، دائرة المعارف بالهند، تصوير دار المعرفة، ط الأولى ١٣٣٤ هـ.
- [٦٤] *المسند*. للإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال، المكتب الإسلامي.
- [٦٥] *مسند أبي داود الطيالسي*. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند ط الأولى ١٣٢١ هـ.
- [٦٦] *مسند البزار*. لأحمد بن عمرو العتكي، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى ١٤٠٩ هـ.
- [٦٧] *مسند الشاميين*. لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق أحمد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٦ هـ.
- [٦٨] *مسند الشهاب*. لأبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- [٦٩] *مسند الفردوس بمأثور الخطاب*. لأبي شجاع الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [٧٠] *مشكاة المصابيح*. لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- [٧١] *مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه*. لأحمد بن أبي بكر البوصيري، دراسة كمال الحوت، دار الجنان، ط الأولى ١٤٠٦ هـ.

- [٧٢] المصنف. للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني، حققه وخرّج أحاديثه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- [٧٣] المصنف. للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، نشره مختار أحمد الندوي السلفي، الدار السلفية، الهند.
- [٧٤] معالم السنن. لأبي سليمان الخطابي، بذييل مختصر سنن أبي داود، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- [٧٥] المعجم الأوسط. لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- [٧٦] معجم البلدان لياقوت الحموي. لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ هـ.
- [٧٧] المعجم الصغير. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد سمارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- [٧٨] المعجم الكبير. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الأمة، بغداد.
- [٧٩] معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن زكريا، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- [٨٠] معرفة الثقات. للحافظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، تحقيق عبدالعليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- [٨١] معرفة السنن والآثار. لأبي بكر أحمد البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، ط الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- [٨٢] *المعلم بفوائد مسلم للمازري*. لأبي عبدالله محمد المازري، تحقيق محمد الشاذلي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط الثانية.
- [٨٣] *المغني في الضعفاء*. للحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- [٨٤] *المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة*. لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٣٩٩هـ.
- [٨٥] *مقدمة ابن خلدون*. لعبدالرحمن بن خلدون، دار الفكر، بيروت، ١٤٣١هـ.
- [٨٦] *موطأ الإمام مالك*. رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبداللطيف، دار القلم، بيروت - لبنان، ط الأولى.
- [٨٧] *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*. لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
- [٨٨] *النهاية في غريب الحديث*. للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- [٨٩] *نوادير الأصول في معرفة أحاديث الأصول*. لأبي عبدالله محمد بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي، مكتبة البخاري القاهرة، ط الأولى ١٤٢٩هـ.
- [٩٠] *نبيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار*. للشيخ الإمام محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة.

Hadiths of evil eye Envy (Collecting and Study)

Dr. Entesar Bint Ibrahim Abdulrahman Alomar

-Assistant professor.University of Dammam
Faculty of Arts

Abstract. Praise be to Allah and Prayers and Blessings of Allah be upon the Messenger of Allah and upon his family and upon all of his Companions.....

As infliction of evil eye causes disease and damage. It became obsession by many people that compelled them to take means to protect themselves from infecting with this malady. These means, in many times, include legitimate prohibitions and polytheistic means. Another reason which contributed in that is some Hadiths concerning evil eye which exaggerated its effect spread among people. But these Hadiths included some weakness or fabrication, so it became required to study these Hadiths in the light of Islamic law, verify their Isnaad (Chain of Transmission) and indicate the accepted and the rejected. That is what I work on in a research I called "Hadiths of evil eye collecting and study", with clarifying the authentic ones concerning ways of protection and treatment.

كتاب الأساس في معرفة إله الناس
دراسة وتحقيق
القاضي: شرف الدين: هبة الله بن عبدالرحيم البارزي

د. عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الميمان
الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث. هذا المخطوط "كتاب الأساس في معرفة إله الناس" هو عبارة عن كتيب نفيس في دلائل الربوبية، ألفه القاضي: شرف الدين: هبة الله بن عبدالرحيم البارزي أحد أئمة المذهب الشافعي في حماة في الشام، هذا العالم ت (٧٣٨هـ)، وقد ضبطت النص وأخرجته مجتهداً في موافقة التحقيق لقواعد التحقيق المشهورة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد: فإن توحيد الربوبية هو التوحيد الفطري الذي جبلت عليه الخليقة ، وهو الأساس الذي يقوم عليه توحيد الطلب والقصود ، وينبني على المطالبة بما أقر به الخلائق بالجملة فيه ، وكلُّ من حصل لديه انحراف في اعتقاده في الربوبية أو قدح فيها فإنه يجب تقويمه فيه لأنه مطلب لذاته ، ولأنه يجب تقويمه لما يترتب على الانحراف فيه من انحراف في توحيد الألوهية ، فيطالب بتصحيح اعتقاده في توحيد الألوهية ، ولذا حكى الله جل وعلا في قصة إبراهيم وموسى عليهما السلام مناظرتهمما لجابرة أقوامهما في الربوبية ، يقول تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَهِمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبرَهِمُ فَإِنَّكَ اللهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ^[سورة البقرة: ٢٥٨] ، ويقول تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ ^[سورة الشعراء: ٢٣- ٢٥] إتح المناظرة.

ولذا تتبع أهل السنة والجماعة الخلل الذي قد يكون في مواضع الربوبية من المنحرفين فتناولوه بالإصلاح والرد والنقض ، ومن هؤلاء العلماء شرف الدين هبة الله البارزي إمام الشافعية في عصره ، حيث صنف في الربوبية هذا المخطوط المختصر في ورقاته ، والكبير في استدلالاته ولفقاته ، وقد وقعت عليه ضمن أحد المجاميع فوجدته لم تسبق طباعته فيما أعلم ، ووقعت في نفسي الرغبة الملحة لإخراجه كما أراده المؤلف على ما تقتضيه قواعد التحقيق.

خطة البحث

القسم الأول: الدراسة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة المؤلف

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ولادته واسمه ولقبه.

المطلب الثاني: حياته العلمية.

المطلب الثالث: نماذج من اختياراته وأقواله.

المطلب الرابع: فضله وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: اسم ونسبة المخطوط.

المبحث الثالث: نسخ المخطوط.

المبحث الرابع: محتوى المخطوط وقيمه العلمية.

المبحث الخامس: منهج التحقيق.

وفيه أربع مطالب:

المطلب الأول: تحقيق نص الكتاب.

المطلب الثاني: التخريج والعزو.

المطلب الثالث: نماذج من المخطوط.

المطلب الرابع: صورة الصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط.

القسم الثاني: النص المحقق.

وأخيراً سأختم بما أبين به خلاصة البحث ثم أفهرس - بإذن الله - فهارس موضوعية، ثم أنهي بفهرس المصادر.

القسم الأول: الدراسة**المبحث الأول: ترجمة المؤلف****المطلب الأول: ولادته واسمه ولقبه**

اسمه: هبة الله ابن عبدالرحيم البارزي.

نسبه: هبة الله بن قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن القاضي شمس الدين أبو الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الجهني الحموي.

لقبه: شيخ الإسلام، وقاضي القضاة، وشرف الدين

كنيته: أبو القاسم، وابن البارزي.

ميلاده: ولد في خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة (٦٤٥ هـ) ^(١).

المطلب الثاني: حياته العلمية

عاش العالم هبة الله البارزي حياةً علمية حافلة بطلب العلم والتدريس والقضاء، وهو أحد علماء الشافعية المكثرين في التصنيف، وفي الجملة قال عنه ابن كثير: "سمع الكثير وحصل فنونا كثيرة، وصنف كتباً جمّاً كثيرة سأسرد شيئاً منها، وكان حسن الأخلاق كثير المحاضرة حسن الاعتقاد في الصالحين، وكان معظماً عند الناس، وأذن الجماعة من البلد في الإفتاء، وعمي في آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم، وهو في ذلك لا

(١) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (١٤ / ٢١٣) و شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (٦ / ١١٩).

يقطع نظره عن المنصب"^(١)، وكان من همته في طلب العلم إذا سمع بتصنيف لأحد من أهل عصره جهز الدراهم واستحثه واستنسخه^(٢).

ولأبدأ بالحديث عن حياته العلمية لا بد من سرد شيوخه الذين تتلمذوا واستجاز منهم وهذا مسرد لهم:

سمع من:

- ١ - جده شمس الدين أبو الطاهر البارزي^(٤).
- ٢ - والده القاضي نجم الدين^(٥).
- ٣ - عز الدين الفاروثي^(٦).
- ٤ - جمال الدين بن مالك أخذ عنه النحو^(٧).

(٢) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (١٤ / ٢١٣)، وانظر كذلك: تقي الدين السبكي: معجم الشيوخ (١ / ٤٨٤)

(٣) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - (٢ / ١٥٨)

(٤) إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن البارزي: الحَمَوِيّ، القاضي شمس الدين. أحد علماء حماة، قرأ على أبي اليُمْن الكِنْدِيّ، وصحب الفخر ابن عساكر، درس بحماة، وولي قضاءها. ت ٦٦٩ هـ تاريخ الإسلام (٤٩ / ٢٧٦)، ومعجم المحدثين للذهبي ١٤٥/١

(٥) عبدالرحيم بن إبراهيم البارزي: قاضي حماة، سمع من موسى بن عبد القادر وكان بصيراً بالفقه والأصول وعلم الكلام والأدب وله شعر بديع، وفيه ديانة متينة وصدق وتواضع، ت ٦٨٣ هـ.

انظر: العبر في خبر من غير ٣/٣٥٢، ومعجم المحدثين للذهبي ١٤٥/١.

(٦) عز الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي، كان متفنناً متضلعا من العلوم والآداب، تصوف على يد السهروردي، وسمع منه ومن جماعة، وأسمع الكثير في الحرمين والعراق ودمشق. ت (٦٩٤). انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٤ / ١٦٧).

(٧) انظر: معجم المؤلفين - (١٣ / ١٣٩)، وابن مالك هو محمد بن عبد الله بن مالك، النحوي اللغوي، عالم في علم النحو والعربية مع كثرة الديانة والصلاح، سمع وحدث، وكان مشهوراً بسعة العلم والإتقان والفضل موثقاً بنقله حجة في ذلك، وله عدة تصانيف حسنة مفيدة، وإليه انتهى علم العربية. انظر: ذيل مرآة الزمان ٣/٧٦.

- ٥ - ابن هامل^(٨).
- ٦ - إبراهيم بن الأرموي^(٩).
- ٧ - وتلا بالسبع على التاذقي^(١٠).
- ٨ - كما أجازَه كلُّ من: " عز الدين بن عبد السلام والشيخ ندم الدين البادراني والحافظ رشيد الدين العطار وأبو شامة "^(١١).
- ثم مصنفاته التي ألفها:
- ١ - الأساس في معرفة آلة الناس.
- ٢ - الإحكام على أبواب التنبيه^(١٢).
- ٣ - تمييز التعجيز في الفروع.
- ٤ - روضات جنات المحبين في تفسير القرآن المبين.

(٨) المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحزّاني الحنبلي، محدّث رَحَال، وسمع ببغداد من القطيعي وغيره، وبدمشق من القاضي أبي نصر الشّيرازي وغيره، وبالإسكندرية من الصّفراوي وغيره، وبالقاهرة من ابن الصّابوني وغيره. ت (٦٧١ هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧ / ٥٨٣).

(٩) إبراهيم بن عبد الله بن يونس، الرّاهد، ابن الأرمي ويُقال ابن الأرموي نسبةً إلى أرمية،، سمع من الشّخّخ المُوفق وابن الزبيدي وغيرهما. ت (٦٩٢ هـ). انظر: الواقي بالوفيات (٦ / ٢٦).

(١٠) انظر: الواقي بالوفيات - (٧ / ٣٩٧)

(١١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى - (١٠ / ٣٨٧)

(١٢) قال في الرسالة المستطرفة ١٣/١٠: " (كتاب المصباح في الأحكام) للشيخ (شرف الدين أبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي الجهني الحموي الشافعي) المتوفى سنة ٧٣٨ هـ، قال الحافظ في الدرر الكامنة(١٦٨/٦): له كتاب في الأحكام على ترتيب التنبيه. اهـ، والكتاب اختصره من (المصابيح للبعوي) وجعله على مسائل كتاب (التنبيه للشيرازي)، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية في (٧٩) ورقة".

- ٥ - أسرار التنزيل.
- ٦ - تيسير الفتاوي من تحرير الحاوي^(١٣).
- ٧ - صنف مجلداً في شرف النبي ﷺ^(١٤).
- ٨ - شرح الحاوي في مجلدين.
- ٩ - كتاب في حل الحاوي.
- ١٠ - كتاب المغني جمع فيه مسائل التنبيه، وزيادات وغير ذلك، وله مسألة تفرد بها أعني ما أفتى به من جواز السفر للحائض قبل طواف الإفاضة مع نحر بدنة كمذهب الحنفية^(١٥).
- ١١ - البستان في تفسير القرآن.
- ١٢ - الشريعة في القراءات العشر^(١٦).
- ١٣ - تجريد الأصول من أحاديث الرسول^(١٧).
- ١٤ - شرح الحاوي الصغير للقزويني في فروع الفقه الشافعي في أربع مجلدات وسماه مفتاح الحاوي.

(١٣) انظر: (هدية العارفين ٢ / ٥٠٧)

(١٤) انظر: معجم المحدثين للذهبي ١ / ١٤٥.

(١٥) انظر لهذه الكتب الثلاثة مرآة الجنان ٢ / ٢٥٥.

(١٦) "وهو كتاب حسن في بابه بديع الترتيب جميعه أبواب لم يذكر فيه فرشاً بل ذكر الفرش في أبواب أصولية وهو تأليف الشيخ الإمام العلامة شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزي قاضي حماه وتوفى بها سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة" كشف الظنون ١ / ٣٤٥.

(١٧) وهو مختصر لجامع الأصول في ربع حجمه، قال في (كشف الظنون) (١ / ٣٤٥) قال: جرده عما زاده على الأصول من شرح الغريب والإعراب والتكرار، وسماه (تجريد الأصول).

- ١٥ - الناسخ والمنسوخ^(١٨).
- ١٦ - التمييز.
- ١٧ - ترتيب جامع الأصول.
- ١٨ - المغنى ومختصر التنبيه والوفاء في سرائر المصطفى ﷺ^(١٩).
- ١٩ - روضات الجنات في تفسير القرآن عشر مجلدات.
- ٢٠ - كتاب الفريدة البارزية في حل الشاطبية.
- ٢١ - كتاب المجتبى بعد الجيم والتاء المثناة من فوق باء موحدة مختصر جامع الأصول.
- ٢٢ - كتاب المجتبى بعد المثناة نون مختصر جامع الأصول أيضاً.
- ٢٣ - كتاب الوفا في أحاديث المصطفى مجلدان.
- ٢٤ - كتاب المجرد في مسند الإمام الشافعي وشرحه في أربع مجلدات.
- ٢٥ - كتاب ضبط غريب الحديث مجلدان.
- ٢٦ - تيسير الفتاوى في تحرير الحاوي.
- ٢٧ - كتاب إظهار الفتاوى مجلدان ويعرف بالميمي.
- ٢٨ - كتاب شرح البهجة مجلدان.
- ٢٩ - كتاب تمييز التعجيز.

(١٨) انظر للخمس مصنفات أعلاه: معجم المؤلفين - (١٣ / ١٣٩).

(١٩) انظر: طبقات الشافعية الكبرى - (١٠ / ٣٨٧).

- ٣٠ - كتاب الزيد^(٢٠)
- ٣١ - كتاب الدرّة في صفة الحج والعمرة.
- ٣٢ - كتاب المبتكر في الجمع بين مسائل المحصول والمختصر^(٢١).
- ٣٣ - الشرعة في قراءات السبعة على طريق لم يسبق إليها فإنه جعلها أصولاً
بلا فرش.
- ٣٤ - شرح الشاطبية وسماء الفريدة البارزية في حل الشاطبية.
- ٣٥ - اختصر كتاب التيسير.
- ٣٦ - كتاب بديع القرآن.
- ٣٧ - مختصر جامع الأصول.
- ٣٨ - غريب الحديث والأحكام على أبواب التنبيه.
- ٣٩ - المغنى مختصر التنبيه.
- ٤٠ - الزبدة في الفقه والمناسك والعروض^(٢٢).
- ٤١ - إظهار الفتاوي من أسرار الحاوي في فقه الشافعية مجلدان.

(٢٠) ولابن رسلان أحمد بن حسين الشافعي ت ٨٤٤هـ نظم له أسماء: متن الزيد، وعلى هذه المنظومة شروح منها:

فتح الرحمن بشرح زيد ابن رسلان للشهاب أحمد الرملي ت ٩٥٧هـ

مواهب الصمد في حل ألفاظ الزيد لأحمد الفوشني ت نحو ٩٧٨هـ

فتح المنان شرح زيد ابن رسلان لمحمد الحبيشي الإبي ت ١٢٤٩هـ

قرة العين لزين الدين بن عبد العزيز الميِّتباري ت ٩٩٠هـ " انظر مقدمة كتاب متن الزيد: - (١ / ١).

(٢١) انظر: طبقات الشافعية . لابن قاضي شهبة - (٢ / ٢٩٨)، ويقول فيها: "وله مصنفات أخر عدّها العثماني في طبقاته بضعا وأربعين مصنفاً".

(٢٢) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء - (١ / ٤٣١).

- ٤٢ - تيسير الفتاوي في تحرير الحاوي فقه.
 ٤٣ - الشريعة في القراءات السبعة رسالة.
 ٤٤ - البستان في تفسير القرآن.
 ٤٥ - توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن^(٢٣)
 ٤٦ - روضات جنات المحبين اثنا عشر مجلداً.
 ٤٧ - الناسخ والمنسوخ.
 ٤٨ - ضبط غريب الحديث مجلدان.
 ٤٩ - بديع القرآن.
 ٥٠ - رموز الكنوز منظومة في الفقه^(٢٤).

المطلب الثالث: نماذج من اختياراته وأقواله

لم أجد للشيخ هبة الله في العقيدة مصنفاً مستقلاً يدل على أصل انتمائه في المسلك العقدي، ولم يتسن لي الاطلاع على الرسائل العلمية التي كتبت في هذا الباب، وما أثر عن العلماء فيه يدل على حسن المعتقد كما سأنقله عن ابن حجر والذهبي رحمهما الله، وكان يرى عدم الخوض في الجدل بين أهل السنة والأشاعرة، مع أنه يقع في أفراد التأويل، كتأويله للاستواء على العرش بالإقبال والقصد إلى خلقه^(٢٥).

(٢٣) توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن. موجود في فهرس مركز الملك فيصل للمخطوطات في الرياض

برقم ٤٦٣٣٩ وله نسخ كثيرة موثقة في خزانة التراث ٤٧/٤٧٠.

(٢٤) انظر: الأعلام للزركلي - (٨ / ٧٣)

(٢٥) انظر: البستان ص ٦٦٠.

وكان يرى الكفَّ عن الخوض في الصفات، ويشني على الطائفتين كما ذكر ابن حجر رحمه الله^(٢٦).

كما أثنى عليه الذهبي رحمه الله فقال: "حسن المعتقد"^(٢٧).

وما سبق لا يفصح عن معتقده بالتفصيل رحمه الله، ويشير إلى أنه يقع في أفراد التأويل، ويميل عن التفصيل والترجيح بين أهل السنة والأشاعرة إلى التفويض، ولم يتبين لي ما يمكن الكتابة فيه على وجه الدقة سوى ما نقلت عن هؤلاء العلماء المحققين، وإلا فالأمر يحتاج إلى تتبع لمقالاته، واستقصاء لترجيحاته العقدية من كتبه الكثيرة بحيث يدرس دراسة علمية استقصائية.

المطلب الرابع: فضله وثناء العلماء عليه

كان هبة الله البارزي شاعراً، ومن شعره "في القلم: من البحر الكامل"
ومثقف للخط يحكي فعل سم
في رأسه المسود إن أجروه في ال
مبيض للأعداء موت أحمر

ومن شعره: "وهو تشبيه سبعة أشياء بسبعة: من البحر الطويل"
يقطع بالسكين بطيخة ضحى
على طبق في مجلس لأصحابه
كبدر ببرق قد شمساً أهلاً
لدى هالة في الأفق بين كواكبه^(٢٨)

(٢٦) انظر: الدرر الكامنة ٦/١٦٨.

(٢٧) انظر: لكلام الذهبي: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (٢ / ١٥٨) ولما سبقه من نقول: الوافي بالوفيات - (٧ / ٣٩٧)، ويظهر لي أن البارزي رحمه الله لم يتطرق للخلاف فيما بين أهل السنة والأشاعرة، بل وكان يتحاشى أن يورد الأقوال في تأويل الصفات، وإذا نقل عن أول الصفات لم يتعقبه، كما ذكر ذلك الباحث: الدكتور: يحيى بن عبد ربه الزهراني في مقدمة تحقيقه للبيان. انظر بحثه في ص١٧. وكأنه يميل إلى التفويض، والله أعلم.

قال ابن قاضي شهبة: "حدث بدمشق وحماة سمع منه البرزالي وأبو شامة والذهبي وخلق وقد خرج له ابن طغربك مشيخة كبيرة وخرج له البرزالي جزءاً"^(٢٩)، قال الذهبي: "برع في الفقه وشارك في الفضائل وانتهت إليه الإمامة في زمانه ورحل إليه وكان من محور العلم قوي الذكاء مكباً على الطلب لا يمل مع التصون والديانة والفضل والرزانة وكان خيراً متواضعاً عربياً عن الكبر جم المحاسن كثير الزيارة للصالحين والخضوع لهم حسن المعتقد"^(٣٠)

"وقف كتبه وهي تُساوي مائة ألف درهم وباشر القضاء بلا معلوم لغناه عنه، وما اتخذ ديرة، ولا عزراً أحداً قط، ولا ركب بمهماز ولا بمقرعة"^(٣١).

برع في الفقه وغير ذلك، وتشعبت به في الفضائل الطرق والمسالك، وانتهت إليه الإمامة في زمانه، وتفرد برئاسة العلم في أوانه. وكان بجرّاً من محور العلم الزخّارة، وحبراً من أحباره، الذين توقدوا للهدى مثل الكواكب السيارة، تستحي ذكاء من ذكائه، وتفيض علومه حتى يأخذ الغمام منها ملء زكائه، مكباً على الطلب لا يفتري ولا ييني ولا يقول السأم لنفسه"^(٣٢).

(٢٨) الوافي بالوفيات - (٦ / ١٢١)

(٢٩) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية (٢ / ٢٩٨)

(٣٠) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (٢ / ١٥٨)

(٣١) الوافي بالوفيات - (٧ / ٣٩٧)

(٣٢) أعيان العصر وأعوان النصر - (٣ / ٣٩)

المطلب الخامس: وفاته

وفاته: ليلة الأربعاء العشرين من ذي القعدة عام ثمان وثلاثين وسبعمائة (٧٣٨هـ) ودفن بعقبة نقيرين، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة^(٣٣).

وفيه يقول ابن الوردي:

حماة مذ فارقتها شيخها
صرت كمن ينظرها بلقعا
قد أعظم العاصي بها الفرية
أو كالذي مر على قرية^(٣٤)

المبحث الثاني: اسم ونسبة المخطوط

هذا الكتاب اسمه: "الأساس في معرفة إله الناس"، واشتهر عند مدوني الفهارس والمؤلفات باسمه هكذا^(٣٥)، كما كتب على أول ورقة من المخطوط: "كتاب الأساس في معرفة إله الناس".

(٣٣) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (١٤ / ٢١٣)

(٣٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (٦ / ١١٩)، وانظر لمزيد من أخباره وسيرته وتراجمه بالإضافة إلى ما سبق:

• المعجم المختص بالمحدثين (١ / ١٩٥)

• الوفيات لابن رافع (١ / ١٣)

• سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٨٨)

• العبر في خبر من غير - (٤ / ١١٠)

• ذيل العبر - (٦ / ٢٠٢)

• ديوان الإسلام - (١ / ١٨)

• السلوك لمعرفة دول الملوك - (٢ / ٢١)

(٣٥) انظر: كشف الظنون ١/١، وهدية العارفين ٥٠٧/٢

للقاضي: شرف الدين: هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن الحمد البارزي الجهني الحموي الشافعي - عفا الله عنه "

كما أن صاحبِي كشف الظنون وهدية العارفين نسباه لهبة الله البارزي، كما أنه ضمن المادة العلمية للكتاب.

وفي نص الكتاب في الورقة الأخيرة منه فيه النص على أن المؤلف هبة الله البارزي هو من كتب هذه الوريقات، حيث يقول: "فيقول العبد الفقير المستغفر من ذنبه الراجي رحمة ربه هبةُ الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن السلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد البارزي الجهني الحموي الشافعي عفا الله عنه: إني أشهدُ الله عليّ وملائكته ورُسُلَه وَجَمِيعَ خَلْقِه أَنِّي أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الخ."

ولذا يترجح لدي أن هذا المخطوط هو الكتاب الذي ذكره صاحب هدية العارفين وكشف الظنون من مؤلفات العالم البارزي بعنوان الأساس في معرفة إله الناس"

المبحث الثالث: نسخ المخطوط، ووصفه

هذا المخطوط له نسخة خطية واحدة، موجودة برقم (٢٦٢٢٤٦) ضمن المجموع رقم (٢٢٤) في مركز جمعة الماجد للمخطوطات في دبي، وهذه النسخة أصلها من جامع يافا في فلسطين، برقم المجموع ١٨٣/٤.

وهي نسخة كاملة تحتوي على ٦ لوحات، كتب فيها موضوع الكتاب باللون الأحمر، وكتبت بالخط الفارسي الجميل. وكثيراً من كلماتها مشكول، وعليها تصويبات يسيرة، وليس فيها خرم ولا سقط إلا كلمتين في آخرها - وهو ما شجعني على إخراجها - وتحتوي كل ورقة داخلية منها على ستة وعشرين سطرًا.

وتمت نسخة لم يتسن لي الحصول عليها موجودة في قرص رقم (٧٩) ضمن مجموع رقم (١٣٤٠) من مخطوطات مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة آل البيت ورقمها (١٣٤٤)، ولم تنسب إلى مؤلف في الفهرس العام، ويظهر أنها نسخة أخرى من هذا الكتيب لكن لم يتيسر لي الحصول عليها.

المبحث الرابع: محتوى المخطوط وقيمه العلمية

طرق المؤلف في هذا المختصر موضوعاً ذا قيمة علمية، حيث استدل فيه المؤلف على ربوية الله جل وعلا من الحس، مقتبساً تلك الأدلة من الكتاب الكريم في الأغلب، ثم شيئاً من السنة النبوية، ثم نقل بضعة عشر قولاً بعضها منسوب للسلف وكثيراً منها من تأملات العقلاء للأدلة من الآفاق والكون والنفس على وجود الله سبحانه وتعالى.

ويمكن تقسيم المواضيع الفرعية التي تحدث عنها - مرتبةً - إلى ما يلي:

- الأدلة من آيات الأنبياء على معرفة الله جل وعلا.
- الأدلة من الحس على معرفة الله جل وعلا.
- من مقتضيات الإيمان بالله: الإيمان برسوله ﷺ وكتابه الكريم.

- يقين القلب برسالة النبي ﷺ شرط لقبول الشهادة.
- لن تضر الله جل وعلا طاعة ولن تنفعه معصية.
- الدلائل الأربع على صحة القرآن الكريم ، وصدق نبوة محمد ﷺ.
- الدليل الأول: من آياته نبوته ﷺ أنه خاتم النبيين وشرحه.
- شرح الدليل الثاني: من آياته نبوته ﷺ إظهار دينه على كل دين قبل وفاته وبعدها وشرحه.
- شرح الدليل الثالث: من آياته نبوته ﷺ رفع ذكره وشرحه.
- شرح الدليل الرابع: من آياته نبوته ﷺ عصمته من الناس وشرحه.
- ثم ختم المخطوط بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

المبحث الخامس: منهج التحقيق.

المطلب الأول: تحقيق نص الكتاب

نهجت في تحقيقي لهذا المخطوط منهج الباحثين في التعامل مع النص ليظهر كما أراده المؤلف ، وقد بذلت وسعي في هذا ، كما اعتمدت المنهج المشهور في التحقيق على النحو الآتي :

- ١ - بحكم أنه لا توجد لدي إلا النسخة الفريدة سأعتمد عليها كلياً في الإخراج مع العلم أنها سليمة من السقط والمحو والكشط والعيوب سوى كلمتين في آخرها.
- ٢ - كتابة النص على الطريقة الإملائية الحديثة ، دون الإشارة إلى الفوارق في ذلك مع الناسخ.

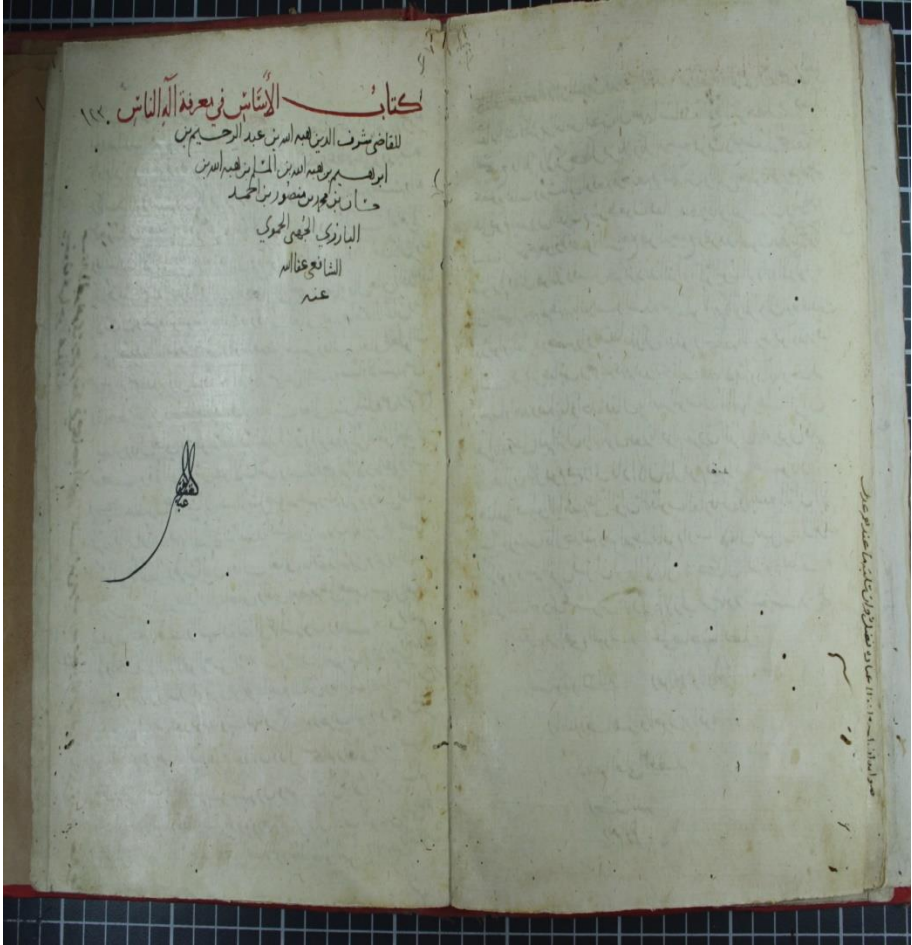
- ٣ - وضع العناوين التوضيحية بين معكوفتين [] في أثناء النص وبخط داكن ومخالف لخط الكتاب واخترت له الخط في برنامج الورد من نوع (Sakkal Majalla).
- ٤ - الإشارة إلى بداية كل لوحة من المخطوط بوضع خط مائل في النص هكذا: / والإشارة أمامه في الهامش إلى رقم اللوحة والوجه.
- ٥- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

المطلب الثاني: التخريج والعزو

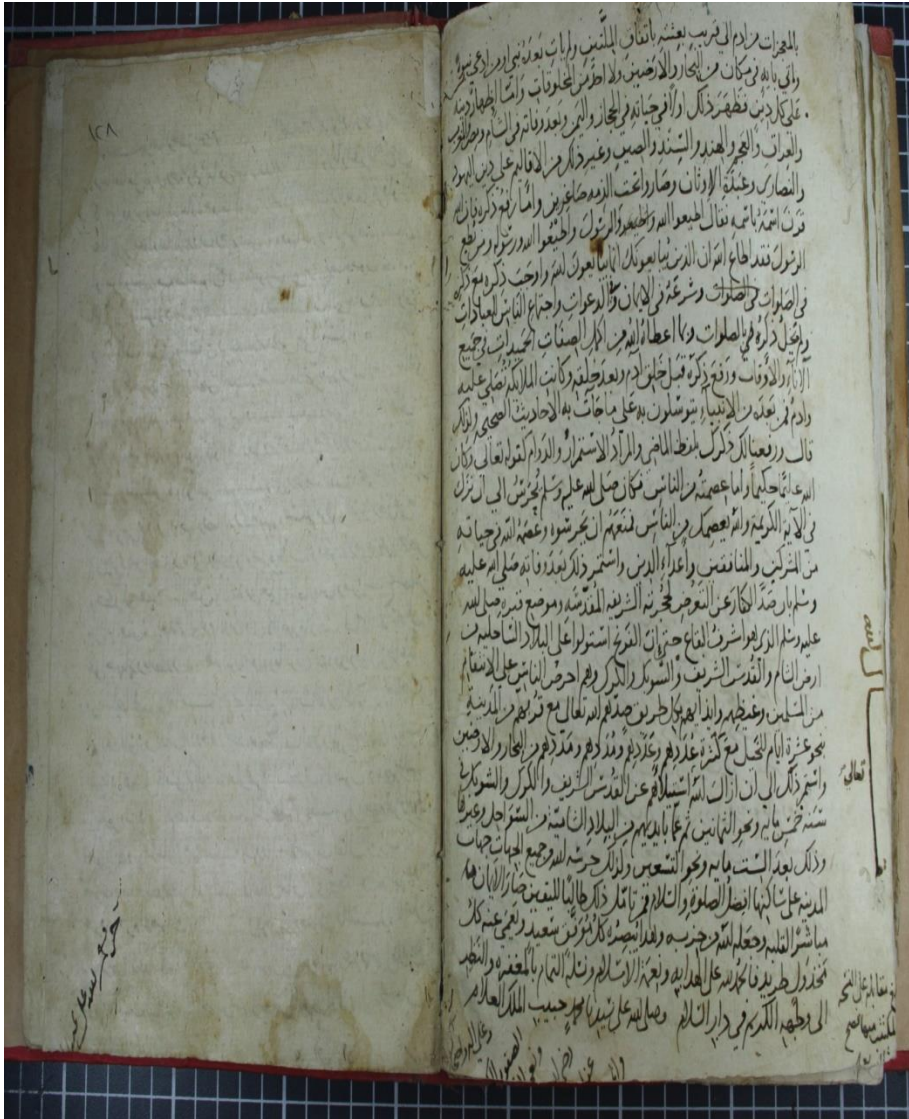
- ١ - عزو الآيات القرآنية الواردة في الكتاب بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن وكتابتها بالرسم العثماني.
- ٢ - تخريج الأحاديث النبوية: فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي بالعزو إليهما، وإلا فإنني أخرج من بقية مصادر السنة مع ذكر حكم أهل العلم عليه صحة وضعاً قدر الإمكان.
- ٣- تخريج الآثار من مظانها.
- ٤- أوثق الأقوال التي ينقلها المؤلف من مصادرها المعتمدة ما أمكن، ونسبة الأقوال من مصادرها سيكون قدر الطاقة لأن القارئ سيلاحظ كثرة الأقوال التي لا مصدر لها بين يدي، وقد تكون استنباطات للمؤلف.
- ٥ - كما أنسب أبيات الشعر إلى قائلها.
- ٦ - التراجم والتعريفات: سأعرف بإذن الله بما يحتاج إلى تعريف من غامض وغريب وأماكن وغير ذلك.
- وأخيراً سأفهرس الموضوعات في آخر التحقيق.

المطلب الثالث: نماذج من المخطوط.

الصفحة الأولى من المخطوط:



الصفحة الأخيرة



القسم الثاني: النص الحقيق

(٣٦) الحمد لله الذي أنعم على عباده بتعريفهم إياه، وجعل من اختاره منهم من أحبائه وحزبه، وأقام أدلة في كل شيء من مخلوقاته على وجوده ووحدانيته، وعظيم علمه وقدرته، وكمال ذاته وصفته، وأن كل شيء في الوجود مما كان ويكون بإرادته ومشيئته، وأنه لا حَوْلَ (٣٧) عن معصيته ولا قوة على طاعته إلا بتوفيقه وإرادته قال الله تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن إن لو كان كيف كان يكونُ يَعْلَمُ دَيْبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُومًا فَقَسَمْنَا لَهُ ﴾ [لق: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] لا يشبه شيئاً ولا يُشبهه شيء وكل ما خَطَرَ ببالك فالله على خلاف ذلك قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الله الصَّكْمَدُ ٢] لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ ٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤) [الإخلاص: ١ - ٤].

[الأدلة من القرآن الكريم على معرفة الله جل وعلا]

فمعرفة إله الناس هو الأساس وقد أوضح الله الأدلة على ذلك في كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكرّم وبجّل مقال عزّ من قائل: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٢٢] لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴿

(٣٦) بداية الورقة الأولى أ من المخطوط، ١٢٣ من المجموع

(٣٧) في الهامش الأيمن علق: قال الجوهري - رحمه الله - في صحاحه: "التحول: التحول: التنقل من موضع إلى موضع، والاسم: الحول - بالكسر - ومنه قوله تعالى: { لا يبيغون عنها حولاً } أ.هـ، انظر الصحاح

[الأنبياء: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٩﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤]، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ / (٣٨) أَسْنِيكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَابِعُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَيْغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم: ٢٠ - ٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَرَبِّكُمْ آيَاتِهِ فَآتَى آيَاتِ اللَّهِ تُنَكِّرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [غافر: ٧٩ - ٨١]، ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥ - ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ

[عبس: ٢٤ - ٣٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّعِبْرَةٍ تُشَقِّقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ مِمَّا يَبِينَ فَرِثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل: ٦٦] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنَ شَاءْنَا ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبَعُوثًا ﴿١٦﴾ ﴾ المؤمنون: [١٢ - ١٦] وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٢٦ - ٢٧ وأشبهه ذلك في الكتاب العزيز كثير.

[الأدلة من آيات الأنبياء على معرفة الله جل وعلا]

ومما عُرِفَ به الله تعالى الاستدلالُ بمقدماتِ النبوةِ ومُعْجَزَاتِ الرِّسَالَةِ لِأَنَّ دَلَالَتَهَا مَأخُوضَةٌ مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ لِمَنْ شَاهَدَهَا وَمِنْ طَرِيقِ اسْتِفَاضَةِ الْخَبَرِ لِمَنْ غَابَ عَنْهَا فَلَمَّا ثَبَتَتِ النُّبُوَّةُ صَارَتْ أَصْلًا فِي وَجُوبِ قَبُولِ مَا دَعَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ إِيمَانُ أَكْثَرِ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلرُّسُلِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

روي عن النبي ﷺ أنه قال لوالدِ عمران بن حُصَيْنٍ كَمَ لَكَ مِنْ إِلَهٍ، قَالَ عَشْرَةٌ قَالَ فَمَنْ لِعَمِّكَ وَكَرْبِكَ مِنْهُمْ وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَنْزِلُ بِكَ، قَالَ اللَّهُ، فَقَالَ ﷺ: فَمَا لَكَ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ^(٤٠).

(٤٠) الحديث نصح: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ [ص: ٥٢٠] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي: «يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟» قَالَ أَبِي: سَبْعَةٌ سِنَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تَعْبُدُ لِرِعْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ». قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدَدْتَنِي، فَقَالَ: «قُلْ: =»

ومن عظيم لطف الله وقدرته ورحمته ما روي في الحديث في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: / (٤١)

{يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبُلغوا نفعي فتتفعوني ولن تبُلغوا ضرري فتضرُّوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كل إنسانٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكُم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه} (٤٢).

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي " «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ» فِي التِّرْمِذِيِّ ٥١٩/٥ وَضَعْفُهُ الْأَلْبَانِي، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ خَلْقُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ص ٤٣، وَقَالَ الْبَزَارُ: "قَدْ اخْتَلَفُوا فِي إِسْنَادِهِ ٥٣/٩، وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ: "لَمْ يَرَوْا هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ شَيْبَةَ إِلَّا أَبُو مُعَاوِيَةَ" الْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ ٢/٢٨٠.

أقول ويظهر أن الشيخ رواه بالمعنى وغلط في لفظ العشرة، وقوله: روي يدل أنه كان في نفسه شيء من ثبوت الحديث.

(٤١) بداية الورقة الأولى ب من المخطوط، ١٢٥ من المجموع

(٤٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ٤/١٩٩٤.

[الأدلة من الحس على معرفة الله جل وعلا] (٤٣)

وقد سُئِلَ جماعة من أكابر السلف عن معرفة الربّ تبارك وتعالى فَقَالَ: (بعضُهُم يُعرَفُ ربك بفسخ العزائم ونقض الهمم) (٤٤)، وقال آخر: (بموت الطيب وفقر اللبيب وذُلّ المهيب) (٤٥)، وقال آخر: (بسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذات أمواج أما يدلُّ على ربِّ فَرَّاج) (٤٦)، وقال آخر: (بالنوم تارة واليقظة أخرى وقال

(٤٣) على الهامش بلون مغاير وخط مختلف كُتِبَ: "طلب معرفة الله تعالى".

(٤٤) هذا الأثر منسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٨٤/١٩، وشرحه بقوله: " هذا أحد الطرق إلى معرفة البارئ سبحانه، وهو أن يعزم الإنسان على أمر، ويصمم رأيه عليه، ثم لا يلبث أن يحظر الله تعالى بباله خاطراً صارفاً له عن ذلك الفعل، ولم يكن في حسابه، أي لو لا أن في الوجود ذاتاً مدبرة لهذا العالم لما خطرت الخواطر التيلم تكن محتسبة "

(٤٥) هذه الحكمة لم أجد لها قائلاً وإنما تداولتها ألسن الناس.

(٤٦) هذه المقولة تنسب في آثار السلف لأعرابي سئل بم عرفت ربك؟ فأجاب بهذا أو قريباً منه. وهو منسوب لقس بن ساعدة، ففي هواتف الجنان للخرايطي (١ / ٦٣): عن عبادة بن الصامت، قال: لما قدِم وفد أباد على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يا معشر وفد إياد، ما فعل قسُّ بن ساعدة الإيادي؟ قالوا: هَلَكْ يا رسول الله.

قال: لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جملي أحمر، يتكلم بكلامٍ معجبٍ موني لا أجدني أحفظه.

فقام إليه أعرابيٌّ من أقاصي القوم، فقال: أنا أحفظه يا رسول الله.

قال: فسُرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، قال: كان بسوق عكاظ على جملي أحمر وهو يقول: يا معشر الناس؛ اجتمعوا، فكلُّ من مات فات، وكلُّ شيءٍ آتٍ آتٍ، ليلٌ داج، وسماء ذات أبراج، وبحر فجاج، ونجوم تزهر، وجبال مُرسية، وأبحار مُجرية، إنَّ في السماء لخبراً، وإنَّ في الأرض لعبراً، ما لي أرى الناس يذهبون، ويموتون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا؛ أقسم قسُّ بالله قَسَمًا لا ريب فيه: أن الله ديناً هو أرضى من دينكم هذا وإن كان فيه بعض الاستطال" أ.هـ.

وهم يستدلون بما أن سليم الفطرة وإن لم يطلب معرفة الرب فإن فطرته تدله على ذلك في الجملة. انظر: إنبثار الحق

على الخلق ٥٢، ولوامع الأنوار ٢٧٢/١.

أخرُ بالحركات الست في جهات العالم^(٤٧) وقال آخرُ: (بتتابع الأشغال والعجز في الأحوال)، وقال آخر: (بدعوات أُجيبَتْ وحَاجات قُضِيَتْ)، وقال آخر: (بوجود الابتداء والانتهاء في كل شيءٍ)، وقال آخر: (بما وَجَدْتُ بدني كالسرير متعلق بعضه ببعض)، وقال آخر: (باجتماع أضدادٍ في بدنٍ من شأنها التنافر)، وقال آخر: (بورق فِرْصَادٍ صار مَلْبَساً وشوكٍ يحملُ مناً)^(٤٨)، وقال آخر: (بنارٍ تعقد بيضاً وتُحْلُ شمعاً)^(٤٩)، وقال آخر: (بسفينيةٍ من خشبٍ شُحنت فَجَرَت في البحر)، وقال آخر: (بقبول كل شيءٍ أثراً)^(٥٠)، وقال آخر: (بإبلٍ يقودها صبي)^(٥١)، وقال آخر: (بقيح تقدير وضع الأشياء على خلاف أوضاعها)، وقال آخر: (بججر حُك على حديد فسقطت منه نار يضيء الظلام وتأكُلُ الشجرَ العظام)^(٥٢)، وقال آخر: (ببيوض تحوي صُفْرةً وبياضاً ثم يخرج من بعضها غراب ومن بعضها طاووس ومن بعضها حمام ومن بعضها دجاج ومن بعضها حيةٌ ومن بعضها سُلْحفاةٌ وهي في ذواتها متشاكلة وما يخرج منها مُختلف)، وقال آخر: (بنخلٍ باسقاتٍ)^(٥٣) خرجت من نواةٍ، وقال آخر:

(٤٧) هذه المقولة هي فحوى نظرية أفلاطون في معرفة الله، ومعناها أن العالم يتحرك في الجهات الست والحركة الدائرية ولا يمكن أن يحرك نفسه وإنما يحتاج إلى علة عاقلة لتحريكه وهذه العلة هي الله جل جلاله في تصور أفلاطون. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل ١٣٠/٢.

(٤٨) الفِرْصَادُ والفِرْصَد: التوث، وفي: يطلق على عجم الزبيب والعنب ". انظر: الصحاح [تاج اللغة وحصاح العربية] [٢ / ٥١٩]، ولسان العرب ٣/٣٣٣.

(٤٩) يعني بذلك أن البيض يتجدد فيها، والشمع يذوب منها.

(٥٠) لم أهتمد إلى معنى العبارة.

(٥١) يعني بذلك أن تسخيرها هو الدليل على معرفة الله جل وعلا الذي قال في كتابه الكريم: {وذللناها لكم}.

(٥٢) يعني بذلك الزند الذي توقد منه النار.

(٥٣) البسوق هو الطول. انظر: إصلاح المنطق ١٣٨.

(بنجوم تطلع وتغور وقطبٍ راكِدٍ لا يسير)^(٥٤)، وقال آخر: (باهليج مُجفّف أطلق)^(٥٥) ولُعاب مُلين أَمسك)^(٥٦)، وقال آخر: (بنحلةٍ طرْفُها يعسِل والآخِر يلسَع، هذا شفاءٌ وذاك داءٌ، ومن العَجَب عسِل مقلوب لسع)، وقال آخر: (بورق الفرصاد طعمها ولونها وطبعها وريحها واحد وتأكلها الدودةُ فيخرج منها الإبريسم^(٥٧)، وتأكلها النحلة فيخرج منها العسل، وتأكلها / الشاةُ فيخرج منها البعرةُ، وتأكلها الضبُّ فيعقد في نُفاجيها^(٥٩) المسك، فمن الذي جعل لها هذه الأشياءَ وهي في نفسها واحدة، الطبع واحد والحقيقة واحدة لا توجب المتضادات لأنه يؤدي إلى جهة قلبت الحقائق وذلك مستحيل فلا بد من صانع مختار يحولها من حالٍ إلى حال)، وقال آخر: (النطفة في الرحم في ظلمات ثلاثٍ يريد الأبوان أن تلد المرأةُ فلا تلد ويريدان أن لا تلد فتلد ويريدان ذكراً فتلد أنثى وبالعكس ويريدان أن تلد واحداً فتلد توأمين على غير اختيار

(٥٤) "عَوْرُ كُلِّ شَيْءٍ قَعْرُهُ" فقه اللغة وسر العربية ص ٣٠.

(٥٥) هو كلمة معربة تكتب هكذا وتكتب إهليلج. انظر الصحاح ٣٥١/١، ولسان العرب ٣٩٢/٢، هو دواء يستخدم في الإمساك كان مشهوراً عند العرب. انظر: الحاوي في الطب ٤٢/١، والقانون ٤٩٨/٢ وغيرهما كثيرٌ. أقول وهو مشهور عند أهل الطب الشعبي أو العطارين باسم "تمر العبيد أو اللوز الهندي".

(٥٦) يقصد بذلك أن الإهليج القاسي يسبب استطلاق المعدة، واللعب اللين يسبب إمساكها.

(٥٧) الإبريسم هو خيوط الحرير الخالصة التي تخرج من الدودة: تاج العروس ٥٨٦/١٠، ومختار الصحاح ٢٥.

(٥٨) بداية الورقة الأولى أ من المخطوط، ١٢٦ من المجموع.

(٥٩) تاج العروس (٦ / ٢٤٥): "كلُّ ما ارتَفَعَ فقد نَفَجَ وانتَفَجَ، وتَنَفَّجَ" والظي هذا هو ظي المسك ينتفخ فيه جزء صغير يقطع منه ثم يستخرج ما بداخله مسكاً وهو المسمى المسك الأسود، المَشْهُورُ أَنَّ عَزَالَ الْمِسْكِ كَالظِّي لِكِنْ لَوْنُهُ أَسْوَدٌ وَلَهُ نَابَانِ لَطِيفَانِ أَبْيَضَانِ فِي فَكِّهِ الْأَسْفَلِ وَأَنَّ الْمِسْكَ دَمٌ يَجْتَمِعُ فِي سُرَّتِهِ فِي وَفْتٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ فَإِذَا اجْتَمَعَ وَرِمَ الْمَوْضِعَ فَمَرَضَ الْعَزَالَ إِلَى أَنْ يَسْتَفْطَ مِنْهُ وَيُقَالُ إِنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْبِلَادِ يَجْعَلُونَ لَهَا أَوْتَادًا فِي الْبَرِّيَّةِ تُحْتَكُ بِهَا لِيَسْتَفْطَ وَنَقَلَ بِن الصَّلَاحِ فِي مُشْكِلِ الْوَسِيطِ أَنَّ النَّافِجَةَ فِي جَوْفِ الطَّبَّيَّةِ كَالْإِنْفِخَةِ فِي جَوْفِ الْجُدِيِّ" فتح الباري لابن حجر (٩ / ٦٦٠). والمقصود فيما سبق أن الطعام واحد وتصريفه مختلف عجيب متضاد فسبحان الخالق جل وعلا.

الوالدين فلو كان الرحم قالباً منطبوعاً كما زعموا لكان الجنين أبداً على هيئة واحدة فلما كان بخلافه دلّ على ربِّ عالمٍ حكيمٍ، وقال آخر: (قلعةٌ حصينةٌ ملساءٌ لا فُرجةٌ فيها، ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الإبريز وجُدْرانها محكمة ثم رأيت الجدران قد انشقت فخرج من القلعة حيوان سميعٌ بصيرٌ مُصَوِّتٌ فتعلم أن الطبيعة لا تقدر على ذلك ويعني بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ)، وقال آخر: (باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات فهو دليل على أن المحرك واحد)، وقال آخر: (بالنيران الموقدة المتضادة في تركيب الآدمي بعضها لمصلحته وبعضها لغير مصلحته فإنه دليل على الصانع)، وقد قال الله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] تراه كيف جمع بين المتضادات الماء والنار، وقال آخر: (تأملت في دجلة والفرات لو كانا يسيلان في البحر ولا تزيد في البحر شيئاً مع سائر الأنهار الجارية فيه فقلت إنما ذلك بتقدير إلهٍ قادرٍ حلِيمٍ)، وقال آخر: العالمين^(٦٠) عند نزول الصواعق والزلزلة والطوارق والحوادث واضطراب السفن في تلاطم الأمواج وأيام القحط والجُوع والعَطش يجارون إلى إلهٍ قادرٍ يُنجيهم من الهلكة ويُعينهم من اللواء ويستوي فيها جاهلهم وعالمهم وصغيرهم وكبيرهم ومؤمنهم وكافرهم وكلهم بأجمعهم إليه يتضرعون ويستغيثون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فيا مَنْ لا يشغله سمع عن سمعٍ ولا تشتهه عليه الأصوات ويا مَنْ لا تغلظه [كثرة] المسائل ولا تختلف عليه اللغات ويا مَنْ لا يتبرّم بإلحاح الملحين ولا يضجره سؤال السائلين أذقنا بردَ عفوك وحلوةَ مغفرتك وصلي على نبيك محمدٍ أفضل صلواتك عدد معلوماتك)، وقال

(٦٠) على الهامش تصويب: "صوابه العالمون".

(٦١) تصويب على الهامش الأيمن.

آخر: (بأن السفينة /^(٦٢) مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال قد احتوتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة فإنه لا يجوز في العقل أن تجري مستوية ليس لها ملاح يجرُّها ولا معتمد يحفظها فكذلك لا يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ، قال الله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [٥٥] ﴿ [الروم: ٢٥]، وقال تعالى جلَّ ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢]، وقال آخر: (بأن من كان في البحر وانكسرت به السفينة وغرق الملاح فتعلق بلوح ثم ذهب ذلك اللوح عنه فتلاطمت به الأمواج حتى اندفع إلى الساحل وكان اعتماده من قبل على السفينة والملاح على اللوح فلما ذهبت هذه الأشياء لم يسلم من الغرق أوصله إلى السلامة هو الله)، قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ ﴾ [لقمان: ٣٢]، وقال آخر: (بأن وجه كل إنسان في صغره يشتمل على أعضاء لا تنتقل عن أمكنتها ثم مع هذه الأعضاء المتماثلة لا ترى إنسانين في المشرق والمغرب يتشابهان في صورة الوجه البتة وهذا يدل على كمال قدرة الخالق المصور حيث أظهر الأنواع التي لا نهاية لها من التفاوت في هذه الأجسام القليلة الموضوعة في هذه الرقعة الصغيرة فلا يوجد إنسانان تتشابه صورتهم البتة ولا يوجد إنسانان تتشابه أحوالهما حتى إن كل واحدٍ لا بد أن يخالف صاحبه في الطبع والخلق والمشى وكور العمامة وفي الصوت والكتابة وفي الحظ والسعادة وهذا باب واسع وبحر لا ساحل له وآيات الله لا نهاية لها في كل مخلوقٍ علويٍّ وسفليٍّ كبيرٍ وصغيرٍ حيوانٍ وجمادٍ ومنها ما يتعرف به إلى عبده بما يجعله في

(٦٢) بداية الورقة الأولى ب من المخطوط، ١٢٦ من المجموع

قلوبهم من النور الذي يهدي به من يشاء من آياته نعمه الظاهرة والباطنة) (٦٣)
﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل: ١٨].

وما أحسن قول القائل (أنعامه ما تُحصي، ما حقه أن يُعصى)، وقول الآخر:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده جاحدٌ
وفي كل شيء له آية تُدُلُّ على أنه واحد (٦٤)

وقول الآخر:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
(٦٥) عيون من لجينٍ شاحصاتٍ بأحداقٍ هي الذهبُ السبيكُ
على قصبِ الزبرجدِ شاهداتٍ بأن الله ليس له شريك (٦٦).

[من مقتضيات الإيمان بالله: الإيمان برسوله ﷺ وكتابه الكريم]

واعلم أنه لأبد مع الإيمان بالله عز وجل من الإيمان برسول ﷺ والقرآن الذي أنزله على رسوله، قال الله تعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]،

(٦٣) ما سبق من الأدلة من المحسوس على وجود الله تعالى لم أهدت لقاتلها سوى ما أشرت إليه، وقد تكون في مصدر واحد في عداد المفقود.

(٦٤) المشهور في قائلهما أنه أبو العتاهية، ونسبها بعضهم لابن المعتز. انظر: طبقات الشعراء له ص ٢٠٧.

(٦٥) بداية الورقة الأولى أ من المخطوط، ١٢٧ من المجموع

(٦٦) الزبرجد هو الزمرد الحجر الكريم المشهور. انظر: العين ١١/١٧٨، والبيت اشتهر بنسبته لأبي نواس انظر: الثعالبي: اللطائف والظرائف ٢٠٥.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ الأَحْزَاب: ٤٥-٤٦﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] وقال ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى: ٧] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحِيمَةٌ وَذِكْرَى لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].

[يقين القلب برسالة النبي ﷺ شرط لقبول الشهادة]

ولابدَّ في الإيمان بالله ورسوله من التصديق بالقلب من غير شكٍ ولا ريبٍ، ومن التصديق باللسان مع إمكان النطق، ولا تنفع الشهادة بكلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله إلا مع الشهادة بالرسالة وهي محمدٌ رسولُ الله، بعثه إلى جميع الإنس والجن يهدي به من يشاء هدايته وأوجب طاعته، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكُمْ فَخُذُوا مَا نَهَىٰ عَنْهُ فَإِنَّهَا لَتَكُونُ عَيْنًا لَّيِّنًا وَمِن دُونِهَا قَدْحًا لَّكُلِّ شَيْءٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الحشر: ٧] فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وجعل دينه هو الحق ونسخ به

الأديان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وجعل أُمَّتَهُ خَيْرَ الْأُمَّمِ وَشَرَّفَهُمْ بِأَنْ حَاطَبَهُمْ فِي ذَلِكَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

[لن تضر الله جل وعلا طاعة ولن تنفعه معصية]

واعلم أن الله خلق الخلق ليعبده ويطيعوه ولا يعصوه لمصلحتهم لا /^(٦٧) تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم ووعد من أطاعه بالثواب وتوعد من عصاه بالعقاب إلا من تاب فآمن وتاب وكفل سبحانه بأرزاق العباد، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿ [الذاريات: ٥٦ - ٥٧] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعبُدْهُ عَدَاوًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفِيْرٌ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيْبِكُمْ ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٢٢] فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ لِنَاطِقُونَ ﴿ [الذاريات: ٢٢ - ٢٣]، ومن دُعاء بعض العلماء العارفين، اللهم فرغنا لما خلقتنا لأجله، ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به، اللهم لا تحرمانا ونحن نسألك، ولا تعذبنا ونحن نستغفرك، اللهم علمنا حتى نعلم وفهمنا حتى نفهم، فإننا لا نفهم عنك إلا بك، وبعد:

فيقول العبد الفقير المستغفر من ذنبه الراجي رحمة ربه هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن السلم بن هبة الله بن حسّان بن محمد بن منصور بن أحمد

البارزي الجُهني الحموي الشافعي عفا الله عنه: إني أشهد الله عليّ وملائكته ورُسُلَه وَجَمِيعَ خَلْقِهِ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وإني مؤمن مُصَدِّقٌ مُوقِنٌ بِأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ شَفَاءً وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ أَوْدَعَهُ الدَّلَائِلَ الْوَاضِحَةَ وَالْحُجَجَ الْقَاطِعَةَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَنُبُوءَ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

[الدلائل على صحة القرآن الكريم، وصدق نبوة محمد ﷺ]

ومن الدلائل الواضحة أربعة براهين:

إخباره تعالى فيه بأن محمداً خاتم النبيين.

وأنه يُظهِرُ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ.

وأنه رفع ذكره في الأولين والآخرين.

وأنه يعصمه من الشيطان الرجيم ومن الناس أجمعين.

[شرح الدلائل الأربع]

وقد ظهر صحة ذلك من حين نزول القرآن إلى الآن وذلك من سبع مائة ونيف وثلاثين فقال عز من قائل: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وهو أصدق القائلين وقال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ ﴾ [سورة التوبة: ٣٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤١ ﴾ [سورة الشرح: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٣٧ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

[شرح الدليل الأول: من آياته نبوته ﷺ أنه خاتم النبيين]

أما ظهور كونه خاتِمَ النبيين فقد بَعَثَ اللهُ قَبْلَهُ أُلُوفاً من النبيين متتابعين / (٦٨)
بالمعجزات من آدم إلى قريب بعثته باتفاق الملتين، ولم يأت بعده نبيٌّ أو من ادعى نبوة
وأتى بأية في مكان من البحار والأرضين ولا أحدَ من المخلوقات (٦٩).

[شرح الدليل الثاني: من آياته نبوته ﷺ إظهار دينه على كل دين قبل وفاته

وبعدها]

وأما إظهار دينه على كل دينٍ فَظَهَرَ ذلك أولاً في حياته في الحجاز واليمن وبعده
وفاته في الشام ومصر والمغرب والعراق والعجم (٧٠) والهند والسند (٧١) والصين وغير
ذلك من الأقاليم على دين اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وصاروا تحت الذمة
صاغرين.

[شرح الدليل الثالث: من آياته نبوته ﷺ رفع ذكره]

وأما رفعُ ذكره فإن الله قرَنَ اسمه باسمه فقال ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ لآل
عمران: ٣٢، ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال: ٢٠]، ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾
[النساء: ٨٠]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠] وأوجبَ ذكره مع

(٦٨) بداية الورقة الأولى أ من المخطوط، ١٢٨ من المجموع

(٦٩) في الأسلوب ركافة، ويظهر أن المعنى المقصود أنه لم يدع أحد النبوة واستطاع أن يأتي بما ينصر به دعواه
من الآيات.

(٧٠) بلاد العجم أو ما يسمى عراق العجم: هي البلاد المتاخمة لعراق العرب وتشمل فارس وأصفهان
وخراسان وهي ما تسمى اليوم بإيران. انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٢٧/٢٥٦.

(٧١) السند: إقليم يقع بين الهند وكرمان وسجستان، وهي المنطقة التي تعرف الآن باسم الباكستان، وشمال
غربي الهند، وتسمى هذه الحضارة في بعض الأحيان بحضارة هارابا. انظر: معجم البلدان (٩٤)، ومجلة
البحوث الإسلامية (أمكنة / ٢٢١).

ذَكَرَهُ فِي الصَّلَوَاتِ وَشَرَعَهُ فِي الْإِيمَانِ وَفِي الدَّعَوَاتِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ لِلْعِبَادَاتِ وَلَمْ يَخْلُ ذَكَرُهُ بِالصَّلَوَاتِ وَبِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ أَكْمَلِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَنْبَاءِ وَالْأَوْقَاتِ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ وَبَعْدَ خَلْقِهِ وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّيُ عَلَيْهِ، وَآدَمُ فَمِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَتَوَسَّلُونَ بِهِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ^(٧٢)، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] بِلَفْظِ الْمَاضِي وَالْمُرَادُ الْاسْتِمْرَارُ وَالِدَوَامُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﷻ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

(٧٢) يظهر لي أن المؤلف يعني بذلك توسل الناس بشفاعته يوم القيامة، ولم يرد في الحديث الصحيحة أن الأنبياء يتوسلون بغير هذا منه ﷺ، حيث ورد في حديث الشفاعة الطويل: ((يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي اتتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي فيقول اتتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناكم اتتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه فيقول اتتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيقول لست هناكم اتتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود قال أبو عبد الله إلا من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى {خالدين فيها}) والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قول الله {وعلم آدم الأسماء كلها} ح ٢٠٦، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ١/١٨٢، برقم ٣٢٦.

[شرح الدليل الرابع: من آياته نبوته ﷺ عصمته من الناس]

وأما عصمته من الناس فكان ﷺ يُحرسُ إلى أن نزلَ في الآية الكريمة ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] ^(٧٣)، فمَنَعَهُمْ أن يحرسوه وعصمه الله في حياته من المشركين والمنافقين وأعداء الدين واستمر ذلك بعد وفاته ﷺ بأن صدَّ الكفار عن التعرُّض لحُجْرته الشريفة المُقدَّسة وموضع قبره ﷺ ^(٧٤) الذي هو أشرفُ البقاع ^(٧٥)، حتى إن الفرنج استولوا على البلاد الساحلية من أرض الشام والقدس الشريف والشَّوْبِك ^(٧٦) والكَرْك ^(٧٧) وهم أحرص الناس على الانتقام من المسلمين وغيظهم وإيذائهم بكل طريق صدَّهم الله تعالى مع قُرْبهم من المدينة بنحو عشرة أيام للخيل مع كثرة عُدْدهم وعَدَدِهِمْ ومُدْدهم ومدَّهِمْ من البحار والأرضين واستمر ذلك إلى أن

(٧٣) أخرج الطبري في تفسيره ٥٦٩/٨: "لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَحْرُسُونِي إِنَّ رَبِّي قَدْ عَصَمَنِي »."

(٧٤) يذكر المؤرخون أن قبر النبي ﷺ تعرض لمحاولات لبش القبر، جمعها الأستاذ محمد إلياس عبد الغني في كتابه تاريخ المسجد النبوي الشريف ص ١٧٤ وما بعدها، وتحتاج في الحقيقة إلى تمحيص تاريخي دقيق (حيث سماها محاولات سرقة الجسد الشريف) مع أنه لا يمنع من وقوعها فالزنادقة تاريخهم مظلم قد يجعلهم يفعلون ما هو أكبر من هذا، ووجه الاستدلال هو حفظه ﷺ وعصمته من الناس.

(٧٥) قال ابن تيمية رحمه الله: "أما نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ. وَأَمَّا نَفْسُ التُّرَابِ فَلَيْسَ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ بَلْ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْهُ وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَضْلَ تَرَابِ الْقَبْرِ عَلَى الْكَعْبَةِ إِلَّا الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَيْهِ وَلَا وَافَقَهُ أَحَدٌ قَطُّ عَلَيْهِ" الفتاوى الكبرى ٤/١١٠.

(٧٦) الشوبك: هو قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمَّان وأيلة والقلزم قرب الكرك" معجم البلدان (٣/ ٣٧٠)، وانظر مراصد الاطلاع ٨١٨/٢.

(٧٧) الكرك: قلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء، وهي على جبل عال. مراصد الاطلاع (٣/ ١١٥٩)، وقد بناها رهبان النصارى. مسالك الأبصار ٣/ ٥٤٧.

أزالَ اللهُ استيلائهم عن القُدس الشَريف والكرك والشوبك في سَنَة خمس مائة ونحو الثمانين، ثم عمّا بأيديهم من البلاد الشاميّة من السواحل وغيرها وذلك بعد الست مائة ونحو التسعين^(٧٨)، ولذلك حرسه اللهُ وجميع الجهات جهات المدينة على ساكنها أفضل الصلوة والسلام.

فمن تأمّل ذلك طالباً لليقين صارَ الإيمان مباشراً لقلبه وجعله اللهُ من حزبه وهذا يُبصرُه كلُّ مُوقِّعٍ سعيدٍ ويعمى عنه كلُّ مخذولٍ طريدٍ^(٧٩).

فالحمد لله على الهداية ونعمة الإسلام، ونسأله التمام بالمغفرة والنظر إلى وجهه الكريم في دار السلام، وصلى اللهُ على سيدنا محمد حبيب الملك العالم، وعلى آله وأصحابه الصفوة الكرام، ورضي عنا [.....]^(٨٠).

فهرس المصادر

- [١] ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ). إصلاح المنطق المحقق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م
- [٢] أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ). غاية النهاية في طبقات القراء مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر

(٧٨) وكان ذلك على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، ولأحداث تلك الفتوحات المجيدة، انظر: زبدة الحلب في تاريخ حلب ١/٤١٦، ومراة الجنان ٣/٣٤٦ وما بعدها.

(٧٩) على الهامش الأيمن علق: "نسخة مقابلة على النسخة المكتتب منها"

(٨٠) سقط في آخر كلمتين من الورقة الأخيرة.

- [٣] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي (المتوفى : ١٣٠٧هـ). *نيل المرام من تفسير آيات الأحكام* تحقيق : محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي دار النشر: دار الكتب العلمية تاريخ النشر: ٢٠٠٣/٠١/٣٠
- [٤] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ). *الملل والنحل* مؤسسة الحلبي. د. بيانات نشر
- [٥] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ). *البداية والنهاية* تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م
- [٦] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ). *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
- [٧] أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى : ١١٦٧هـ). *ديوان الإسلام* المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
- [٨] أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاکر الخرائطي (المتوفى : ٣٢٧هـ). *هواتف الجنان* المحقق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

- [٩] أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي (المتوفى: ٣١٣هـ). *الحاوي في الطب المحقق*:
اعتنى به: هيثم خليفة طعيمة، دار احياء التراث العربي - لبنان/ بيروت،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- [١٠] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري
(المتوفى: ١٧٠هـ). *العين المحقق*: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،
دار ومكتبة الهلال
- [١١] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).
المعجم المختص بالمحدثين تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق،
الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- [١٢] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). *سير
أعلام النبلاء دار الحديث - القاهرة*، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
- [١٣] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). *العبر
في خبر من غبر المحقق*: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب
العلمية - بيروت
- [١٤] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).
- [١٥] *المعجم المختص بالمحدثين تحقيق*: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق،
لطائف - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- [١٦] أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (المتوفى:
٧٦٨هـ). *مرآة الجنان وضع حواشيه*: خليل المنصور، دار الكتب العلمية،
بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

- [١٧] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). الصحاح دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- [١٨] أحمد بن حجازي الفشني. مواهب الصمد في حل ألفاظ الزبد المحقق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الشؤون الدينية - قطر، سنة النشر: ١٤٠٠ - ١٩٨٠
- [١٩] أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). الفتاوى الكبرى دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
- [٢٠] أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ). السلوك لمعرفة دول الملوك المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - لبنان/بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- [٢١] أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ). المواهب اللدنية المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، الطبعة: -
- [٢٢] أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ
- [٢٣] إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ). هدية العارفين طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان
- [٢٤] تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ). معجم الشيوخ تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي ٧٠٣ - ٧٥٩ هـ،

- المحقق: الدكتور بشار عواد - رائد يوسف العنكي - مصطفى إسماعيل
الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤
- [٢٥] تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ). طبقات الشافعية الكبرى
المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة
والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ
- [٢٦] الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس
(المتوفى: ٤٢٨هـ). القانون المحقق: وضع حواشيه محمد أمين الضناوي
- [٢٧] خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى:
١٣٩٦هـ). الأعلام دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو
٢٠٠٢ م
- [٢٨] الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. مجلة
البحوث الإسلامية مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
- [٢٩] زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي
(المتوفى: ٩٢٦هـ). فتح الرحمن المحقق: محمد علي الصابوني، دار القرآن
الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- [٣٠] زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى:
٦٦٦هـ). مختار الصحاح المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -
الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- [٣١] زين الدين أحمد بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري
المليباري الهندي (المتوفى: ٩٨٧هـ). قرة العين دار بن حزم، الطبعة: الأولى

[٣٢] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ). فتح الباري تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

[٣٣] سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). المعجم الأوسط المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة

[٣٤] شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ). لوامع الأنوار البهية مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

[٣٥] شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ). لوامع الأنوار مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

[٣٦] شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ). معجم البلدان دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

[٣٧] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ). أعيان العصر وأعوان النصر المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عظمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

- [٣٨] صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ). الوافي بالوفيات المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
- [٣٩] عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ). شرح نهج البلاغة المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصدر الكتاب: موقع يعسوب.
- [٤٠] عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب حقه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- [٤١] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). الحباتك في معرفة أخبار الملائك المحقق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ
- [٤٢] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب طبع بإذن من: وزارة الإعلام بجدة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦هـ
- [٤٣] عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ). طبقات الشعراء المحقق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: الثالثة

[٤٤] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ). فقه

اللغة وسر العربية المحقق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة:

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

[٤٥] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ).

اللطائف والظرائف دار المناهل، بيروت

[٤٦] عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفي الدين

(المتوفى: ٧٣٩هـ). مرصد الاطلاع دار الجليل، بيروت، الطبعة: الأولى،

١٤١٢هـ

[٤٧] عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم

(المتوفى: ٦٦٠هـ). زبدة الحلب في تاريخ حلب وضع حواشيه: خليل المنصور،

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

[٤٨] عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ).

معجم المؤلفين مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

[٤٩] محمد إلياس عبد الغني. تاريخ المسجد النبوي الشريف ط ١ - ١٤١٦هـ -

عنوان المؤلف: ص. ب ٤٤٧، المدينة النبوية - حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف.

[٥٠] محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الفضل الحسني القاسمي، أبو عبد

الله، عز الدين اليميني (المتوفى: ٨٤٠هـ). إثثار الحق على الخلق دار الكتب

العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م

[٥١] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ). خلق أفعال العباد المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية - الرياض

[٥٢] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع دار المعرفة - بيروت

[٥٣] محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تاج العروس المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية

[٥٤] محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ). لسان العرب دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

[٥٥] محمد بن هجرس بن رافع السلامي (المتوفى: ٧٧٤هـ). الوفيات المحقق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢

[٥٦] مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ).

[٥٧] كشف الظنون الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١م

**"Book Foundation to know God people"
Study and investigation
written by Judge: Sharaf al-Din: Albarzee**

Dr. Abdullah almeman

Assistant Professor in the Department of dogma and doctrines and contemporary, and specialized in religions, in the College of Sharia and Islamic Studies at the University of Qassim.

Abstract. This manuscript "al-asas fe ma'arefate ilah annas" = "Book Foundation to know God people" is a booklet Nevis in evidence Godhead, written by Judge: Sharaf al-Din: God's gift bin Abdul Rahim Albarza a Imams Shafi'i school in Hama in Syria, this world T. (738 AH), has seized text and directed diligent in the approval of the investigation of the well-known rules.

أحكام الهبة للأولاد

د. عقيل بن عبد الرحمن بن محمد العقيل

الأستاذ المشارك بقسم الفقه

المقارن بالمعهد العالي للقضاء

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث. هذا البحث يقع في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره ومشكلات البحث وتساؤلاته ومنهج البحث وخطته والدراسات السابقة له.

أما التمهيد فقد اشتمل على خمسة مطالب، تناول فيها الباحث تعريف الهبة في اللغة والاصطلاح والألفاظ ذات الصلة بها، ثم بين مشروعية الهبة وحكمها ولزومها.

أما المبحث الأول فكان عن العدل بين الأولاد في الهبة. ومن خلال أربعة مطالب تحدث الباحث عن حكم العدل في هبة الأولاد، وأوضح كيفية تحقيق هذا العدل في هذه الهبة وأبان ما يستثنى من لزوم العدل في هبة الأولاد، ثم أردف بذكر حكم الهبة التي فيها تفضيل وذلك بعد موت الواهب.

وفي المبحث الثاني تحدث الباحث عن حكم رجوع الوالد في هبته لأولاده. ومن خلال ثلاثة مطالب فصل الباحث في حكم رجوع الأب في هبته لأولاده وفرق ذلك عن رجوع الأم في هبتها لأولادها، وأبان الشروط التي ذكرها أهل العلم بهذا الموضوع. ثم ختم البحث ببيان أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث وأهم التوصيات التي يرى الأخذ بها.

توطئه

الحمد لله الذي حرم على نفسه الظلم وجعله بين العباد محرماً، وتوعد الظالمين بأشد العذاب، والصلاة والسلام على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي سطر من خلال سيرته أروع الأمثلة التي تبين حبه للعدل، وبغضه الشديد للظلم.

وبعد:

فلقد حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً وطالب سبحانه عباده بالعدل والمساواة، ونبذ الجور والحيف والظلم بكل أنواعه؛ وما ذلك إلا للأثر السيء الذي يخلفه الظلم على النفس البشرية من حقد، وكره للظلم وأهله، فهو يؤلّد البغضاء، ويشعل نار الضغينة، ويقطع حبال الود، ويقوض دعائم المجتمع، خلافاً للعدل، فبالعدل قامت السموات والأرض، وبالعدل سادت دول. ولما انتشر الظلم بين ظهرانيتها بادت وزالت، ومن قرأ كتاب الله - عز وجل - أدرك هذه الحقيقة، ولم يحتج إلى من يضرب له الأمثال على ذلك.

ولقد أحببت في هذا البحث: أن أتناول بالدراسة جانباً من جوانب العدل على مستوى الأسرة، وهو: العدل بين الأولاد في العطايا والهبات.

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

يدور موضوع البحث حول: تحديد مفهوم الهبة، وهبة الأولاد بالذات، وأهمية العدل بين الأولاد، في الهبة، وحكم رجوع كل من الأب أو الأم في هبته لأولاده.

ثانياً: أهمية البحث

تبرز أهمية البحث من خلال الأمور الآتية:

١ - الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع فكان لابد من التوجه إليها بالعناية والاهتمام؛ ففي إرساء قواعد العدل بين أبنائها سلامة للمجتمع، وفي انتشار الظلم بينهم فساد للمجتمع، وهلاك له.

٢ - مسؤولية الوالدين ودورهما العظيم في الحفاظ على روابط الود بين أبنائهم والمتمثل في العدل بينهم في العطايا والهبات.

٣ - إيضاح المخاطر التي تكتنف عدم العدل بين الأولاد في الهبة، وتمييز بعضهم على بعض، وما يترتب على ذلك من أحقاد وعداوات.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع

دعاني لاختيار هذا الموضوع أسباب عدة لعل أهمها:

- ١ - أهمية هذا الموضوع؛ لتعلقه بأهم قرابة للإنسان وهم أولاده.
- ٢ - ضرورة العدل بين الأولاد في العطايا والهبات، وما يترتب على ذلك من معاني المحبة والمودة بينهم من جهة، وما يحصل من محبتهم لوالديهم وبرهم بهم من جهة أخرى.

٣ - خطورة تمييز بعض الأولاد على بعض في ذلك ، وما يترتب عليه من كراهية وعداوة من بعضهم لبعض ، إلى جانب كراهيتهم لوالديهم الذين ميزوا بعضهم على بعض في ذلك.

٤ - ما يلاحظ في الآونة الأخيرة من كثرة انتشار هذا الداء أعني به : تمييز بعض الأبناء أو البنات على بعض في الهبات في أوساط بعض الأسر ، وما يترتب عليه من مشكلات ، وقطيعة رحم مما يدعو الباحثين لطرق أبواب هذا الموضوع ، وبيان مخاطره ، وإيجاد الحلول المناسبة لذلك.

٥ - بيان المنهج الشرعي في هذا الباب ، والذي يحقق الألفة بين الأولاد ، ويزيل الاختلاف والأحقاد والإحن.

رابعاً: مشكلة البحث وتساؤلاته

تتمثل مشكلة البحث في انتشار ظاهرة الجور في معاملة الأولاد ، وعدم العدل بينهم في العطايا والهبات ، وما يخص به بعض الآباء بعض أولاده دون الآخرين من الأمور المالية أو الاعتبارية التي أورثت بينهم عداوة وكراهة من بعضهم لبعض من جهة ، وكراهة لوالدهم المميز لبعضهم على بعض من جهة أخرى مما دفع الباحث لطرق أبواب هذه المشكلة الأسرية محاولاً بيان حجمها موضعاً آثارها في العاجل أو الآجل ، وذلك من خلال دراسة هذا الموضوع دراسة مستفيضة مجتهداً في إيجاد الحلول الممكنة لها.

ويمكن صياغة تلك المشكلة في التساؤلات الآتية :

ما ضابط الهبة في نظر الفقهاء؟

ما حكم تمييز بعض الأولاد على بعض في الهبة؟

ما صفة العدل بين الأولاد في الهبة؟

ما حكم رجوع الوالد في هبته لولده؟

خامساً: منهج البحث

يستخدم البحث المنهج الوصفي القائم على تحديد مفهوم الهبة، وأهمية العدل بين الأولاد في الهبة، وكيفية العدل بينهم في ذلك، وحكم رجوع الوالد في هبته التي وهبها لولده.

سادساً: إجراءات البحث

تنقسم إجراءات الدراسة إلى قسمين، هما:

أ) الإجراءات النظرية

وتتمثل في:

١ -مراجعة البحوث والدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة.

٢ -مراجعة الكتب التي عُنيت بموضوع العدل بين الأولاد.

ب) الإجراءات الميدانية

وتتمثل في قيام الباحث بالعديد من المقابلات الشخصية لبعض المتخصصين في:

الفقه الإسلامي وكذا الإصلاح الاجتماعي والإعلام والقضاء الشرعي وعلم الاجتماع؛ بهدف الاستفادة من خبراتهم وآرائهم في مسألة العدل بين الأولاد في العطايا والهبات وخطورة تمييز بعض الأولاد على بعض في ذلك والحلول الممكنة لذلك.

سابعاً: الدراسات السابقة

تحدث الفقهاء سلفاً وخلفاً عن موضوع العدل بين الأولاد وأهميته وخطورة تمييز بعض الأولاد على بعض في العطايا والهبات: ضمن كتب الفقه والحديث؛ وبخاصة في أبواب الهبة والعطية وحقوق الأولاد وكذا في الأبواب ذات الصلة بالآداب العامة والحقوق.

كما أن هناك دراسات سابقة أفردت هذا الموضوع بالدراسة منها:
 أحكام هبة الأولاد، للدكتور عبد المحسن محمد المنيف.
 مضمون الهبة وحق الرجوع فيها، لإبراهيم إبراهيم الصالحي.
 العدل في الهبة للأولاد والأقارب للدكتور صالح بن عبد الله اللاحم.
 أثر الالتزام في عقد الهبة، لمعالي الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل
 ولقد اطلعت على هذه الدراسات ورأيتها جليلة القدر عظيمة الأثر إلا أنني
 اختلفت مع هؤلاء الباحثين جميعاً في أكثر التوجيهات التي رجحوها في المسائل التي
 جرى بحثها، وكذلك في توجيه الأدلة، واستنباط الأحكام منها، وأني أأمل أن يكون
 هذا البحث إضافة لما ذكره السابقون، وأن يشمل بعض التوجيهات التي تنهي ما
 حصل في بعض مسائل هذا الموضوع من اختلاف.

ثامناً: خطة البحث

تسير خطة البحث وفقاً لما يأتي:

مقدمة، وتتضمن:

أولاً: موضوع البحث.

ثانياً: أهمية البحث.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع.

رابعاً: مشكلة البحث وتساؤلاته.

خامساً: منهج البحث.

سادساً: إجراءات البحث: النظرية، والميدانية.

سابعاً: الدراسات السابقة.

ثامناً: خطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على خمسة أمور:

الأمر الأول: تعريف الهبة.

أولاً: الهبة في اللغة.

ثانياً: الهبة في الاصطلاح الشرعي.

الأمر الثاني: الألفاظ ذات الصلة بالهبة.

الأمر الثالث: مشروعية الهبة.

الأمر الرابع: أثر الهبة.

الأمر الخامس: متى تلزم الهبة.

المبحث الأول: العدل بين الأولاد في الهبة. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حكم العدل في هبة الأولاد.

المطلب الثاني: كيفية تحقق العدل بين الأولاد في الهبة.

المطلب الثالث: ما استثنى من لزوم العدل في هبة الأولاد.

المطلب الرابع: حكم الهبة التي فيها تفضيل بعد موت الوالد الوهاب.

المبحث الثاني: حكم رجوع الوالد في هبته لأولاده. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم رجوع الأب في هبته لأولاده.

المطلب الثاني: حكم رجوع الأم في هبتها لأولادها.

المطلب الثالث: بيان الشروط التي تشترط لجواز رجوع الوالد في هبته لأولاده.

الخاتمة: وتشمل العديد من النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وأبرز

الوصايا التي أوصي بالأخذ بها.

التمهيد

ويشتمل على خمسة أمور:

الأمر الأول: تعريف الهبة

أولاً: الهبة في اللغة

وهب: الواو والهاء والباء أصل يدل على العطية بلا عوض.

يقال وهبت له شيئاً وهباً ووهباً - يأسكان الهاء وفتحها - وهبةً، والاسم الموهب والموهبة - بكسر الهاء فيهما - والاتهاب قبول الهبة، والاستيهاب سؤال الهبة، وتواهب القوم وهب بعضهم بعضاً^(١).

ثانياً: الهبة في الاصطلاح الشرعي

عرفها عامة الفقهاء بأنها: عقد يفيد التملك بلا عوض حال الحياة تطوعاً^(٢). وهناك تعريف خاص عند الحنابلة بأنها: تملك جائز التصرف مالاً معلوماً أو مجهولاً تعذر علمه^(٣)، موجوداً، مقدوراً على تسليمه، غير واجب، في الحياة، بلا عوض، بما يعد هبة عرفاً^(٤) من لفظ هبة وملك ونحوهما^(٥).

وبالنظر إلى هذين التعريفين فإنه يترجح عندي تعريف الجمهور وذلك لأمرين:

١ - أنه مختصر والتعريفات دائماً مبناها على الاختصار.

(١) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير: ٥/٥١٨، المخصص لابن سيده: ٣/٤١٨، والمصباح المنير للفيومي ص ٣٩٠.

(٢) حاشية ابن عابدين: ٤/٥٣٠، فتح القدير: ٧/١١٣، مغني المحتاج: ٢/٣٩٦، المغني: ٥/٥٩١.

(٣) بأن اختلط مال اثنين على وجه لا يتميز، فوهب أحدهما الآخر ماله.

(٤) قوله بما يعد هبة: متعلق بملك، والباء للسببية.

(٥) غاية المنتهى: ٢/٣٢٨، كشف القناع: ٤/٣٢٩.

٢ - إذا تأملنا التعريف الذي ذكره الحنابلة وجدنا أن أكثر القيود التي ذكروها تدخل في العقد أصالة إذ هي من لازم العقد فلا تلزم الإشارة إليها.

الأمر الثاني: الألفاظ ذات الصلة بالهبة

قال الإمام النووي: "الهبة، والهدية، وصدقة التطوع: أنواع من البر متقاربة، يجمعها تملك عين بلا عوض، فإن تمحض فيها طلب التقرب إلى الله تعالى بإعطاء محتاج فهي صدقة، وإن حملت إلى مكان المهدي إليه؛ إعظماً له وإكراماً وتودداً فهي هدية، وإلا فهبة، فكل هدية وصدقة تطوع هبة ولا ينعكس"^(٦).

والنحل والنحلى من ألفاظ الهبة^(٧).

وأما العطية: فقال الجوهري: الشيء المعطى، والجمع عطايا^(٨).

وقال البهوتي: والعطية هنا الهبة في مرض الموت^(٩).

والجائزة على عمل مشروع سواء أكان دينياً أم دنيوياً مباحة؛ لأنه من باب الحث على فعل الخير والإعانة عليه بالمال وهو من قبيل الهبة^(١٠).

الأمر الثالث: مشروعية الهبة

اتفق الفقهاء على مشروعية الهبة^(١١) واستدلوا على ذلك بكتاب الله وسنة

رسوله. يقول تعالى: ﴿فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوْهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾^(١٢).

(٦) تحرير ألفاظ التنبيه للنووي: ٢٤٠/١

(٧) بدائع الصنائع للكاساني: ١١٥/٦

(٨) الصحاح في اللغة (٢٨٠/٦)، مادة: عطا

(٩) الروض المربع شرح زاد المستقنع (٢٩٧/١)

(١٠) الموسوعة الفقهية الكويتية: ٧٧/١٥

(١١) بدائع الصنائع ١٢٧/٦ بداية المجتهد ٣٢٤/٢، مغني المحتاج ٤٠١/٢ المغني ٢٧٣/٦.

(١٢) سورة النساء.

قال القرطبي في تفسيره: يدل بعمومه على أن هبة المرأة صداقها لزوجها بكرًا كانت أو ثيبًا جائزة وبه قال جمهور الفقهاء^(١٣).

وقال سبحانه: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ بِاللَّهِ ..﴾^(١٤).

قال الألوسي في تفسيره: وعد مصارف الزكاة على أن المراد الخير والصدقة وإيتاء الأغنياء هبة لا صدقة^(١٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «تهادوا تحابوا»^(١٦). فهو حثٌ منه - صلى الله عليه وسلم - على الهبة، مُبيناً فيه أثرها وهو حصول المحبة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تحقرن جارة أن تهدي لجارحتها ولو فرسن»^(١٧) شاة»^(١٨).

ففي هذا الحديث يُرشد صلى الله عليه وسلم إلى الهبة، ويُبين أن أجرها عظيم، ولو كانت يسيرة.

(١٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٥.

(١٤) سورة البقرة، من الآية ١٧٧.

(١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢/١٠٦.

(١٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: (٥٩٤) وأبو يعلى في المسند: (٦١٤٨) وقال ابن حجر: «إسناده حسن». بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ص ٣٦١).

(١٧) فرسن الشاة: ظلفها. النهاية في غريب الأثر (٨٢٥/٣).

(١٨) أخرجه البخاري، كتاب الهبة والحث عليها، باب فضلها والتحريض عليها (١٥٣/٣)، حديث رقم (٢٥٦٦)، ومسلم كتاب الهبة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره (٧٠٨/٢)، حديث رقم (١٠٣٠).

الأمر الرابع: أثر الهبة

أصل حكم الهبة: ثبوت ملك الموهوب الهبة من غير عوض^(١٩).

أما صفة حكم الهبة فهو حكم غير لازم عند الحنفية، ولازم عند الجمهور إلا هبة الوالد لولده، فيصح له الرجوع قبل القبض عند المالكية، وبعد القبض - أيضاً - عند الشافعية والحنابلة. ويثبت ذلك الحق عند الشافعية في هبة الأصل (الوالد والجد) للفرع مطلقاً^(٢٠).

الأمر الخامس: لزوم الهبة

إن الهبة تصح بمجرد العقد، أما عن لزومها، فقد اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها لا تلزم إلا إذا أتيب الواهب عليها وبهذا قال الحنفية^(٢١) لقوله عليه السلام: «الواهب أحق بعبته ما لم يُتَّب منها»^(٢٢). أي يعوض. ولكن يكره الرجوع؛ لأنه من باب الدناءة.

(١٩) يُنظر: بدائع الصنائع: ١٢٧/٦، تحفة الفقهاء للسمرقندي ١٦٦/٣، حاشية الدسوقي: ٩٧/٤، بداية

المجتهد: ٣٢٤/٢، مغني المحتاج: ٤٠١/٢، المهذب: ٤٤٧/١، المغني: ٢٧٣/٦.

(٢٠) يُنظر: بدائع الصنائع ١٢٧/٦، حاشية الدسوقي: ١١٠/٤، بداية المجتهد: ٣٢٤/٢، مغني المحتاج:

٤٠١/٢، المهذب: ٤٤٧/١، المغني: ٦٢١/٥.

(٢١) يُنظر: بدائع الصنائع: ١٢٧/٦، تحفة الفقهاء للسمرقندي ١٦٦/٣.

(٢٢) أخرجه ابن ماجة ٧٩٨/٢، كتاب الهبات، باب من وهب هبة رجاء ثوابها حديث ٢٣٨٧، قال البوصيري

في الزوائد ٢٣٦/٢: هذا إسناد ضعيف لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع. وأخرجه الدارقطني في سننه

(٣/ ٤٤، رقم ١٨١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٨١، رقم ١٢٣٨٢) وقال: إبراهيم بن إسماعيل

ضعيف عند أهل العلم بالحديث. وعمرو بن دينار عن أبي هريرة منقطع.

ويمكن أن يجاب عن استدلال الحنفية هنا بأن هذا الحديث ضعيف لا تقوم به حجة وقد تبين ضعفه من خلال تخريجه.

القول الثاني: إنها لا تلزم إلا بالقبض وهذا قول المالكية^(٢٣).

القول الثالث: إنها تلزم بالعقد وهذا قول الشافعية^(٢٤) والحنابلة^(٢٥).

واستدلوا بقوله - صلى الله عليه وسلم - : "ليس لأحد أن يعطي عطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية، ثم يرجع فيها كمثل الكلب؛ حتى إذا شبع قاء، ثم عاد في قبئه"^(٢٦).

الراجع:

الذي يترجح عندي - والله أعلم - القول الثالث وهو أن الهبة تلزم بمجرد العقد وهو ما ذهب إليه فقهاء الشافعية والحنابلة؛ لقوة ما استدلوا به وسلامته عن المعارض، ولما حصل للدليل المخالف من مناقشة.

(٢٣) حاشية الدسوقي ١١٠/٤، وبداية المجتهد ٣٢٤/٢.

(٢٤) مغني المحتاج ٤٠١/٢ والمهذب ٤٤٧/١.

(٢٥) المغني ٦٢١/٥.

(٢٦) أخرجه أحمد: (٢٦/٤، رقم ٢١١٩)، وأبو داود: (٣١٥/٣، رقم ٣٥٣٩)، والترمذي: (٥٩٢/٣، رقم ١٢٩٨)، والنسائي (٢٦٥/٦، رقم ٣٦٩٠). وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني. إرواء الغليل: ٦٥/٦.

المبحث الأول: العدل بين الأولاد في الهبة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حكم العدل بين الأولاد في الهبة

اختلف الفقهاء - رحمهم الله - في حكم العدل بين الأولاد في الهبة من حيث الحل والحرم وما يترتب على ذلك على قولين:

القول الأول

ذهب جماعة من الفقهاء إلى القول: بأنه يجب العدل بين الأولاد في العطية أو الهبة، وتبطل العطية مع عدم العدل وهو مروى عن أبي يوسف ومالك وأحمد، والثوري، وطاووس، وإسحاق، وهو قول ابن المبارك، وآخرين^(٢٧). واستدلوا لقولهم هذا بما يأتي:

١ - خبر النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - في الصحيحين ونصّه: "قال: وهبني أبي هبة. فقالت أمي عمرة بنت رواحة - رضي الله عنها -: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله: إن أم هذا أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها، فقال - صلى الله عليه وسلم -: "يا بشير ألك ولد سوى هذا؟. قال: نعم. قال: كلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا. قال: فأرجعه"^(٢٨).

(٢٧) يُنظر: المبسوط: ٩٨/١٢، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر ١٠٠٣/٢ تكملة المجموع شرح المهذب: ٣٧١/١٥، الشرح الكبير لابن قدامة: ٢٧٣/٦، المغني: ٣٠٣/٦.
(٢٨) البخاري، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة (١٥٧/٣)، حديث رقم (٢٥٨٤) ومسلم، كتاب الهبة، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (١٢٤١/٣)، رقم (١٦٢٣).

وفي رواية قال: "اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم"^(٢٩). وفي رواية أخرى: "لا تشهدني على جور"^(٣٠). وفي رواية: "فأشهد على هذا غيري"^(٣١).

فظاهر الأمر في الحديث والروايات التالية له: يقتضي الوجوب. أعني به: وجوب العدل بين الأولاد في الهبة من جهة، ووجوب ردّ الهبة المعطاة للولد إن كان فيها شيء من الجور. وتمييز له فيها على إخوانه.

٢ - قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث السابق: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" وهذه إشارة منه - صلى الله عليه وسلم - للزوم العدل بين الأولاد. وأن عدم العدل بين الأولاد لا تتحقق معه تقوى الله - عز وجل -، ولا يكون كذلك إلا إذا كان حراماً.

٣ - قوله - صلى الله عليه وسلم -: "فأرجعه" ولو كان العدل بين الأولاد مبناه على النذب لما أمره - صلى الله عليه وسلم - بإرجاعه أي: رد الهبة، وهذا أمر، والأمر عند الأصوليين يقتضي الوجوب^(٣٢) ولو لم يكن ذلك محرماً؛ لما أوجب عليه ردا الهبة التي وهبها لابنه.

٤ - ما ورد من وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - لهذه الهبة بأنها جور وذلك؛ بقوله: "لا تشهدني على جور". فكون النبي - صلى الله عليه وسلم - يرفض الشهادة على هذا الأمر وفوق ذلك يصفه: بأنه جور أي: ظلم: دليل على

(٢٩) البخاري، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة (١٥٨/٣)، حديث رقم (٢٥٨٧).

(٣٠) مسلم، كتاب الهبة، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (رقم ١٦٢٣).

(٣١) البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (١٧١/٣)، حديث رقم (٢٦٥٠).

(٣٢) الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (٤٩٠/٢) والإحكام للآمدي (٢١٠/٢).

تحريمه ؛ بل قال في رواية أخرى: "أشهد على هذا غيري". وهذا زجر له ؛ لأنه لم يعدل بين أولاده.

والأم في المنع من المفاضلة بين الأولاد كالأب لقول النبي -صلى الله عليه وسلم - : "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" ؛ ولأنها أحد الوالدين فمنعت التفضيل كالأب ؛ ولأن ما يحصل بتخصيص الأب بعض ولده في الهبة من الحسد والعداوة يوجد مثله في تخصيص الأم بعض ولدها فثبت لها مثل حكمه في ذلك^(٣٣).

مناقشة هذه الأدلة

وقد حمل المخالفون الأمر بالتسوية في الحديث الذي استدل به أصحاب القول الأول ورواياته على النذب ؛ لأنّ الإنسان حر التصرف بماله ، لو ارث وغيره. وكذلك حملوا النهي الثابت في رواية لمسلم بلفظ: «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذن»^(٣٤) على التنزيه.

ويجاب عنه بأنه قوله -صلى الله عليه وسلم - فلا إذن، معناه لا تفعل، وهذا نهى والنهي عند الأصوليين يقضي التحريم فهذا يدل على حرمة تفضيل بعض الأولاد على بعض وليس للتنزيه كما ذكر.

القول الثاني

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه: يُندب التسوية بين الأولاد في الهبة ولا يجب، فإن فضل بعض أولاده صح مع الكراهة^(٣٥).

(٣٣) المغني: ٦ / ٣٠٥.

(٣٤) مسلم في صحيحه، كتاب الهبة، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (رقم ١٦٢٣).

(٣٥) يُنظر: تحفة الفقهاء: ٣/٢٧٤، المهذب: ١/٤٤٦، مغني المحتاج: ٢/٤٠١، المغني لابن قدامة: ٥/٦١٤، والإنصاف: ٧/

١٣٦، نيل الأوطار: ٦/٧، سبل السلام: ٣/٨٣، كشف القناع: ٤/٣٤٢-٣٤٥.

وقد استدلووا على قولهم هذا بما يلي :

قوله - صلى الله عليه وسلم - في بعض الروايات : " فأشهد على هذا غيري".
فقالوا إن فيها ما يدل على الجواز^(٣٦).

ويجاب عن استدلالهم بهذا الحديث وأن فيه ما يدل على الجواز، بأن هذا الكلام غير صحيح ؛ بل المراد بهذا الأذن المذكور التوبيخ ؛ لدلالة بقية ألفاظ الحديث على ذلك، وبذلك صرح الجمهور في هذا الموضع، وقال ابن حبان: قوله (أشهد) صيغة أمر، والمراد به نفى الجواز وهي كقوله لعائشة: "أشترطي لهم الولاء"^(٣٧).

٢ - واستدلوا - أيضاً - بفعل الصحابة - رضي الله عنهم - فهذا الصديق - رضي الله عنه - فضل عائشة - رضي الله عنها - على غيرها من أولاده في هبة^(٣٨).

وفضل عمر عاصم بن عمر بشيء أعطاه إياه، وفضل عبد الرحمن بن عوف ولد أم كلثوم^(٣٩).

ويجاب عن هذه الآثار الواردة عن الصحابة بأنها إن ثبتت فإن هذا اجتهاد منهم رضي الله عنهم لا يمكن أن يعارض به صريح كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمر بالعدل بين الأولاد ونهى عن تمييز بعضهم على بعض.

(٣٦) المغني ٥/٦١٤، نيل الأوطار ٨/٦.

(٣٧) المجموع شرح المذهب (١٥/٣٧٢).

(٣٨) أخرجه مالك في الموطأ (٣/٢٣٠، رقم ٨٠٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٦/١٧٨، رقم ١٢٣٦٢).

(٣٩) ذكره البيهقي في السنن الكبرى (٦/١٧٨، رقم ١٢٣٦٢) من قول الشافعي.

الترجيح

الراجح - والله أعلم بالصواب - هو: القول الأول الذي يرى وجوب العدل بين الأولاد في الهبة والعطية ونحوها وأنه يلزم الوالد رد الهبة التي وهبها لابنه في هذه الحال، وذلك لأمر كثيرة منها:

١ - قوة ما استدل به أصحاب هذا القول مع الإجابة عما استدل به من خالفهم.

٢ - ما يترتب على عدم العدل بين الأولاد من العداوة، والبغضاء، والكراهية من بعضهم لبعض، والذي كان يجدر بالأب البعد عنه، والحرص على أن تسود المحبة بين أولاده بدلاً من العداوة ناهيك عما يحصل للأب من كراهية أولادهم لهم بسبب التفضيل المذكور.

٣ - ومما يؤكد هذا الأمر أعني به: وجوب العدل بين الأولاد في الهبة، وتحريم التمييز في ذلك، ولزوم رد الهبة في هذه الحال أن يشيرا رد الهبة التي وهبها لابنه النعمان مما يدل على أنه رضي الله عنه فهم من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وجوب العدل وتحريم التمييز ولو فهم الندب لما كان لزاماً عليه استرجاع الهبة التي وهبها لابنه.

المطلب الثاني: كيفية تحقق العدل بين الأولاد في الهبة

لا خلاف بين جمهور الفقهاء في استحباب العدل في الهبة بين الأولاد، وكراهة التفضيل بينهم في حال الصحة، واختلفوا في بيان المراد من العدل المستحب - عند البعض - أو الواجب عند الآخرين - على قولين:

القول الأول: قال الجمهور من المالكية والشافعية وأبو يوسف من الحنفية: يستحب للأب أن يسوي بين الأولاد - الذكور والإناث - في العتية، فتعطى الأنثى مثل ما يعطى الذكر، وهو رواية عن أحمد اختارها ابن عقيل والحارثي^(٤٠).

القول الثاني: قال الحنابلة، ومحمد بن الحسن من الحنفية: للأب أن يقسم بين أولاده على حسب قسمة الله تعالى في الميراث، فيجعل للذكر مثل حظ الأنثيين^(٤١).

الأدلة:

أولاً: أدلة أصحاب القول الأول (الجمهور):

استدل الجمهور بما يلي:

الدليل الأول: ما جاء في حديث النعمان بن بشير: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبشير بن سعد: «سو بينهم»^(٤٢) وعلل ذلك بقوله: «أيسرك أن يستوتوا في برك؟ فقال: نعم قال: فسو بينهم». والبت كالأبن في استحقاق برها فكذلك في عطيتها^(٤٣).

(٤٠) يُنظر: تحفة الفقهاء: ٢٧٤/٣، البيان والتحصيل: ٣٧١/١٣، القوانين الفقهية ص ٣٦٧، المهذب:

٤٤٦/١، مغني المحتاج: ٤٠١/٢، وحاشية المقنع سليمان بن عبد الوهاب ٣٢٧/٢.

(٤١) يُنظر: المبسوط: ٩٨/١٢، بدائع الصنائع: ١٢٧/٦، القوانين الفقهية: ص ٣٦٧، المغني: ٥/٦٠٤ وما

بعدها، غاية المنتهى: ٣٣٥/٢.

(٤٢) أخرجه النسائي في سننه (٢٦١/٦) بإسناده أخبرنا عبدالله بن سعيد عن يحيى بن فطر قال حدثني مسلم بن صبيح قال سمعت النعمان بن بشير ثم ذكره وأخرجه الطحاوي أيضاً في شرح مشكل الآثار بلفظ: «ألا سويت بينهم» بإسناده من طريقين أحدهما من طريق أبو نعيم والآخر من طريق محمد بن خزيمة قال حدثنا يحيى بن سعيد ثم اجتمعا فقالا عن فطر بن حليفة قال حدثنا أبو الضحى قال سمعت النعمان بن بشير ثم ذكره. قال محققه: إسناده صحيحان.

(٤٣) انظر: المغني (٦٦٦/٥).

وقد ناقش أصحاب القول الثاني الحنابلة هذا الدليل فقالوا: إن حديث بشير بن سعد قضية في عين وحكاية حال لا عموم لها وإنما ثبت حكمها فيما مائلها ولا نعلم حال أولاد بشير هل كان فيهم أنثى أو لا؟ ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أنه ليس له إلا ولد ذكر ثم تحمل التسوية على القسمة على كتاب الله تعالى ويحتمل أنه أراد التسوية في أصل العطاء لا في صفته فإن القسمة لا تقتضي التسوية من كل وجه^(٤٤).

وقد أجاب الجمهور عن هذه المناقشة بما يلي:

(أ) أن قولكم هذا مما يضعف احتجاجكم بمثله على وجوب التسوية بين الأولاد وإبطال الهبة بالتفضيل بينهم.

(ب) وقولكم: وتحمل التسوية على القسمة على كتاب الله تعالى نقول: حمل التسوية على التفضيل بعيد غاية البعد وقد ورد ما يدل على أن المراد بالعدل هو التسوية بينهما بالمثل وهو ما رواه الطحاوي بسنده: حدثنا أحمد بن داود ثنا يعقوب بن حميد بن كاسب ثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن أنس قال: كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه قال: فهلا عدلت بينهما. ثم قال الطحاوي: أفلا يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أراد منه التعديل بين الابنة والابن وأن لا يفضل أحدهما على الآخر فذلك دليل على ما ذكرنا في العطية أيضاً اهـ^(٤٥). يريد التسوية بالمثل.

(٤٤) انظر: المغني (٦٦٧/٥)، والمبدع (٣٧١/٥).

(٤٥) انظر: إعلاء السنن (٩٩/١٦).

(ج) وقولكم: ويحتمل أنه أراد التسوية في أصل العطاء لا في صفته. قلنا: هذا يردده قوله صلى الله عليه وسلم: «كل ولدك أعطيت مثله؟» ولو احتمل الحديث أمثال هذه الاحتمالات فلم لا يجوز أن يحتمل الأمر الندب والاستحباب دون الوجوب؟ وهل إنكار ذلك إلا تحكم^(٤٦).

(د) قولكم: حديث بشير بن سعد قضية في عين وحكاية حال لا عموم لها.. الخ. يجب عنه: بالقول: إنه قد ورد في حديث أبي الضحى: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألك ولد غيره؟ فقال: ألا سويت بينهم»^(٤٧) ولم يقل ألك ولد غيره ذكراً أو أنثى؟ وذلك لا يكون إلا وحكم الأنثى فيه كحكم الذكر ولولا ذلك لما ذكر التسوية إلا بعد علمه أنهم ذكور فلما أمسك عن البحث عن ذلك ثبت استواء حكمهم في ذلك عنده^(٤٨).

الدليل الثاني: ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مؤثراً لفضلت النساء»^(٤٩).

(٤٦) انظر: المصدر السابق.

(٤٧) سبق ترجمته ص ٧٢٢.

(٤٨) انظر: إعلاء السنن (٩٩/١٦).

(٤٩) أخرجه ابن عدي في الكامل (١٧٨/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٧/٦) والخطيب في تاريخ بغداد (١٠٨/١١) من طريق إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف الرحبي عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس به واستنكره ابن عدي فقال في ترجمة سعيد هذا لا أعلم يروي عنه غير إسماعيل بن عياش ورواياته بإثبات الأسانيد لا بأس بما ولا أعرف له شيئاً أنكر مما ذكرته من حديث عكرمة عن ابن عباس. وقال الحافظ في التلخيص (١٥٧/٣) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وفي إسناده سعيد بن يوسف وهو ضعيف وذكر ابن عدي في الكامل أنه لم يرو له أنكر من هذا أهد. قلت أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١١/٣٥٤ ح/١١٩٩٧) وينظر أيضاً مجمع الزوائد (١٥٣/٤) وإرواء الغليل (٦٧/٦).

ونوقش هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: إن إسناده ضعيف علته سعيد بن يوسف وهو ضعيف. وقد قال أيضاً ابن قدامة المقدسي: على أن الصحيح من خبر ابن عباس أنه مرسل^(٥٠).

وأجيب عنه: بأنه ورد له شاهد آخر قال في مجمع الزوائد (١٥٣/٤) رواه الطبراني وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث قال عبد الملك بن شعيب ثقة مأمون ورفع من شأنه وضعفه أحمد وغيره. وقد ورد أيضاً ما يدل على ما ذهبنا إليه كما جاء في بعض روايات حديث النعمان بن بشير «ألا سويت بينهم» وفي لفظ «سو بينهم»^(٥١).

الوجه الثاني: يحتمل أنه أراد التسوية في أصل العطاء لا في صفته فإن القسمة لا تقتضي التسوية من كل وجه، ودليل ذلك قول عطاء: ما كانوا يقسمون إلا على كتاب الله تعالى^(٥٢) وهذا خبر عن جميعهم^(٥٣).

ويجاب عن ذلك بما سبق أن أجيب به عن الدليل الأول.

الدليل الثالث: ما جاء من حديث النعمان بن بشير قال: ذهب أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشهده على شيء أعطانيه فقال: ألك ولد غيره؟ قال: نعم وصف بيده بكفه أجمع كذا ألا سويت بينهما. وفي لفظ له: «سو بينهم».

ونوقش بمثل ما نوقشت به الأدلة السابقة.

وأجيب عنه بمثل ما أجيب به عن مناقشات الأدلة السابقة.

(٥٠) المغني (٦٦٧/٥).

(٥١) إعلام السنن (٩٩/١٦).

(٥٢) أثر عطاء هذا أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (رقم ١٦٤٩٩) وسعيد بن منصور في سننه (١١٩/٣) برقم ٢٩٢ عن ابن جريج عنه.

(٥٣) انظر: المغني (٦٦٦/٥) والمبدع (٣٧١/٥).

الدليل الرابع: قالوا: إنها عطية في حال الحياة، فاستوى فيها الذكر والأنثى كالنفقة والكسوة^(٥٤).

ونوقش ذلك:

بأن الذكر أحوج منها من جهة أن الصداق والنفقة ونفقة الأولاد عليه بخلافها^(٥٥).

وأجيب عنه: أن الذكر أقدر على الكسب وهي عاجزة عنه فكانت أحق بالفضل وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «فلو كنت مؤثراً..»^(٥٦) وهو نص في محل النزاع فلا يعدل عنه^(٥٧).

الدليل الخامس: ما جاء من حديث النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(٥٨).

وجه الاستشهاد: قالوا إن العدل في القسمة هو المساواة بين الذكر والأنثى وقد سبق ما يدل على ذلك.

ونوقش ذلك بما سبق أن نوقشت به الأدلة السابقة.

وأجيب عن ذلك بمثل ما سبق الإجابة به عنها.

ثانياً: أدلة أصحاب القول الثاني (الحنابلة):

استدل الحنابلة بما يلي:

(٥٤) إعلاء السنن (٩٩/١٦).

(٥٥) انظر: المغني (٦٦٦/٥).

(٥٦) سبق تخرجه ص ٧٢٤.

(٥٧) انظر: إعلاء السنن (٩٩/١٦).

(٥٨) سبق تخرجه ص ٧١٨.

الدليل الأول: قالوا: إن الله تعالى قسم بينهم فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وأولى ما اقتدي به قسمة الله وقد قال شريح لرجل قسم ماله بين ولده: ارددهم إلى سهام الله تعالى وفرائضه. وقال عطاء: ما كانوا يقسمون إلا على كتاب الله وهذا خبر عن جميعهم^(٥٩).

ونوقش ذلك:

بأن القسمة التي قسمها الله مختصة بما بعد الموت والكلام في عطية الحياة فافتقرا^(٦٠).

الدليل الثاني: قالوا: وقد قسم الله تعالى الميراث ففضل الذكر مقروناً بهذا المعنى، فيعلل به ويتعدى ذلك إلى العطية في الحياة^(٦١).

ونوقش ذلك:

أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث وارد على خلاف القياس فلا يتعداه، يرشد إليه قوله تعالى: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾^(٦٢) فمن أين لنا أن ندعي الدراية؟ ولو سلم أنه وارد على القياس فلنا أن نقول: إن مبناه على كون الذكر أنفع لأبيه من الأنثى بعده لبقاء نسبه به فإن النسب بالذكر لا بالإناث وهذا إنما يتحقق إذا مات عن ذكور وإناث جميعاً. وأما في الحياة فلا لاحتمال أن يموت الذكور بين يديه ويخلفه الإناث منفردات فليفهم^(٦٣).

(٥٩) انظر: المغني (٦٦٦/٥) والمبدع (٣٧١/٥) وشرح الزركشي على مختصر الخزي (٣٠٧/٤).

(٦٠) انظر: إعلاء السنن (٩٩/١٦).

(٦١) انظر المغني (٦٦٦/٥) والمبدع (٣٧١/٥) وشرح الزركشي على مختصر الخزي (٣٠٧/٤).

(٦٢) سورة النساء الآية: ١١.

(٦٣) انظر: إعلاء السنن (٩٩/١٦).

الدليل الثالث: قالوا: ولأن العطية في الحياة أحد حالي العطية فيجعل للذكر منها مثل حظ الأنثيين كحالة الموت يعني الميراث^(٦٤).

ونوقش ذلك:

أن التفضيل في العطية في الحياة يورث الوحشة ولا كذلك بعد الموت فافترقا^(٦٥).
الدليل الرابع: قالوا: ولأن الذكر أحوج من الأنثى من قبل أنهما إذا تزوجا جميعاً فالصداق والنفقة ونفقة الأولاد على الذكر، والأنثى لها ذلك، فكان أولى بالتفضيل لزيادة حاجته^(٦٦).

ونوقش ذلك:

أن الذكر أقدر على الكسب وهي عاجزة عنه فكانت أولى بالتفضيل وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «فلو كنت مؤثراً لفضلت النساء»^(٦٧) وهذا نص في محل النزاع فلا يعدل عنه^(٦٨).

الدليل الخامس: قالوا: إن التسوية المأمور بها القسمة على قدر مواريتهم لأنه تعجيل لما يصل إليهم بعد الموت فأشبه الميراث^(٦٩).

ونوقش ذلك:

بأن هناك فرقاً بين العطية في حال الحياة والميراث بعد الموت وإذا كان كذلك فلا يصح القياس^(٧٠).

(٦٤) انظر: المغني (٦٦٦/٥) والمبدع (٣٧١/٥).

(٦٥) انظر: إعلاء السنن (٩٨/١٦).

(٦٦) انظر: المغني (٦٦٦/٥) والمبدع (٣٧١/٥).

(٦٧) سبق تحريجه ص ٧٢٤.

(٦٨) انظر: إعلاء السنن (٩٩/١٦).

(٦٩) انظر: الكافي لابن قدامة (٥٩٥/٣).

(٧٠) إعلاء السنن (٩٩/١٦).

الترجيح :

والراجع - والله أعلم بالصواب - : القول الأول: الذي ينص على أنه ينبغي التسوية بين الأولاد (الأنثى والذكر) في العطية والهبة وذلك لأمر:

- ١ - قوة ما استدل به أصحاب هذا القول والإجابة عن أدلة من خالفهم.
- ٢ - أن العدل بين الأولاد ذكوراً وإناثاً والتسوية بينهم بالعطية والهبة يورث في قلوبهم المحبة والمودة من بعضهم البعض من جهة، ومحبتهم لوالديهم من جهة أخرى وهذا مطلب شرعي.

٣ - معلوم للجميع ما يورثه التمييز بين الذكور والإناث في الهبة من حقد وضعينة وكره بعضهم لبعض من جهة، وكره لوالديهم من جهة أخرى.

٤ - ثم إذا كان الإسلام حرم الجور في الهبة بين الأولاد، وطالب بالعدل، وجعله علامة تقوى الله كما نص على ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم - فيما مضى من روايات حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما -، كل ذلك كان تلافياً لما هو متوقع من وجود الشقاق بين الأولاد وهذا متحقق في تمييز الذكور على الإناث.

٥ - إن النبي -صلى الله عليه وسلم - : سأل بشيراً -رضي الله عنه - هل له من ولد، وهل أعطاهم مثله، ولم يستفصل عن الأولاد الباقين ذكوراً أو إناثاً، وإنما طالب بالعدل بينهم، فقط ولو كان التفريق بين الأولاد من جهة الذكورة والأنوثة مراداً لسأل عنه؛ لأنه لا يجوز تأخر البيان عن وقت الحاجة كما نص على ذلك

الأصوليون^(٧١) فلما لم يسأل عنه : دل على أنهم في ذلك سواء ، وأكد هذا بقوله له :
"أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء".

المطلب الثالث: ما استثني من لزوم العدل في هبة الأولاد

يجب على الوالد العدل بين الأولاد في العطية، والهبة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يجوز العدول عن ذلك؛ تلافياً لما قد يحصل مع عدم العدل من الاختلاف والتنافر وكرهه الإخوة بعضهم لبعض، وكرهتهم لوالدهم. ولكن إذا كان لهذا التفضيل سبب مقبول شرعاً وعقلاً، كأن يكون الولد مريضاً، أو به إعاقة مستمرة، أو فقيراً ذا عيال، أو منقطعاً لطلب العلم، ونحو ذلك؛ فهل يختلف حكم التفضيل والحال ما ذكر فيصح له تمييز هذا الولد على أخوته في الهبة مراعاة لحالة أم لا؟.

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: يرى منع التمييز بين الأولاد في الهبة مطلقاً، وإن كان لتمييز المميز منهم سبب مقبول، وبهذا قال الإمام أحمد - رحمه الله - وقال به أكثر أصحابه^(٧٢) وهو اختيار الشيخ عبد الرحمن السعدي^(٧٣) - رحمه الله - .
وقد استدلووا لذلك بما يلي:

(٧١) قالوا: إن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز لأنه يؤدي إلى التكليف بما لا يطاق، وقد نقل ابن قدامة الإجماع على ذلك. انظر: روضة الناظر لابن قدامة (٥٧/٢) ومختصر الروضة للطوفي. تحقيق د/عبدالله التركي (٦٨٨/٢).

(٧٢) المغني (٦١٩/٥).

(٧٣) الفتاوى السعدية، ص ٦٥٤.

أولاً: حديث النعمان بن بشير الذي مر آنفاً وفيه قوله -صلى الله عليه وسلم - لبشير: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم".

وجه الاستدلال: أن النبي -صلى الله عليه وسلم - طالبه بالعدل بين أولاده، وبين له أن ذلك من تمام تقوى الله -عز وجل - ومفهومه تحريم التمييز بين الأولاد في ذلك، وأنه من خوارم التقوى ولم يسأله -صلى الله عليه وسلم - عن حال ذلك الولد المميز، وهل للأب عذر في هذا التمييز؛ بل طالبه بالتزام العدل مطلقاً. وهذا يدل على عدم جواز التمييز بين الأولاد في العطايا والهبات مطلقاً.

ويجاء عن هذا الدليل بأن النبي -صلى الله عليه وسلم - يعرف النعمان ويعلم حاله، فهو من رواية الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم - والملازمين له، ولذلك أنكر على بشير: تمييز ابنه النعمان على إخوته ثم بداية الخبر تثبت: أنه لا مبرر لتمييزه للنعمان على إخوته، إذ إن بشيراً لم يذكر مبرراً لذلك، وإنما قال: وإن أم هذا طلبت: أن يشهد عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أي الهبة - فالخبر في بدايته يوحي بأنه لا مبرر للتمييز؛ بل ربما يستشف منه أنه أراد رضا أم النعمان بذلك، فقط ولذا رد النبي -صلى الله عليه وسلم - عليه رداً شديداً، وبين أن عمله هذا خلاف تقوى الله عز وجل، وأمره بالعدل الذي هو من تمام تقوى الله عز وجل.

ثانياً: القياس على التساوي في الإرث، وكذلك هنا^(٧٤). ويجاء عن هذا: بأن القياس غير منضبط؛ فلم يتساو الأولاد كلهم في الإرث ففيه تميز للذكر على الأنثى، فالله جعل للذكر مثل حظ الأنثيين فالقياس غير منضبط هنا.

القول الثاني: يرى جواز تمييز بعض الأولاد على بعض إذا كان ذلك لمعنى خاص بالولد، وإلى هذا ذهب الحنفية^(٧٥) والمالكية^(٧٦) والشافعية^(٧٧) وهو قول للإمام أحمد^(٧٨)، قال أحمد في رواية محمد بن الحكم: إن كان على طريق الأثرة فأكرهه، وإن كان على أن بعضهم له عيال وبه حاجة يعني فلا بأس به^(٧٩).

واستدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

أولاً: أنه من فعل الصحابة فقد ثبت: أن أبا بكر - رضي الله عنه - خص عائشة بعطاء وكذلك عمر - رضي الله عنه - خص عاصماً بعطاء، وكذا عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - خص ولد أم كلثوم^(٨٠) وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة، ولاشك أنهم لم يفضلوهم على غيرهم من إخوانهم إلا لسبب، ومبرر مقبول شرعاً وعقلاً.

ثانياً: القياس على بقية الأقارب كما يحق للمرء أن يميز بعض أقاربه - دون أولاده - من إخوة وأعمام ونحوهم بعطايا دون غيرهم، لسبب يراه؛ فكذلك هنا إذا كان لذلك سبب مقبول شرعاً وعقلاً^(٨١).

الترجيح:

الراجح عندي - والله أعلم بالصواب - هو القول الثاني؛ وذلك لأمرين:

(٧٥) اللباب (٥٦٠/٢) إعلاء السنن (٩٧/١٦).

(٧٦) الكافي لابن عبد البر (١٠٠٣/٢) وبداية المجتهد (٣٢٨/٢) وموسوعة الفقه المالكي (٣٤٣/٥).

(٧٧) مغني المحتاج ١٠٤/٢.

(٧٨) المغني ٦١٩/٥.

(٧٩) يُنظر: المغني ٥ / ٦١٩، مجلة الأزهر - العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة ص ٢٩.

(٨٠) سبق تخريج هذه الآثار ص ٧٢٠.

(٨١) المغني ٦١٩/٢.

١ - وجاهة ما استدل به أهل هذا القول من جهة والإجابة على ما استدل به المخالف من جهة أخرى.

٢ - إن تمييز الولد ذكراً كان أو أنثى لمصلحة مقبولة لن توقع الوالد المميز في المحذور الذي لأجله حصل المنع من التمييز، وذلك من كراهة أولاده له أو كراهتهم لأخيهم بسبب التمييز؛ بل الغالب: أنهم سيقرون والدهم على تمييزه لأخيهم أو لأختهم مادام أن لذلك مبرراً صحيحاً ومقبولاً شرعاً وعقلاً.

٣ - قد تكون الحاجة؛ بل الضرورة داعية لتمييز هذا الابن أو هذه البنت، والوالد أدري من غيره بحال أولاده وحاجاتهم الضرورية.

وقياساً على قول الإمام أحمد: يجوز تفضيل بعض الأولاد على بعض؛ لمبرر مقبول شرعاً، كالعاهات المانعة من التكسب، مثل: المرض المزمن، والعمى المانع من العمل، والشلل، وغيره من أنواع الإعاقات، وكذلك الاشتغال بالعلم الذي فيه مصلحة للأمة.

المطلب الرابع: حكم الهبة التي فيها تفضيل بعد موت الوالد

قد يحصل تفضيل من بعض الآباء لبعض أبنائه بشيء من الهبات أو العطايا، ويستمر الأمر على ذلك ولا يسترجعها منه حتى الموت، أي موت الأب فإذا مات الأب الواهب فهل تلزم الهبة بموته لولده الموهوب له أم أن للورثة استردادها بعد موت والدهم الواهب؟ اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: إذا فاضل الأب بين أولاده في العطايا، أو خص بعضهم بعطية ثم مات قبل أن يستردها ثبت ذلك للموهوب له ولزم، وليس لبقية الورثة الرجوع في هذه

الهيئة ورددها. وبه قال أصحاب الرأي ومالك والشافعي وهو المنصوص عن أحمد في رواية محمد بن الحكم، وهو اختيار الخلال، وصاحبه أبي بكر، وأكثر أهل العلم^(٨٢).
 ووجه هذا القول: قول أبي بكر - رضي الله عنه - لعائشة لما نخلها نخلًا:
 "وددت لو أنك كنت حزتيه"^(٨٣). فدل هذا على أنها لو كانت حازته لم يكن له الرجوع
 وكذلك قول عمر: "لا نحلة إلا نحلة يجوزها الولد دون الوالد"^(٨٤)؛ ولأنها عطية لولده
 فلزمت بالموت^(٨٥).

القول الثاني: وهو رواية أخرى عن أحمد: أن لسائر الورثة أن يرجعوا ما وهبه
 الوالد لولده دون إخوانه وأخواته، وهو قول عروة بن الزبير وإسحاق، وقال الأخير
 إذا مات الرجل فهو ميراث بينهم لا يسع أن ينتفع أحد بما أعطي دون إخوته وأخواته؛
 لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمى ذلك جوراً بقوله: "لا تشهدني على
 جور"^(٨٦)^(٨٧).

الترجيح:

الذي أرجحه في هذه المسألة - والله أعلم بالصواب - أن الأمر مرتبط بمسألة
 سابقة، وهي: صحة تخصيص الوالد أحد أولاده بالهبة دون غيره من عدمها؛ فعلى

(٨٢) تبين الحقائق: ٥ / ٩١، الذخيرة: ٥ / ٢١١، المجموع: ١٥ / ٣٨٠، المغني: ٦ / ٣١٧.

(٨٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (٦ / ٤٣)، رقم ٢٠٥٠٦، ترقيم عوامه) قال الألباني: صحيح. يُنظر: إرواء
 الغليل: (٦ / ٦٩، رقم ١٦٣٣).

(٨٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٦ / ١٧٠، رقم ١٢٣٠٥، قال الألباني: إسناده صحيح. إرواء الغليل:
 ٦ / ٦٩.

(٨٥) المغني ٦ / ٣١٧.

(٨٦) سبق ترجيح الحديث، ص ٧١٨.

(٨٧) المغني ٦ / ٣١٧.

القول بتحريم تفضيل بعض الأولاد على بعض في الهبة واعتباره جوراً وضرورة رد هذه الهبة. فيقال: مادام أن التفضيل حرام، ورد الهبة واجب فلا حق للموهوب له، وفي ذلك براءة لذمة والده بها، والحال ما ذكر. وعليه ردها وضمها إلى تركة ورثته ليشاركه فيها بقية الورثة، وفي ذلك براءة لذمة والده.

وإن قيل؛ بل الأمر مبناه على النذب، وأنه يكره تمييز بعض الأولاد على بعض ولا يحرم؛ فيقال: إن ما أخذه الولد من هبة والده حق له ولا حق للورثة فيها بعد موت الأب الواهب فما دام أنه لم يُطالب بردها في حياته فهي إذن حقٌ للولد ولا حق للورثة فيها بعد موت الوالد الواهب. وبالله التوفيق.

المبحث الثاني: حكم رجوع الوالد في هبته لأولاده

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم رجوع الأب في هبته لأولاده

نص الفقهاء -رحمهم الله تعالى - على أن للأب الرجوع فيما وهب لولده سواء قصد برجوعه التسوية بين أولاده أو لا. وبه قال الأئمة: مالك والشافعي وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد وبه قال الأوزاعي وإسحاق وأبو ثور^(٨٨)؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "فأردده"^(٨٩) وروى: "فأرجعه" فأمره بالرجوع في هبته وأقل أحوال الأمر: الجواز، وقد امتثل بشير بن سعد ذلك فرجع في هبته لولده، ألا تراه قال

(٨٨) يُنظر: بدائع الصنائع: ٦/ ١٢٧، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر: ٢/ ١٠٠٣، اللباب في الفقه

الشافعي: ٢٤٦، الشرح الكبير لابن قدامة: ٦/ ٢٧٨، ٢٧٩، حاشية الروض المربع لابن قاسم: ٦/ ١٩

(٨٩) كما جاء في بعض روايات مسلم في صحيحه، كتاب الهبة، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة

(١٦٢٣، رقم ١٢٤٢/٣).

في الحديث: فرجع أبي فرد تلك الصدقة^(٩٠)؟! ويؤيد هذا ويعضده قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ليس لأحد أن يعطي عطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده"^(٩١).

المطلب الثاني: حكم رجوع الأم في هبتها لأولادها

تقدم الحديث في المطلب السابق عن حكم رجوع الأب في هبته لبعض أولاده، وأن الفقهاء - رحمهم الله - نصّوا على أن للأب الرجوع في هبته التي وهبها لأولاده سواء أكان ذلك لعدم العدل أو لغيره من الأسباب. أما الأم فقد اختلف الفقهاء في حكم رجوعها عن الهبة التي وهبتها لأي من أولادها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الأم ليست كالأب فليس لها الرجوع في هبتها لأولادها، وهذا قول مجموعة من الفقهاء في المذاهب الأربعة^(٩٢) وهو ظاهر كلام الإمام أحمد. قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله الرجوع للمرأة فيما أعطت ولدها كالرجل^(٩٣)؟ قال ليس هي عندي كالرجل؛ واستدل أهل هذا القول بما يأتي:

(٩٠) رواية عند مسلم في صحيحه، كتاب الهبة، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (٣/١٢٤٢)، رقم (١٦٢٣).

(٩١) سبق تحريجه ص ٧١٦.

(٩٢) يُنظر: بدائع الصنائع: ٦/١٢٧، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر: ٢/١٠٠٣، اللباب في الفقه الشافعي: ٢٤٦، الشرح الكبير لابن قدامة: ٦/٢٧٨، ٢٧٩، حاشية الروض المربع: ٦/١٩.

(٩٣) يُنظر: الشرح الكبير لابن قدامة: ٦/٢٧٨، ٢٧٩، حاشية الروض المربع: ٦/١٩.

أولاً: أن للأب أن يأخذ من مال ولده والأم لا تأخذ وذكر حديث عائشة: "أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه"^(٩٤). أي كأنه الرجل^(٩٥).

ويجاب عن هذا بأن: الاحتجاج بأن للأب أن يأخذ من مال ولده والأم لا تأخذ محل نظر؛ لأن عموم النصوص تدخل فيها الأم وهي وإن خصت الأب فذاك من باب التغليب؛ ولأنه المنفق عادة، وهذا لا يقتضي منع الأم من الأخذ من مال ولدها؛ لاسيما عند الحاجة، وليس فيما ذكره ما يدل على ذلك.

ثانياً: قالوا: لا يصح قياس الأم على الأب في هذا الأمر؛ لأن للأب ولاية على ولده ويحوز جميع المال في الميراث بخلاف الأم^(٩٦).

ويجاب عن هذا الدليل بأنه ليس فيه ما يدل على أحقية الرجوع للأب في هبته لولده من عدمه هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن ولاية الأب علة تنتهي ببلوغه خاصة الذكر، ولو فتحنا هذا الباب؛ لشمّل غير الأب من سائر الأولياء في غيبة الأب أو وفاته؛ فمعلوم أن الولاية تنتقل إلى من بعده من الجد والأخ إلى غير ذلك من سائر الأولياء.

القول الثاني: أن للأم الرجوع فيما وهبته لأولادها وهذا مذهب الشافعي وهو ظاهر كلام الخرقي من الحنابلة؛ فإنه قال: وإذا فاضل بين أولاده أمر برده فيدخل فيه الأم؛ لأنها داخلة في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "إلا الوالد فيما يعطي"

(٩٤) أخرجه أحمد: (٣٤/٤٠)، رقم (٢٤٠٣٢)، وأبو داود: (٣١٢/٣)، رقم (٣٥٣٠)، والترمذي: (٥٩٢/٣)، رقم (١٢٩٨)، والنسائي (٧/٢٤٠)، رقم ٤٤٤٩. وصححه الألباني. إرواء الغليل: ٧/٢٣٠.

(٩٥) يُنظر: الشرح الكبير لابن قدامة: ٦/٢٧٨، ٢٧٩، حاشية الروض المربع: ٦/١٩.

(٩٦) يُنظر: بدائع الصنائع: ٦/١٢٧، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر: ٢/١٠٠٣، اللباب في الفقه

الشافعي: ٢٤٦، الشرح الكبير لابن قدامة: ٦/٢٧٨، ٢٧٩، حاشية الروض المربع: ٦/١٩

ولده" (٩٧) وهي كذلك، وكذا هي داخلة أيضاً في قول النبي -صلى الله عليه وسلم - : "اعدلوا بين أولادكم" (٩٨). فينبغي أن تمكن من الرجوع في الهبة؛ ولأنه طريق إلى التسوية، وربما لا يكون لها طريق غيره؛ ولأنها ساوت الأب في تحريم تفضيل بعض ولدها فينبغي أن تساويه في التمكّن من الرجوع فيما فضلت به تخليصاً لها من الإثم، وإزالة التفضيل المحرم كالأب، وقد وافقهما مجموعة من الفقهاء (٩٩).

القول الثالث: يرى التفريق في رجوع الأم في الهبة من عدمه فيما إذا كان ذلك في حياة الأب أو بعد موته؛ فيرى أصحاب هذا القول: أن للأب الرجوع في هبتها لولدها إن كان أبوه حياً، وليس لها الرجوع إن كان أبوه ميتاً باعتبار أن الولد يتيّم. قال مالك للأب الرجوع فيما وهبت ولدها ما كان أبوه حياً، فإن كان ميتاً فلا رجوع لها (١٠٠).

وقد استدلوا بأنها هبة ليتيم، وهبة اليتيم لازمة كصدقة التطوع، ومن مذهبه أنه لا يرجع في صدقة التطوع (١٠١).

ويجاب عن ذلك بأنه أمر غير مُنضبط؛ لأن المهدى إليه قد يكون كبيراً ومثل ذلك لا يصدق عليه أنه يتيّم، وقد يكون صغيراً ثم تسترجعها الأم منه بعدما كبر فهذا الأمر يتطرق إليه الاحتمال؛ وإذا تطرق إلى الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال (١٠٢).

(٩٧) سبق تخرجه ص ٧١٦.

(٩٨) سبق تخرجه ص ١٧٨.

(٩٩) الباب في الفقه الشافعي ٢٤٦، الشرح الكبير لابن قدامة ٦/٢٧٨.

(١٠٠) يُنظر: بداية المجتهد: ٢/٣٣٢، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر: ٢/١٠٠٥.

(١٠١) يُنظر: بداية المجتهد: ٢/٣٣٢، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر: ٢/١٠٠٥.

(١٠٢) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/١٧٢)، الفروق للقراي (٢/١٥٩) الفرق ص ٦١.

الترجيح:

الراجح - والله أعلم بالصواب - : القول الثاني الذي يرى : أن للأُم الرجوع في هبتها التي وهبتها لأولادها ؛ لاسيما مع عدم العدل فيها ؛ وذلك لأُمور :
 ١ - قوة الأدلة التي أوردها أصحاب هذا القول إلى جانب الإجابة عن أدلة من خالفهم.

٢ - أن الأُم داخلية في عموم ما ورد من وجوب العدل بين الأولاد في الهبة وتحریم تمييز بعضهم على بعض.

٣ - أن المحذور الذي يُخشى حصوله عند عدم عدل الأب بين أولاده في الهبة من التباغض ، وكراهة بعضهم لبعض ، أو كراهة والدهم - أيضاً - لجوره ، متوقع حصوله مع عدم عدل الأُم ؛ فالغالب : أن الأولاد سيكون بينهم عداوة وكره بسبب تفضيل الأُم بعض أولادها على بعض وربما كرهوها هي - أيضاً - ، بسبب ذلك. فعلة المنع موجودة هنا كما هي موجودة هناك.

المطلب الثالث: شروط رجوع الوالد في هبته لولده

ذكر الفقهاء - الذين يرون جواز رجوع الوالد في هبته التي وهبها لولده - شروطاً لجواز رجوعه فيها يتحتم على الوالد مراعاتها قبل رجوعه في هبته ، وهذه الشروط هي :

الأول: أن يبقى ملك الابن فيها قائماً فإن خرجت عن ملكه بيع ، أو هبة ، أو وقف ، أو غير ذلك لم يكن للوالد الرجوع فيها ؛ لأن في رجوعه إبطالاً لملك غير الولد فأشبهه غير الموهوب للولد^(١٠٣).

(١٠٣) يُنظر: الحاوي في فقه الشافعي: ٥٤٧/٧، الشرح الكبير لابن قدامة: ٦/ ٢٨٠-٢٨١، الكافي في فقه

الإمام أحمد بن حنبل: ٢/ ٢٥٩.

الثاني: أن تكون العين باقية في تصرف الولد يملك التصرف في رقبته، فإن استولد الأمة لم يملك الرجوع؛ لأن الملك فيها لا يجوز نقله إلى غير سيدها وكذلك إن أفلس وحجر عليه، أو رهن العين؛ لأنه يفضي إلى إبطال حق غير الولد، فإن زال المانع من التصرف فله الرجوع؛ لأن ملك الابن لم يُزَلْ^(١٠٤).

الثالث: أن لا يتعلق بها رغبة لغير الولد فإن تعلقت بها رغبة لغيره، مثل: أن يهب ولده شيئاً فيرغب الناس في معاملته وعقد المداينات معه، أو رغبوا في مناكحته فزوجوه إن كان ذكراً. أو تزوجت الأنثى لذلك، وللإمام أحمد -رحمه الله تعالى - في ذلك روايتان أولاهما: ليس له الرجوع، ووافقه في ذلك المالكية معللين ذلك بأنه تعلق بها حق غير الولد، كمن تزوجته أو تزوجها أو أقرضه مالاً ونحو ذلك؛ فإذا رجع الوالد في ذلك فقد أبطل هذا الحق وفي ذلك ضرر على الطرف الثاني^(١٠٥)، ومما يؤيد هذا قول النبي -صلى الله عليه وسلم - : لا ضرر ولا ضرار^(١٠٦)، ومن القواعد المقررة شرعاً: الضرر يزال^(١٠٧).

والرواية الثانية: عن الإمام أحمد له الرجوع في هبته لعموم الخبر؛ ولأن حق المتزوج والغريم لم يتعلق بعين هذا المال فلم يمنع الرجوع فيه^(١٠٨). ويمكن مناقشة هذا التعليل الذي أورده من أخذ بهذه الرواية بما يأتي:

(١٠٤) يُنظر: الحاوي في فقه الشافعي: ٥٤٧/٧، المغني: ٣٠٩/٦.

(١٠٥) بداية المجتهد ٢/٢٣٣، والقواعد الفقهية ص ٨٩٣، والمغني، ٣٠٩/٦.

(١٠٦) سنن الدار قطني ٤/٨٢٢، قال الحاكم في المستدرک ٢/٨٥ هذا حديث صحيح الإسناد.

(١٠٧) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٢٠٨.

(١٠٨) المغني ٣٠٩/٦.

أولاً: استدلالهم بعموم الخبر غير مسلم فهو عام خصصته الأدلة الأخرى التي تمنع الضرر.

ثانياً: قولهم أن حق المتزوج والغريم لم يتعلق بعين هذا المال غير مسلم؛ لأنه لولا هذا المال لما حصل الزواج ولا الموافقة على الدين، فهناك ضرر ظاهر ولو معنوياً.
الراجح:

والذي يترجح عندي - والله أعلم بالصواب - القول الأول المتمثل في منع الرجوع في هذه الحالة؛ لوجهة ما استدل به أهل هذا القول من جهة؛ ولأن الضرر على الآخرين والحال ما ذكر متحقق؛ لأن المصالح التي من أجلها أبرمت هذه العقود تفوت على أصحابها، ثم قد يكون في هذا الأمر تحايل على الناس؛ لوصول الولد لشيء من الحقوق والامتيازات التي لولا هذه الهبة لما حصل عليها، ومعلوم: أن التحايل من الأمور المذمومة شرعاً.

الرابع: أن لا تزيد زيادة متصلة كالسمن والكبر وتعلم صنعة، كالكتابة وقيادة السيارة فإن زادت فللإمام أحمد - رحمه الله - فيها روايتان: إحداهما: لا تمنع الرجوع. وهو مذهب الشافعي^(١٠٩).

وقد عللوا لذلك بأنها: زيادة في الهبة فلا يمتنع استرجاعها كالزيادة قبل القبض^(١١٠).

ويجاء عن استدلالهم هذا بأن قياسها على الزيادة قبل القبض قياس مع الفارق؛ لأن الهبة في هذه الحال لا تزال تحت سلطة الوالد وتصرفه ولم يجزها الولد بعد.

(١٠٩) يُنظر: الحاوي في فقه الشافعي: ٥٤٧/٧، المغني: ٦/٣٠٩.

(١١٠) يُنظر: الحاوي في فقه الشافعي: ٥٤٧/٧، المغني: ٦/٣٠٩.

الرواية الثانية: للإمام أحمد تمنع الرجوع. وهو مذهب أبي حنيفة^(١١١).
وقد عللوا ذلك بأن هذه الزيادة نماء ملكه فهي أشبه بالزيادة المنفصلة التي لا
يحق له الرجوع فيها^(١١٢).

الراجح:

والذي يترجح عندي - والله أعلم بالصواب - اشتراط هذا الشرط وذلك لأمر:
١ - إن هذه الزيادة حصلت في ملك الولد، أي: هي نماء ملكه وربما كان
الولد قد خسر شيئاً من ماله وبذل جهداً كبيراً لتحقيق هذه الزيادة وفي مصادرتها عليه
ظلم له.

٢ - أن الولد قد يلحقه ضرر نتيجة استرجاعها منه بعد هذه الزيادة فقد يكون
قد باع شيئاً من ملكه؛ لتحصيل هذه الزيادة، وهذا فيه ضرر عليه، كأن يكون قد بنى
في البيت الموهوب له زيادة غرف أو دور ثاني - مثلاً - وكلفه ذلك مالاً كثيراً وربما
استدانه ونحو ذلك ففي استرجاعه منه ضرر عليه، والإسلام يمنع الضرر، وقد مر قوله
- صلى الله عليه وسلم - : (لا ضرر ولا ضرار)^(١١٣). وعرفنا أن من القواعد
المقررة شرعاً: أن الضرر يزال^(١١٤).

(١١١) يُنظر: فتح القدير: ٣/٣٤٩، والمغني ٦/٣٠٩.

(١١٢) يُنظر: فتح القدير: ٣/٣٤٩، والمغني ٦/٣٠٩.

(١١٣) سبق تخريج الحديث، ص: ٧٤٠.

(١١٤) الأشباه والنظائر، للسيوطي ١/٢٠٨.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث أبين أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة مسائله ، وأذكر بعض الوصايا التي أسأل الله أن ينفع بها.

أولاً: أبرز النتائج

- ١ - أن الهبة عقد يفيد التمليك بلا عوض حال الحياة تطوعاً.
- ٢ - تجوز الهبة بلفظ الهبة ، أو أي لفظ يفيد تمليك العين بلا عوض.
- ٣ - لا خلاف بين جمهور الفقهاء في استحباب التسوية بين الأولاد في العطايا والهبات ، وكرهة التفضيل بينهم في حال الصحة.
- ٤ - يستحب للأب: أن يسوي بين الأولاد - الذكور والإناث - في العطية، فتعطى الأثنى مثل ما يعطى الذكر.
- ٥ - يجوز تفضيل بعض الأولاد على بعض لمبرر مقبول شرعاً وعقلاً؛ كالعاهات المانعة من التكسب مثل المرض المزمن ، والعمى المانع من العمل ونحو ذلك.
- ٦ - إن للأب الرجوع فيما وهب لولده سواء أقصد برجوعه التسوية بين أولاده أم لا.
- ٧ - الأم كالأب في تحريم تفضيل بعض ولدها على بعض ، وتساويه - أيضاً - في جواز الرجوع فيما فضلت به بعض أبنائها تخليصاً لها من الإثم وإزالة التفضيل المحرم على ما ترجح لدي.
- ٨ - أورد الفقهاء -رحمهم الله تعالى - مجموعة من الشروط لجواز رجوع الوالد في هبته التي وهبها لولده منها ما هو محل اتفاق ومنها ما هو محل اختلاف أورد منها ما ترجح عندي ، والشروط هي:
- ١ - أن يبقى ملك الابن فيها قائماً.

٢ - أن تكون العين باقية في تصرف الولد بحيث يملك الولد التصرف في رقبته.

٣ - ألا يتعلق بها رغبة لغير الولد.

٤ - ألا تزيد زيادة متصلة.

ثانياً: أهم الوصايا التي أوصي بها

١ - أوصي كل الآباء والأمهات بالحرص على التسوية بين أبنائهم في الأمور المادية والمعنوية ، وتعزيز كل ما من شأنه تقوية أواصر المحبة والمودة بين الأبناء ، والبعد عن كل ما يحدث بينهم الحقد والبغضاء.

٢ - أوكد على أهمية تفقه المسلم في أحكام دينه فإن من إرادة الله بعبده الخير أن يرزقه الفقه في الدين ومن ذلك ما يتصل بموضوع معاملة الأولاد ؛ وبخاصة ما له علاقة بالأمور المالية من النفقة والهبة ونحو ذلك. لما قد يترتب على ذلك من تبعات سيئة من زرع العداوة والبغضاء بين الأولاد ولا شك أن من أعظم أسباب الجور في هذا الباب جهل الوالدين أو أحدهما بأحكام هذه المسائل وتساهله بما قد يترتب على تصرفاته فيها.

٣ - عندما يشكل على بعض الآباء والأمهات معرفة شيء من الأحكام والأمور المتعلقة بالأولاد لاسيما الأمور المالية التي تحصل فيها المشاحة من أمور الهبة أو النفقة عليهم أو توزيع أشياء مالية - مثلاً - فعليهم أن يأرزوا إلى العلماء الربانيين ويسألوهم عن الحكم الشرعي في ذلك وكيف يتحقق العدل ، وعليهم أن يعملوا بما يشير به هؤلاء العلماء تحريماً للعدل بين الأولاد وطمعاً في ثماره اليانعة.

٤ - إذا حصل من الوالدين أو أحدهما جور في هذا الأمر بأن ميز أحد أولاده على الآخرين أو ميز أولاده من زوجة على أولاد الزوجة الأخرى مثلاً فعليه أن يتقي الله ثم يبادر في تصحيح الخطأ ويضع الأمور في مسارها الصحيح القائم على العدل ،

إما برد ما أعطاه لهذا الوالد زائداً عن إخوانه ، أو يعطي إخوانه مثل ما أعطاه لتطيب النفوس ويزول ما عساه أن يختلج في صدورهم من غلٍّ على إخوانهم المميزين أو على والدهم المميز وعليه أن يسارع إلى ذلك مادام حياً قبل أن يعاجله الموت فيندم ولات ساعة مندم.

هذا ما أردت بيانه ، والله حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- [١] الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ - ١١٩٨م.
- [٢] إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.
- [٣] الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد محمد تامر، وحافظ عاشور حافظ، ط ١، ١٤١٨هـ - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر.
- [٤] إعلاء السنن، للمحدث ظفر أحمد العثماني، من منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان.
- [٥] الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلي ابن سليمان أبي الحسن علاء الدين المرادوي (ت: سنة ٨٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- [٦] *بداية المجتهد*، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- [٧] *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني*، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- [٨] *البدور المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير*، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- [٩] *بلوغ المرام من أدلة الأحكام*، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عني بتصحيحه والتعليق عليه محمد حامد الفقي، المطبعة السلفية بالقاهرة.
- [١٠] *البيان والتحصيل*، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- [١١] *تبين الحقائق شرح كنز الدقائق*، لفخر الدين عثمان بن علي الزيعلي الحسعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ.
- [١٢] *تحرير ألفاظ التنبيه*، ليحيى بن شرف النووي أبو زكريا، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، تحقيق: عبد الغني الدقر.
- [١٣] *تحفة الفقهاء*، علاء الدين السمرقندي، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٥ - ١٩٨٤، مكان النشر: بيروت.

- [١٤] التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٨٩م.
- [١٥] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الناشر، دار الشعب، القاهرة.
- [١٦] حاشية ابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- [١٧] حاشية الدسوقي، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: محمد عlish، دار الفكر، بيروت.
- [١٨] حاشية الروض المربع - شرح زاد المستنقع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي - الحنبلي - ط٤، ١٤١٠هـ.
- [١٩] الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي، دار الفكر، بيروت.
- [٢٠] الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، الناشر: دار الغرب، سنة النشر ١٩٩٤م، مكان النشر: بيروت.
- [٢١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الألوسي، الناشر: دار أحياء التراث العربي بيروت.
- [٢٢] الروض المربع - شرح زاد المستنقع، لمنصور بن يونس البهوني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. السادسة. بيروت - لبنان.
- [٢٣] روضة الناظر وجنة المناظر، لموفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٢٤] سبيل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الرابعة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

[٢٥] سنن الدارمي، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ) دار الكتاب العربي بيروت - ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: فؤاد أحمد مرلي، خالد السبع العلمي.

[٢٦] سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني (ت: سنة ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ودار الفكر، بيروت.

[٢٧] سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

[٢٨] السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدرآباد، ط ١ - ١٣٤٤ هـ.

[٢٩] سنن النسائي، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

[٣٠] شرح الزركشي على مختصر الخرقى. لشمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي. تحقيق د/ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

[٣١] الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

[٣٢] شرح الكوكب المنير، تقي الدين، محمد بن أحمد الفتوحى المعروف بابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

[٣٣] شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق د/عبدالله التركي، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

[٣٤] شرح مشكل الآثار، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

[٣٥] الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور. الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ. دار العلم للملايين بيروت.

[٣٦] صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت (٢٥٦هـ) طبع على نفقة محمد بن صالح الراجحي، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

[٣٧] صحيح مسلم المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن برواية العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: سنة ٢٦١هـ)، اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

[٣٨] غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، الفقيه مرعي بن يوسف الحنبلي (١٠٣٣هـ). الطبعة الثانية منشورات المؤسسة السعودية بالرياض.

[٣٩] الفتاوى السعودية، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبعة الكيلاني - القاهرة.

[٤٠] فتح القدير، لكamal الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، (ت: ٦٨١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

- [٤١] الفروق، شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القرافي، تحقيق عمر حسين القيام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ مع حاشية ابن الشاط.
- [٤٢] القوانين الفقهية، لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، سنة الولادة ٦٩٣/ سنة الوفاة ٧٤١هـ.
- [٤٣] الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لعبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي، دار النشر، المكتب الإسلامي، بيروت.
- [٤٤] الكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٧هـ، ط ١.
- [٤٥] كشف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، مصطفى هلال، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
- [٤٦] اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، للإمام أبي محمد علي بن زكريا المنبجي، تحقيق: د. محمد فضل عبدالعزيز المراد، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- [٤٧] اللباب في الفقه الشافعي، تأليف: أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الضبي، دراسة وتحقيق: عبد الكريم بن صنيان العمري، الناشر: دار البخارى، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٦هـ.
- [٤٨] المبدع في شرح المقنع، لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح الحنبلي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.
- [٤٩] المبسوط، لشمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

[٥٠] مجلة الأزهر - العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة.

[٥١] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.

[٥٢] المجموع شرح المهذب للشيرازي، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، المملكة العربية السعودية

[٥٣] مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، تحقيق: محمود خاطر.

[٥٤] المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.

[٥٥] المستدرک، للحافظ أبي عبد الله: محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ). الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بـجلب.

[٥٦] مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، وطبعة مؤسسة قرطبة، مصر.

[٥٧] المصباح المنير، أحمد الفيومي، ط الأولى، دار الغد، القاهرة.

[٥٨] مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ - ٢٣٥ هـ)، تحقيق: محمد عوامة، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة.

[٥٩] المصنف للحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- [٦٠] المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- [٦١] مغني المحتاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.
- [٦٢] المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- [٦٣] المهذب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، بيروت.
- [٦٤] موسوعة الفقه المالكي، إعداد خالد عبد الرحمن العك، الناشر: دار الحكمة، دمشق، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- [٦٥] الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، (ط ٢، من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ)، دار السلاسل - الكويت.
- [٦٦] موطأ الإمام مالك، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبجي، الناشر، دور إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- [٦٧] نهاية المحتاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، الناشر: دار الفكر للطباعة.
- [٦٨] النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، الناشر المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ.
- [٦٩] نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.
- [٧٠] الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء، علي بن محمد بن علي بن عقيل، تحقيق د/عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

Judgment of the Gifting for Children

Dr. Aqeel Bin Abdurrahman Bin Mohammed ALAqeel

Associate professor in compared Jurisprudence department in the high institute Justice
Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract. A Brief Summary of The Research:

This research is composed of an introduction, a preface, two sections and a conclusion.

The introduction includes the importance of the research, the reasons of choosing it, the research problems , the research questions, the research methodology, the research plan and the literature review.

The preface includes five demands that the researcher tackles the meaning of the gift in language, terminology and the terms relating to it, then he illustrates the legality of the gifting, its judgment and its necessity.

The first Section is about the justice between children in gifting, and through four demands in which the researcher speaks about the judgment of the gifting for children and he illustrates how this justice can be achieved in this gifting, he illustrates what can be excepted for achieving the justice in gifting children, then he follows that with the mentioning of the judgment gifting which contains preferring after the giver's death.

In the second section, the researcher speaks about the judgment of the withdrawal of the father in his gifting to his children through three demands where the researcher speaks in details about the judgment of the withdrawal of the father in his gifting to his children and the difference of that about the judgment of the withdrawal of the mother in her gifting to her children, and he illustrates the conditions which the Islamic scientists mentioned relating to this subject, then he concludes the research with showing the distinctive results and the important recommendations which should be taken into consideration and being applied.

إثباتُ المؤمنِينَ لصفةِ العَيْنِينَ لربِّ العالمِينَ

د. خالد بن ضحوي الظفيري

عضو هيئة تدريس منتدب في جامعة الكويت، كلية الشريعة

قسم العقيدة والدعوة، ومعلم في دار القرآن.

ملخص البحث. تناولت في هذا البحث صفة من صفات الله تعالى الذاتية التي دل عليها الكتاب والسنة، وهي صفة العينين لله تعالى.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث.

ففي المبحث الأول ذكرت الأدلة من القرآن ثم من السنة النبوية على إثبات صفة العينين لله تعالى، وجمعت بين النصوص الواردة في الأفراد والجمع، ثم ذكرت جملة من أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين في إثبات هذه الصفة لله تعالى.

ثم في المبحث الثاني ذكرت أقوال المخالفين لأهل السنة في إثبات هذه الصفة، وجمعت في ذلك شبههم التي اعترضوا بها على هذه الصفة، ورددت على ما أوردوه من أباطيلهم، التي أقاموا عليها مذهبهم في التعطيل. ويلى ذلك المبحث الثالث في ذكر الآثار والثمرات التي يجنيها أهل السنة من إيمانه بهذه الصفة من مراقبة الله تعالى والإقبال على طاعته وترك معاصيه.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣).

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام؛ الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى^(٤)، وأفضل العلوم على الإطلاق علم التوحيد، إذ به يكون القول السديد، وبه يحصل تيسير العزيز الحميد، وبه حياة القلوب، وتوكل العبد على علام الغيوب.

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) من كلام الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري (ص: ٣).

قال ابن القيم -رحمه الله - مبيناً أهمية التوحيد: «بل نقول قولاً كلياً: إنَّ كل آية في القرآنِ فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإنَّ القرآنَ إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيدُ العلميُّ الخبري، وإمَّا دعوةٌ إلى عبادته وحدَه لا شريك له، وخَلَع كل ما يُعبَدُ من دُونه، فهو التوحيدُ الإراديُّ الطلبيُّ، وإمَّا أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيدهِ وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهذا جزاءٌ على توحيدهِ، وإمَّا خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النَّكالِ، وما يَحِلُّ بهم في العقبي من العذاب، فهو خبرٌ عن حُكْم التوحيد، فالقرآنُ كلُّه في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»^(٥).

ومن أجل هذه الأهمية البالغة، كثرت مؤلفات العلماء المتقدمين والمتأخرين في تقريره، وبيان دلائله وأدلته، وما يناقضه وينقصه ويكدر صفوه، ومع كثره دلائل التوحيد، وكثرة النصوص الواردة فيه من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة من الصحابة الكرام والتابعين الأعلام، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم، لم يكن ذلك مانعاً من أن يخوض فيه أقوام، ويلبسون فيه على العوام، وانحرفوا فيه عن الإسلام، إلى أقوال الفلاسفة، وأهل الابتداع، فجعلوا كتاب الله وراء ظهورهم، وأولوه على غير تأويله، وإذا جاءتهم سنة عن الهادي ﷺ ردوها بحجة أنها من الأحاد، لأنها لم توافق عقولهم ولا آراءهم.

ومن أنواع التوحيد التي كثرت فيها الانحرافات، توحيد الأسماء والصفات، فما بين معطلة ومؤولة ومشبهة ومفوضة، لكن أهل السنة والجماعة كانوا على هدى

(٥) مدارج السالكين (٤/٤٤٢).

بين الضلالات، وساروا على صراط مستقيم، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن صفات الله تعالى التي لم تسلم من التعطيل والتأويل، صفة العينين لله تعالى، لذلك آثرت الكتابة في هذه الصفة مقراً أدلتها من الكتاب والسنة، وناقلاً أقوال سلف الأمة في تقريرها وبيانها، ثم أردف ذلك بيان أقوال المخالفين لأهل السنة في ذلك، والرد على شبههم وتأويلاتهم، وخاتماً ببيان ثمرات وآثار الإيمان بهذه الصفة على العبد الموحد.

فكان عنوان هذا البحث: «إثبات المؤمنين لصفة العينين لرب العالمين».

وقد قمت بتقسيم البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الأدلة على إثبات صفة العينين لله تعالى.

المطلب الأول: الأدلة من القرآن.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة.

المطلب الثالث: الجمع بين النصوص الواردة في صفة العينين من حيث الجمع

والإفراد.

المطلب الرابع: أقوال السلف في إثبات صفة العينين.

المبحث الثاني: موقف الفرق من إثبات صفة العينين لله وبيان بطلان قولهم.

المطلب الأول: موقف الفرق من إثبات صفة العينين.

المطلب الثاني: الرد على قولهم في صفة العينين لله.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بصفة العينين لله.

فالله تعالى أسأل التوفيق والسداد، وأن يجعلني وإياكم من أهل التوحيد

والرشد، وأن يثبتنا عليه إلى يوم الدين، إنَّ ربي لسميع الدعاء.

المبحث الأول: الأدلة على إثبات صفة العينين لله تعالى

المطلب الأول: الأدلة من القرآن على إثبات صفة العينين

ورد إثبات صفة العينين لله تعالى في القرآن في خمسة مواضع، ثلاثة في قصة نوح عليه السلام، وواحدة في قصة موسى عليه السلام، وأخرى في ذكر نبينا عليه السلام، فاللآتي في نوح: قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ [هود: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وقوله سبحانه: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جِرَاءَ لَمَن كَانَ كُفْرًا﴾ [القمر: ١٤].

وأما التي وردت في قصة موسى عليه السلام، فهي قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمْرِ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وأما الآية الواردة في ذكر نبينا عليه السلام، فهي قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

وكلُّ هذه الآيات تدلُّ صراحة على إثبات صفة العين لله تعالى، وأنها من الصفات الذاتية الخبرية، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿وَأَصْنَعَ

أَفَلَاكٌ بِأَعْيُنِنَا ﴿٦﴾: «قال: بعين الله ووحيه»^(٦)، ونحوه عن قتادة^(٧). وقال الطبري - رحمه الله - : «يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك»^(٨).

وعن أبي عمران الجوني في قوله: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ قال: «يرى بعين الله»^(٩). ولا يخالف ذلك تفسير من فسرها من السلف بلازم الصفة، فقالوا: «بمراى منا» أو «بمحفطنا»^(١٠)؛ إذا كان معروفاً بأنه ممن يثبت الصفات لله تعالى، كما قال الطبري - رحمه الله - في تفسير الآية الواردة في نبينا ﷺ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ واصبر لحكم ربك يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه وبلغ رسالاته؛ فإنك بأعيننا، يقول جل ثناؤه: فإنك بمراى منا نراك، ونرى عملك ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين»، وكذلك في قصة نوح ﷺ، فالله - سبحانه - يرى ويبصر ما يصنعه نوح ﷺ وقومه، فقال ناصراً له ومسلماً: إنك بمراى منا، ليطمئن ولا يخشى.

وليس هذا من قبيل التأويل لصفة العينين، ولا من صرف اللفظ عن ظاهره؛ لأنّ في هذه الآيات إثبات الصفة وإثبات لازمها كذلك، فمن كان من السلف ولا يؤول الصفات فتجوزّ وفسر الصفة بلازمها ومعناها العام فهذا جائز، وإن كان ينبغي

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٣٤/١٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١١٦/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، انظر: الدر المنثور (٤١٨/٤).

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣٠٤/٢)، والطبري في تفسيره (٣٤/١٢).

(٨) تفسير الطبري (٣٣/١٢).

(٩) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٤٦٧/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣١١/٢)، وابن عساکر في تاريخ دمشق (٢٤/٦١).

(١٠) انظر: تفسير السمعاني (٣١١/٥)، وتفسير ابن كثير (٤٤٥/٢)، و(٢٤٦/٤)، وتفسير السعدي (ص: ٣٨٢).

تبيين ثبوت الصفة لله تعالى في هذه المواضع عند تفسيرها، ردّاً على المعطلة وبياناً للواجب في حقّ نصوص الصفّات، خاصةً وأنّ المعطلة في تفاسيرهم لا يرون على هذه الآيات من غير تعطيل ما ورد فيها من الصفات كما سيأتي بيانه.

أمّا المعطلة فهم لا يجعلون للعين معنى الصفة، وإنما يفسرونها بعين اللّازم، فتأويلهم ليد بالملك، والرحمة بالإحسان، وإن كانت هذه لوازم لتلك الصفات، لكن أهل السنة يثبتون الصفة ولوازمها.

وهذا ما يسميه أهل العلم بدلالة الالتزام، فالاسم والصفة لله تعالى لها ثلاثة دلالات، مطابقة وتضمن والتزام^(١١)، لكن دلالة المطابقة والتضمن مقدمة في الإثبات على دلالة الالتزام، لذلك فإنّ نصوص الصفات لا يُكتفى فقط بذكر لوازمها دون ما دلت عليه من المطابقة والتضمن، مثل بيان ثبوت الصفة المنصوص عليها لله تعالى.

ويورد العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - هذا الإشكال ويحجب عنه فيقول: «إذا قال قائل: قد ورد في تفسير بعض السلف لقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ قال: «تجري بمرأى منا»، فهل يعتبر هذا تحريفاً أم ماذا؟. فالجواب: ليس هذا تحريفاً، لأنهم يقولون: «تجري بمرأى منا» مع إقرارهم بالعين، ولو أن هذا القول جاء من شخص ينكر العين، لقلنا: هذا تحريف، والذين قالوا: إن المعنى بمرأى منا؛ فإن معنى كلامهم أنها تجري ونحن نراها بأعيننا، وكأنهم يريدون بذلك الرد على من زعم أن ظاهر الآية أن السفينة تجري في نفس العين، حاشا لله.

(١١) يقول ابن عثيمين في القواعد المثلى (ص: ٧١): «وهذا معنى قول بعض السلف: (بمرأى مني)، فإن الله تعالى إذا كان يكلّوه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام».

أما من يتخذ من ذلك مأخذاً على مذهب أهل السنة والجماعة، ويرى أن ذلك خلاف مذهبهم في إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، وأن ظاهر الآية أن السفينة في نفس عين الله، فهذا لا شك أنه إلزام باطل، وأن السلف لا يلتزمون بهذا، بل يقولون: إن هذا ليس مدلول اللفظ، وفي اللغة العربية إذا قال الإنسان: اذهب فأنت في عيني، يعني أراك ألا حظك ولا تغيب عن عيني، ولا أحد يقول: إن الرجل إذا قال لصاحبه: أنت بعيني، يعني أنك في نفس العين أبداً، وليس هذا مقتضى لفظ اللغة العربية. ثم إن في الآية ما يدل على منع ذلك، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي السفينة فهي تجري في الأرض على الماء الذي خلقه الله عز وجل من الأرض والسماء، فكيف يقال: إن ظاهر الآية أنها تجري في عين الله؟!، لكنهم يتشبهون بكل شيء من أجل التشنيع على أهل السنة^(١٢).

ومما يدل على ذلك أن العرب لا تصف أحداً بالحفظ والكلاية بعينه، إلا أن يكون من ذوي الأعين، فالشيء الذي ليس له عينين لا يصح أن يقول أو يقال عنه: يحفظك بعينه، أو يراك بعينه. قال الإمام الدارمي رحمه الله رداً على المريسي: «فإن صح قولك عن ابن عباس في قوله: ﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أنه قال: «محفظنا وكلاءتنا»^(١٣)، فإن صح قولك عن ابن عباس فمعناه الذي ادعيناه لا ما ادعيت أنت، يقول: محفظنا وكلاءتنا بأعيننا؛ لأنه لا يجوز في كلام العرب أن يوصف أحد بكلاية إلا وذلك الكالي من ذوي الأعين، فإن جهلت فسم شيئاً من غير ذوي الأعين يوصف بالكلاية، وإنما

(١٢) شرح السفارينية (ص: ٢٧١-٢٧٢).

(١٣) وهذا لا يصح عن ابن عباس ؓ ولم أقف عليه مسنداً.

أصل الكلاية من أجل النظر، وقد يكون الرجل كالياً من غير نظر، ولكنه لا يخلو أن يكون من ذوي الأعين، وكذلك معنى قولك: عين الله، فافهم^(١٤).

ويبين العلامة ابن القيم - رحمه الله - هذا المعنى كذلك عند حديثه عن صفة اليد لله تعالى، فقال: «فقوله تعالى في حق اليهود ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] هو دعاء عليهم بغل اليد المتضمن للجبين والبخل، وذلك لا ينفي ثبوت أيديهم حقيقة، وكذلك قوله في المنافقين ﴿وَيَقْضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] كناية عن البخل، ولا ينفي أن يكون لهم أيد حقيقة، وكذلك قول: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] المراد به النهي عن البخل والتقتير والإسراف، وذلك مستلزم لحقيقة اليد، ... ومن هذا قول النبي ﷺ: «أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً»^(١٥)؛ فكنَّ يُخرجن أيديهنَّ ليعلمنَّ أيهنَّ أطول يداً، فلما سبقتهن زينب إلى اللحاق به ولم تكن يدها الذاتية أطول من أيديهن علمن أنه أراد طول يدها بالصدقة ... ولكن لا يستعمل طول اليد بالصدقة إلا في حق من له يد ذاتية، فسواء كان المراد بقوله: «أطولكن يداً» اليد الذاتية أو اليد المعنوية فهو مستلزم لثبوت يد الذات، وإن أُطلق على ما تباشره ويكون بها من الصدقة والإحسان، فإن كان في اللفظ ما يعين ذلك فهو حقيقة في المراد، وإن لم يكن في اللفظ ما يعينه فهو الكناية المستعملة في المصلحة، فليس في ذلك ما ينفي إثبات حقيقة اليد لله بوجه من الوجوه»^(١٦).

(١٤) نقض الدارمي على المريسي (٢/٨٣٠-٨٣١).

(١٥) رواه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٤٥٢).

(١٦) مختصر الصواعق المرسله (٣/٩٥٩-٩٦٥) باختصار.

وهذه الآيات جاءت مرة بإثبات الصفة بصيغة الجمع ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ومرة بصيغة الإفراد ﴿عَيْنِي﴾ وسيأتي بيان وجه الجمع بينها وبين إثبات العينين لله تعالى في مطلب مستقل، وإنما المقصود هنا بيان الأدلة من القرآن على إثبات هذه الصفة.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على إثبات صفة العينين

أما الأدلة من سنة نبينا ﷺ على إثبات صفة العينين لله تعالى فقد وردت في بيان أن الله تعالى منزّه عن العور الذي هو صفة الدجال، قال الدارمي رحمه الله: «ففي تأويل قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور»^(١٧).

وقد ورد ذلك في عدد من الأحاديث عن جمع من صحابة رسول الله ﷺ، فالحديث من قبيل المتواتر وإن كان تقرير العقيدة جائزاً بأحاديث الآحاد الثابتة، لكن من باب غلق الباب على المعطلة، سأبين طرق الحديث الكثيرة، وكونه من قبيل المتواتر.

١- حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ يَمًا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْدِرُكُمْ هُوَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١٨).

(١٧) النقض على المريسي (٣٢٧/١).

(١٨) رواه البخاري برقم (٣١٥٩)، ومسلم برقم (١٦٩).

وعنه - ﷺ - قال: ذُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ -، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»^(١٩).

وتنبه هنا إلى إشارة النبي ﷺ إلى عينيه ليبين معنى العين، وأن المراد بها هو ما يتبادر إلى الذهن من حقيقة الصفة المعلومة، مع كونها تليق بالله تعالى وبكماله وجماله وجلاله.

ومثله كذلك حديث عقبه بن عامر ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إِنَّ رَبَّنَا سَمِيعٌ بَصِيرٌ»، وأشار إلى عينيه^(٢٠).

وكذا حديث أبي يونس سليم بن جبيرة مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه^(٢١). قال الإمام أبو داود بعد روايته للحديث: «قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني إنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ يعني أنَّ الله سَمِعًا وَبَصَرًا. قال أبو داود: وهذا ردُّ على الجهمية».

(١٩) رواه البخاري برقم (٦٩٧٢)، ومسلم برقم (١٦٩).

(٢٠) رواه الطبراني في الكبير (٢٨٢/١٧)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٣٧٣/١٣): (وسنده حسن).

(٢١) رواه أبو داود في سننه (٤٧٣٠)، وابن خزيمة في التوحيد (٩٧/١)، والطبراني في الأوسط (١٣٢/٩)، وصححه ابن حجر في الفتح الحافظ (٣١٨/١٣)، قال العلامة الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٦٤): (إسناد حديث أبي هريرة صحيح على شرط مسلم وكذا قال الحاكم والذهبي).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لهذا الحديث وإشارة النبي ﷺ: «ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة، لا تمثيل الخالق بالمخلوق، فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك» (٢٢).

وقد نقض الإمام الدارمي رحمه الله دعوى المعطلة أن أهل السنة فهموا من الحديث تشبيه الله بخلقه فقال: «يقال لهذا المعارض: أما دعواك عليهم أنهم ثبتوا له سمعاً وبصراً فقد صدقت.

وأما دعواك عليهم أنه كعين وكسمع، فإنه كذب ادعيت عليهم؛ لأنه ليس كمثل شيء، ولا كصفاته صفة. وأما دعواك أنهم يقولون: جارح مركب، فهذا كفر لا يقوله أحد من المسلمين، ولكننا ثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف، كما أثبتته لنفسه فيما أنزل من كتابه، وأثبتته له الرسول ﷺ، وهذا الذي تكرر مرة بعد مرة، جارح وعضو وما أشبهه، حشو وخرافات، وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين، وقد روينا روايات السمع والبصر والعين في صدر هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسول الله ﷺ، فنقول كما قال، ونعني بها كما عني، والتكييف عنّا مرفوع، وذكر الجوارح والأعضاء تكلف منك، وتشنيع» (٢٣).

٢- حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: «ما بُعث نبي إلا أُنذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكُذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ» (٢٤).

٣- ونحوه حديث أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- (٢٥).

(٢٢) الأصفهانية (ص: ١٠٣).

(٢٣) نقض الدارمي على المريسي (٦٨٨/٢-٦٨٩).

(٢٤) رواه البخاري برقم (٦٧١٢)، ومسلم برقم (٢٩٣٣).

- ٤- وحديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - (٢٦).
- ٥- وحديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - (٢٧).
- ٦- وحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - (٢٨).
- ٧- وحديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - (٢٩).
- ٨- وحديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - (٣٠).
- ٩- وحديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - (٣١).
- ١٠- حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وهو حديث طويل وفيه: «وإنه أَعُورٌ، وَإِنَّ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعُورٍ» (٣٢).

-
- (٢٥) رواه الطيالسي في المسند (ص: ٣٠٦)، والدارمي في النقص (٣٣٢/١)، وأصل الحديث في الصحيحين من غير لفظة: (وربكم تبارك وتعالى ليس كذلك).
- (٢٦) رواه أحمد (١٧٦/١) برقم (١٥٢٦)، وأبو يعلى في المسند (٧٨/٢) برقم (٧٢٥)، قال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٦٢): (ورجاله ثقات لولا أن ابن إسحاق مدلس).
- (٢٧) رواه أحمد في المسند (٢٤٠/١) برقم (٢١٤٨)، وابن أبي شيبة (٤٩٠/٧) برقم (٣٧٤٧٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٧/١٥) برقم (٦٧٩٦)، والطبراني في الكبير (٢٧٣/١١) برقم (١١٧١١)، والطيالسي (٣٤٩/١) برقم (٢٦٧٨)، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٦٩): (وإسناده صحيح على شرط مسلم).
- (٢٨) رواه أحمد في المسند (٧٩/٣) برقم (١١٧٦٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٩/٧) برقم (٣٧٤٦٥).
- (٢٩) رواه أحمد في المسند (٣٢٤/٥) برقم (٢٢٨١٦)، وأبو داود في سننه (١٩٨/٤) برقم (٤٣٢٢)، والنسائي في الكبرى (٤١٩/٤) برقم (٧٧٦٤)، الطبراني في مسند الشاميين (١٨٥/٢) برقم (١١٥٧)، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٦٨): (وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات).
- (٣٠) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٨/٧) برقم (٣٧٤٥٥)، والحاكم في المستدرک (٧٦/١) برقم (٦٤)، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٦٤): (وإسناده جيد).
- (٣١) رواه الطبراني في الكبير (٦١/٢٠) برقم (١١٣)، وفي الأوسط (٧٠/١) برقم (١٩٥).
- (٣٢) رواه ابن ماجه (١٣٥٩/٢) برقم (٤٠٧٧)، وقد حَرَّجَ الألباني فقرات الحديث كلها في رسالته: (قصة المسيح الدجال).

١١- وحديث جنادة بن أبي أمية عن رجلٍ من الأنصار^(٣٣).

١٢- وحديث عائشة - رضي الله عنها -^(٣٤).

١٣- وحديث أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها -^(٣٥).

١٤- وحديث أم سلمة - رضي الله عنها -^(٣٦).

فهذه الأحاديث كلها تدل على إثبات صفة العينين لله تعالى حقيقة، وهذا ما يفيد نفى العور عنه تعالى، فهو كالنص الصريح على أنهما اثنتان، ووجهه: أن النبي ﷺ ذكر علامة فارقة بين الدجال وبين الرب عز وجل، بأن الدجال له عينين وأنه أعور العين اليمنى، والرب ليس بأعور، ولا عور إلا لذي عينين^(٣٧).

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- : «وهذا الحديث يدل على أن الله تعالى عينين اثنتين فقط. ووجه الدلالة: أنه لو كان لله أكثر من اثنتين، لكان البيان به أوضح من البيان بالعور؛ لأنه لو كان لله أكثر من عينين؛ لقال: إن ربكم له أعين؛ لأنه إذا

(٣٣) رواه أحمد في المسند (٤٣٥/٥) برقم (٢٣٧٣٥)، والبخاري في مسنده (زوائد الهيثمي) (٧٨٠/٢) برقم (٧٨٤)، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٧١).

(٣٤) رواه أحمد في المسند (٧٥/٦) برقم (٢٤٥١١)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٥/١٥) برقم (٦٨٢٢)، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٦٠).

(٣٥) رواه أحمد في المسند (٤٥٦/٦)، برقم (٢٧٦٢١)، والبخاري في مسنده (زوائد الهيثمي) (٧٨٠/٢) برقم (٧٨٣). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٥/٧): (رواه كله أحمد والطبراني من طرق وفي إحداها: (يكون قبل خروجه سنون خمس جدب)، وفيه شهر بن حوشب وفيه ضعف وقد وثق)، وانظر: قصة المسيح الدجال للألباني (ص: ٧٦).

(٣٦) رواه ابن خزيمة في التوحيد (١٠٣/١)، والطبراني في الكبير (٢٦٨/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥١/٧): (رواه الطبراني ورجاله ثقات، إلا أن شيخ الطبراني أحمد بن محمد بن نافع الطحان لم أعرفه)، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (ص: ٦٠).

(٣٧) انظر: شرح السفارينية لابن عثيمين (ص: ٢٦٩).

كان له أعين أكثر من اثنتين صارَ وُضُوحُ أنَّ الدجال ليس برب أبين. وأيضاً: لو كان لله - عز وجل - أكثر من عينين لكان ذلك من كماله، وكان ترك ذكره تفويتاً للثناء على الله؛ لأنَّ الكثرة تدل على القوة والكمال والتمام، فلو كان لله أكثر من عينين لبيَّنهما الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لئلا يفوتنا اعتقاد هذا الكمال وهو الزائد على العينين الاثنتين^(٣٨).

وأما الحديث الذي استدل به بعض أهل العلم^(٣٩)، ويوردونه في مقام ذكر النبي ﷺ للفظ العينين نصاً، فهو حديث غير صحيح، وبيان ذلك: عن إبراهيم بن يزيد الخوزي عن عطاء بن أبي رباح قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرَّحْمَن عزَّ وجلَّ، فإذا التفت قال له الرب: إلى من تلتفت إلى من هو خير لك مني، ابن آدم أقبل إليَّ فأنا خيرٌ ممَّن تلتفت إليه»^(٤٠).

فمدار إسناد هذا الحديث على إبراهيم الخوزي وهو: «متروك الحديث» كما قال ابن حجر في التقريب^(٤١). وقال الهيثمي: «فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو

(٣٨) شرح الواسطية (٣١٣/١).

(٣٩) ذكره ابن القيم في الصواعق المرسله (٢٥٦/١)، وقال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٠٢٤): (وأورده ابن القيم في الصواعق المرسله بلفظ العقيلي، ساكتاً عليه، وليس بجيد، ولذلك أوردته لأبين حقيقة حاله).

(٤٠) رواه العقيلي في الضعفاء (٧٠/١)، وابن أبي الدنيا في التهجده وقيام الليل (ص: ٥١١)، والنعلبي في تفسيره (٣٨/٧)، وابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٨٠/١)، وأبو يعلى في إبطال التأويلات (ص: ٣٤٧)، والبخاري كما في كشف الأستار (٢٦٨/١) غير أنَّ فيه: (بين يدي الرحمن).

(٤١) وقال أحمد: (متروك الحديث)، وقال ابن معين: (ليس بثقة، وليس بشيء)، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: (منكر الحديث، ضعيف الحديث)، وقال النسائي: (متروك الحديث). انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٥٧/١).

ضعيف»^(٤٢)، وقال العلامة الألباني: «ضعيف جداً»^(٤٣)، و«ضعفُ هذا الحديث لا يقدح في ثبوت العينين لله؛ لأنّها وردت في الأحاديث السابقة في نفي العور عن الله تعالى كما بينت ذلك.

المطلب الثالث: الجمع بين النصوص الواردة في صفة العينين من حيث الجمع والإفراد
سبق أن ذكرت النصوص الواردة في الكتاب والسنة على إثبات صفة العينين لله تعالى، وأن بعضها ورد بصيغة الجمع مثل قوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ فالأعين مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع، وورد بصيغة الإفراد كما في قوله تعالى: ﴿وَلِنُضَعَّ عَلَى عَيْنِي﴾، فذكر العين المفردة مضافة إلى الضمير المفرد، وورد بصيغة التثنية وهذا معلوم من نفي العور عن الله تعالى، قال ابن القيم: «صريح في أنه ليس المراد إثبات عين واحدة ليس إلا. فإن ذلك عورٌ ظاهرٌ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^(٤٤). ووردت التثنية كذلك نصّاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الضعيف وقد سبق بيانه.

وقد زعم المعطلة أن ظاهر نصوص القرآن إثبات أعين كثيرة في وجه واحد^(٤٥)، وهذا باطل عقلاً وشرعاً ولغة، قال ابن القيم رحمه الله: «إنّ دعوى الجهمي: أنّ ظاهر القرآن يدلُّ على أنّ لله سبحانه أيدياً كثيرة على جنب واحد، وأعيناً كثيرة على وجه واحد، عضه^(٤٦) للقرآن وتنقص له وذم، ولا يدلُّ ظاهر القرآن ولا باطنه على

(٤٢) مجمع الزوائد (٨٠/٢).

(٤٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (١٠٢٤).

(٤٤) الصواعق المرسله (٢٥٨/١-٢٥٩).

(٤٥) سيأتي ذكر أقوالهم في ذلك، وقد ذهب ابن حزم إلى إثبات أنّ الله تعالى له عين وأعين ولا يصح أن يقال له عينين، كما في المحلى (٣٣/١-٣٤).

(٤٦) العضه: القالة القبيحة. انظر: لسان العرب (٥١٥/١٣).

ذلك بوجه ما ، ولا فهمه من له عقلٌ ، ولو كان ذلك ظاهر القرآن لكان المخبر به منفراً للمدعوين عن الإيمان بالله ورسوله ، ومطرقاً لهم إلى الطعن عليه»^(٤٧).

وقد جمع أهل العلم بين هذه النصوص^(٤٨) ، مع اعتقادهم أن الله تعالى عينين تليق بكماله تعالى ، فيكون الجمع بين التثنية وصيغتي الإفراد والجمع :

أولاً: وجه الجمع بين التثنية والإفراد

لا معارضة بين التثنية والإفراد ؛ لأن المفرد المضاف يُعْمُ فيتناول كل ما ثبت لله من عين واحدة كانت أو أكثر^(٤٩). قال ابن حجر رحمه الله : «المفرد المضاف كالجمع في إفادة التعدد»^(٥٠). وهذه القاعدة يقرّ بها كثير من المتكلمين كالرازي والزمخشري وغيرهما^(٥١) ، لكن لما كانت المسألة حول الصفات حصلت لهم الغشاوة وتناسوا علومهم ولغتهم ، وأعجمت قلوبهم وأستنتهم.

وهذا كثير في القرآن ، يذكر الله اللفظ المفرد المضاف ويريد به التعدد ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨] ، فأفرد لفظ النعمة والمراد بها نعم كثيرة ، وكذا قوله تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ [الجاثية: ٢٩] ، والمراد جميع الكتب التي أحصيت فيها أعمالهم^(٥٢) ، وكقوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(٤٧) الصواعق المرسله (٢٥٤/١).

(٤٨) انظر: الصواعق المرسله لابن القيم (٢٥٤/١-٢٦٢)، وفتح رب البرية لابن عثيمين (ص: ٥٩-٦٠)، والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (ص: ٣١٧-٣٢٠).

(٤٩) انظر: فتح رب البرية (ص: ٥٩).

(٥٠) فتح الباري (٦٢٧/٨).

(٥١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣٩٧/٢)، وفتاوى السبكي (١٢٠/١)، والتمهيد للأسنوي (ص: ٣٢٨).

(٥٢) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٧/٢)، وتفسير السعدي (ص: ٣١).

مَنْ بَوَّأَ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿المائدة: ٧٨﴾، فأفرد لفظ اللسان مع أنهما مثني.

وهذا أيضاً مستعمل كثيراً في لغة العرب في لفظ العين وغيره، يقول ابن القيم: «وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة ليس إلا، كما يقول القائل: أفعل هذا على عيني، وأجيتك على عيني، وأحمله على عيني، ولا يريد به أن له عيناً واحدة، فلو فهم أحد هذا من ظاهر كلام المخلوق لعدَّ أخرق»^(٥٣) ويقول: «وهل يفهم من قول الداعي: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام. أنها عين واحدة ليس إلا، إلا ذهن أقلف وقلب أغلف»^(٥٤).

ثانياً: وجه الجمع بين التثنية والجمع

أما وجه الجمع بين التثنية والجمع، فعلى قول من يقول: إنَّ أقلَّ الجمع اثنان، فلا اختلاف بين التثنية والجمع، إذ التثنية داخلة في الجمع وجزء منه، وهذا مذهب الإمام مالك بن أنس على المشهور عنه، يقول في مراقي السعود^(٥٥): «أقل معنى الجمع في المشتهر الاثنان في رأي الإمام الحميري» وأما على قول من يقول: إنَّ أقلَّ الجمع ثلاثة، وهو قول جمهور العلماء، فيكون جمع المثني هنا من باب المشاكلة للفظ المضاف إليه والمناسبة له، وهو «نا» المجموعة جمع تعظيم لله تعالى في قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، وللمشاكلة شواهد متعددة في كتاب الله تعالى.

(٥٣) الصواعق المرسله (١/٢٥٥).

(٥٤) الصواعق المرسله (١/٢٥٩).

(٥٥) مراقي السعود إلى مراقي السعود لمحمد الأمين الجكني (ص: ٢٠٧). والمقصود بالإمام الحميري أي الإمام مالك.

كقوله: ﴿إِنْ نُؤَبَّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]، فجمع لفظ القلب مع أنهما قلبان لا غير.

وقال سبحانه: ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، فكذلك جمع لفظ السوأة مع أنهما مثني.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّه السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، قال الأمين الشنقيطي رحمه الله: «المراد بالإخوة اثنان فصاعداً كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافاً لابن عباس»^(٥٦).

﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]، ومعلوم أن له طرفين.

ومن كلام العرب: اضرب أعناقهما، واقطع ألسنتهما، وكقول الشاعر:
«خليلي لا تهلك نفوسكما أسي فإن لهما فيما به دهيت أسي»^(٥٧)

قال ابن القيم: «وأما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً أو مضمراً فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ... وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد، كقوله: ﴿يَدِيهِ

الْمَلِكُ﴾ [الملك: ١]، و﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وإن أضيفت إلى ضمير جمع

جمعت كقوله: ﴿أَوْلَقَرِزُوا أَنَا حَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١]، وكذلك

إضافة اليد والعين إلى اسم الجمع الظاهر كقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم:

٤١]، وقوله: ﴿قَالُوا فَاتُوبْ بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١]»^(٥٨).

(٥٦) أضواء البيان (٧/٤٨٤).

(٥٧) ذكره الشنقيطي في أضواء البيان (٧/٤٨٤).

(٥٨) مختصر الصواعق (١/٦٥).

وقال: «إن لغة العرب متنوعة في إفراد المضاف وتثنيته وجمعه، بحسب أحوال المضاف إليه، فإن أضافوا الواحد المتصل إلى مفرد أفردوه، وإن أضافوه إلى اسم جمع ظاهر أو مضمّر جمعه، وإن أضافوه إلى اسم مثني فالأفصح من لغتهم جمعه... والقرآن إنما نزل بلغة العرب لا بلغة العجم والطماطم والأنباط الذين أفسدوا الدين وتلاعبوا بالنصوص وجعلوها عرضة لتأويل الجاهلين، وإذا كان من لغتهم وضع الجمع موضع الثنية لئلا يجمعوا في لفظ واحد بين تثنيتين ولا لبس هناك؛ فلأن يوضع الجمع موضع الثنية فيما إذا كان المضاف إليه مجموعاً أولى بالجواز، يدل عليه أنك لا تكاد تجد في كلامهم عيننا ويدينا، ولا يلتبس على السامع قول المتكلم: نراك بأعيننا ونأخذك بأيدينا، ولا يفهم منه بشر على وجه الأرض عيوناً كثيرة على وجه واحد»^(٥٩).

حتى إنّ الأشعري نفسه لم يفهم هذا الفهم فقد قال ابن القيم بعد أن نقل إثبات الأشعري لصفة العينين لله تعالى: «فهذا الأشعري والناس قبله وبعده ومعه لم يفهموا من (الأعين) أعيناً كثيرة على وجه، ولم يفهموا من (الأيدي) أيدياً كثيرة على شق واحد، حتى جاء هذا الجهمي فعرضه القرآن وادعى أن هذا ظاهره، وإنما قصد هذا وأمثاله التشنيع على من بدّعه وضلّله من أهل السنة والحديث وهذا شأن الجهمية في القديم والحديث وهم بهذا الصنيع على الله ورسوله وكتابه يشنعون»^(٦٠).

بل إن فهم هؤلاء المعطلة من أنّ ظاهر النصوص يفيد كثرة الأعين في الوجه الواحد يشبه فهم النصراني الذي جعلوا الآلهة ثلاثة، قال ابن القيم: «إنك أيها الجهمي في فهمك عن الله أن ظاهر كلامه إثبات أيدي متعددة على جنب واحد وعيون

(٥٩) مختصر الصواعق (٧١/١-٧٣).

(٦٠) الصواعق المرسلّة (٢٦٢/١).

متعددة في وجه واحد قد ضاهيت النصارى الذين احتجوا على تثليثهم وإثبات آلهة متعددة بظاهر قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ مُحِيٌّ وَنُؤْتِيكَ وَاللَّيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣] وأمثاله^(٦١). فتبين بذلك أنه لا تناقض ولا اختلاف بين صيغتي الجمع والإفراد مع التثنية، وبهذا يزول الإشكال الذي علّقه المعطلة في أذهانهم، ولبسوا على أتباعهم الجهال، وجعلوا ظاهر القرآن إثبات أعين كثيرة، فلجئوا إلى التعطيل، وزعموا أن فيه التنزيه، والله ورسوله بريئان من تلبيس وتأويل المعطلة.

المطلب الرابع: أقوال السلف في إثبات صفة العين

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات العينين لله تعالى على حقيقتها، صفة ذاتية ثابتة لله سبحانه، تليق بكماله وجماله، وهذا الإجماع مستمد من النصوص الدالة على إثبات هذه الصفة مما سبق بيانه وتفصيله. وسأذكر في هذا المطلب أقوال السلف التي فيها إفراد صفة العين أو تثنيتهما، وكلها متفقة لا تعارض بينها في إثبات العينين لله تعالى، كما سبق بيانه في الجمع بين النصوص الواردة بالإفراد والتثنية والجمع.

فالسلف رحمهم الله تعالى لهم أقوال كثيرة في إثبات هذه الصفة لله تعالى، فمن ذلك:

ما ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «ت: ٦٨هـ» في قوله: ﴿وَأَصْنَعُ أَلْفَ لَكٍ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال: «بعين الله ووحيه»^(٦٢)، ونحوه عن قتادة «ت: ١١٨هـ»^(٦٣). وعن عطاء «ت: ١١٤هـ»: «بعين الله ورحمته»^(٦٤).

(٦١) الصواعق المرسله (١/٢٦٥).

(٦٢) تقدم تخريجه.

(٦٣) تقدم تخريجه.

وعن عطاء عن ابن عباس كذلك في قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ قال: أشار بيده إلى عينيه^(٦٥). وهذا فعل صريح في إثبات أن الله عينين حقيقة.

وعن قتادة: «ما كان قوم قط على أمر ولا حال إلا كانوا بعين الله، وإلا كان عليهم شاهد من الله عز وجل»^(٦٦). وعن أبي عمران الجوني «ت: ١٢٨هـ» في قوله: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ قال: «يربى بعين الله»^(٦٧)، وعن قتادة: «تغذى على عيني»^(٦٨)، وعن أبي نهيك: «ولتعمل على عيني»^(٦٩)، وقال ابن جريج «ت: ١٥٠هـ»: «أنت بعيني إذ جعلتكم أمك في التابوت ثم في البحر وإذ تمشي أختك»^(٧٠).

وعن مطرف «ت: ٩٥هـ» قال: «لا يقولن أحدكم: نعم الله بك عينا، فإن الله لا ينعم عينه بأحد، وليقل: أنعم الله بك عينا»^(٧١). وعن عون بن عبد الله «ت: ١٢٠هـ» قال: «لا يقولن أحدكم نعم الله بك عينا، فإن الله لا ينعم بشيء، ولكن ليقول: أنعم الله بك عينا، فإنما أنعم أقر»^(٧٢).

ولما قدم الجعد بن درهم على وهب بن منبه «ت: ١١٤هـ» يسأله عن صفات الله تعالى، قال له: «ويلك يا جعد، بعض المسألة، إني لأظنك من الهالكين، يا جعد لو

(٦٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٢٦/٦) وفي إسناده عثمان بن عطاء وهو ضعيف.

(٦٥) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤١١/٣).

(٦٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٧/٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٣٣/٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٦٧) تقدم تخريجه.

(٦٨) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢٨٣/٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٢٢/٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور

(٥٦٨/٥) كذلك إلى ابن المنذر.

(٦٩) رواه الطبري في تفسيره (١٦٢/١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٦٨/٥) إلى ابن أبي حاتم.

(٧٠) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦٢/١٦).

(٧١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٣/٢).

(٧٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان (ص: ٢٠٠).

لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً وعيناً ووجهاً لما قلنا ذلك، فاتق الله ثم لم يلبث جعد أن قُتل وصلب^(٧٣).

ويروى عن خلف بن تميم حدثنا عبد الجبار بن كثير قال: قيل لإبراهيم بن أدهم «ت: ١٦٢هـ»: هذا السبع!. فنادى: يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء وإلا يعني فاذهب، فضرب بذنبه وولى مدبراً، فنظر إبراهيم إلى أصحابه وقال: «قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، وأكفنا بكنفك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت الرجاء»^(٧٤).

وللإمام عبد العزيز بن الماجشون - رحمه الله - «ت: ١٦٠هـ» رسالة مائة طويلة في الرد على الجهمية وإثبات الصفات، ومن الصفات التي ذكرها صفة العينين لله تعالى^(٧٥).

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - «ت: ٢٠٤هـ»: «الله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها»، إلى أن قال: «نحو إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير وأن له يدين لقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ

(٧٣) ذكره الصابوني في عقيدة السلف (ص: ١٩٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٢/٩) وعزاه لابن عساکر.

(٧٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٨)، واللالكائي في كرامات الأولياء (ص: ٢٤٣)، والقزويني في التدوين (٤٨٦/٢)، وابن عساکر في تاريخ دمشق (٣١٩/٦)، وذكره ابن القيم في الصواعق المرسله (٢٥٩/١) وقال معلقاً: (وهل يفهم من قول الداعي: (اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام) أنها عين واحدة ليس إلا ذهن أقلف وقلب أغلف؟!).

(٧٥) رواها ابن بطة في الإبانة (٦٣/٣) في القسم المتمم للرد على الجهمية، وقال شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية (١٦٦/٢): (وابن الماجشون هذا قال في كلامه المشهور عنه الذي رواه ابن بطة وغيره بأسانيد صحيحة)، وصححها كذلك في مجموع الفتاوى (٤٢/٥)، والذهبي في العلو (ص: ١٤١).

﴿مَبْسُوطَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له ميمناً بقوله: ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأن له وجهاً لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿وَبَعَثَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له قدماً لقوله ﷺ: «حتى يضع الربُّ فيها قدمه»^(٧٦) يعني جهنم، وأنه يضحك من عبده المؤمن لقوله ﷺ: «لذي قتل في سبيل الله، إنه لقي الله وهو يضحك إليه»^(٧٧)، وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا لخبر رسول الله ﷺ بذلك، وأنه ليس بأعور لقول رسول الله ﷺ: «إذ ذكر الدجال فقال: «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»^(٧٨).

وقد بوب الإمام البخاري «ت: ٢٥٦هـ» في كتاب التوحيد من صحيحه بقوله: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِنُصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ تَغْدَى، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾»^(٧٩)، وأورد فيه حديث: «إن ربكم ليس بأعور».

قال الذهبي معلقاً على تبويب البخاري: «ثم إنه بوب على أكثر ما تنكره الجهمية من العلو والكلام واليدين والعينين محتجا بالآيات والأحاديث فمن ذلك قوله: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وباب قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، باب قوله: ﴿وَلِنُصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾، باب كلام الرب عز وجل مع

(٧٦) رواه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٧٧) رواه البخاري (٢٦٧١)، ومسلم (١٨٩٠).

(٧٨) ذكره أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه «الفضول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لذوي البدع والفضول»، ونقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٨٢/٤)، وأبو الحسن علي بن يوسف الهكاري في كتاب عقيدة الشافعي ونقله الذهبي في السير (٧٩/١٠)، وعزاه ابن حجر = إلى مناقب الشافعي لابن أبي حاتم كما في فتح الباري (٤٠٧/١٣)، ولم أقف عليه في كتاب ابن أبي حاتم المطبوع الذي حققه عبدالغني عبدالخالق والذي قدّم له الكوثري!.

(٧٩) صحيح البخاري (٢٦٩٥/٦).

الأنبياء، ونحو ذلك مما إذا تعقله اللبيب عرف من تبويبه أن الجهمية ترد ذلك وتحرف الكلم عن مواضعه^(٨٠).

وقال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - «ت: ٣١١هـ»: «باب ذكر إثبات العين لله - جل وعلا - على ما ثبتته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه ﷺ، قال الله - عز وجل - لنبيه نوح - صلوات الله عليه - ﴿وَأَصْحَافُكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال جل وعلا: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال - عز وجل - في ذكر موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِئُضَعِّ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

فوجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن: من ينفي عن الله - تبارك وتعالى - ما قد ثبته الله في محكم تنزيله، ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه - عز وجل - في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبين النبي ﷺ أن الله عينين، فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب^(٨١). ثم ذكر الأدلة الواردة في ذلك.

وقال في موضع آخر مبيناً أن إثبات العينين لله تعالى هو مذهب علماء أهل السنة قاطبة: «فاسمعوا يا ذوى الحجا ما نقول في هذا الباب، ونذكر بهت الجهمية وزورهم، وكذبهم على علماء أهل الآثار، ورميهم خيار الخلق بعد الأنبياء بما الله قد نزههم عنه، وبرأهم منه، بتزوير الجهمية على علمائنا أنهم مشبهة، فاسمعوا ما أقول وأبين

(٨٠) العلو للذهبي (ص: ١٨٦).

(٨١) التوحيد لابن خزيمة (١/٩٦-٩٧).

من مذاهب علمائنا، تعلموا وتستيقنوا بتوفيق خالقنا أن هؤلاء المعطلة يبهتون العلماء، ويرمونهم بما الله نزههم عنه»^(٨٢). ثم ذكر كلاماً نفيساً في الفرق بين عين الخالق وعين المخلوق، سأذكره بتمامه في الرد على تأويلات المعطلة فليُنظر هناك.

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي «ت: ٣٧١هـ» في بيان اعتقاد أئمة الحديث: «فهو تعالى ذو العلم والقوة والقدرة والسمع والبصر والكلام، كما قال تعالى: ﴿وَلِئْصَعَعِ عَلَى عَيْنَيْ﴾، و﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾» ثم قال في آخر الكتاب: «هذا أصل الدين والمذهب اعتقاد أئمة أهل الحديث الذين لم تشنهم بدعة ولم تلبسهم فتنة ولم يخفوا إلى مكروه في دين فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا عنه»^(٨٣).

ويذكر الإمام ابن أبي زمنين - رحمه الله - «ت: ٣٩٩هـ» أنها من الصفات الثابتة لله^(٨٤).

وقد بوب الإمام اللالكائي «ت ١٨٤هـ» باباً^(٨٥) بعنوان: «سياق ما دل من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ على أن من صفات الله عز وجل الوجه والعينين واليدين» وأورد الأدلة على ذلك، وروى بإسناده عن ابن عباس في تفسير «أعيننا»: أنه أشار إلى عينيه.

وقال الإمام القحطاني في نونيته^(٨٦):

«أَمْرٌ أَحَادِيثُ الصِّفَاتِ كَمَا أَنَّتُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا هَذَا

(٨٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١١٤).

(٨٣) اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (ص: ٣٩).

(٨٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٦٠).

(٨٥) في كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤١٢).

(٨٦) (ص: ٤٦).

هو مذهب الزهري ووافق مالك وكلاهما في شرعنا علمان
 لله وجه لا يحد بصورة ولربنا عينان ناظرتان»

ونقل الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني - رحمه الله -
 «ت: ٤٤٩هـ» إجماع أهل الحديث على إثبات صفة العين لله تعالى وغيرها من الصفات
 والوقوف في ذلك على النصوص^(٨٧).

وللقاضي أبي يعلى الحنبلي «ت: ٤٥٨هـ» - رحمه الله - كلام في إثبات صفة
 العينين لله تعالى في كتابه إبطال التأويلات^(٨٨).

وبوّأبو إسماعيل الهروي «ت: ٤٨١هـ» في كتابه الأربعين في دلائل
 التوحيد^(٨٩) باباً بعنوان: «باب إثبات العينين له تعالى وتقدس»، وذكر فيه حديث: «إنَّ
 ربكم ليس بأعور».

وذكر الإمام الحسين بن مسعود البغوي «ت: ٥١٦هـ» - رحمه الله - في شرح
 السنة صفة العين ضمن جملة من الصفات الثابتة لله تعالى وقال: «فهذه ونظائرها
 صفات لله تعالى ورد بها السمع، يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها، معرضاً
 فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أنَّ الباري سبحانه وتعالى لا يُشبه شيءٌ
 من صفاته صفات الخلق، كما لا تُشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى:
 ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وعلى هذا مضى سلف
 الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنّبوا فيها عن التمثيل

(٨٧) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص: ١٦٢-١٦٤).

(٨٨) إبطال التأويلات (ص: ٣٤٧-٣٤٨).

(٨٩) (ص: ٦٤-٦٥).

والتأويل، ووكّلوا العلم^(٩٠) فيها إلى الله عز وجل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الرّاسخين في العلم، فقال عز وجل: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]»^(٩١).

ويقول كذلك أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء «ت: ٥٢٦هـ» في اعتقاده ضمن الصفات التي يثبتها الله تعالى واستدل بحديث الدجال^(٩٢).

وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية^(٩٣)، وتلميذه العلامة ابن القيم^(٩٤) في ذلك كثير جداً، ومن أثبت هذه الصفة لله تعالى: العلامة السفاريني «ت: ١٨٨هـ» في منظومته «الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية» وعلق عليها العلامة عبدالرحمن بن قاسم^(٩٥)، وسئل أبناء الشيخ محمد عبد الوهاب، والشيخ حمد بن ناصر رحمه الله تعالى، عن آيات الصفات، الواردة في الكتاب، ومنها صفة العينين فقالوا: «الحمد لله رب العالمين، قولنا فيها: ما قال الله ورسوله، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن اتبعهم بإحسان، وهو: الإقرار بذلك، والإيمان من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال الإمام مالك»^(٩٦).

(٩٠) أي: علم الكيفية.

(٩١) شرح السنة للبعوي (١/١٦٨-١٧١)، انظر كذلك (١٥/٢٥٧).

(٩٢) اعتقاد أبي يعلى (ص: ٣٠-٣١).

(٩٣) انظر مثلاً: التسعينية (٣/١٠١٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/٢٠٢).

(٩٤) انظر مثلاً: الصواعق المرسلّة (١/٢٤٣)، وما بعدها، وحاشية سنن أبي داود (١٣/٢٧)، وحادي الأرواح (ص: ١١-١٢).

(٩٥) حاشية الدرّة المضية (ص: ٤٢).

(٩٦) الدرر السننية (٣/١٣).

وكذلك العلامة طاهر الجزائري «: ١٣٣٨ هـ»^(٩٧)، والشيخ عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله - في فتاويه^(٩٨)، وحكى العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - الإجماع على ذلك^(٩٩)، وأقوال أهل السنة المتقدمين والمتأخرين في ذلك كثيرة^(١٠٠).

بل حتى كثير من محققي المتكلمين المتقدمين يثبتون الصفات الخبرية لله تعالى كصفة العينين، يقول ابن رشد القرطبي: «ولا اختلاف بينهم أيضاً -أي: أهل القبلة - في جواز إطلاق القول بأن الله يدين ووجهاً وعينين، لأنَّ الله وصف بذلك نفسه بكتابه، فوجب إطلاق القول بذلك، والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد، إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين.

وتوقف كثير من الشيوخ عن إثبات هذه الصفات الخمس، وقالوا: لا يجوز أن يثبت في صفات الله ما لم يعلم بضرورة العقل، ولا بدليله، وتأولوها على غير ظاهرها، فقالوا: المراد بالوجه الذات كما يقال وجه الطريق ووجه الأمر ذاته ونفسه، والمراد بالعينين إدراك المرئيات، والمراد باليدين النعمتين، وقال تعالى: «بيدي» أي ليدي، لأن حروف الخفض يبدل بعضها ببعض، والصواب قول المحققين الذين أثبتوها صفات لذاته تعالى^(١٠١).

(٩٧) الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية للعلامة طاهر الجزائري (ص: ٢٧-٢٨).

(٩٨) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي (١/١٥٩).

(٩٩) عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ٢٣٤-٢٣٥).

(١٠٠) انظر أيضاً: الرسالة الوافية للداني (ص: ١٢٣)، والاعتقاد الخالص لابن العطار (ص: ١٣٢)، وشرح الواسطية للهراس (ص: ١١٨)، مجموع فتاوى العلامة ابن باز (٣٩٦/٢٨)، والصفات الإلهية للعلامة الجامي (ص: ٣١٧-٣٢٠).

(١٠١) البيان والتحصيل لابن رشد (٤٠١/١٦).

وهذا هو مذهب أبي الحسن الأشعري نفسه الذي ذهب إليه أخيراً، واستقر عليه وسار عليه المحققون من أتباعه، يقول في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»: «أما بعد: فإن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر، مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم يُنزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين»^(١٠٢)، وذكر مما أنكره المعتزلة: «وأنكروا أن يكون له عينان»^(١٠٣) مع قوله سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]^(١٠٤)، ثم بين عقيدة أهل الحديث بقوله: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا - عز وجل -، وبسنة نبينا ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم، وجليل معظّم، وكبير مفخّم، وعلى جميع أئمة المسلمين. وجملة قولنا»^(١٠٥)، ثم ذكر: «وأنّ له سبحانه عينان بلا كيف كما قال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]^(١٠٦).

(١٠٢) (ص: ٣٨).

(١٠٣) في المطبوع (عيناً) بالإنفراد في الموضوعين، فرجعت إلى المخطوط من كتاب الإبانة في مخطوطات جامعة الملك سعود برقم (٤٢٩١) فوجدت العبارة كما أثبتتها بالثنية وهو المنقول عن الأشعري، فعرفت أنّ ذلك من تصرفات المحققين وتأثرهم بمذهب المتكلمين.

(١٠٤) (ص: ٤١).

(١٠٥) (ص: ٤٣).

(١٠٦) (ص: ٤٤).

قال ابن عساكر بعد نقله كلام أبي الحسن في الإبانة مقرأً له: «فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الإمام العالم الذي شرحه وبينه»^(١٠٧).

وقال الأشعري - أيضاً - في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»: «وقال أهل السنة وأصحاب الحديث ... وأن له عينين، كما قال ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وأنه يجيء يوم القيامة وملائكته كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ»^(١٠٨).

وقال في نفس الكتاب: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً»، إلى أن قال: «وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾»^(١٠٩).

فالأشعري مقررٌ بثبوت العينين لله تعالى، وهو مقررٌ ذلك في آخر كتبه التي كتبها، فأين من يزعم أنه يسير على طريقته ويتبعه عن أقواله هذه، قال ابن القيم: «وقد احتج السلف على إثبات العينين له سبحانه بقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، ومن صرح

(١٠٧) تبين كذب المفتري (ص: ١٦٣).

(١٠٨) المقالات (ص: ٢١١).

(١٠٩) المقالات (ص: ٢٩٠).

بذلك إثباتاً واستدلالاً أبو الحسن الأشعري في كتبه كلها فقال في المقالات والموجز والإبانة^(١١٠)، ثم ذكر قوله.

بل حتى ابن كلاب يقرّ بهذه الصفات الخبرية، فقد نقل عنه الأشعري أنه يقول: «أطلق اليد والعين والوجه خبراً، لأنَّ الله أطلق ذلك، ولا أطلق غيره، فأقول: هي صفات لله عز وجل، كما قال في العلم والقدرة والحياة أنها صفات»^(١١١). ويقول: «إنَّ وجه الله لا هو الله ولا هو غيره، وهو صفة له، وكذلك يداه وعينه وبصره صفات له، لا هي هو ولا غيره»^(١١٢).

لكن من قدّم عقله وعقل غيره على الكتاب والسنة ضلّ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد نقله لكلام الأشعري وغيره في إثبات الصفات: «فهذا الكلام وأمثاله في كتبه وكتب أئمة أصحابه^(١١٣) يبينون أنهم يعتصمون في مسائل

(١١٠) الصواعق المرسلّة (١/٢٦٠).

(١١١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص: ٢١٧-٢١٨).

(١١٢) المصدر السابق (ص: ١٦٩).

(١١٣) قال شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية (٢/٣٣): (وهذا الذي ذكره أبو الحسن في كتاب الإبانة هو الذي يذكره من ينقل مذهبه جملة، ويرد بذلك على الطاعنين فيه، كما ذكر ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم ابن عساكر في كتاب "تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري"، والذي ذكره في كتاب المقالات هو الذي ذكره أبو بكر ابن فورك في كتاب مقالات ابن كلاب، فقال: الفصل الأول في ذكر ما حكى شيخنا أبو الحسن في كتاب المقالات من جمل مذاهب أصحاب الحديث وقواعدهم، وما أبان في آخره أنه هو يقول بجميع ذلك، وأن أبا محمد عبد الله بن سعيد يقول بذلك وبأكثر منه. وهكذا ذكر القاضي أبو بكر ابن الباقلاني في عامة كتبه مثل: "التمهيد" و"الإبانة" وكتابه الذي سماه "كتاب الرد على من نسب إلى الأشعري خلاف قوله" بعد فصول ذكرها قال: وكذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله تعالى، إذا ثبتت بذلك الرواية من إثبات اليمين اللتين نطق بهما القرآن والوجه والعينين، قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿٧﴾ [الرحمن: ٢]، وقال تعالى: =

الأصول التي تنازع فيها الناس بالكتاب والسنة والإجماع، وأن دينهم التمسك بالكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ثم خصّوا الإمام أحمد بالاتباع والموافقة، لما أظهره من السنة بسبب ما وقع له من المحنة. فأين هذا من قول من لا يجعل الكتاب والسنة والإجماع طريقاً إلى معرفة صفات الله، وأمثال ذلك من مسائل الأصول، فضلاً عمَّن يدعى تقديم عقله ورأيه على مدلول الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، ويقول: إذا تعارض القرآن وعقولنا قدمنا عقولنا على القرآن»^(١١٤). وقال الذهبي -رحمه الله-: «فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله»^(١١٥).

وقال ابن القيم في النونية ردّاً على الأشعرية وملزمهم بقول متبوعهم^(١١٦):
«لكنْ خِلافُ الأشعريِّ بزَعَمِكُمْ وكذبتُمْ أنْتُمْ عَلَيَّ الإنسانِ
كفَرْتُمْ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ في كُتُبِهِ تَصْرِيحَ ذي الإيقانِ

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال في قصة إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القم: ١٤]، قال: وروي في الحديث من رواية ابن عمر أن النبي ﷺ لما ذكر الدجال قال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور» فأثبت له العينين. قال: وهذا حديث غير مختلف في صحته عند العلماء بالحديث، وهو في صحيح البخاري).

(١١٤) درء التعارض (١٠٥/٧)، وانظر: بيان تلبس الجهمية (٣٩٧/١)، و(٣٣/٢).

(١١٥) العلو للذهبي (ص: ٢٢٢).

(١١٦) الكافية الشافية (ص: ٨٦٢)، ونقل قول الأشعري كذلك الذهبي في العلو (ص: ٢١٨)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ١٨٣).

هَذَا وَخَالَفَتْهُ فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ — لَ خِلَافِكُمْ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
فَالْأَشْعَرِيُّ مُصْرِّحٌ بِالْأَسْتَوَاءِ ۚ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ
وَمُصْرِّحٌ أَيْضاً بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ — مِنْ وَوَجْهَهُ رَبُّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ
وَمُصْرِّحٌ أَيْضاً بِأَنَّ لِرَبِّنَا سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

وكذلك الباقلاني يقول كما ينقله عنه الحافظ الذهبي: «وصفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والوجه واليدان والعينان والغضب والرضا. وقال مثل هذا القول في كتاب «التمهيد» له. وقال في كتاب «الذب عن أبي الحسن الأشعري»: كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله إذا صحَّ، من إثبات اليدين والوجه والعينين، ونقول إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما في الحديث، وأنه مستو على عرشه. إلى أن قال: وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل»^(١١٧).

وقال الحافظ البيهقي — رحمه الله —: «باب ذكر آيات وأخبار وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين وهذه صفات طريق إثباتها السمع فنثبتها لورود خبر الصادق بها ولا نكيّفه»^(١١٨).

(١١٧) العلو للذهبي (ص: ٢٣٨).

(١١٨) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٨٨-٩٠).

وقال النووي في رسالته في الحرف والصوت نقلا عن أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي فيما صنفه في كتابه "غاية المرام في مسألة الكلام": «ونحن من ديننا التمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث المشهورين، ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نزيد على ذلك شيئا، ولا ننقص منه شيئا، كحديث قصة الدجال وقوله فيه: «إن ربكم ليس بأعور» وكحديث النزول إلى سماء الدنيا، وكحديث الاستواء على العرش، وإن القلوب بين إصبعين من أصابعه، وإنه يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع، ونقول بتصديق حديث المعراج، وبصحيح ما فيه من الروايات، وندين أن الله مقلب القلوب، وما أشبه هذه الأحاديث جميعها كما جاءت بها الرواية من غير كشف عن تأويلها، وأن نمرها كما جاءت...».

وقال بعده النووي معلقاً: «فهذا آخر ما أردنا ذكره من هذا المختصر من معتقد مصنفه، مما ذكره في كتابه كتاب "غاية المرام في مسألة الكلام" للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي، وهو الذي عليه الجمهور من السلف والخلف»^(١١٩).

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله - : «وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له: أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين، فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل، إذ لولا أخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى. قال الطيبي: هذا هو المذهب

(١١٩) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات للنووي (ص: ٦٧-٦٩). وهو من آخر مؤلفاته حيث كتبه قبل وفاته بما يقرب من شهرين حيث انتهى من تصنيفه في الخميس الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٦ هـ وتوفي -رحمه الله- في الرابع والعشرين من رجب من نفس السنة.

المعتمد وبه يقول السلف الصالح. وقال غيره: لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك، ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، وينزل عليه ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز، مع حضه على التبليغ عنه بقوله: «ليبلى الشاهد الغائب»^(١٢٠)، حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم. وبالله التوفيق»^(١٢١).

فيظهر لطالب الحق من هذه الأقوال التي نقلتها إجماع العلماء على إثبات صفة العينين لله تعالى كما يليق بجلاله، فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص، وأمسكوا عما أمسكت عنه، ووصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه رسوله، وردوا تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا أعنة المحنة، وقالوا على الله وفي الله بغير علم، فردوا باطلهم، وبينوا زيفهم، وكشفوا إفكهم، وناقحوا عن الله ورسوله»^(١٢٢).

(١٢٠) رواه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).

(١٢١) فتح الباري (٣٩٠/١٣).

(١٢٢) الصواعق المرسله (٢٦٢/١).

المبحث الثاني: موقف الفرق من إثبات صفة العين لله وبيان بطلان قولهم

المطلب الأول: موقف الفرق من إثبات صفة العين لله تعالى

تحدثت فيما سبق عن معتقد أهل السنة والجماعة أهل الحديث في صفة العين لله تعالى، وأنهم يشبونها حقيقة لله تعالى، صفة ذاتية، دلَّ عليها السمع من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، لكن ذلك لم يمنع طوائف من المعطلة والمشبهة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية من تأويلها وعدم الإيمان بها على حقيقتها وصرفها عن معناها الذي أراده الله تعالى.

وهذا موقفهم مع عموم النصوص الدالة على صفات الله تعالى، كما يقول

اللقاني:

«وكلّ نص أوهم التشبيه أوّلُه أو فوّض ورم تنزيها» (١٢٣)

وسأعرض في هذا المطلب موقفهم من النصوص الواردة في إثبات صفة العين على وجه الخصوص، لأن هذا مناط بحثي، وإلا فإن شبههم في نفي الصفات عموماً كثيرة، تعرّض للردّ عليها كثير من أهل العلم، وبالأخص مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الذي دكّ حصونهم، حتى خرّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم بالحق وأوجه الردّ الكثيرة من حيث لا يشعرون.

وملخص شبهاتهم في نفي صفة العين تدور حول ما يلي:

الشبهة الأولى: أنّ لفظ العين من الألفاظ المشتركة التي تدور حول معان كثيرة، فالعين في كلام العرب، منها ما يراد به الرؤية والمشاهدة، ومنها ما يراد به الحفظ والكلاءة، ومنها ما يراد به الجودة، ومنها ما يراد به الدلالة، ومنها ما يراد به الجارحة، وإذا كان لفظ العين مشتركاً بين هذه المعاني المختلفة، وكان وصف الله

(١٢٣) حاشية البيجوري على جوهره التوحيد (ص:١٦).

بالجارحة مستحيلاً ، وجب أن يكون محمولاً على بعض هذه المعاني التي ذكرنا في معنى العين.

وسبب عدم أخذهم بالظاهر ما قاله الرازي: «لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه:

الأول: أن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] يقتضي أن يكون موسى ﷺ مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها، مستعلياً عليها، وذلك لا يقوله عاقل.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين.

والثالث: أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل وذلك هو أن تحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة^(١٢٤).

الشبهة الثانية: أن معنى العين في الآيات هو البصر والعلم، فقد يسمى البصر عيناً لأجل أنه مما يتعلق به ويقوم به فينا، فاستعمال لفظ العين في البصر توسع لأنه من باب تسمية الشيء باسم محلّه وباسم ما هو قائم به.

الشبهة الثالثة: أن قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، معناها بأوليائنا وخيار خلقنا؛ لأنهم كانوا هم المؤمنين في وقت نوح ﷺ.

(١٢٤) أساس التقديس في علم الكلام للرازي (٩٦/١).

الشبهة الرابعة: أنه أراد بذلك أعين الماء التي أخرجها الله تعالى من الأرض، وأضافها إلى نفسه إضافة التملك^(١٢٥).

الشبهة الخامسة: أن حديث الدجال الذي فيه: «وإن ربكم ليس بأعور» حديث آحاد وليس بمتواتر، ولا يؤخذ به في العقيدة، بل طعن الرازي في ابن عمر - رضي الله عنه - بسبب روايته لهذا الحديث فقال: «وأما هذا الخبر الذي رواه فمشكل؛ لأن ظاهره يقتضي أن النبي ﷺ أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال الأعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة في ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبقاً بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال، أليس راوي هذا الحديث هو ابن عمر ثم إن ابن عمر لما روى قوله أن الميت ليعذب بيكاء أهله طعنت عائشة رضي الله عنها فيه... أنه من البعيد صدور مثل هذا الكلام من الرسول الذي اصطفاه الله تعالى لرسالته وأمر ببيان شريعته وبالله التوفيق»^(١٢٦).

وزعم بعضهم أن المقصود من نفي العور عن الله في الحديث: إنما هو نفي العيب والنقص عن الله^(١٢٧).

هذا ملخص شبههم حول إثبات هذه الصفة، وكلها شبه باطلة يأتي دحضها في المطلب التالي.

(١٢٥) وهذه الشبه كلها ذكرها ابن فورك في كتابه مشكل الحديث وبيانه (ص: ٢٥٨-٢٦٢)، وذكر بعضها ابن جماعة في إيضاح الدليل (ص: ٢١٣)، والآمدني في غاية المرام (ص: ١٤٠)، وابن العربي في أحكام القرآن (١٧٨/٤)، والتفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام (١١٠/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٨/١٧)، وابن الجوزي في دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص: ١١٣-١١٤).

(١٢٦) أساس التقديس في علم الكلام للرازي (١/٩٦-٩٧).

(١٢٧) انظر: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي (ص: ١١٣-١١٤).

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور^(١٢٨)

المطلب الثاني: الرد على قولهم في صفة العينين لله تعالى

إن الناظر فيما سبق ذكره من شبهاتهم في نفي صفة العينين عن الله تعالى يجدها تدور حول مقدمتين: الأولى: كون لفظ «العين» من الألفاظ المشتركة التي تحمل عدة معانٍ.

والثانية: أن وصف الله تعالى بالجارحة مستحيل.

فالنتيجة عندهم استبعاد معنى العين على أنها صفة من الصفات كما يعتقد أهل السنة.

والجواب عن المقدمة الأولى: أنه ينبغي أن يعلم أن الألفاظ في اللغة تنقسم إلى أربعة أقسام:

١ - الألفاظ المترادفة: وهي ما اختلفت ألفاظها واتحدت معانيها، مثل: الليث، الأسد، الغضنفر، ألفاظ مختلفة ولكنها جميعها دلت على معنى واحد وهو الحيوان المعروف.

٢ - الألفاظ المشتركة: وهي ما اتحدت ألفاظها واختلفت معانيها، مثل: «العين»: تطلق على العين الباصرة، والعين الجارية، والجاسوس، ومثل: كلمة «عسعس» بمعنى: أقبل وأدبر، وكلمة «قسورة» بمعنى: الأسد والرامي، وكلمة «قرء» بمعنى: حيض وطهر، وقس على ذلك.

٣ - الألفاظ المتباينة: ما اختلفت ألفاظها ومعانيها، مثل: السماء والأرض، الجدار والسقف.

٤ - الألفاظ المتواطئة: ما اتفقت ألفاظها ومعانيها.

(١٢٨) قاله الخطابي في الرد على المتكلمين: انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٨/٤).

فإذا كان المعنى متساوياً في الجميع فهو التواطؤ المطلق، ومثاله: "الرجل": لزيد وعمرو، وإذا كان المعنى متفاضلاً فهو التواطؤ المشكك، ومثاله "النور"، للشمس والسراج^(١٢٩).

فظهر أنّ لفظ «العين» بمجرد من الألفاظ المشتركة التي تحتل عدة معان. ويبين ابن فارس في معجمه أنّ جميع معاني لفظة العين ترجع إلى العين الباصرة فيقول ما مختصره: «العين والياء والنون أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على عُضْوٍ به يُبْصَرُ ويُنْظَرُ، ثم يشتقُّ منه، والأصلُ في جميعه ما ذكرنا. ومن الباب العين: الذي تبعثه يتجسس الخبر، كأنه شيءٌ تَرَى به ما يَغِيب عنك. ومن الباب: العين السَّحاب ما جاء من ناحية القبلة، وهذا مشبّه بمشبهه، لأنَّه شُبِّهَ بعين الماء التي شُبِّهت بعين الإنسان. ومن الباب عَيْنُ السَّقَاءِ. قال الخليل: يقال للسَّقَاءِ إذا بَلِيَ ورقٌّ موضعٌ منه: قد تَعَيَّن. وهذا أيضاً من العَيْن، لأنه إذا رَقَّ قُرْب من التخرُّق فصار السَّقَاء كأنه يُنظر به. ومن الباب قولهم: أعيان القوم، أي أشرافهم، وهم قياسٌ ما ذكرناه، كأنهم عيونهم التي بها ينظرون. ومن الباب: العين، وهو المال العتيق الحاضر؛ يقال هو عَيْنٌ غير دين، أي هو مال حاضرٌ تراه العيون^(١٣٠). فالمعاني الواردة في لفظة العين كلها ترجع إلى معنى العين المبصرة.

فإن قيل: كيف يعرف المراد من لفظ العين وكيف يعين لها أحد المعاني؟ فيقال: إنّ العرب تنظر في ذلك إلى سياق الكلام والقرائن المحتفة به، وإلى الإضافة والتقييد والتخصيص^(١٣١)، فهذا هو الذي يميز أحد المعاني عن غيرها، وذلك

(١٢٩) التحفة المهدية (ص: ٢٤١).

(١٣٠) معجم مقاييس اللغة (٤/١٩٩-٢٠٤).

(١٣١) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص: ٢٠-٢١).

لأن اللفظ بمجرد لا يدل على معنى معين محدد إلا بالسياق والتركيب، وهذه هي لغة العرب، يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله- : «فإن اللفظ بدون القيد والتركيب بمنزلة الأصوات التي ينطق بها لا تفيد فائدة، وإنما يفيد تركيبه مع غيره تركيباً إسنادياً يصح السكوت عليه، وحينئذ فإنه يتبادر منه عند كل تركيب بحسب ما قيد به، فيتبادر منه في هذا التركيب ما لا يتبادر منه في هذا التركيب الآخر»^(١٣٢). ويقول أيضاً: «فإن اللفظ المفرد لا يفيد بإطلاقه وتجرده شيئاً البتة، فلا يكون كلاماً ولا جزء كلام فضلاً عن أن يكون حقيقة أو مجازاً»^(١٣٣).

فسياق الكلام هو الحاكم على معاني الألفاظ فلا يجوز إهماله ولا تجاهله، يقول العلامة ابن القيم: «السياق يرشد إلى تبين المجرى، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقيق»^(١٣٤).

وعلى هذا أمثلة كثيرة في اللغة، كما قدمت بعضها، ومنها لفظة العين، في الآيات الواردة في ذلك كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، أو قوله: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] فمن زعم أنها ليست صفة لله تعالى، أو زعم أن السفينة تجري في عين الله -كما يزعمه المعطلة- فإنه لا يعلم لغة العرب التي نزل بها القرآن.

(١٣٢) مختصر الصواعق لابن القيم (٢٤٠/٢-٢٤١).

(١٣٣) المصدر السابق (٢٥٤/٢).

(١٣٤) بدائع الفوائد (٨١٥/٤).

يقول العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في القواعد المثلى: «المثال التاسع والعاشر: قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله لموسى: ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ١٣٩].

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟.

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله، أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يُرَبَّى فوق عين الله تعالى؟. أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها. ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني. أن المعنى: أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني. أن تخرجه كان وهو راكب على عينه. ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى، لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني: أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاها ويكلؤها بها.

وهذا معنى قول بعض السلف: «بمأى منى»، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام^(١٣٥).

أما بالنسبة إلى مقدمتهم الثانية: وهي جعلهم صفات الله من قبيل الجوارح التي تشابه جوارح المخلوقين وهذا مستحيل.

فهذه المقدمة مبنية على دليل الأعراض والحوادث الذي هو عمدة المعطلة لصفات الله تعالى في تعطيلهم أو تأويلهم للصفات، مع دليل التركيب ودليل الاختصاص^(١٣٦)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إذ عمدة النفاة هي هذه

(١٣٥) القواعد المثلى (ص: ٧٠).

(١٣٦) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان معنى هذه الأدلة الكلامية: (فإن جماع هذه الطرق هي طريقان أو ثلاثة: طريقة الأعراض والاستدلال بما على حدوث الموصوف بما، أو ببعضها كالحركة والسكون، وطريقة التركيب والاستدلال بما على أن الموصوف بما ممكن أو محذور، فهاتان الطريقتان هي جماع ما يذكر في هذا الباب، والثالثة الاستدلال بالاختصاص على إمكان المختص أو حدوثه، وقد يقال إنها طريقة أخرى وقد تدخل في الأولى). [درء التعارض (١/٤١٧)]. ومن أعظم من فند هذه الأصول وبين تناقضها وبطلانها وضرب أقوال أهلها بعضها ببعض، وأظهر عوار القائلين بما هو الإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، لذلك تجد النقل عنه في هذا الباب كثير، لأنه الطيب المداوي لعلل وأمراض أهل الكلام، لمعرفة أصل الداء، وخبرته بوصف الدواء. ولهذا تجده يؤلف الكتب التي تعني ببطلان أصول أهل البدع الكلامية، مثل: (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية)، و(نقض تأسيس الجهمية) ويسمى أيضاً (نقض أساس التقديس)، و(درء تعارض العقل والنقل)، وغير ذلك من الكتب النفيسة الماتعة التي لا يستغني عنها طالب العلم وسالك المحجة، فرحمه الله رحمة بالغة

الثلاث وكلامهم كله يدور عليها حجة التركيب وحجة الأعراض بأن ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث وحجة الاختصاص»^(١٣٧).

وأول من أحدث القول بهذا الدليل وألزم الناس به هم الجهمية^(١٣٨) والمعتزلة^(١٣٩)، ثم أخذه عنهم بقية أهل الكلام كالأشعرية^(١٤٠) والماتريدية^(١٤١) وغيرهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام ويثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض، والحركة والسكون والأجسام مستلزما لذلك لا تنفك

(١٣٧) درء التعارض (٤/٢٧٢).

(١٣٨) الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان الذي قتله سلم بن أحوز سنة (١٢٨هـ)، وقد أخذ مقالته عن الجعد بن درهم، وهي أول الفرق الكلامية ظهوراً، ومن منبهم: جحد أسماء الله وصفاته، والقول بخلق القرآن، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، وغير ذلك من الضلالات. [انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (ص: ٢٧٩-٢٨٠)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢١١-٢١٢)، والفصل لابن حزم (٣/٣٥)].

(١٣٩) المعتزلة: نسبة إلى واصل بن عطاء حيث اعتزل حلقة الحسن البصري -رحمه الله- فسموا معتزلة، وهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، وإنكار الصفات، ولهم أصول خمسة مشهورة، ومن أصولهم تقديم العقل على النقل، وغير ذلك. [انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (ص: ١٥٥-٢٧٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ١١٤-٢٠٢)، ومجموع فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/١٢٦، ٩٧)].

(١٤٠) الأشاعرة: نسبة إلى أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني حين كان كلابياً من أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب، وهم يرون إثبات سبع صفات فقط، وينفون ما عداها، لكنهم في الحقيقة لا يثبتونها على حقيقتها كما يثبتها أهل السنة، فيقولون بالكلام النفسي، وغير ذلك من التأويلات والاعتقادات. [انظر: تاريخ بغداد للخطيب (١١/٣٤٧)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٢٢٨، ٥/١٤١-١٤٣)، والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي (ص: ١٣٩)].

(١٤١) الماتريدية: هم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهي من الطوائف الكلامية، وهم يتفقون مع الأشاعرة في كثير من الأصول، وما بينهم من الخلافات إلا القليل، وقد أحصاها أهل العلم. [انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٢٩٠)، ومنهاج السنة له (٢/٣٦٢)، والماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشيخ شمس الدين الأفغاني (١/٢٧٩)].

عنه وما لا يسبق الحوادث فهو حادث ويبنى ذلك على حوادث لا أول لها بل أول ما ظهر هذا الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ثم صار إلى أصحاب عمرو بن عبيد كأبي الهذيل العلاف وأمثاله»^(١٤٢).

يقول الإمام أبو سعيد الدارمي - رحمه الله تعالى - في الرد على المريسي: «أما ما ادعيت أن قوماً يزعمون أن لله عيناً، فإننا نقوله؛ لأن الله قاله ورسوله.

وأما جارح كجارح العين من الإنسان على التركيب، فهذا كذب ادعيته عمداً، لما تعلم أن أحداً لا يقوله، غير أنك لا تألو ما شنت، ليكون أنجع لضلالتك في قلوب الجهال، والكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، فمن أي الناس سمعت أنه قال: جارح مركب؟ فأشر إليه، فإن قائله كافر. فكم تكرر قولك: جسم مركب، وأعضاء وجوارح، وأجزاء، كأنك تهوّل بهذا التشنيع علينا أن نكف عن وصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، وما وصفه الرسول.

ونحن وإن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين، ولا بعضو، ولا بجارحة، لكننا نصفه بما يغيظك من هذه الصفات، التي أنت ودعاتك لها منكرون، فنقول: إنه الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير»^(١٤٣).

ولفظ الجارحة أرادوا بها نفي الصفات عن الله تعالى، ولفظ الجارحة من الألفاظ المجملة التي لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيها أو إثباتها، كلفظ الجسم والعرض، يقول صديق حسن خان رحمه الله: «فإن ذكر لفظ الجسم في أسماء الله وصفاته بدعة، لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولا قالها أحد من سلف الأمة

(١٤٢) منهاج السنة النبوية (٥/٨).

(١٤٣) النقض على المريسي (٨٢٨/٢).

وأثمتها، ولم يقل أحد منهم: إن الله جسم، ولا أن الله ليس بجسم، ولا أن الله جوهر، ولا أن الله ليس بجوهر.

ولفظ الجسم لفظ مجمل، ومعناه في اللغة البدن^(١٤٤)، ومن قال: إن الله مثل بدن الإنسان فهو مفتر على الله، بل من قال: الله يماثل شيئاً من المخلوقات فهو مفتر على الله، ومن قال: إن الله ليس بجسم وأراد بذلك أنه لا يماثل شيئاً من المخلوقات فالمعنى صحيح، وإن كان اللفظة بدعة، وأما من قال أن الله ليس بجسم وأراد بذلك أنه لا يرى في الآخرة وأنه لم يتكلم بالقرآن العربي بل القرآن العربي مخلوق أو هو تصنيف جبريل ونحو ذلك، فهذا مفتر على الله فيما نفاه عنه، وهذا أصل ضلال الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم فإنهم يظهرون للناس التنزيه وحقيقة كلامهم التعطيل، فيقولون: نحن لا نجسم بل نقول إن الله ليس بجسم، ومرادهم بذلك نفي حقيقة أسمائه وصفاته، فيقولون: ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام ولا سمع ولا بصر ولا يرى في الآخرة ولا عرج النبي إليه ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء ولا يتجلى لشيء ولا يقرب منه شيء إلى غير ذلك^(١٤٥).

وكذلك يقال في لفظ الجارحة، فهو لفظ بدعي لم يرد عن الله ورسوله ﷺ إثباته ولا نفيه، فإن أريد به نفي مشابهة الله للمخلوقين، فهذا المعنى صحيح، وإن أريد به نفي الصفات عن الله تعالى فهذا معنى باطل لا يصح.

وأهل السنة يعتقدون أنّ الظاهر المتبادر من آيات الصفات هو إثباتها من غير تشبيه، فكل وصف أسند إلى رب السموات والأرض فظاهره المتبادر منه عند كل

(١٤٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (٩٩/١٢).

(١٤٥) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص: ٤٦-٤٧).

مسلم هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق بإقراره على ظاهره هو الحق وهو تنزيه رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق في شيء من صفاته فهل ينكر عاقل أن المتبادر للأذهان السليمة أن الخالق ينافي المخلوق في ذاته وسائر صفاته^(١٤٦). فوجود القدر المشترك بين الخالق والمخلوق في تسمية الصفة لا يعني وجود التشابه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - : «وكل ما نثبته من الأسماء والصفات فلا بد أن يدل على قدر مشترك تتواطأ في المسميات، ولولا ذلك لما فهم الخطاب، ولكن نعلم أن ما اختص الله به، وامتاز عن خلقه أعظم مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال»^(١٤٧).

أمّا أهل التعطيل فجعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله. وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عاما في الأسماء والصفات، أم خاصا فيهما، أو في أحدهما. فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عینوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطرابا كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً وهو في الحقيقة تحريف.

ومذهبهم باطل من وجوه:

الوجه الأول: أنه جنایة على النصوص، فجعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الوجه الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا

(١٤٦) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (ص: ٤٠).

(١٤٧) التدمرية (ص: ٤٢-٤٣).

اللسان العربي، والنبى صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصاب عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الوجه الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم.

الوجه الرابع: أنه مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس: أنه يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، مثل اعتقادهم أن الإثبات مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر، ومن المعلوم: أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبيهاً وكفراً أو موهماً لذلك. ومن لوازمه الباطلة: أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات، أو يمتنع عليه، أو يجوز. إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله تعالى وسموه تأويلاً^(١٤٨).

بل إن أهل السنة ألزموا الأشاعرة بما ردوا به على الجهمية والمعتزلة بخصوص دليل الحدوث والأعراض، وفي ذلك يفصل ابن القيم رحمه الله خلال ردّه على الأشاعرة: «قال المثبتون: جوابنا لكم بعين الجواب الذي تجيئون به خصومكم من

(١٤٨) ما سبق من الرد على أهل التعطيل مختصر من كلام الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى (ص: ٤٧-٥٣)

الجهمية والمعتزلة نفاة الصفات، فإنهم قالوا لكم: لو قام به سبحانه صفة وجودية كالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة لكان محلاً للأعراض، ولزم التركيب والتجسيم والانقسام، كما قلت لو كان له وجه ويد وإصبع لزم التركيب والانقسام، فحينئذ فما هو جوابكم لهؤلاء نجيبكم به.

فإن قلت: نحن ثبت هذه الصفات على وجه لا تكون أعراضاً ولا نسميها أعراضاً، فلا يستلزم تركيباً ولا تجسيماً. قيل لكم: ونحن ثبت الصفات التي أثبتها الله لنفسه، إذ نفيتوها أنتم عنه على وجه لا يستلزم الأبعاد والجوارح، ولا يسمى المتصف بها مركباً ولا جسماً ولا منقسماً.

فإن قلت: هذه لا يعقل منها إلا الأجزاء والأبعاد. قلنا لكم: وتلك لا يعقل منها إلا الأعراض.

فإن قلت: العرض لا يبقى زمانين، وصفات الرب باقية قديمة أبدية، فليست أعراضاً. قلنا: وكذلك الأبعاد هي ما جاز مفارقتها وانفصالها وانفكاكها، وذلك في حق الرب تعالى محال فليست أبعاداً ولا جوارح، فمفارقة الصفات الإلهية للموصوف بها مستحيل مطلقاً في النوعين، والمخلوق يجوز أن تفارقه أعراضه وأبعاضه.

فإن قلت: إن كان الوجه عين اليد وعين الساق والإصبع فهو محال، وإن كان غيره لزم التمييز ويلزم التركيب. قلنا لكم: وإن كان السمع هو عين البصر، وهما نفس العلم، وهي نفس الحياة والقدرة فهو محال وإن تميزت لزم التركيب، فما هو جواب لكم فالجواب مشترك.

فإن قلت: نحن نعقل صفات ليست أعراضاً تقوم بغير جسم متحيز، وإن لم يكن لها نظير في الشاهد. قلنا لكم: فاعقلوا صفات ليست بأبعاد تقوم بغير جسم،

وإن لم يكن له في الشاهد نظير، ونحن لا ننكر الفرق بين النوعين في الجملة، ولكن فرق غير نافع لكم في التفريق بين النوعين، وأن أحدهما يستلزم التجسيم والتركيب والآخر لا يستلزمه.

ولما أخذ هذا الإلزام بملوق الجهمية، قالوا: الباب كله عندنا واحد ونحن ننفي الجميع.

فتبين أنه لا بد لكم من واحد من أمور ثلاثة: إما هذا النفي العام والتعطيل المحض، وإما أن تصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ، ولا تتجاوزوا القرآن والحديث وتتبعوا في ذلك سبيل السلف الماضين...»^(١٤٩).

فمن قال من أهل التعطيل إن إثبات العين لله تعالى على أنه صفة من صفاته بالمعنى المتبادر إلى الذهن هو إثبات للجارحة المخلوقة، فيقال لهم ما تقولون في إثبات الذات لله تعالى هل هي تشبه ذوات المخلوقات، فجوابهم في دفع التشبيه في الذات، هو جواب أهل السنة في دفع التشبيه في إثبات صفة العين لله، وهي القاعدة الجليلة التي يذكرها أهل العلم، وهي: القول في الصفات كالقول في الذات، سواء بسواء.

قال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني «ت: ٥٣٥ هـ»: «قال أهل السنة: نُصِفَ اللهُ بما وَصَفَ به نفسه، ونؤمن بذلك إذ كان طريق الشرع الاتباع لا الابتداع، مع تحقيقنا أن صفاته لا يشبهها صفات، وذاته لا يشبهها ذات، وقد نفى الله تعالى عن نفسه التشبيه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر؛ وأثبت لنفسه صفات فقال ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وليس في إثبات الصفات ما يُفْضِي إلى التشبيه، كما أنه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى

التشبيه، وفي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ دليل على أنه ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات»^(١٥٠).

ومن تأويلات المعطلة لصفة العين حين زعموا أنّ معنى العين هو الرؤية والحفظ والكلاءة من غير إثبات صفة العين، فهذا باطل وإنما الكلاءة والحفظ من لوازم إثبات العين، يقول القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات^(١٥١) بعد ذكره لتأويلات المعطلة لصفة العينين: «قيل: هذا غلط؛ لأنّ الله تعالى كان راثياً له ومُشاهداً له قبل جريان الفلك، وقبل طرحه في اليمِّ، وكذلك كان حافظاً وكائناً قبل وجود الجريان وطرحه في اليمِّ، بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكَلِّفُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، فتبين أنّ كلاءته لنا بالليل والنهار».

كما أن الله تعالى فرق في كتابه بين العين والرؤية، فالله أثبت العين لنفسه في غير موضع وأثبت الرؤية في غير موضع، وإثبات هذا تارة وهذا تارة، يدل على التغاير بينهما، فالرؤية شيء والعين شيء آخر، فقوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]، هذه رؤية، وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤] هذه رؤية، لكن قوله: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَى عَيْنَيْ﴾ [طه: ٣٩] ليست هي الرؤية بل هي عين مخالفة له، أي: للرؤية^(١٥٢).

وهذا نحو تأويل من أوّل البصر بالعلم، يقول الإمام ابن بطة - رحمه الله - : «وأما قولهم: إنّ البصر بمعنى العلم، فقد أكذبهم الله - عز وجل - حين فرق بين العلم والبصر».

(١٥٠) الحجة في بيان المحجة (١٨٦/٢)، وانظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٤٣).

(١٥١) (ص: ٣٥٠).

(١٥٢) انظر: شرح السفارينية للشيخ ابن عثيمين (ص: ٢٦٧).

ألا ترى أن الله - عز وجل - قد علم أعمال العباد قبل أن يعملوها، وقد علم أنك تصلي قبل أن تصلي، وأنتك تجاهد قبل أن تجاهد، ولكنه لا يراك مصلياً حتى تصلي، ولا عاملاً حتى تعمل، وكذلك سائر الأعمال، ألا ترى إلى قوله - عز وجل - ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿ وَأَصْنِعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود: ٣٧]، ﴿ وَلِنُصْنَعْ عَلَى عَيْنَيْكَ ﴾ [طه: ٣٩]، وقوله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ آل عمران: ١٨١، وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥]، وأشبه لهذا، ونظائر في القرآن كثيرة كلها تجردها الجهمية وتأبى قبولها^(١٥٣).

ويقول الحافظ ابن حجر: «قوله: باب: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤]، قال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال: إن معنى "سميع بصير" عليم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسوِّبه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعاً بصيراً يفيد قدرًا زائداً على كونه عليمًا، وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيراً وبين كونه ذا سمع وبصر، قال: وهذا قول أهل السنة قاطبة. انتهى»^(١٥٤).

(١٥٣) الإبانة لابن بطة (٣/٣٢١-٣٢٢) القسم المتمم من الرد على الجهمية.

(١٥٤) فتح الباري (١٣/٣٧٣).

ومما يدل على ذلك من السنة ما سبق ذكره من إشارة النبي ﷺ إلى عينه وإذنه لما تلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

يقول أبو يعلى الحنبلي: «ولأن هذا الخبر أفاد أن وصفه - عز وجل - بأنه سميع بصير لا على معنى وصفه بأنه عليم، كما ذهب إليه بعض أهل النظر، ولم يُثبتوا لله عز وجل في وصفنا له بأنه سميعٌ معنى خاصاً، وفائدة زائدة على وصفنا له بأنه عليم، فأفاد بذلك تحقيق معنى السمع والبصر، وأنه معنى زائد على العلم، إذ لو كان معنى ذلك العلم؛ لكان يشير إلى القلب الذي هو محل العلم، لينبه بذلك على معناه، فلما أشار إلى العين والأذن - وهما محلان للسمع والبصر - حقق الفرق بين السمع والبصر وبين العلم»^(١٥٥).

ومن تأويلاتهم قول بعضهم: إنه أراد بذلك أعين الماء التي أخرجها الله تعالى من الأرض، وهذا تأويل باطل تأباه النصوص، فما يفعل صاحب هذا التأويل بقوله تعالى: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٢٣٩] عن موسى ﷺ، وبقوله: ﴿فَأَنكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] عن نبينا ﷺ، فأين هي أعين الماء الجارية في ذكر هذين النبيين لو سلمنا جدلاً بقولهم في آية نوح ﷺ.

ويعترف التافتازاني أن هذا التفسير بعيد، وأن مذهب الأشعري - رحمه الله - هو إثبات العين صفة لله، حيث يقول: «وقيل: المراد الأعين التي انفجرت من الأرض وهو بعيد»^(١٥٦).

(١٥٥) إبطال التأويلات (ص: ٣٣٨)، ولليهقي كلام نحو هذا في الأسماء والصفات (٤٦٣/١).

(١٥٦) شرح المقاصد في علم الكلام (١١٠/٢).

وهذا الجواب هو نفسه الجواب عن تأويلهم لقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بأوليائنا وخيار خلقنا؛ لأنهم كانوا هم المؤمنون في وقت نوح عليه السلام.
وأما من زعم أنّ نفي العور بمعنى نفي العيب، فهذا خروج عن ظاهر النصّ، فلفظ الحديث يردّ عليهم، حيث وصف الرسول صلى الله عليه وآله الدجال بأنه أعور العين اليمنى، ووصف عينه العوراء بأنها كالعنب الطافية، وغير ذلك من الأوصاف، ثم نفي الرسول صلى الله عليه وآله العور عن الله تعالى، فلا يفهم من الحديث إلا أن الكلام عن العينين لله تعالى.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : «وقد قال بعض الناس: معنى «أعور»، أي: معيب، وليس من عور العين!! وهذا لا شك أنه تحريف وتجاهل للفظ الصحيح الذي في البخاري وغيره: «أعور العين اليمنى، كأن عينه عنب طافية» وهذا واضح. ولا يقال أيضاً: «أعور» باللغة العربية، إلا لعور العين، أما إذا قيل: «عور» أو «عوار»، فرمما يراد به مطلق العيب»^(١٥٧).

وأما حجة من ردّ حديث نفي العور عن الله تعالى بأنه حديث آحاد ولا يؤخذ بالآحاد في العقيدة، فهذا قدّ بين بطلانه أئمة السلف وجهابذة العقيدة ودلّوا من الكتاب والسنة على أنّ خبر الآحاد المحتف بالقرائن يفيد العلم واليقين^(١٥٨)، ومع ذلك فحديث نفي العور عن الله تعالى حديث متواتر وليس بحديث آحاد كما بينته فيما سبق.

(١٥٧) شرح الواسطية (٣١٢/١-٣١٣).

(١٥٨) خبر الواحد إن صح واحتفت به القرائن فإنه يجب قبوله والعمل به كما هو مذهب أهل السنة، فقد تواتر العمل بخبر الواحد في نصوص القرآن والسنة، يقول الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله: (الخبر إذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله ورواه الثقات والأئمة وأسند خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتلقته الأمة بالقبول؛ فإنه يوجب العلم فيما سببه العلم، هذا قول عامة أهل الحديث والمتقين من القائميين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء =

بل إنَّ هذا الحديث قد أفضَّ مضاجع المعطلة، فما وجدوا حجه لرده إلا كونها
 أحاداً وكذبوا في ذلك، ولجأوا إلى الطعن في الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنه
 لكونه قد روى هذا الحديث وشكَّ الرازي في ثقته في نقله أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
 سبق نقله عنه، وهذا من الطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو زرعة الرازي -
 رحمه الله - : «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاعلم أنه
 زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن
 والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبتلوا الكتاب
 والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»^(١٥٩).

وينصُّ على ذلك أبو الحسن الأشعري - وهو الإمام الذي ينتسب إليه
 الرازي - يقول: «وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله
 ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من
 ينتقص أحداً منهم، رضي الله عن جميعهم»^(١٦٠).

ثم إنَّ هذا الحديث لم ينفرد به ابن عمر رضي الله عنه، بل رواه جمع من الصحابة كما
 بينته سابقاً، كجابر وعبادة بن الصامت وأنس وأبي هريرة وأم سلمة وغيرهم.

اخترعته القدريّة والمعتزلة) نقله: التيمي في الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٨)، وابن القيم في مختصر الصواعق
 (١٤٦٥-١٥٥٨)، وقال ابن حزم رحمه الله بعد أن ساق جملة وافرة من الأدلة على أن خبر الواحد
 يوجب علماً وعملاً: (فصح بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً فإن
 جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجري على ذلك كل فرقة في علمها، كأهل
 السنة والخوارج والشيعّة والقدريّة حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالقوا الإجماع في
 ذلك). الإحكام لابن حزم (١/١٠٨)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٦٠).

(١٥٩) الكفاية للخطيب (ص: ٩٧)، وانظر نحوه كلام الإمام أحمد في مناقب الإمام أحمد بن حنبل
 (ص: ٢١٦-٢١٧).

(١٦٠) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٧٩).

وعائشة - ﷺ - لم تطعن في ابن عمر كما زعم الرازي بل وهمته في روايته لحديث: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»^(١٦١) على العموم، وتأديت في ردها ونقدها ولم تطعن ولم تقدر في صدق ابن عمر ولا في صدق أبيه فقالت: «إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبِينَ وَلَا مُكْذِبِينَ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ»^(١٦٢). وقالت: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَحْفَظْهُ»^(١٦٣). فلم تكذب ابن عمر ولم تقبل لا يقبل حديثه عن رسول الله ﷺ، ثم إن ابن عمر لم ينفرد برواية هذا الحديث فقد رواه كذلك أبوه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ^(١٦٤).

ويقال كذلك لا نكر ثبوت موقف عائشة من ابن عمر في هذا الحديث فقط، فمن من الصحابة أنكر على ابن عمر روايته لحديث نفي العور عن الله تعالى، بل إننا نجد جمعاً من الصحابة رووه كذلك عن رسول الله ﷺ ووافقوه على روايته. ومما يبطل قوله أن هذا الحديث قد روته عائشة - رضي الله عنها - نفسها^(١٦٥)، فما هو قائل بعد ذلك، ولكن أهل الأهواء يحكمون عقولهم ويقدمونها على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد صدق السلف حين حكموا على أهل البدع أنهم لا يعظمون حديث رسول الله ﷺ ولا يجدون له طعماً، قال أحمد بن سنان

(١٦١) رواه البخاري (١٢٢٦)، ومسلم (٩٢٧).

(١٦٢) رواه مسلم برقم (٢١٩٠).

(١٦٣) رواه مسلم برقم (٢١٩٦).

(١٦٤) رواه البخاري برقم (١٢٠٨)، ومسلم برقم (٢١٨٥).

(١٦٥) تقدم تخريجه.

—رحمه الله - : «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغيض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعته حلاوة الحديث من قلبه»^(١٦٦).

وفي نهاية المطاف لنقف مع كلام نفيس لإمام الأئمة ابن خزيمة —رحمه الله - في بيان الفرق بين عين الله تعالى وعين المخلوق ليتفني بذلك وجود أي شبهة للتشبيه، يقول —رحمه الله - : «نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السموات العلى، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع، ولا مما بينهن ولا فوقهن، ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه.

وبنو آدم - وإن كانت لهم عيون يبصرون بها - فإِنَّهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم، مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم...»^(١٦٧) إلى آخر كلامه الذي بين فيه بطلان التشبيه بين صفات الله تعالى وصفات خلقه.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بصفة العينين لله تعالى

لا يخفى على كل موحد أهمية الإيمان بأسماء الله وصفاته، فالعلم بها ومعرفتها وتدبرها من أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف العلوم، ولما كان المعلوم هنا هو الرب جل جلاله كان هذا العلم من أجل العلوم^(١٦٨).

(١٦٦) رواه الحاكم في المعرفة (ص: ٣٥)، والهروي في ذم الكلام وأهله (٢/٧٢)، والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٣٠٠).

(١٦٧) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١١٤-١١٧).

(١٦٨) انظر: كلام العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/٣١١).

وقد تحدث العلماء كثيراً في بيان شرف هذا العلم وأهمية توحيد الأسماء والصفات، وبينوا أن لكل اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته عبودية خاصة ومقتضيات خاصة يورثها الإيمان بتلك الصفة أو الاسم، وأن أكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر^(١٦٩).

ومن هنا كان الإيمان بصفة العينين لله تعالى وكونه يرى ويصير عباده، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، كان لها الأثر البالغ على العبد الموحد الذي آمن بصفات الكمال لله تعالى، ولم يجردها من معانيها كما هو حال المعطلة.

أثر بالغ في عبوديته لله تعالى، وفي سلوكه، ودعائه، والتجائه للرب جل جلاله، فمن حقق الإيمان بهذه الصفة صدقاً وحقاً، وصل به الحال إلى مرتبة الإحسان، «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١٧٠)، فإذا علم أن الله يراه ازداد في طاعة الله وعبادته ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [٢١٨] و﴿تَقَلُّبِكَ فِي السُّجُودِ﴾ [٢١٩] [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]، فيثمر له ذلك الخضوع والإخلاص والسكينة والطمأنينة.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «وعلمه بسمعه وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يُثمر له حفظ لسانه وجوارحه خطرات قلبه عن كل ما لا يرضي

(١٦٩) انظر: مدارج السالكين (٧٢٣/١)، ومفتاح دار السعادة (٥١٠/٢).

(١٧٠) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح»^(١٧١).

إذا آمن بصفة العينين وعلم أن الله يراه التجأ إلى الله تعالى في مواجهة عدوه ومصائبه كما قال تعالى لموسى وهارون لما اشتكيا فرعون وبطشه ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦].

والإيمان بهذه الصفة يورث العبد تحقيق التوحيد والابتعاد عن الشرك كما قال إبراهيم بن سعد الزاهد: «ومن علم أنه بعين الله استحيا أن يراه الله يأمل سواه»^(١٧٢).

وكذلك يورث العبد الاستحياء من الله تعالى، فلا يتوانى عن طاعته، ويستحي أن يقحم نفسه في معصية الله تعالى، كما قال محمد بن أبي عبدان: قيل لحاتم الأصم على ما بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال: «على أربع خلال، علمت أن رزقي لا يأكله غيري فلست أهتم له، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا أستحيي منه»^(١٧٣).

ومن هنا ينبغي تذكير أهل المعاصي برؤية الله تعالى لهم وعلمه بمعاصيهم، ومن ذلك ما ذكره ابن القيم في روضة المحبين^(١٧٤): «قال محمد بن إسحاق: نزل

(١٧١) مفتاح دار السعادة (٢/٥١٠).

(١٧٢) رواه ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (٦/٤٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/١٥٧)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/٤٣٣).

(١٧٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٩٨).

(١٧٤) (ص: ٣٣٩).

السري بن دينار في درب بمصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها، فعلمت به المرأة فقالت: لأفتتنه. فلما دخلت من باب الدار، تكشفت وأظهرت نفسها، فقال: مالك؟ فقالت: هل لك في فراش وطى وعيش رخي؟ فأقبل عليها وهو يقول:

وَكَمْ ذِي مَعَاصٍ نَالَ مِنْهُنَّ لَذَّةً وَمَاتَ فَخْلَاهَا وَذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تَصَرَّمٌ لِدَاتِ الْمَعَاصِي وَتَنْقِضِي وَتَبْقَى تِبَاعَاتُ الْمَعَاصِي كَمَا هِيَا
فِيَا سَوْءَاتَا وَاللَّهُ رَأٍ وَسَامِعٍ لِعَبْدٍ بَعَيْنِ اللَّهِ يَغْشَى الْمَعَاصِيَا

ومن أيقن أنه بعين الله تعالى خف عليه مصابه، وزاد رجاؤه بمولاه، وأحسن الظن بربه، روى ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة^(١٧٥): «وقال أبو العباس محمد بن أحمد بن الصلت: سمعت عبد الرحمن المتطيب يعرف بطبيب السنة يقول: دخلت على أحمد بن حنبل أعوده، فقلت: كيف تجددك؟ فقال: أحمد الله إليك، أنا بعين الله، ثم دخلت على بشر بن الحارث، فقلت: كيف تجددك؟ فقال: أحمد الله إليك، أجد كذا أجد كذا. فقلت: أما تخشى أن يكون هذا شكوى؟ فقال: حدثنا المعافى بن عمران عن سفیان بن سعيد عن منصور عن إبراهيم عن علقمة والأسود قالوا سمعنا عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك»^(١٧٦)، فدخلت على أحمد بن حنبل فحدثته فكان إذا سأله قال: أحمد الله إليك أجد كذا وكذا».

(١٧٥) طبقات الحنابلة (٢٠٨/١)، وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١٧٣/٢).

(١٧٦) لم أقف عليه مسنداً في غير طبقات الحنابلة، والعجب أن فقهاء الحنابلة ممن يذكر هذا الحديث يعزوه إلى الصحيحين، وهو ليس فيهما. انظر مثلاً: الفروع لابن مفلح (١٣٩/٢).

فالإيمان بهذه الصفة له من الثمرات الكثيرة التي تقوي إيمان العبد، وتزيده رسوخاً وتوحيداً وطاعة لله تعالى، فهي تورث مقام المراقبة الجامع لمقامات الإسلام والإيمان والإحسان^(١٧٧)، قال ابن القيم: «المراقبة هي: التبعيد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، والسميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة»^(١٧٨). بل قد يزيد الأمر عند العبد حتى يصل إلى مقام المشاهدة وهو أعلى المقامين، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان^(١٧٩).

كلّ هذه الثمرات حرم المعطلة منها أنفسهم، وحازها أهل السنة والجماعة، فكانوا أعبد الناس وأقربهم إلى ربهم، وأبعدهم عن معصيته. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

- بعد الانتهاء من البحث يتبين للقارئ عدد من الأمور، فمن ذلك:
- ١ - أنّ القرآن والسنة دلّتا على إثبات صفة العين لله تعالى وأنها من الصفات الذاتية الخبرية.
 - ٢ - أنّ السنة دلّت على أنّ الله تعالى عينين اثنتين، وذلك في نفي العور عن الله تعالى.

(١٧٧) انظر: مدارج السالكين (٢/٥٢٨).

(١٧٨) مدارج السالكين (٢/٢٧٠).

(١٧٩) أعلام السنة المنشورة (ص:٢٤٢).

- ٣ - أنّ حديث نفي العور عن الله تعالى من الأحاديث المتواترة المروية عن جملة من صحابة النبي ﷺ.
- ٤ - أنّه لا تعارض بين التثنية في صفة العينين وبين الإفراد والجمع.
- ٥ - أنّ السلف عبر القرون لا ينكرون هذه الصفة لله تعالى وبعضهم ينص على أنّ الله تعالى عينين اثنتين ، وبعضهم ينص على أنّ ذلك إجماع العلماء.
- ٦ - أنّ المعطلة ينكرون هذه الصفة لله تعالى ، ويؤولونها على غير حقيقتها ، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة والإجماع ، مع ما في قولهم من اللوازم الباطلة.
- ٧ - أنّ المؤمن بصفة العينين لله تعالى يعمل بمقتضى هذه الصفة من الاجتهاد في الطاعة والابتعاد عن المعصية.
- والله تعالى أسأل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم إنّ ربي لسميع الدعاء.

ثبت المصادر والمراجع

- [١] الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، حققه بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، ١٤١١هـ ، ونسخة مخطوطة من جامعة الملك سعود.
- [٢] الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: لأبي عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ، تحقيق ودراسة رضا بن نعيان معطي ، دار الراية الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ . وكذلك : تنمة الرد على الجهمية ، تحقيق الوليد سيف النصر ، دار الراية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ
- [٣] إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، لأبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء ، تحقيق محمد الحمود النجدي ، دار إيلاف.

- [٤] اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الجهمية والمعطلة: للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق عواد المعتق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- [٥] أحكام القرآن: للإمام أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- [٦] الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- [٧] الآداب الشرعية: للإمام الفقيه محمد بن مفلح الدمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- [٨] الأربعين في دلائل التوحيد، لأبي إسماعيل الهروي، تحقيق الدكتور علي الفقيهي، ١٤٠٤هـ.
- [٩] أساس التقديس في علم الكلام، لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- [١٠] الأسماء والصفات: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- [١١] أصول السنة: للإمام محمد بن عبدالله ابن أبي زمنين الأندلسي، تحقيق عبدالله بن محمد عبدالرحيم البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- [١٢] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ.

- [١٣] اعتقاد أئمة الحديث: لأبي بكر الإسماعيلي، تحقيق محمد الخميس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- [١٤] الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، لعلاء الدين علي بن إبراهيم المعروف بابن العطار، تحقيق سعد الزويهري، إصدار وزارة الأوقاف في قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
- [١٥] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- [١٦] الاعتقاد، لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى الفراء، تحقيق محمد الخميس، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأول، ١٤٢٣هـ.
- [١٧] أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
- [١٨] إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- [١٩] البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف.
- [٢٠] بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- [٢١] البرهان في علوم القرآن: للعلامة بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار لمعرفة، الطبعة الثانية.
- [٢٢] بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- [٢٣] بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.
- [٢٤] البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة، لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب، ١٤٠٨هـ.
- [٢٥] تاريخ مدينة دمشق: للحافظ أبي القاسم علي بن القاسم بن عساكر الدمشقي، تحقيق محب الدين عمر غرامة العمروي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- [٢٦] تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ ابن عساكر، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ.
- [٢٧] التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، تحقيق عبدالرحمن المحمود، دار الوطن، ١٤١٤هـ.
- [٢٨] التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق السعودي.
- [٢٩] التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطارى، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧م.
- [٣٠] التسعينية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- [٣١] تعظيم قدر الصلاة: للإمام محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- [٣٢] تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- [٣٣] تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بتقديم الشيخ عبدالله بن عقيل والشيخ محمد العثيمين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- [٣٤] تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، توزيع مكتبة عباس الباز، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- [٣٥] تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين: لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- [٣٦] تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء ابن كثير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- [٣٧] تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- [٣٨] تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- [٣٩] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة : الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- [٤٠] التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي أبو محمد ، تحقيق : د. محمد حسن هيتو ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠ هـ .
- [٤١] التهجد وقيام الليل ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، تحقيق : مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي ، مكتبة الرشد - السعودية - الرياض ، الطبعة : الأولى - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- [٤٢] التوحيد وإثبات صفات الرب ، لإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، تحقيق عبدالعزیز الشهوان ، دار الرشد ، ١٤٠٨ هـ .
- [٤٣] جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : أحمد بن علي الدمياطي ، مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .
- [٤٤] الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية ، للعلامة طاهر الجزائري (ت : ١٣٣٨ هـ) ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ .
- [٤٥] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- [٤٦] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ هـ .
- [٤٧] حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

- [٤٨] حاشية الدرّة المضية، عبدالرحمن بن قاسم.
- [٤٩] الحجة في بيان المحجة: للإمام قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ومحمد أبو رحيم، دار الراجعية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- [٥٠] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- [٥١] الدر المنثور في التفسير المأثور: للحافظ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- [٥٢] درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- [٥٣] الدرر السننية في الأجوبة النجدية: جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.
- [٥٤] دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، تحقيق: حسن السقاف، دار الإمام النووي - الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- [٥٥] زم الكلام وأهله، لشيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- [٥٦] الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات ، للأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تحقيق دغش بن شبيب العجمي ، دار الإمام أحمد ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ.
- [٥٧] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٢هـ.
- [٥٨] السلسلة الأحاديث الضعيفة ، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ، دار المعارف.
- [٥٩] السنة : لعبد الله بن الإمام أحمد ، تحقيق محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ، الناشر رمادي للنشر والمؤتمن للتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م.
- [٦٠] سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- [٦١] السنن الكبرى ، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩١م.
- [٦٢] السنن : للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
- [٦٣] السنن : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، ومعه معالم السنن للخطابي ، دار الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ.

- [٦٤] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي الطبري، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
- [٦٥] شرح السنّة: للإمام البغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ١٣٩٤هـ.
- [٦٦] شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- [٦٧] شرح العقيدة السفارينية، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- [٦٨] شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: للشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، مكتبة شمس، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- [٦٩] شرح العقيدة الواسطة، للشيخ صالح الفوزان.
- [٧٠] شرح المقاصد في علم الكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية - باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- [٧١] شرح العقيدة الواسطية، للعلامة محمد خليل هراس، تحقيق السقاف، دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
- [٧٢] شعب الإيمان: لأبي بكر البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

- [٧٣] صحيح ابن حبان مع الإحسان: لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- [٧٤] صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- [٧٥] صحيح مسلم (الجامع الصحيح): لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ.
- [٧٦] الصفات الإلهية في الكتاب والسنة: للشيخ محمد أمان الجامي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
- [٧٧] صفة الصفوة: للعلامة أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمود فخور، ومحمد قلعه جي، دار المعرفة، بيروت.
- [٧٨] الصمت وآداب اللسان، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- [٧٩] الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ - ١٩٩٨م.
- [٨٠] الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- [٨١] طبقات الحنابلة: للقاضي محمد بن الحسين بن أبي يعلى الفراء، مطبعة السنة المحمدية، دار المعرفة.
- [٨٢] طريق المهجرتين وباب السعادتين: للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- [٨٣] عقيدة السلف أصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان الصابوني، تحقيق ناصر الجديع، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
- [٨٤] عقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، دار الثريا.
- [٨٥] العلو للعلي الغفار، للحافظ الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٥م.
- [٨٦] غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الأمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ١٣٩١هـ.
- [٨٧] فتاوى السبكي، لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعرفة - لبنان/ بيروت.
- [٨٨] فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، إعداد وليد بن إدريس والسعيد بن صابر عبده، دار الفضيلة، ١٤١٨هـ.
- [٨٩] فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

- [٩٠] فتح رب البرية ، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ، دار الثريا.
- [٩١] قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، لمحمد صديق حسن خان القنوجي ، تحقيق : د. عاصم عبد الله القريوتي ، شركة الشرق الأوسط للطباعة - ماركا الشمالية - الأردن ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ.
- [٩٢] القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، للعلامة محمد بن صالح بن عثيمين ، تحقيق أشرف عبدالمقصود ، مكتبة السنة ، ١٤١٤هـ.
- [٩٣] الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق العريفي والجنيني ، دار عالم الفوائد.
- [٩٤] كرامات أولياء الله عز وجل ، للحافظ هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ، تحقيق : د. أحمد سعد الحمدان ، دار طيبة - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.
- [٩٥] كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة : للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ.
- [٩٦] الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.
- [٩٧] الكفاية في علم الرواية ، للحافظ أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

- [٩٨] لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، بيروت.
- [٩٩] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- [١٠٠] مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد.
- [١٠١] مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: إعداد وتقديم عبدالله بن محمد الطيار، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- [١٠٢] المحلى: لابن حزم الظاهري أبو محمد، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- [١٠٣] مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، اختصار الموصللي، تحقيق الحسن بن عبدالرحمن العلوي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- [١٠٤] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للعلامة ابن القيم، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، ١٤٢٣هـ.
- [١٠٥] مراقبي السعود إلى مراقبي السعود، لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني، تحقيق محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٢هـ.
- [١٠٦] المستدرك على الصحّاحين: لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، بذيله «التلخيص» للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

[١٠٧] مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار الكتاب اللبناني، ودار التوفيق، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدرآباد، الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ.

[١٠٨] مسند أبي يعلى، للحافظ أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.

[١٠٩] مسند الشاميين: للحافظ أبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

[١١٠] المسند: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، الطبعة الميمنية، وبهامشه منتخب كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

[١١١] مشكل الحديث وبيانه، لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، دار عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثانية - ١٩٨٥م.

[١١٢] المصنف في الأحاديث والآثار: للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

[١١٣] المعجم الأوسط: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، قسم التحقيق بدار الحرمين أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، من منشورات، دار الحرمين، بالقاهرة.

[١١٤] المعجم الكبير، للحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، الطبعة الثانية - ١٤٠٤ - ١٩٨٣م.

[١١٥] معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[١١٦] معرفة علوم الحديث: للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.

[١١٧] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لابن القيم، تحقيق علي الحلبي، دار ابن عفان، ١٤١٦هـ.

[١١٨] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن الأشعري، تحقيق هيلموت، الطبعة الثالثة.

[١١٩] مناقب الإمام أحمد: لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق عبدالله التركي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

[١٢٠] منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

[١٢١] منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، الدار السلفية - الكويت الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

[١٢٢] نقض الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على البشر المريسي: تحقيق رشيد بن حسن الأملعي، مكتبة الرشد الرياض، وشركة الرياض للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

The Believers affirmation of the attribute of the two eyes to the Lord of the Aalameen (The Two Worlds)

Dr. Khalid Dhawee AlDhufayree

Member Faculty of Mandatory Education at the University of Kuwait
College of Islamic Studies
Aqeedah (Islamic creed) division and Dawah (call)
and also Instructor at Dar Al Quraan.

Abstract. I have addressed in this research an attribute from the attributes of Allaah the Most high describing His self, which are authentically proven in the book and the sunnah, and this is the attribute of Allaah the most high's two eyes.

And I have categorized them as the introduction and three researches.

So in the first research I have mentioned the proofs from the Quraan and then from the prophetic sunnah which affirm the attribute of two eyes to Allaah the most high, and I have collected them from between the singular and collective available texts, and then mentioned the statements of the scholars from the earlier times and present times with regards to affirming two eyes to Allaah the most high.

Then in the second research I have mentioned the statements of the people in opposition of the people of sunnah in affirming this attribute, and I've collected their doubts which have led them to object this attribute, and awhat they have reported from their heads, those who have propagated their way of Ta'teel(distorting the meanings.)

Finally the third research contains the narrations and the benefits of those who act collectively upon the sunnah with belief in these attributes which Allaah controls as He wills, and to accept to complete obedience to Allaah the most high and abandon sins.

مضامين التفكير وضوابطه واستراتيجيات تنميته في القرآن الكريم

د. أحمد محمد نجادات^١، و د. حسن محمد العمري^٢

١ أستاذ المناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية المساعد، قسم التربية الابتدائية،

كلية التربية، جامعة اليرموك

٢ أستاذ المناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية المساعد، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية،

كلية الشريعة، جامعة القصيم

ملخص البحث. هدفت هذه الدراسة إلى بيان مضامين دعوة القرآن الكريم للتفكير، وتحديد ضوابط التفكير في القرآن الكريم، وإبراز استراتيجيات تنمية التفكير في القرآن الكريم، ومحاولة لإبراز دعوة القرآن إلى التفكير والتفكير وحثه على استخدام العقل الذي ميز الله به هذا الإنسان عن باقي مخلوقاته ليكون أهلاً لخلافته في هذه الأرض وعمارتها، وأوصت الدراسة بضرورة الأخذ بالتوجيهات التي توصلت إليها، وإبراز الآيات القرآنية التي تدعو إلى التفكير في المناهج الدراسية، والاستفادة من استراتيجيات تنمية التفكير في القرآن الكريم في العملية التعليمية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن والاهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنّ التغيرات المذهلة التي تحدث كل يوم، من تكنولوجيا، وانفجار معرفي، وتطور في كافة مجالات الحياة، تجعل الإنسان يقف حائراً أمامها، ولا يستطيع أن ينكر أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر التفكير أو عصر القلق الفكري، والتفكير سلسلة من العمليات العقلية والأشكال المعرفية والمضامين النفسية التي تتضمن نشاطات موجهة لاكتشاف المعنى، وتحديد العلاقات، وحل المشكلات، وهو يمثل أعقد نوع من أشكال السلوك الإنساني، ويأتي في أعلى مرتبة من مراتب النشاط العقلي، وهو وعاء الإنسان لاستعراض الماضي والانتفاع من خبراته السابقة، وللتعامل مع الأشياء التي حوله في البيئة ومعالجة المواقف التي تواجهه، وللتنبؤ بالمستقبل والاستعداد له والتبصر في عواقبه، لقد وفر على الإنسان الكثير من الجهد والوقت وعصمه من الوقوع في الكثير من الأخطاء، واستطاع من خلاله حل الكثير من المشكلات التي تتحدها (عبد العزيز، ٢٠٠٦، ٢٧ - ٣٢).

والتفكير بوصفه عملية التغيير والتجديد نعمه إلهية، وهبها الله الخالق لبني البشر، وسمة كرم الله بها الإنسان على غيره من المخلوقات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

والله تعالى فضل الإنسان عن سائر الكائنات الحية بالعقل، الذي هو مرتكز التفكير، وسخر له كافة المخلوقات لقدرته على التفكير، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ (الجمانية: ١٣)، ودعاه إلى الفكر والتفكير والتدبر فيما حوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ (الروم: ٨).

لقد جعل الله تعالى العقل حجّة في الإسلام، وأحد مصادر الفقه الإسلامي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ (الملك: ١٠)، إن أكثر الدول تقدماً في مجال التربية والتعليم، تعتبر التفكير أساس المهارات التعليمية جميعها، وتنطلق من وجوب تعليم الطلاب كيف يستخدمون مهاراتهم التفكيرية، ومن افتراض إمكانية تعلم التفكير، والقدرة على التفكير بوضوح، ويركزون في مناهجهم التربوية على أهمية تعلم التفكير، ومساعدة الطلاب على تطوير آليات التفكير، وتصميم برامج خاصة لتنمية مهاراته في المناهج الدراسية، وتعليمه داخل الصف والمدرسة، وتربط كفايات المعلمين وتقييم الاستراتيجيات والنظريات في تدريسه، وتتخذ كدليل لتقويم مخرجات العملية التعليمية (بيركز، ٢٠٠٣، ٧١ - ٢١٩).

ليس من السهل أن تعاش الحياة بدون تفكير، والذي لا يستخدم تفكيره بشكل صائب، سوف يدفع ثمننا لذلك في مختلف جوانب الحياة، والتفكير ليس له فضيلة لذاته، بل لما يحصل عنه من معرفة وعلم موصلين إلى أسمى الغايات وأشرف المصالح في طلب المنافع ودرء المفاسد في الآجل والعاجل، فالتفكير مبدأ العلم وطريق الحق، بواسطته تنال العلوم والمعارف، ويتم تمييز الحقائق عن الأوهام، والمصالح عن المفاسد (الحارثي، ٢٠٠٣، ٣٢).

مشكلة الدراسة

القرآن الكريم كتاب الله تعالى المنزل بأروع أسلوب وأفصح لسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّكَنُ أَحْكَمُ عَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَيْرٍ ﴿١﴾﴾ (هود: ١). وهو المعجزة الخالدة التي أخرج الله بها الأمة من الضلالة إلى الهدى، ومن الجهل إلى العلم، وهداها بها إلى صراطه المستقيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ (الجمعة: ٢). وهو المصدر الإلهي الخالد المتكامل: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُرٍّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (الأنعام: ٣٨)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (سورة النحل، ٨٩)، وهو المنهج التربوي الشامل، الذي يفيء إليه الناس جميعاً، وينهل منه العلماء ويأخذ منه الحكماء، يهتدون بهديه، ويستقون من مورده العذب.

إن الدارس لتاريخ علوم القرآن، يدرك أن القرآن الكريم طور منهجية التفكير لدى الصحابة والتابعين وأتباعهم وكثير من المسلمين والمجاهدين الذين تعاملوا من نصوصه، فأضافوا إلى تلاوته تدبر آياته، وإلى حفظه فهم معانيه، والحافظ المتدبر أقدر على النظر بشمول آي القرآن الكريم، وعلى الملاحظة والربط، وبيان ما قد يستشكل من خطأ من تفكيره.

لقد عبر القرآن الكريم عن أهداف التفكير والغاية الشاملة منه، فهو يساعد في الوصول إلى المعتقد الصحيح، والاستدلال على وجود الخالق عز وجل، وتعميق الإيمان، والتأكد من صدق المبادئ والشعارات والعقائد في جميع الأمور، وفي توجيه

السلوك للعمل على تمييز الحق من الباطل، وفي الكشف عن السنن الإلهية في بناء الكون، والتعرف على طبيعة الإنسان، وطبيعة حياة المجتمعات البشرية. (الهيثان وملكاوي، ٢٠٠٢، ١٩٢ - ١٩٣).

ويصور القرآن الكريم أهمية التفكير بإكساب الفرد الشعور بالأمن والطمأنينة والتوافق النفسي والاستقرار في الحياة، (الكبيسي، ٢٠٠٦، ١٣ - ١٨)، وإشباع حب الاستطلاع عند الفرد والرغبة في معرفة المعلومات عن جوانب الحياة المتعددة سواء في الماضي أو الحاضر المستمر والمستقبل، وبأنه وسيلة في طلب العلم وفي البحث والتقصي واكتشاف حقيقة الظواهر، وبالوصول بالإنسان إلى حقائق المواقف الجديدة والأحكام الشرعية المترتبة عليها، وبترية الفرد على التفكير الشوري فيما يتعلق بشؤون الحياة. (الشافعي، ١٩٩٣، ٩٣).

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم نظام متكامل خالد عالمي الصيغة والأهداف والمثل، أنزله الله لهداية البشر كافة بلسان عربي مبين، فيه أسس المسائل الفكرية، وأسس التعاليم الخلقية، وأسس الأحكام التشريعية، وأسس الإشارات الكونية، فإن الكثير من المسلمين اليوم أعرضوا عنه تلاوة وتدبراً وحفظاً وتطبيقاً وعملاً فما عادوا يسترشدون بهديه، ولا يستندون إلى منهجيته، وباتوا يتلقون العلوم والمعارف من غيره دون تمييز بين غث وسمين، وبالرغم أيضاً من أن القرآن الكريم دعا الإنسان إلى التفكير والتدبر في كل شيء في هذا الكون الواسع، فأياته تأمرنا بإعمال العقل والتفكير قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ آل عمران، ١٩٠ - ١٩١"، فإن التفكير يكاد يكون معطلاً في مساحات غير قليلة من واقع المسلمين اليوم، وإن حصل فإن

خصائصه الإيمانية تختفي ، وإن المنهج والتخطيط الذي هو أهم خصائص التفكير القرآني غائب من الواقع فكرياً وقولاً وعملاً ، مستبدلاً بالمنهج المادية ، فمن أجل إبراز ذلك كله جاءت فكرة القيام بهذه الدراسة حول مضامين دعوة القرآن الكريم للتفكير، وضوابطه واستراتيجيات تنميته.

الدراسات السابقة

كتبت حول التفكير في القرآن الكريم عدة بحوث ذات علاقة بموضوع الدراسة ، تناولت جانباً أو أكثر من جوانب التفكير في القرآن الكريم ، خاصة أن موضوع التفكير يتناوله الباحثون في ميادين مختلفة من ميادين المعرفة ، ومن أهم الدراسات ذات الصلة الوثيقة بموضوع هذه الدراسة ما يأتي :

- أعدت ميمى دراسة (١٩٨٥)، بعنوان: "التربية العقلية في القرآن":

هدفت إلى إيضاح طريقة القرآن الكريم في تربية الجانب العقلي للإنسان، ومحاولة تطبيق هذا المنهج في حياتنا الواقعية، والاستفادة من ذلك في تربية النشء على النهج الإسلامي الصحيح، وذلك من خلال الإجابة على السؤال الآتي: ما هو الأسلوب القرآني في تربية العقل؟

وقد تناولت الدراسة: طبيعة الإنسان كما صورها القرآن الكريم، وتحدثت عن العقل الإنساني في القرآن، والجانب التطبيقي لمنهج القرآن في تربية العقل، وتوصلت: إلى ورود العمليات التي تبين فعل العقل في القرآن كالتفكير، وأن القرآن الكريم يحرر العقل من كل ما يعطل عمله وقدرته، وأوصت: بضرورة مراعاة نمو القدرات العقلية إلى جانب الاهتمام بتربية الجوانب الأخرى وفق المنهج القرآني، والتعود على طرق التفكير العلمي المنظم، والاستفادة من المنهج القرآني في أسلوب الإقناع العقلي.

- أعد حسن بحثه (١٩٨٧)، بعنوان: "التنمية العقلية في القرآن والسنة":

هدفت منه التحليل الفلسفي لمضمون النصوص الإسلامية الرئيسة لتحديد المعاني

الدقيقة لمفاهيم التنمية العقلية، وتناول: مفهوم العقل ومكانته، ومنزلة العقل في القرآن والسنة، وبين أهم خطوات تنمية العقل الإنساني، وهي: تحريره من التبعية العقلية، وأهمية الحرية للتنمية العقلية، واعتماد أسلوب الجدل والحوار لإثراء العقل، وإعمال النظر في تنميته.

- كتب بدري (١٩٩٢) دراسة بعنوان: "التفكير من المشاهدة إلى

الشهود": دراسة نفسية مبسطة للتفكير من منظور إسلامي، حاولت توضيح قيمة التفكير العبادية من وجهة نظر علم النفس الحديث، وبينت بعض الأساليب القرآنية في الحض على التفكير، ابتداءً من مرحلة الإدراك الحسي وانطلاقاً إلى الخيال، كما تناولت العوامل المؤثرة في التفكير، واختتمت بالحديث عن التفكير في سنن الكون بين العلم التجريبي والدين.

- أجرى الهيشان (١٩٩٦) دراسة ذات صلة بالدراسة الحالية بعنوان:

"جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم"، هدفت إلى التعرف على جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، والتعرف على مفهوم العقل والتفكير في القرآن الكريم وعلاقة التفكير بالعمليات العقلية الأخرى، وذلك من خلال الإجابة على السؤال الرئيس الآتي: ما جوانب التفكير في القرآن الكريم؟

وقد تناولت الدراسة: مفهوم العقل والتفكير، ووسائل التفكير، وعوائق التفكير والقواعد المنهجية لتنميته، وتوصلت الدراسة إلى: أن العقل ورد بصيغة الفعل، وأن العمليات العقلية التي ذكرت في القرآن الكريم مترابطة متكاملة هادفة، وأن القرآن اشتمل على توجيهات لتنمية التفكير، وأوصت الدراسة: بإعادة النظر في أساليب تعليم القرآن الكريم، وضرورة الأخذ بالتوجيهات التي تم التوصل إليها من أجل تنمية التفكير.

استل الهيشان والملكاوي (٢٠٠٢) دراستهما من الدراسة السابقة بعنوان: منهج القرآن الكريم في تنمية التفكير، وقد هدفت أيضاً إلى بيان منهج القرآن الكريم في تنمية التفكير، وبينت أهداف التفكير حسبما وردت في القرآن الكريم، وعوائق التفكير التي حدد القرآن العقل منها، واستنبطت القواعد المنهجية لتنمية التفكير السليم من الآيات القرآنية، وركزت في توصياتها على عدم الاكتفاء بمجرد إتقان الطلاب لتلاوة القرآن الكريم وحفظه، بل لابد من تدريبهم على التفكير السليم في جميع المراحل الدراسية، وتنمية الاتجاه العلمي التجريبي لديهم.

لقد ركزت بعض هذه الدراسات السابقة على التربية العقلية، والتي اهتمت بالتفكير في القرآن الكريم، ولكنها لم تكن شاملة، فقد ركزت على جوانب معينة، وأغفلت بعض الجوانب، والدراسة الحالية جاءت استكمالاً لهذه الدراسات، ومن أجل أن تكون أكثر شمولية، وبخاصة أن كل باحث يتناول موضوع الدراسة حسب ميدان المعرفة المتخصص بها.

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على التفكير في القرآن الكريم، من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:

- ١ - ما مضامين دعوة القرآن الكريم إلى التفكير؟
- ٢ - ما ضوابط التفكير في القرآن الكريم؟
- ٣ - ما هي استراتيجيات تنمية التفكير في القرآن الكريم؟

أهمية الدراسة

إنّ دراسة التفكير في القرآن الكريم ذات أهمية كبيرة تعود إلى عدة أمور

(الهيشان، ٣، ١٩٩٦):

- ١ - خدمة القرآن الكريم، والإسهام في التأصيل القرآني للتفكير.
 - ٢ - إن التدريب على التفكير السليم يعد هدفاً من أهداف التربية والتعليم في جميع المراحل التعليمية، وتسعى جميع المؤسسات التعليمية إلى تحقيقه.
 - ٣ - إن عملية التفكير تعتبر أحد الركائز الأساسية التي قام عليها التطوير التربوي في مختلف أنحاء العالم بشكل عام، وتسعى المؤسسات التربوية إلى جعله محورياً أساسياً في الممارسات التربوية من قبل المعلم والمتعلم على السواء.
 - ٤ - الكشف عن التوجيهات والمبادئ والأساليب القرآنية التي تنمي التفكير وتدفع إلى الإبداع، للاستفادة منها في مختلف المؤسسات التربوية والتدريب في ضوءها.
- منهجية الدراسة**

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على التحليل الاستقرائي، إذ تمّ فيها استقراء الآيات القرآنية التي تناولت ألفاظ وصيغ العقل والتفكير ومشتقاتها ومرادفاتها، والعمليات العقلية وأساليبها ومدلولات كل منها، والاطلاع على التفسير المعتمدة لهذه الآيات والإفادة منها.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

- المقدمة: وقد تحدث فيها الباحث عن:

- مشكلة الدراسة.

- الدراسات السابقة.

- أهداف الدراسة.

- أهمية الدراسة.

- منهجية الدراسة.

- **المبحث الأول:** مضامين دعوة القرآن للتفكير، وقد جاء في عدة مطالب:
 - **المطلب الأول:** ارتفاع نسبة الآيات القرآنية التي تدعو للتفكير.
 - **المطلب الثاني:** استخدام القرآن الكريم للعمليات العقلية للتفكير.
 - **المطلب الثالث:** التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر التكليف.
 - **المطلب الرابع:** استخدام القرآن الكريم الرياضيات والعمليات الحسابية.
 - **المطلب الخامس:** الدعوة للتفكير في ذات القرآن لفهم معانيه.
 - **المطلب السادس:** امتداح أصحاب التفكير وذم اللذين لا يفكرون.
 - **المطلب السابع:** الدعوة للتفكير في المخلوقات.
- **المبحث الثاني:** ضوابط التفكير في القرآن الكريم، وقد اشتمل على
 - **المطالب الآتية:**
 - **المطلب الأول:** بناء التفكير على القرآن والحجة.
 - **المطلب الثاني:** التحرر من العوائق التي تحرر التفكير.
 - **المطلب الثالث:** الجمع بين هداية الوحي والعقل.
 - **المطلب الرابع:** الاعتقاد بعالم الغيب.
 - **المبحث الثالث:** استراتيجيات تنمية التفكير في القرآن الكريم. وقد اشتمل
 - **على المطالب الآتية:**
 - **المطلب الأول:** الإشارة إلى المبادئ الفاعلة في عملية التفكير.
 - **المطلب الثاني:** إبراز طرائق وأساليب تدريس تنمية التفكير وأساليب إثارته.
 - **المطلب الثالث:** إتقان المهارات اللغوية.
 - **المطلب الرابع:** الإحاطة بالمفاهيم والمعلومات المتعلقة بالتفكير.

لقد جاءت النصوص الشرعية تحض العقل البشري على التفكير سواء كان ذلك بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، بل قد لا نكون مبالغين إن قلنا أن نصوص الشريعة جميعها تحض على التفكير، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على إثارة تفكير الصحابة، ومن ذلك استخدامه أحد أساليب التفكير وهو العصف الذهني ، من ذلك مثلاً ما ذكره الإمام البخاري في صحيحه، (باب طرح الإمام المسألة على الصحابة ليختبر ما عندهم من العلم، الجزء الاول ، حديث رقم: (٦٢)) والذي اخرج فيه حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ))، كما أراد صلى الله عليه وسلم من الصحابة أن يتجاوزوا مرحلة الحفظ على أهميتها إلى مراحل أبعد من ذلك من الفهم والتحليل ولاستنباط ، فقد يملك الإنسان حافظة قوية فيحفظ ما يسمع ، إلا إنه قد لا يعي ما حفظ ، والحفظ أمر مطلوب، لكنه ينبغي أن يتواكب مع الفهم الصحيح لما تم حفظه والتفكير في مدلولاته، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه ابن حبان (باب ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لمن أدى من أمته حديثاً سمعه، حديث رقم: ٦٦)، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَلَبَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ». وأكد النبي على لزوم التفكير والفهم في خطبة حجة الوداع، من ذلك ما جاء في سنن الدارمي "باب الاقتداء بالعلماء، حديث رقم ٢٣٣": "أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الزَّهْرَانِيُّ، أَنبَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

الْحُوَيْرِثِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ شَهِدَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَذْرِي لِعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا بِمَكَانِي هَذَا، فَارْحَمَ اللَّهُ مِنْ سَمْعِ مَقَالَتِي الْيَوْمَ فَوَعَاها، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ وَلَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».

ولم يكن تعليم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لصحابته يعتمد على التلقين دون فهم أو استيعاب، فكان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ينوع أساليبه للصحابة، فتارة عن طريق التساؤلات، كما في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم في صحيحه باب "تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٨١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فِينَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»، وأحيانا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستخدم الرسوم التوضيحية كما في حديث "خطوط الأمل ابن آدم وأجله" الذي رواه البخاري في باب "الامل وطوله" الجزء الثامن، حديث رقم "٦٤١٧": حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُنْذِرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطْبًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: " هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ".

وأحيانا يترك الحكم للصحابة ليناقدشوا في الأمر ثم يحدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) القول الفصل، كما في الحديث الذي يرويه الإمام احمد في مسنده باب "حديث عمران بن حصين" الجزء ٣٣، حديث رقم: "١٩٩٦٦" حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ لَا يَكْتُوبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله وقال بعضهم لعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا فخرج عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتونون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون).

والكثير الكثير من الأحاديث التي تشكل في مجملها مهارات تفكير عليا حرص النبي صلى الله عليه وسلم ان يدرّب الصحابة عليها والتي يوصي الباحث بإفراد بحث خاص بها يظهر فيه أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في تنمية التفكير. وفي هذا البحث يركز الباحث على مضامين التفكير في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مضامين دعوة القرآن الكريم للتفكير

حثّ الله سبحانه وتعالى في سياق العديد من الآيات القرآنية على التفكير والتأمل والتبصر والتدبر، "أفلا تعقلون" "أفلا تبصرون" "أفلا تتفكرون" إن في ذلك لعبرة" "تعيها إذن واعية" "آيات لأولي الأبواب"...الخ، ثم امتدح الله سبحانه وتعالى صاحب التفكير الثاقب المبصر، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُؤْبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
 آل عمران، ١٩١، "وذمَّ الله تعالى أيضاً الذي لا يفكر ولا يعتبر، وتوعد بسوء المصير
 من لم ينتفع بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا
 يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
 الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ الأعراف، ١٧٩"، فالقرآن الكريم دعا إلى تحريك العقول وإثارة
 التفكير، ويمكن الاستدلال بذلك بما يلي:

المطلب الأول: ارتفاع نسبة الآيات القرآنية التي تدعو للتفكير

إن نسبة آيات القرآن الكريم التي تحث على التفكير ومرادفاتها مقارنة بعدد
 آيات القرآن الكريم جميعها عالية، وهذا يتضح من رصد بعض الكلمات القرآنية التي
 تحث على التفكير والمهارات الأخرى المساعدة على التفكير مثل: التدبر، التعقل،
 النظر، مخاطبة أصحاب العقول، التفقه.. الخ:

عدد السور	عدد الآيات	التكرار	الآيات التي تدعو إلى
١٣	١٧	١٨	التفكير
٣٠	٥٠	٤٩	التعقل
٧١	٢٧٩	٢٩٢	التذكر
٦٢	١٤٢	١٨٤	التبصر
٤٨	١٩٣	١٢٩	النظر
٨	٩	٩	الاعتبار
١٢	٢٠	٢٠	التفقه
١٠	١٦	١٦	مخاطبة أهل الألباب
	٦٩٦	٦٧٨	المجموع

إن نسبة آيات التفكير ومرادفاتها (١٠.٣٪)، وهي نسبة عالية بالنسبة لمنهاج احتوى الحياة كلها، وبهذه النسبة أعطى رب العزة حرية كاملة للتفكير، واختيار طريق الحياة، والتفكير لا يأتي من فراغ وبدون معلومات لدى الفرد (الكبيسي، ٢٠٠٦، ١٨٨).

كما نجد أن (٧٣٠) آية قرآنية ترتبط بالقضايا العلمية، وهذا يوضح أن القرآن وضع الإنسان على طريق المسار العلمي، وكشف حقائق عالم الوجود بالتفكير.

المطلب الثاني: استخدام القرآن الكريم العمليات العقلية للتفكير

تكررت مادة (فكر) في القرآن الكريم تسع عشر مرة، وجاءت في صيغة الفعل الماضي (فكر) مرة واحدة، وبصيغة الفعل المضارع: (تتفكرون، يتفكرون) أربع عشرة مرة، وذكر القرآن الكريم "التفكر" الذي هو اسم التفكير أربع مرات (عبد الباقي، د.ت، ٥٢٥)، كما ذكر القرآن الكريم العمليات العقلية ومدلولاتها؛ فوردت مادة "ذكر" وما اشتق منها أكثر من مائتين وسبعين مرة، وجاءت بصيغة الفعل الماضي، ذَكَرَ، والمضارع: تَذَكَّرَ، والأمر: اذْكَرْ، وجاءت بصيغة الجمع والأفراد والتأنيث والتذكير، كما جاءت بصيغة اسم المصدر: ذكر، وذكري، وتذكرة، وبصيغة اسم الفاعل: الذاكرين، والذاكرات (عبد الباقي، د.ت، ٢٧٠- ٢٧٥).

وتكرر لفظه كلمة "النظر" التي هي في تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وما اشتق منها نحو مائة مرة (عبد الباقي، د.ت، ٧٠٥- ٧٠٧)، كما جاءت الدعوة إلى النظر في مجالات متعددة: ملكوت السماوات والأرض، ما على الأرض من موجودات، النفس الإنسانية، استنكار إعراض المشركين عن النظر، وسيلة لتحصيل العلم (الهيثان، ١٩٩٦، ٣٧-٣٩). وذكر التدبر الذي هو التفكير والنظر فيما تؤول إليه عاقبة الأمور في أربعة مواضع، كما وردت في الحض على تدبر القرآن وفهم آياته وما فيه من دلائل على أنه وحي من عند الله تعالى (الهيثان، ١٩٩٦، ٣٩).

كما ذكر الفقه والتفقه الذي يعني التوصل إلى علم الغائب بعلم الشاهد، وهو عملية عقلية أعمق وأبعد من التفكير، بل هو محصلة التفكير، وخطوة عملية تجعل الإنسان أكثر وعياً و يقيناً لما يعلم (خليل، ١٩٨٣، ٩٤). أما الاعتبار الذي يعني الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهدة إلى ما ليس بمشاهد (الأصفهاني، د.ت، ٣٢)، فقد ورد الأمر به، والدعوة إلى الاعتبار بقصص الأمم السابقة، ومواقف الأقسام من رسلهم، وبما خلق الله للناس من أنعام سخرها لهم، وبالظواهر الكونية (الهيثان، ١٩٩٦، ٤١-٤٢).

إن الترابط الوظيفي بين العمليات العقلية يظهر جلياً في آيات القرآن الكريم من خلال المجالات التي دعا فيها القرآن إلى التفكير، والنظر والتدبر، فجاءت الدعوة إلى أعمال العقل في الموضوع الواحد بأي من هذه الألفاظ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْهُمْ مَّنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ^ط وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا^ع يَأْتِيُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ "الأنعام: ٢٥"، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ "محمد: ٢٤". إن مجال التفكير في كتاب الله واحد، عبرت عنه الآيات القرآنية بعمليات عقلية مختلفة لتشمل كل نشاط عقلي كالذكر، والفهم، والحكم وغيرها مع انفراد كل لفظ بمعناه الخاص في سياق من النص القرآني الذي ورد فيه (الهيثان، ١٩٩٦، ٤٣ - ٤٤).

المطلب الثالث: التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر التكليف

العقل: قوة الإدراك والفهم، التي يستطيع الإنسان بها اكتساب العلوم والمعارف، والتمييز بين الأشياء، وقد تميز القرآن الكريم بالتنويه بالعقل والتعويل عليها في أمر العقيدة والتبعية، وجاء ذكر العقل في القرآن الكريم في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه في مواطن عديدة، ولم تأت الإشارة إلى

ذلك عارضة مقتضبة غير مقصودة، بل جاءت في كل موضع من مواضعها مقصودة صريحة مؤكدة مفصلة جازمة باللفظ والدلالة على نحو لا نظيره في كتاب، وتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها الإنسان على تحكيم عقله، أو يلام فيها على إهمال عقله وقبوله الحجة عليه بارتكاب المنكر.

إن فرضية التفكير في القرآن الكريم ليست مطلوبة لذاتها، بل لما يتوقف عليها من الواجبات، وهي تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من وظائف وخصائص، فهو يخاطب (العقاد، ٩، ١٩٧١: ١٣):

أ) العقل عامة الذي يناط به التفكير السليم المهتدى إلى الحقائق، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ أَلَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الروم: ٢٤).

ب) العقل الوازع الذي يناط به الوازع الأخلاقي والسلوك الراقي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ "سورة الملك، ١٠". قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آلَاءِ اللَّهِ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أُمَّلِكُمْ إِنَّ نَفْسًا نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (الأنعام: ١٥١)."

(ج) العقل المدرك الذي يناط به التأمل والموازنة للحكم على المعاني والأشياء.:
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧) "آل عمران: ٧." وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٠).

(د) العقل الرشيد الذي يناط به النضج والتميز بميزة الإرشاد والرشد، وهو أعلى خصائص الإنسان: قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ١٨).

والعقل الذي يخاطبه القرآن الكريم عقل سليم متفتح حر يعصم الضمير دون تطرف، ويدرك الحقائق دون تعصب، ويميز بين الأمور دون انغلاق، ويوازن بين الأضداد دون تعصب، وينقح الخبرات النافعة التي تقود إلى التغيير والتجديد، وتحقق الإبداع والتقدم الحضاري الملتزم بالإيمان بالله وحده.

المطلب الرابع: استخدام القرآن الكريم الرياضيات والعمليات الحسابية

١- الرياضيات: مادة فكرية تسهم في تنمية أساليب التفكير المختلفة لدى المعلمين، وإكسابهم اتجاهات وعادات سليمة، مثل الموضوعية في التفكير، والدقة في التعبير، والقدرة على التنظيم، واستخدام أساليب التخطيط في حل المشكلات (الكبيسي، ٢٦، ٢٠٠٦)، وقد استخدم القرآن الكريم الرياضيات كأداة لتمكين بوساطتها من تعلم التفكير ومهاراته، فقد تناول بأسلوب بسيط جزءاً يسيراً من مظاهر أنظمتها العددية المعجزة، والمتمثلة باستخدام الآتي (الكبيسي، ٢٠٠٦، ٢٨):

- الحساب: قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالْجِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس، ٥).

- الأعداد والأرقام: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُزُّكْرُ إِلَهُهُ وَحَدُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطٍ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٨٩).. الخ من الآيات التي ذكرت الأرقام بكثرة.

- ترتيب (تسلسل) الأرقام: قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢).

- الكسور: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (المزمل: ٢٠) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (سبأ: ٤٥) والذي يساوي رقمياً: (٠.١).

- الرقم الزوجي والفردي: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّفَعُ وَالْوَتْرُ﴾ (الفجر: ٣)، الشفع زوجي، والوتر فردي.

٢- العمليات الرياضية، مثل: الجمع: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: ١٦٩): (٣+٧=١٠).

- الطرح: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤). (١٠٠٠ - ٩٥٠ = ٥٠).
- الضرب: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْنُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَلْعًا سَاعِدًا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٦) (٧٠٠ = ١٠٠ × ٧).
- القسمة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَرْصَفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧) (المهر ÷ ٢).
- الضرب والجمع: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٤) أي (٤ × ٣٠ + ١٠ + ١٢٠ = ١٣٠).
- الأصغر والأكبر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ (يونس: ٦١).
- الهندسة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧)، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانِي أُنزِلَ عَلَيَّ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ بِهُ﴾ (هود: ٨٤).

- الإحصاء: قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٨)، إن القرآن العظيم أحكمت آياته، وحسب لكل حرف حسابه ووضع بدقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّكِنُ أَبْهَمُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (١) ﴿هُود: ١﴾: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارٍ مُبِينٍ﴾ (١٢) ﴿يس: ١٢﴾، وقال أيضاً: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (النبا: ٢٩)، والتوافق الغريب بين كلمات القرآن وتكرارها فيه دلالة على إعجازه وصدقه، وداعياً إلى التفكير فيه، فالصلاة ذكرت (٥) مرات بقدر أوقاتها، والشهر ذكر (١٢) مرة بعدد أشهر السنة، وكلمة يوم ذكرت (٣٦٥) مرة بقدر عدد أيام السنة، ولفظة الأيام تكررت (٣٠) مرة بعدد أيام الشهر.. الخ (الكبيسي، ٢٠٠٦، ٢٩-٣٠).

المطلب الخامس: الدعوة للتفكير في ذات القرآن لفهم معانيه

إن الناظر إلى آيات القرآن الكريم بعقلية واعية، يتأكد أن ما جاء به هو الحق المفيد للبشرية، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمْتَلُ تُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)، وإن دعوة القرآن الإنسان إلى أعمال الفكر وإحسان التدبر في آياته؛ غاية أساسية لفهمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢). وإن هذه الدعوة لتدبر آيات القرآن جاءت لأجل فهم معانيه المحكمة والفاضلة البليغة المعجزة، ومعرفة ما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يوقع في الموبقات (ابن كثير ١٤٦، ١٩٦٩)، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)، فالتفكير في الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع،

يوضح المعارف الفاتحة، والتأويلات اللاتقة، ويبين للناس الأحكام والشرائع وأحوال القرون وبيانا شافياً، لعلهم يتأملون فينتبهوا للحقائق والعبء (أبو السعود، دت، ١١٦/٥-١١٧).

لقد أوجب القرآن فهمه وتدبره، ووبخ أصحاب القلوب المغفلة التي لا تقبل على التدبر والتفكير، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: ٢٤)، ويقول تعالى أيضا:

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى لِسَانِكَ مُبَرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ٢٩)، وفي هذا دليل على وجوب تدبر محتوى آيات القرآن، وتأمل معانيها، ومعرفة حقائقها ومقاصدها (القرطبي، ١٩٦٧، ١٥/١٩٢).

المطلب السادس: امتداح أصحاب التفكير وذم من لا يفكرون

لقد امتدح الله عز وجل في كتابه صاحب التفكير الثاقب المبصر المحلل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩١) فالآية الكريمة تقرر حقيقة مفادها أن التفكير في قدرة الله ومخلوقاته.. هو عبادة لله من صميم العبادة كعبادة الذكر والصلاة (قطب، ٢، ١٩٧١/١٩٠)، وقد ذم الله سبحانه وتعالى القوم الذين يشاهدون آيات الله غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها ولا معتبرين بها حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٥)، فهؤلاء لم يصرفوا ما خلق لهم لما خلق له، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، أي عطلوا الأجهزة التي وهبها ولم يستخدموها فعاشوا في كمال رسوخ في الجهل

والغوية غافلين لا يتدبرون ليفقهوا الحق ودلائل الإيمان، وليبصروا ما خلق الله لهم من آيات كونية، وليسمعوا آيات الله المتلوة ومواعظه سمع تأمل وتفكر (قطب، ٣، ١٩٧١/٦٨٤).

المطلب السابع: الدعوة للتفكير في المخلوقات

دعت آيات القرآن الكريم للتفكير في الكون وما فيه من مخلوقات مختلفة ومتنوعة، وأنها مخلوقة بقدر، وكل مخلوق له أسرار في وجوده، وأن جميع هذه المخلوقات دالة على عظمة الخالق وتفرد في الخلق، وفي هذا السياق حث الله عز وجل في آيات الكتاب العزيز العقل البشري على التفكير في كثير من المظاهر، منها:

١ - كيفية الخلق وبدؤه

لا يكاد الإنسان ينتبه إلى شيء من مشاهد وعجائب المكان الذي ألفه، ولكن الله تعالى الخبير بمداخل القلوب وأسرار النفوس، يوجه في القرآن الكريم إلى لفظة عميقة وحقيقة دقيقة مفادها السير في الأرض وفتح العين والقلب والتأمل والتدبر في آثار قدرة الله تعالى على إنشاء الحياة، وكيفية بدء الخليقة فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

إن هذا التوجيه الرباني للبحث عن نشأة الحياة الأولى، وكيف تبدأ الحياة في الإنسان والحيوان والنبات في كل مكان، ليعرف الإنسان خط الحياة؟ وكيف نشأت؟ وكيف انتشرت؟ وكيف ارتقت؟... ومن أين جاءت إلى الأرض؟ وكيف وجد فيها أول كائن حي؟ ولتنبه حواسه ومشاعره برؤية المشاهد الجديدة أو لتستدل بذلك على معرفة النشأة الآخرة (قطب، ٦، ١٩٧١/٤٠٢).

٢- حقيقة وجود الإنسان

وجه القرآن الكريم الإنسان أن يعمل بالتفكير في نفسه، وأطواره، ومآله، وحقيقة وجوده، وتكوينه، وكيف جاء هذا العالم ولم يكن من قبل شيئاً، قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۗ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ الطارق: ٥ - ٨ "قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُنَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَّتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج: ٥).

لقد قدم القرآن الكريم هذه الأدلة الملموسة الحسية لتدل على الخالق الأعظم، والمبدع الجليل، ولتساعد الإنسان على ممارسة وظائفه بصورة أفضل، ولتأكد من عملية الخلق وإعادة الحياة.

٣- حقيقة طعام الإنسان

حث القرآن الكريم الإنسان إلى النظر والتأمل فيما يأكل ويتغذى به، مما يتكون؟ وكيف يتكون؟ حتى يتعرف على نعم الله تعالى من خلال النظر في النباتات، والقوانين الإلهية التي تربطها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۗ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضًّا (٢٨) وَزَيَّنَّا وَنَحْلًا (٢٩) وَحَدَّيْقًا غَلْبًا (٣٠) وَفَكَهَّةً وَأَبًّا (٣١) مَتَّعْنَاكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ (٣٢) ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢). وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ، ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١١) ﴾ (الزمر: ٢١).

٤- أحوال الأمم وتاريخ الأجيال السابقة

دعا القرآن الكريم إلى التفكير في أحوال من على الأرض، ومساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم ومصائرهم؛ لأجل التعرف على السنن والقوانين التي وضعها الله تعالى لحياة البشرية، وللاعتبار بتجاربهم، وأحوال الزمان وخبرات الشعوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (غافر: ٢١)، "قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١).

إن التفكير في أحوال الأمم وتاريخها هو نظر وتفكر في سنة المداولة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠)؛ فهذه أمة ترفع، وتلك أخرى تحفض، وهذه تصبح غنية قوية، وتلك تغدو فقيرة ضعيفة، فمثل هذا النمط من الدعوة إلى التفكير يحمي الفرد من الافتتان بقوة الأمم ونسيان أن القوة لله جميعاً، كما يؤدي إلى إدراك حقيقة هذه الحياة وروابطها على مدار الزمان، وحقيقة هذه الإنسانية الموحدة المنشأ والمصير على مدار القرون، كي لا يعزل جيل الناس بنفسه وحياته، وقيمه وتصوراته، ونغفل عن الصلة الوثيقة بين أجيال البشر جميعاً، وعن وحدة السنة التي تحكم هذه الأجيال جميعاً، ووحدة القيم الثابتة في حياة الأجيال جميعاً (قطب، ١٩٧١، ٤٤٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦).

٥- طبيعة ارتباط الزوجية

لقد دعت الآيات القرآنية الناس للتفكير فيكيف خلق الله لهم من أنفسهم أزواجاً وأودع في نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعل تلك الصلة سكناً لنفس، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ عَائِنِيَّ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

إن دعوة القرآن للتفكير في طبيعة ارتباط الزوجية جاءت لأجل إدراك حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر، مليئاً لحاجاته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد أن في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والفطري ملحوظ فيه تلبية رغبات كل منها في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة تتمثل في جيل جديد (قطب، ١٩٧١/٤٤٨). يفهم من هذا أن العقل نعمة من الله في باقي الجوارح، ولا يجوز للإنسان أن يعطل عقله عن أداء مهمته، وأن التفكير في قدرة الله وانسباط الذهن في المخلوقات وأخذ العبر يُعد عبادة وواجباً وفرضية إسلامية، لأن من لا يستخدم عقله في التفكير يتنازل عن إنسانيته، وسوف يسأل عن ذلك يوم القيامة ويلوم نفسه عن عدم الاستخدام. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠).

فالقرآن الكريم يدعونا للتفكير في اختلاف لون الزرع باختلاف لون الأرض، واختلاف طعم النباتات على الرغم من اتحاد التربة والماء، فمنها الحلو والمر، ومنها الحامض والحر، ومنها المالح وغير المالح ومنها ذو رائحة ومنها بدون رائحة. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُعْشَى

الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَبْرٍ وَجَنَّتْ مِنَ
 أَعْتَابٍ وَزَرْعٌ وَنَجِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ (الرعد: ٣ - ٤)

٦- مظاهر الكون وحقائق عالم الوجود

دعا القرآن الكريم الإنسان في آيات عديدة إلى النظر والتدبر فيما يحيط به من
 أسرار الكون، والتفكير في مختلف مظاهره، " قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
 يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٥)، " قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي
 الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١) " قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ (آل عمران:
 ١٨٩-١٩١) " وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ
 ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾
 (الغاشية: ١٧ - ٢١)

إن النظر إلى إبداع خلق الله وجميل صنعه في السماء، والأرض، والشجر،
 والحیوان، والنبات، والماء... وغير ذلك كثير؛ يرسخ عند الإنسان أن الله هو القادر
 على كل شيء، ويوصله إلى الأسرار العامة في هذه المخلوقات، ويقوده إلى عبادة الله
 وتوحيده.

المبحث الثاني: ضوابط التفكير في القرآن الكريم

وضع القرآن الكريم ضوابط ترشد عملية التفكير نحو تحقيق غاياتها وأهدافها، ولم يطلق عنان التفكير وحرите من غير قيود، إذ قد يؤدي غير ذلك إلى نقيض المقصود منه، فتعود نتائجه بالخسران، ومن أبرز ضوابط التفكير في القرآن الكريم ما يأتي:

المطلب الأول: بناء التفكير على الدليل والحجة

التفكير الصحيح هو ما كان قائماً على قوة البرهان والحجة حتى يكون مقبولاً لتطمئن إليه النفوس والعقول، وقد أقام القرآن الكريم جميع الحقائق التي دعا إليها على البرهان، ويتضح ذلك من خلال ما يلي: (حامدي، ٢٠٠٨):

أ) أن القرآن الكريم أوجب اتباع هذا المسلك في البحث عن مختلف الحقائق سواء أكانت حقائق الكون والطبيعة، أو حقائق النفس، أو حقائق العقيدة والشريعة؛ كبيان حجة الوحانية في الألوهية في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢)، وكالحجة في نفي البنوة والشريك في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١)، وكالحجة في إمكانية البعث في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (الإسراء: ٥٠).

ب) أكد أن جميع حقائق عالمي الغيب والشهادة التي أوحى بها الله تعالى إلى أنبيائه كانت مدعمة بالحجة والسلطان المبين، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٩٦)، وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ٨٣).

ج) دعا إلى التثبت من كل خبر أو ظاهرة أو حركة قبل الحكم عليها، ومنع من القول بغير علم أو بدون دليل،: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ (الإسراء: ٣٦)، يقول سيد: "وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجدلية! فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبه في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم" (قطب، ٥، ١٩٧١/٣٢٦).

(د) ذم الذين افتروا على الله في صفاته من غير برهان ولا حجة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا ۗ اَنۢتَقُولُۢنَّ عَلٰى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٦٨)، فالسلطان هو البرهان والحجة، والمعنى لا حجة لكم فيما تقولون بأن الله ولدا (ابن عاشور، ١١، ١٩٨٤/٢٣١)، ما عندكم على ما تدعون من دليل وبرهان، بل هو مجرد افتراء (رضا، دت، ١١/٤٥٦).

(هـ) وبخ الذين جادلوا في آياته بغير دليل، فقال: "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ اٰتٰهُمْ اِنْ فِيْ صُدُوْرِهِمْ اِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبٰلِغِيْهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ (غافر: ٥٦)، والمراد بالسلطان الدليل والبرهان كما سبق.

يتبين من النصوص السابقة أن التفكير السليم هو ما كان قائماً على الحجة والدليل، حتى يكون فاعلاً في الوصول إلى حقائق العلم والمعرفة، قابلاً للصدق والقبول والإقناع، وأن ما عداه من ألوان التفكير القائم على مجرد الوهم مردود لا تقوم به معرفة صحيحة.

المطلب الثاني: التحرر من العوائق التي تعطل التفكير

إن سبب هلاك الكثيرين هو حجب العقل عن التفكير السليم، لأنه يتلبس الحق بالباطل بين الإنسان ورؤية الأشياء على حقيقتها، ويرى (العقاد، ١٩٧١، ٢٤) أن أكبر الموانع التي تبطل العقل عن التفكير تتجمع في عبارة السلف التي تسمى بالعرف، والافتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية، والخوف المهيمن لأصحاب السلطة الدنيوية"، وباستقصاء الآيات القرآنية، نجد أن العوائق التي تعيق العقل عن التفكير كثيرة، أبرزها:

أ) التقليد

وهو قبول قول بلا حجة والعمل به، فيأخذ المقلد برأي غيره دون أن يتبين قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠) وقوة ألفاظ هذه الآية الكريمة تفيد إبطال التقليد (القرطبي، ٢، ١٩٦٧/٢١١).

والتقليد ليس طريقاً للعلم ولا موصلاً له، لا في الأصول ولا في الفروع، قال تعالى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْبُكُمْ فَقُولُوا إِنَّا بَنَّا إِيَّاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (يوسف: ٨١). فالآية تضمنت جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها، فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، فلا تسمع إلا من علم، ولا تقبل إلا منهم (القرطبي، ٩، ١٩٦٧/٢٤٥).

إن قبول القول أو المذهب دون الدليل الذي يقضي إثباته، ويوقع اليقين في بيانه، ويرد على من ينفيه، خطأ وضعف يلجأ إليه الجاهل المقصر عن درك النظر، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١)، أي أن كل قول لا دليل عليه

فهو باطل غير ثابت (الزمخشري، د.ت، ٣٠٥/١٠)، واتباع الدليل النقلي من القرآن والسنة وإجماع السلف، لا يسمى تقليداً، لأنه اتباع للتزويل وللرسول صلى الله عليه وسلم، والهدى كله فيما جاء به الوحي، فمن اتبع الوحي فإنما يخاصم ويجادل بالدليل والبرهان لا بالتقليد (القرطبي، ٢، ١٩٦٧/٢١٣).

وقد أبطل القرآن الكريم التقليد الأعمى بجميع جوانبه، وخاصة ما كان تقليداً للأباء ولأعرافهم الباطلة المتوارثة عنهم، أو ما كان تقليداً أعمى لرأي الأغلبية، أم كان تقليداً للكبراء دون علم ودراية. وجاءت الدعوة فيه صريحة للمشركين، بأن يتفكروا مثني وفرادي، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ: ٤٦)، والذي أوجب تفرقهم مثني وفرادي، أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمي الأبصار، ويمنع الرؤية، ويخلط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف. ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب، ولا يسمع إلا نصرة المذهب (الزمخشري، د.ت، ٢٩٤/٣).

ب) اتباع الهوى

أصل الهوى الميل إلى الشيء وهو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع (الجرجاني، ٢٥٧، ١٩٨٣). وقد وردت كلمة (هوى) ومشتقاتها في معرض الذم في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧). والهوى لا تستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق وفيما لا خير فيه (القرطبي، ١٩٦٧، ٢٥/٢). ومدار الرد والقبول عند أصحاب الأهواء هو المخالفة

لأهواء أنفسهم والموافقة لها لا شيء آخر (أبو السعود، د.ت، ١/١٢٧)، والهوى إذا استحکم ملك على الإنسان عقله وقلبه وعطل تفكيره، فلا يرى الحق والصواب إلا فيما يهواه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْرَةَ غَشَاةٍ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣).

إن الاندفاع بالهوى يشل التفكير السليم، ويقلب ميزان الحق إلى الباطل، ويوقف التقدم العلمي، لأن الهوى والعلم ضدان لا يجتمعان، وهذا سر وقوف رجال الكنيسة في أوروبا في القرون الوسطى موقف العداء من العلماء ومنهجهم العلمي في الاكتشافات القائمة على التجربة والبرهان، ذلك المنهج الذي أفقدهم مكاسبهم المادية والمعنوية القائمة على الهوى المناقض للموضوعية والتجرد، وهما أساسيات البحث العلمي النزيه (الدسوقي، ١٥٧، ١٩٨٧-١٥٨).

ج) الكبر وغمط الحق

وهو إعجاب المرء بنفسه، فيرى نفسه أكبر من غيره، ويُظهر من نفسه ما ليس له، وينكر الحق ويتعالى عن اتباعه، بل يعارضه ويعانده، فيعوقه عن التفكير السليم، وينعكس آثاره على السلوك.

وقد ورد لفظ الكبر والتكبر والاستكبار في القرآن الكريم في معرض الذم للذين يتصفون بهذه الصفة في نحو ستين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، فاستكبار إبليس كان سبباً في الاعتراض على أمر الله ومعاندة الحق.

لقد ضرب القرآن أمثلة كثيرة لأقوام وأفراد منعهم الكبر عن التفكير السليم، فأنكروا الحق واتبعوا الباطل، فالوليد بن المغيرة أعجبه كلام الله تعالى في القرآن الكريم حين سمعه، فأثنى عليه ومدحه بأنه: "ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن،

وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وأنه يعلو وما يُعلَى"، ثم دفعه الكبر لإنكار الحق الذي سمعه، وعطل عقله وتفكيره السليم. فقال في القرآن غير الحقيقة التي اعتقدها أولاً، وحجبها بحجاب الكبر؛ فما هو إلا ساحر يفرق بين المرء وزوجه وولده، فجاءت الآيات القرآنية تصف حالته: **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾** (المدرثر: ١٨ - ٢٥).

إن المتكبر يعطل حواسه، فلا ينتفع بالحق الذي سمعه، بل يبحده، ويرفض الإذعان للصواب الذي أقرّ به وتيقن منه، **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجحدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾** (النمل: ١٤)، وقال **تَعَالَى: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ آفَاكٍ أَنبِيًّا ﴿٧﴾ سَمِعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ بُصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَنْ يَسْمَعَهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾** (الجاثية: ٧-٨)، فلمستكبر بعد سماع الآيات المتلوة الواضحة الناطقة بالحق، ومشاهدة الآيات الكونية الواضحة الناطقة بالحقائق، يصر على الضلال، ويتمادى على كفره، ويتعاطم في نفسه عن الانقياد والإقرار بالصواب، وهو أمر مستبعد في العقول السليمة (الزمخشري، د.ت، ٥٠٩/٣).

وبهذا ثبت أن الكبر عائق كبير أمام التفكير السليم، ومانع قوي ضد الأحكام الصائبة، والرؤية الدقيقة للأفكار، وهو نقيض الموضوعية والتجرد في البحث والنظر، ومصدر شك في صحة الاستنتاجات وما يصدر من أحكام ويتوصل إليه من نتائج.

د) الحرص والظن

الحرص: هو الظن الناشئ عن وجدان في النفس مستند إلى تقريب، ولا يستند إلى دليل يشترك العقلاء فيه، وهو يرادف الحزر والتخمين (ابن عاشور، ٨، ٢٨/١٩٨٤). قال تعالى: **"وإن هم إلا يخوضون" (الأنعام: ١١٦)**،

﴿ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٠)، فالحرص هو التفكير الناشئ عن غير علم، بل هو قائم على مجرد الظن، الذي يعرض صاحبه للخطأ، والحرص كما ذهب العلماء مذموم في أصول الاعتقاد لكونها لا تبنى إلا على اليقين، وغير مذموم في المعاملات والفروع العملية إلا إذا أدت إلى المخاطرة والقمار (ابن عاشور، ٢٦، ١٩٨٤/٣٤٣).

أما **الظن**: فيأتي بمعنى اليقين والشك، فهو اسم لما يحصل من إمارة، إن قويت أدت إلى العلم، وإن ضعفت لم تتجاوز الوهم (الأصفهاني، د.ت، ١٣٧)، فيقال علمه بالشيء ظنون: إذا لم يوثق به، والظن في القرآن الكريم ورد بمعنيين: الظن الممدوح بمعنى العلم المبني على الدليل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (البقرة: ٤٥ - ٤٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئْتَةً كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، والظن المحمود يكون في فروع الشريعة وجزئياتها، فلا يشترط في الوصول إلى حقائق الفقه والأحكام العملية في بابي العبادات والمعاملات القطع واليقين بل يكفي غلبة الظن عند المجتهد المفكر، إذا كان محصلاً على أدوات التفكير الاجتهادي (ابن عاشور، ٢٧، ١٩٨٤/١٠٩).

والظن المذموم وهو مجرد وهم لا أمانة عليه، ويضاد العلم اليقيني الصحيح، ويعوق التفكير السليم، لذلك ورد في القرآن الكريم نقيض الحق في أكثر من أربعين موضعاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿النجم: ٢٣﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ﴿النجم: ٢٨﴾.

الخرافات: الخرف: فساد العقل من الكبر، والخرافة: المستملح من الكذب وما يُتَّعجب منه (ابن المنظور، ١٩٦٨-١٩٦٩/٩، ٦٢)، والخرافات: تصورات وأفكار فاسدة لا دليل عليها ولا برهان، يتوارثها الناس فتصبح بمرور الزمن أفكاراً أو عقائد مقدسة، لا يجوز التفكير في عدم صحتها، ولا يجوز مخالفتها والخروج عليها، وغالباً ما تؤدي إلى تفسير المظاهر الكونية والتصرف فيها إلى قوى خفية خرافية تثير في النفوس رهبة وفرعاً يتعارض التفكير السليم، ويعطل العقل، فيلجأ الناس إلى تقديسها وعبادتها انقاء شرها، ولهذا السبب عبدت مظاهر الكون (الهبشان؛ ملكاوي، ١٩٨، ٢٠٠٢).

لقد جاء القرآن بمحاربة جميع الخرافات، فأبطل عبادة سائر مظاهر الكون، وبين أنها مخلوقات الله ومسخرة بأمره لصالح الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)، "قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧)، ومن ذلك ما حصل عندما وافق موت إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسوف الشمس، وكان المنجمون يقولون عن الشمس والقمر: لا ينكسفان إلا لموت عظيم، فأبطل النبي عليه السلام هذه العقيدة الفاسدة، حتى لا يغتر أحد بأقوالهم، فقد جاء في الحديث الذي يرويه الإمام البخاري في صحيحه (باب الصلاة في كسوف الشمس) الجزء الثاني رقم: (١٠٤٠): "حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْرُ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَصَلِينَا رَكَعَتَيْنِ حَتَّى أَنْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بَكُمْ».

ومن أجل إطلاق العقل في طريق التفكير السليم، حارب القرآن أيضاً: السحر والكهانة، والمنجمين المدعين معرفة الغيب، وعبادة الملائكة والجن والبشر والشجر والحجر، لأن الاعتقاد بهذه الخرافات يجعل العقل فريسة لها، ويصعب عليه الفكك منها، ويجعل التفكير مكبلاً بأغلالها، فينسى العلماء والمفكرين المأسورين لمثل هذا قواعد العلم ومناهجه (أبو زهرة، ١١، ١٩٨٠).

إن حرص القرآن الكريم على تحرير الناس من الخرافات، ومحاربة جميع صور الوثنية والشرك، وتعربتها من صفة القدسية، ومنعها من التصرف بمصير الإنسان، والتأكيد على أنها مخلوقة لله ومسخرة للإنسان، إنما جاء من أجل إطلاق الطاقات الفكرية في اتجاهها الصحيح. (المبارك، ٤٣، ١٩٧٨).

إن تعريف القرآن الكريم المسلم بعالم الغيب والإشارة إلى أن مظاهر الكون محكومة بقوانين ونواميس، ينفي وجود أرواح شريرة أو خيرة تحكم هذه المظاهر، فتدمر ما يصنعه الإنسان أو تجلب الحيرات له، ويؤكد أن العقول الراضة للخرافات جديرة بالاكتشافات العلمية التي تسهم في الاستفادة من النواميس الكونية والرقى بالحياة الإنسانية (الهيثان وملكاوي، ١٩٩٠، ٢٠٠٢)، والقرآن بمحاربه لهذه العوائق، وتحرير العقل منها، يتضح أنه أراد تأسيس قواعد متينة وضرورية يعتمد عليها العقل في التفكير السليم، وأن من سيطرت عليه هذه العوائق، فسيكون عقله معطلاً، وتفكيره مقيداً بأغلال قوية، تمنعه من الوصول إلى الأحكام الصحيحة

والعقائد السليمة، والحقائق الدينية والمعارف الدنيوية، بل هو أبعد الناس عن الحق وأقربهم من الباطل.

المطلب الثالث: الجمع بين هداية الوحي والعقل

تختلف موضوعات المعرفة اختلافاً كبيراً، ومن ثم تختلف الطرق التي يعتمد عليها التفكير للوصول إلى الحقائق، ويمكن حصر هذه الطرائق في ثلاثة أقسام هي (حامدي، ٢٠٠١):

أ) ما لا يعلم إلا عن طريق الحواس والتجربة والعقل

ويشتمل هذا القسم على العلوم المادية والكونية والطبيعية التي يتوصل إليها عن طريق العلم المحسوس أو العقل المجرد، كعلوم الفلك، والرياضيات، والفيزياء، والجغرافيا. الخ، وتمتاز بكونها علوماً عقلية بحتة، لذا أطلق القرآن الكريم النظر العقلي فيها، لاكتشاف أسرارها وفوائدها، ومنافعها. وجميع آيات القرآن الكريم التي دعت إلى النظر في أحوال الإنسان والكون شاهدة على ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)، وقوله تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق: ٥)، وقوله أيضاً: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وَالسَّمَاءَ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧ - ٢٠)، وفي هذا القسم تظهر إبداعات العقل وقدراته الخلاقة في تطويع الكون وكشف أسرار لمصالح الخلق والعالم، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بعالم الشهادة، وهو العالم المحسوس المعقول المقابل للعالم الغيبي، لذا تنوعت أساليب القرآن الكريم في استدعاء العقول للتفكير في هذا العالم ترغيباً في كشف أسرارها ومنافعه، كعبارات: "أولم يروا - ألم تر- أنظروا - أفلم ينظروا، أفلا ينظرون - أولم يتفكروا..." (المبارك، ٨٣، ١٤٨١-٨٤).

ب) ما لا يعلم إلا عن طريق الوحي

وهذا القسم يؤخذ من الأدلة السمعية، ولا دخل للعقل فيه إلا في استنباطه وفهم معانيه، وإدراك أحكامه الكلية والجزئية، ويشتمل على مسائل:

المطلب الرابع: الاعتقاد بعالم الغيب

- الذي لا تدركه الحواس ولا يقع تحت التجربة، ولا يدرك العقل حقيقته ولا تفاصيله، مثل: هل هناك حياة وراء هذه الحياة؟، ما هو مصير الإنسان بعد الموت؟، وما هو السلوك الأمثل في حياة الإنسان... الخ، فهذه المسائل وغيرها لا تعرف إلا عن طريق النبوة أو الوحي الإلهي (المبارك، ٨٤، ١٩٨١).

- العبادات التي توجب التوقف عند النص الثابت بالخبر الصادق من الوحي أو النبوة، فهذه العبادات لا يزداد فيها ولا ينقص منها ولا يقاس عليها، فكل من زاد فيها أشرك وابتدع، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٢١) (رضا/ د.ت، ٤٤/٢).

- الحلال والحرام، فلا اجتهاد فيها لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكُفْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤) فالآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يشرع في مسائل الحلال والحرام، بخلاف أحكام السياسة والقضاء فهي منوطة بأولي الأمر (رضا، د.ت، ٣٢٧/٣ - ٣٢٩)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَتَرُونَ﴾ (يونس: ٥٩)؛ فالآية دليل على أن التشريع العملي في مسائل الحلال والحرام هو حق الله وحده، فمن انتحل هذا الحق وتحايل عليه كان مفترياً عليه

(رضا، د.ت، ١١/٣٠٨)، وبهذا يتضح أن هذه المسائل لا مجال للاجتهاد بالزيادة والنقصان فيها، وينحصر دور العقل في التصديق بها، والتسليم لأحكامها من فهم وقناعة لا إكراه فيه ولا تقليد.

ج) ما يشترك في علمه الوحي والعقل

ويشمل هذا القسم كل المجالات التي أباح الله فيها للعقل النظر واستخراج الأحكام من النصوص، سواء فيما ورد فيه نص، أو فيما لم يرد، كما يلي:

- ١ - ما ورد فيه نص (المنصوص)، ويكون ذلك بما يلي:
 - معرفة درجاتها من: وجوب، وندب، وكراهية، وحرمة، وإباحة.
 - معرفة عوارضها من: عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد.
 - إزالة التعارض بينها عن طريق الجمع والتوفيق، كالتخصص والتقييد والتأويل والترجيح بينها عند استحالة الجمع.
- ٢ - ما لم يرد فيه نص، باستعمال القياس، والاستحسان، والاستطلاع، والعرف، وغيرها من أنواع التفكير والنظر الاجتهادي القائم على إدراك العلل والأسباب والمقاصد الشرعية.

وهنا تظهر أهمية استخدام الفكر في معرفة معاني النصوص ومراقبتها، لأن في التشريع مفاهيم كلية وأحكاماً وقواعد عامة، تستهدف مقاصد ومصالح إنسانية مادية ومعنوية، لا يمكن الوصول إليها إلا بفهم عقلي متميز، خبير بأصول الإنسان ومطالبه ومصالحه، كما أن التشريع ليس نصوصاً وأحكاماً معزولة عن حياة الناس وواقعهم، بل هو نظام عملي، لذا كان في حاجة إلى الفكر كأداة للربط بين الشريعة والحياة، والتفكير في هذا القسم هو الذي يجعل الشريعة حيوية خالدة، وقائمة إلى يوم الدين، بما تفتح من آفاق معرفية وفكرية في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وقد ترك العلماء الأوائل تراثاً فكرياً زاخراً كفقهِ النوازل والأحكام السلطانية والقضائية، يشهد على سعة المجال الفكري واتساعه ليشمل سائر ما يحتاجه الإنسان في الآجل والعاجل (الدريني، ٤٧٤، ١٩٨٧).

المبحث الثالث: استراتيجيات تنمية التفكير في القرآن الكريم

ترى الاتجاهات الحديثة في التربية أن التفكير هو أساس جميع المهارات الأساسية، وأن تنمية التفكير ينبغي أن تحتل الصدارة في الأهداف التربوية والتعليمية في مختلف المراحل الدراسية وفي جميع المواد الدراسية (الحارثي ٢٠٠٣-٢١٩). كما يجب على المؤسسات التربوية تهيئة ظروف المتعلمين لتنمية مهارات التفكير لديهم، لأن العقل يحتاج إلى بعض وسائل تمثيل الأشياء والمواقف والنتائج التي يستخدمها ويتعامل معها لحل الصعوبات التي تواجه الأفراد، والمتأمل في أي القرآن الكريم يجد أنه طور منهجية التفكير لدى أولئك الذين يقرؤون القرآن ليتدبروا معانيه ويفهموا ما فيه من الحكم والمعاني الكثيرة، وقد أفاد من القرآن الكريم الكثير من العلماء اللذين وجدوا أن النظر في القرآن طريق لفهم معانيه واستخراج كنوزه، وطريق لتطوير قدراتهم الذهنية، وقد أشار القرآن الكريم إلى استراتيجيات متنوعة لتنمية القدرات العقلية على التفكير، منها:

المطلب الأول: الإشارة إلى المبادئ الفاعلة في عملية التفكير

أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من المبادئ التي تجعل عملية التفكير فاعلة، وأشار إلى بعض الأساليب التي استخدمها لتفعيل هذه المبادئ، ومن أهم هذه المبادئ ما يأتي:

(أ) "قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِهْتِنَانًا يَا بَرِيبَهُمْ ﴾ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿ ٦٣ ﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ ٦٤ ﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿ ٦٥ ﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿ ٦٦ ﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ ٦٧ ﴾﴾ (الأنبياء: (٦٢ - ٦٧)).

إن في هذا الموقف تهكما وسخرية من عقول قوم إبراهيم، وتحريض لعقول عابدي الأصنام على التفكير السليم، واستشعار ضعفها وبطلان عبادتها.
 ب) استخدام أسلوب السؤال، إذ سلك القرآن الكريم في إثارة التفكير استخدام دوافع قوية فعالة؛ من ذلك صيغ الاستفهام الاستنكاري والتقريبي والتوبيخي التقريبي وبخاصة فيما يمس حياة المخاطبين: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿ ٨ ﴾ يَا أَيُّ ذُنُبٍ قِيلَتْ ﴾ (التكوير: ٨ - ٩).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ (النازعات: ٢٧)، وقال أيضاً: ﴿ ائْتَسَّبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُبْرَكَ سُدًى ﴿ ٣٦ ﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَفْثَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِ ﴿ ٣٧ ﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿ ٣٨ ﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿ ٣٩ ﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّمَ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (القيامة: ٣٦ - ٤٠)، وقال أيضاً: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿ ٦ ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (الانفطار: ٦ - ٧).

١ - إثارة الانتباه

ويقصد من ذلك تركيز توجيه الانتباه إلى شيء ما، ثم تنمو وتتحسن القدرة على ذلك بالتدريب والممارسة، والناس يختلفون في قدرتهم على التركيز الفكري، وقد استخدم القرآن الكريم أساليب متنوعة لإثارة الانتباه وتوجيه التفكير، منها:

(أ) تصدير بعض سور القرآن الكريم بالحروف المقطعة (التهجي). كالبقرة، وآل عمران، والأعراف... لجذب انتباه السامعين لما يليق إليهم بعدها من آيات.

(ب) استخدام أسلوب القسم في فواتح بعض السور أو في متنها، كالذاريات والبروج والطارق والتين.. لإثارة الانتباه وتوجيه الطاقات الذهنية للاستماع إلى القرآن والتركيز فيما يأتي.

(ج) الدعوة إلى التأمل والتفكير في بعض الأمور المألوفة المشاهدة: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾﴾ (الغاشية: ١٧ - ٢٠)، فالناس يشاهدون هذه المظاهر وقد ألفوها، ولكن هل استوقفتهم للتأمل والتفكير؟ لذا جاءت الدعوة هنا لذلك لتدريب العقل على تركيز وتوجيه الانتباه القصدي.

٢- إثارة التصور والتخيل

إن استحضار المدركات الحسية والخبرات الماضية في الذهن وتحويلها إلى مجموعة من الصور الذهنية أو خلق صور ذهنية جديدة مبتكرة أمور يختلف فيها الناس من حيث القدرة عليها، وقدرة الإنسان على التفكير السليم تزداد كلما كانت قدرته على التصور والتخيل أكبر، والقرآن الكريم استخدم أساليب فريدة لتنمية القدرة على التصور والتخيل والمقارنة عند الإنسان لوصول إلى الأحكام الصحيحة، منها:

- تصوير المواقف الغائبة بصورة يتخيلها العقل كأنها مشاهدة محسوسة مرئية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الأعراف: ٤٠)، يجعل الفكر يتخيل استحالة دخول الجمل في ثقب الإبرة، فكذلك استحالة دخول الكافر الجنة.

- ضرب الأمثال للمعاني الذهنية المجردة في صور محسوسة مجسدة مشاهدة متخيلة: حتى يرسم العقل في تخيلاته لهذه الأشياء الحسية الصورة التي يسهل عليه

إدراكها وفهمها: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَعْقُبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بِكُمُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٧١)، فالآية تقرب للإدراك طبيعة الكفار الذين يخاطبون بالأدلة، ويجعل الفكر يتمثل حالهم حين لا يفقهون دلالة الخطاب فيعرضون كحال الحيوانات التي تسمع صوت الراعي ولا تفقه.

٣- تحسين البيئة التعليمية يساهم في تنمية التفكير

البيئة هي الظروف التي يعيش فيها الفرد سواءً أكانت مادية أو عقلية أو اجتماعية أو نفسية، وتوفير البيئة المناسبة يساعد على نمو القدرة على التفكير، واستثمار الطاقات إلى أقصى حد ممكن، وتحسين الظروف البيئية للفرد يؤدي إلى تحسين التفكير عنده، ويكون أقدر على التفكير بتركيز وعمق ممن يشغل تفكيره في تحقيق حاجاته الأساسية وتوفير بيئة أفضل، ومن هنا دعا القرآن الكريم لتحسين بيئة الأفراد، وجاء بالتشريعات الكفيلة لتأمين حاجات الناس جميعاً، ومن الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لتحقيق ذلك (الهيثان، ١٠٣، ١٩٩٦-١٠٤):

أ) الدعوة لمواجهة الحاجات المادية للأفراد وتلبيتها من خلال الترغيب بالصدقة والإحسان والإنفاق، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد: ١٨)، "قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٥).

ب) دعوة الإنسان إلى التوجه بعقله وقلبه نحو الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه: ١٣١)، وقال: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص: ٦٠).

ج) معالجة الإضطرابات النفسية بالتوجيهات الإيمانية من تلاوة للقرآن وعبادة.. وغيرها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢)، فالقرآن الكريم شفاء من الخلل في الشعور والتفكير، وهو يعصم العقل من الشطط (قطب، ، ج١٥ / ٢٢٤٨).

د) حفظ المسلم من الاكتئاب الذي يعيق التفكير بترسيخ أن ما يجري في الكون إنما يجري بعلم الله وإرادته ومشئته: قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٤) " (الحديد: ٢٢-٢٤)، فالؤمن يفكر ويتدبر دون أن تغتال الاضطرابات والهموم قلبه.

٤ - استخدام مبدأ التكرار

التكرار من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها التنوع والثراء الذي تتصف به الجودة، وهو إعادة الكلام إذا اقتضت الحاجة حتى يدركه جميع السامعين ولا يفوت أحدهم بعضه، والتكرار ثابت في القرآن الكريم دلت نصوص الآيات على أهميته، قال تعالى: " ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥) ، والتكرار أيضاً يعالج مشكلة النسيان وقصور الفهم، ويفرض الإقناع العقلي، والنماذج على التكرار في القرآن الكريم عديدة منها:

أ) تكرر الأفكار والانفعالات مصحوبة بالسلوك المثالي الذي تتطلبه تلك الأفكار والعواطف المثارة: ويبدو ذلك جلياً في سورة الرحمن بتكرار قوله تعالى: ﴿ قَائِلًا آءِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن: ١٣) " إحدى وثلاثين مرة في السورة، حيث يذكرنا الله بنعمه ودلائل قدرته، بادئا من الإنسان وقدرته على التعليم، إلى ما سخر

الله له من مظاهر الكون والنعم، وعند كل آية يضع القرآن الإنسان أمام الحس الوجداني وصوت القلب، فلا يستطيع إنكار ما يحس به ويستجيب له قلبه وعقله (النحلوي، ٢٣، ١٩٨٣، ٢٤-).

(ب) تكرار الحديث عن كثير من المعاني والتوجيهات الإلهية التي تقتضي التفكير: مثل؛ كيفية خلق الإنسان، خلق الأنعام للركوب والزينة والانتفاع بأصوافها وأشعارها وألبانها، خلق السموات والأرض والنجوم وجعل الجبال رواسي.. إلخ.

(ج) تكرار القصص القرآني الحامل لمعاني العظة والعبرة في العديد من السور مع الاختصار تارة، والإطالة تارة أخرى: بصور وأساليب متنوعة، منبهاً إلى أن المعنى المستفاد يختلف باختلاف السياق، مما يدل على تعدد المقاصد عند تكرار القصة، لأن المتدبر يلحظ الأنماط المحتملة، والصيغ التي يمكن أن تتعدد، ثم يلحظ التغيرات المطلوبة لتحقيق الانسجام مع السياق من حيث المعنى والجوهر ومن حيث الشكل البلاغي الذي تتجلى فيه المعاني، كما ويلاحظ البدائل الممكنة من أجل خطاب مؤثر ومنتج، وواضح ذلك في قصص الأنبياء، وقصص الأمم السابقة... إلخ.

المطلب الثاني: إبراز طرائق وأساليب تدريس تنمية التفكير واساليب إثارته

إن من عناية القرآن الكريم بالعقل دعوته للربط بين أساليب التدريس وتنمية التفكير، ومن طرائق تنمية التفكير وإثارته التي جاءت في القرآن الكريم، ما يأتي:

١- طريقة الاستقصاء

وهي طريقة تعليمية منطقية تهدف إلى أحداث التعليم الذاتي، وتقوم على إكساب المتعلم الأسلوب العلمي في التفكير المعتمد على البحث والنظر والتقصي والاستدلال، والقرآن الكريم أشار إلى هذه الطريقة، ومارسها سيدنا إبراهيم عند دعوة قومه لعبادة الله تعالى، ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾
 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
 ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفُورُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا
 تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ (الأنعام: ٧٥ - ٧٩)."

فسيدينا إبراهيم أراد بهذه الطريقة أن يعلم قومه طريقة التفكير السليم في الوصول إلى خالق الكون ومبدعه، واكتساب مهارات معالجة المعلومات وتقويمها وصولاً إلى حل المشكلة، والاستقصاء من طرائق التدريس التي تجعل المتعلم مركز الفاعلية، لأن إبراهيم عليه السلام وضع نفسه وقومه في موقف تعليمي يوجب عليه وعليهم التفكير، وتطوير قدرات التفكير لديهم من خلال إعادة المعرفة وتنظيمها، وتوليد الأفكار واستنتاجها وتطبيقها على مواقف الحياة، والمتعلم كي ينمو تفكيره وفق هذه الطريقة عليه استيعاب المفهوم ثم تفسير المعلومات ثم التطبيق، فيصل بذلك إلى مرحلة التفكير الناقد للخبرات التي يوجهها في حياته أو مؤسسته التعليمية أو الفصل الذي يدرس فيه (محبوب، ١٦، ٢٠٠٦).

٢ - طريقة الحوار والمناقشة

وهي طريقة هادفة تقود الإنسان إلى الصواب بدعوته إلى التفكير السليم والبحث والنظر، وتمتاز بمراعاة عقول ومقتضيات أحوال المخاطبين، والقرآن الكريم أولى الحوار أهمية بالغة في مواقف التعليم، وجعله الإطار الفني لتوجيه الناس وجذب عقولهم، ومنهajaً عاماً للإقناع وإقامة الدليل وكشف الغموض (محبوب، ٢٠، ٢٠٠٦)، وفي القرآن الكريم الكثير من أشكال وأنماط الحوارات بين كافة المستويات، منها:

أ) توجيه الله تعالى الأنبياء لفن الحوار: بقوله: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٣ - ٤٤).

ب) أن يعلم الله تعالى نبيه فن الحوار: من ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

ج) حوار الأنبياء والرسل مع أقوامهم وأهليهم: بقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأُوذَىٰ فِي الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ ﴿٤٣﴾ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤٢ - ٤٣).

د) حوار الله تعالى مع:

- الملائكة، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

- الأنبياء، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَال سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحِجَابٍ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦).

- إبليس، بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَىٰ أَن تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢).

(د) دعوة أهل الكتاب ومحاورتهم، بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

(هـ) حوار أهل الجنة أهل النار بقوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠).

(و) حوار الإنسان مع:

- الحيوانات، بقوله تعالى في محاورة الهدهد مع سليمان عليه السلام:

﴿ فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتِكَ مِنْ سَبِيلِ بَنِي يَاقِينَ ﴾ (النمل: ٢٢).

- الحوار بين الإنسان وأعضائه التي تشهد عليه يوم القيامة بقوله:

﴿ وَقَالُوا لِيُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١) (فصلت: ٢١)، وهناك نماذج رائعة من الحوار والمناقشة في آيات القرآن تظل دروساً خالدة تعلم الإنسان التفكير من جميع أبوابه، وتبرز القواعد الأساسية في تعليم التفكير، ويبقى القرآن الكريم الوسيلة الأعظم لتعليم ذلك (النحوي، ٤٣ - ٤٤-٢٠٠٠).

٣- طريقة القصة

القصة في القرآن: حكاية نثرية هادفة مستمدة من الواقع والخيال الصادق الذي حدث فعلاً، جاءت علاجاً لواقع البشر، وهي أسلوب تربوي فعال في اكتساب المعرفة وبناء القيم والاتجاهات واكتساب المهارات، تزيد القارئ أو السامع شوقاً وانتباهاً وتلهفاً على الحل أو النتيجة، وقد شغل القصص القرآني حيزاً كبيراً ومساحة واسعة

من سور القرآن وآياته، تميز بالإقناع الفكري بموضوع القصة عن طريق الإيحاء والاستهواء وتقمص الصفات، وعن طريق التفكير والتأمل والحوارات الفكرية المدعومة بالحجة والبرهان التي تتخلل القصة وتدور بين أبطالها لتظهر الإقناع العقلي المنطقي.

اشتمل القرآن الكريم نماذج عديدة من القصص، لإبراز الحقيقة الكبرى وهي وحدة الرسالات وإثبات الوحي والرسالة ومن أجل بث العقيدة في النفوس، والكشف عن السنن الاجتماعية، وتصوير الصراع بين الحق والباطل، وتثبيت الرسول عليه السلام وأصحابه، وقد تضمن القصص القرآني: (الحوالدة، وعيد، ٢٩٧، ٢٠٠٣):

- جوانب معرفية عن الكون، فمثلاً قصة نوح عليه السلام تدعو إلى التفكير في الآيات الكونية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَعَى سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِأَنَاءٍ ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لَتَسْلُكُوهَا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ "نوح: ١٥ - ٢٠".
- الجوانب النفسية، كما في موقف امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝٢٣ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۝ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝٢٤ وَأَسْتَبَقَا الْآبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْآبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥﴾ "يوسف: ٢٣ - ٢٥".

- عرض نماذج كثيرة لفريق الأنبياء والمرسلين في منهجهم التربوي، فقصة يوسف عليه السلام مع إخوته وأبيه تظهر أثر المحبة من الأب لأحد أبنائه دونهم، وفي

قصة موسى عليه السلام يتجلى لنا فضل العلم والرحلة في طلبه، وقصة أصحاب الكهف تكشف أهمية الفرار من الفتنة في الدين والهجرة إلى الله رب العالمين، وقصة ذي القرنين ومروره بياجوج ومأجوج دليل على قرب الساعة.

٤ - طريقة ضرب الأمثال

المثل هو قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، والتمثيل هو تقديم الأفكار والمعاني بصورة مثل يضرب لتجسيد تلك الأفكار، وهو وسيلة تربوية لإيضاح ما كان غامضاً، وأهم وظائفه؛ الكشف عن المعنى المراد، وتقريب المعاني إلى الأذهان عن طريق تشبيه الأمور المجردة بالأمور الحسية.

لقد اشتمل القرآن الكريم على بضعة وأربعين مثلاً، تتمثل بـ:

(أ) الدعوة إلى استخدام الأمثال وعدم الحرج في ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦).

(ب) اعتماد الأمثلة على التشبيه والاستعارة، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَدْعُو بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٧١).

(ج) حث السامعين على المقارنة والقياس مما يقود إلى تربية العقل، مثل تشبيه الزبد بالباطل، ويترك للإنسان بعد ذلك فرصة الوصول إلى النتيجة بنفسه عن طريق التفكير، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ

فِيذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

(الرعد: ١٧).

(د) عرضه لنماذج كثيرة من ضرب الأمثال، مثل:

- تشبيه شيء يراد بيان حسنه أو قبحه بشيء مألوف حسنه أو معروف حقارته، قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١).

- ذكر حال من الأحوال ومقارنتها بحال أخرى مع وجود جامع بينهما لبيان

الفارق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَإِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾ (محمد: ١-٣).

- بيان استحالة التماثل بين شيئين، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

فَأَسْتَجِئُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (الحج: ٧٣).

المطلب الثالث: إتقان المهارات اللغوية

اللغة ليست وسيلة للتخاطب والاتصال فحسب، فهي النظام الأساس الذي يستخدمه الإنسان في التفكير، ورموزها التي يتحدث بها الناس هي نفس الرموز التي يفكرون بها، والكلمات التي يكون الإنسان منها مفاهيمه المجردة يستفيد منها في القدرة على التخيل والتذكر والإدراك الحسي، وإدراك العالم وكشف حقائقه وتحديدتها،

فاللغة تعد القوام الفعلي للتفكير، وأداته التي تؤثر فيه وفي عملياته، إذ تحفظ المعاني من الضياع، وتسهل تذكرها، وتميزها عن غيرها. (البدري، ١٩٩٢، ٢١٢٢).

وإن العلاقة بين اللغة والتفكير وثيقة جداً، وأن مرد الأخطاء في التفكير يعود إلى سوء استخدام الدلالات اللغوية، وأن الأشخاص يختلفون في إدراكهم للعالم باختلاف تكوين اللغة وتركيبها، وأن اللغة تختصر التفكير وتجعل الفرد يستخدم العبارة القصيرة لتوضيح مفهوماً معقداً، وأن الشخص الذي تدرّب على استخدام اللغة سيكون أكثر ارتباطاً في التفكير المجرد العميق وأكثر تقدماً في ذلك من غيره.

لقد عبر القرآن الكريم عن اللغة ودورها في تكوين التفكير، واختص بها كأداة

للتعبير الإنساني وفضله بها عن كثير من المخلوقات، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ

الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ﴾ (الرحمن: ١-٤)، والبيان الذي يدور

عليه تعليم القرآن؛ هو التعبير عما في الضمير بالكلام الواضح، والقدرة على فهم

كلام الآخرين (أبو السعود، د.ت، ١٧٦/٨)، والبيان الذي علم الله به الإنسان، إنما

كان بتعليم آدم الأسماء جميع الأشياء، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ۚ﴾

(البقرة: ٣١)، وفي مجال الربط بين القرآن الكريم واللغة استخدم اللغويون مصطلح

التدبر في كل تأمل سواء أكان نظراً في حقيقة الشيء أو أجزائه أم في سوابقه وأسبابه،

أم في لواحقه وأعقابه، لذلك فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، ويقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(الزخرف: ٣)، ويقول أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ

فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم: ٤)، فبين الله

تعالى أنه أنزل القرآن الكريم عربياً حتى يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه،

لذلك ربط القرآن الكريم بين اللغة والفهم، حتى نفكر في النصوص القرآنية على

أساس اللسان العربي، لأن مراعاة اللغة وارتباطها بالمعنى هو أسمى القواعد المنهجية لفهم معاني النصوص وألفاظها. (الكردي، ٧٩ - ٨٠).

لقد ركز القرآن الكريم على مبدأ المحافظة على اللغة العربية لأنها الوسيلة الوحيدة التي تمكن المسلمين من فهم القرآن الكريم والعمل بمقتضاه، وأن الضعف في اللغة العربية يؤدي إلى الضعف في فهم القرآن وبالتالي الضعف في التفكير (آل سعود، ١٩٨٣)، فكلما أتقن الإنسان اللغة كان ذلك عوناً له على إتقان مهارة التفكير السليم، وعلى القدرة على التعبير عن الأفكار ونقلها للآخرين بوضوح تام، والاستماع لهم والمشاركة الفعالة في كل حوار بناء للتوصل إلى نتائج فكرية صحيحة، وبهذا رسم القرآن الكريم المنهج المتكامل للتفكير السليم والحكم الصحيح (الهيثان، وملكاوي، ٢٠٠٢، ٢٠٢).

المطلب الرابع: الإحاطة بالمفاهيم والمعلومات المتعلقة بموضوع التفكير

إن من الأمور الضرورية، الإحاطة بجميع المفاهيم والمعلومات المتعلقة بموضوع التفكير للتوصل إلى نتائج صحيحة، وإصدار أحكام صائبة في الموضوع المفكر فيه، والنظرة الجزئية للمفاهيم والمعلومات يؤدي إلى نتائج خاطئة، وإصدار أحكام زائفة وغير مقنعة، والقرآن الكريم يؤكد على أهمية تناول الظاهرة من جميع جوانبها قبل إصدار الحكم عليها، قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (النمل: ٢٢)، وقد أمر القرآن بالتروي ونهى عن التسرع في إصدار الأحكام قبل الإلمام بالأمر من جميع جوانبه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، أي لا تتبع ما لا تعلم وما لا يعينك (القرطبي، ج ١٠، ص ١٦٧).

الخاتمة

بعد الانتهاء من إعداد هذه الدراسة بحمد الله تعالى وفضله يمكن استخلاص وعرض أهم النتائج التي كشفت عنها الدراسة:

١- إبراز دعوة القرآن إلى إثارة التفكير من خلال ارتفاع نسبة آيات القرآن التي تدعوا إلى التفكير، واستخدام القرآن العمليات العقلية للتفكير، والتنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر التكليف، واستخدام القرآن الرياضيات، ودعوة القرآن للتفكير في ذاته لفهم معانيه، وامتداح القرآن أصحاب التفكير وذم من لا يفكرون، ودعوة القرآن للتفكير في المخلوقات.

٢- وضع القرآن ضوابط ترشد عملية التفكير منها: بناء التفكير على الدليل والحجة، التحرر من العوائق التي تعطل التفكير (التقليد، اتباع الهوى، الكبر وغمط الحق، الخرص والظن، الخرافات)، والجمع بين هداية الوحي والعقل.

٣- اشتمل القرآن على استراتيجيات لتنمية التفكير، منها: الإشارة إلى بعض المبادئ الفاعلية في عملية التفكير (إثارة الدوافع والانفعالات، إثارة الانتباه إثارة التصور والتخيل، تحسين البيئة التعليمية، استخدام مبدأ التكرار) إبراز طرائق وأساليب تدريسية تنمي التفكير وتثريه (طريقة الاستقصاء، طريقة الحوار والمناقشة، طريقة القصة، طريقة ضرب الأمثال)، إتقان المهارات اللغوية، والإحاطة بمفاهيم ومعلومات الظاهرة بموضوع التفكير.

التوصيات

في ضوء النتائج السابقة فإن الدراسة توصي بما يأتي :

- ١- إيراد الآيات القرآنية الداعية إلى إثارة التفكير في جميع المناهج الدراسية والاهتمام بها تلاوة وحفظاً وفهماً.
- ٢- الأخذ بالتوجيهات التي تم التوصل إليها لتنمية التفكير، والالتزام بالضوابط التي ترشد عملية التفكير، والتحرر من العوائق المعطلة، والجمع بين هداية الوحي والعقل لإدراك الحقائق.
- ٣- إعادة النظر في أساليب تعليم القرآن وتعلمه، والاستفادة من استراتيجيات القرآن في تنمية التفكير في العملية التعليمية.
- ٤- إجراء دراسات تربوية حول: التفكير في السنة النبوية.

المصادر والمراجع

- [١] البدري، مالك - (١٩٩٢). التفكير في المشاهدة إلى الشهود، ط٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- [٢] البيهقي، أبو بكر- (١٩٨١). الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، بيروت: دار الآفاق.
- [٣] الجرجاني، علي بن محمد - (١٩٨٣). التعريفات، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- [٤] الحارثي، إبراهيم بن أحمد مسلم (١٤٢٤ - ٢٠٠٣)، تعليم التفكير، ط٣، الرياض: مكتبة الشقري.

- [٥] حسن، زينب - (١٩٨٧) *التنمية العقلية في القرآن*، تونس: المنظم العربية للتربية والثقافة والعلوم، كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ.
- [٦] خليل، عماد - (١٤٠٣ - ١٩٨٣). *مدخل إلى موقف القرآن من العلم*، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- [٧] الدريني، محمد فتحي - (١٤٠٧-١٩٨٧). *خصائص التشريع في السياسة والحكم*، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- [٨] الدسوقي، فاروق أحمد - (١٩٨٧). *الإسلام والعلم التجريبي*، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي.
- [٩] رضا، محمد رشيد (د.ت). *تفسير القرآن الحكيم*؛ بيروت: دار المعرفة.
- [١٠] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر- (د.ت). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجود التأويل (تفسير الكشاف)*. طهران: منشورات أفغان.
- [١١] ابو زهرة، محمد - (١٩٨٠). *تاريخ الجدل*، ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي.
- [١٢] ابو سعود، محمد بن محمد الصمادي - (د.ت) *أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- [١٣] الشافعي، إبراهيم محمد - (١٩٩٣). *التربية الإسلامية وطرائق تدريسها*، ط٣، الكويت: مكتبة الفلاح.
- [١٤] الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد - (د، ت). *المفردات في غريب القرآن*، بيروت: دار المعرفة.

- [١٥] صلاح، سمير يونس أحمد، والرشيدي، سعد محمد - (١٤٢٠-١٩٩٩) التربية الإسلامية وتدرّيس العلوم الشرعية، الكويت: كلية الفلاح.
- [١٦] ابن عاشور، محمد الطاهر- (١٩٨٤). تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.
- [١٧] عبد الباقي، فؤاد - د.ت، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- [١٨] عبد العزيز، سعيد - (٢٠٠٦). تعليم التفكير ومهاراته، ط١، عمان: دار الثقافة.
- [١٩] العقاد، عباس محمود (١٩٧١-١٣٩١) - التفكير فريضة إسلامية، ط٢، بيروت: دار الكتاب.
- [٢٠] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (١٣٨٧-١٩٦٧). الجامع لأحكام القرآن، ط٣، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- [٢١] قطب، سيد - (١٩٧١-١٣٩١). في ظلال القرآن، ط١، بيروت دار إحياء التراث العربي.
- [٢٢] الكبيسي، عبد الواحد حميد - (١٤٢٧-٢٠٠٦) دعوة للتفكير من خلال القرآن، ط١، عمان: دار ديونو.
- [٢٣] ابن كثير، إسماعيل - (١٣٨٨-١٩٦٩). تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- [٢٤] الكناني، منذر إبراهيم - ٢٠٠٧ مقدمة في علم التقليد ط١. عمان
- [٢٥] المبارك، محمد - (١٩٨١-١٤٠١). الإسلام نظام العقيدة والعبادة. بيروت: دار الفكر.

- [٢٦] مبارك، محمد - (١٩٧٨). *الإسلام والفكر العلمي*، ط ١، بيروت: دار الفكر.
- [٢٧] محاسبي، الحارث بن أسد - (١٩٧٨). *العقل وفهم القرار*، تحقيق: حسين القوتكي، بيروت: دار الكندي.
- [٢٨] محبوب، عباس - (٢٠٠٦)، *طرائق تدريس العلوم الإسلامية*، عمان: جدارا للكتاب العالمي.
- [٢٩] محبوب، عباس - (٢٠٠٦)، *نصوص تربوية من القرآن الكريم والسنة والنبوية*، عمان: جدارا للكتاب العالمي.
- [٣٠] مسلم، مسلم بن الحجاج، (١٩٩٩). *صحيح مسلم*. بيروت. دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- [٣١] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم ١٣٨٨-١٩٦٨. *لسان العرب*، بيروت: دار صادر.
- [٣٢] النحلوي، عبد الرحمن - (١٩٨٩). *التربية بالآيات*، بيروت: دار الفكر.
- [٣٣] النحوي، عدنان علي رضا - (١٤٢١ - ٢٠٠٠) *النهج الإيماني للتفكير* ط ١، الرياض: دار النحوي.
- [٣٤] الهيشان، محمود (١٩٩٦). *جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة. جامعة اليرموك.
- [٣٥] الهيشان، محمود، ملكاوي، محمد - (٢٠٠٢). *منهج القرآن في تنمية التفكير*، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية "مجلد ١٨" (عدد ٢).
- [٣٦] اليمني: هدى عبد الرحيم قاسم - (١٤٠٥ - ١٤٠٦). *التربية العقلية في القرآن الكريم*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية.

Thinking in the Holy Quran: Contents Disciplines and its Development Strategies

Dr. Ahmad Mohammed Najadat¹, and Dr. Hassan Mohammed Al Omari²

1 Assistant Professor of curriculum and teaching methods of Islamic Education
Yarmouk University. Faculty of Education, Department of elementary Education.

2 Assistant Professor of curriculum and teaching methods of Islamic Education
Department of Dawah and Islamic Culture, College of Sharia. Qassim University

Abstract. This study aimed to explicate the content and implications of the Quran's invitation to reflect and contemplate, and also to identify controls, perspectives and guidelines of thinking in the Quran. Furthermore, the study aimed to highlight the strategies outlined for the development of thinking in the Quran, and presents an attempt to refute and respond to those who have described Quran of rigidity and referred to as the major cause of backwardness of Muslims. The study also sought to illustrate the resolute invitation of Quran for thinking, reasoning and reflecting through urging the man to utilize the faculty of mind that God has characterized him over the rest of his creatures to be eligible to succeed him in this land. Based on the directives and the findings, the current study adopted various recommendations that were brought forward for readers and teaching curricula developers to embrace. The Quranic verses that call for thinking should be incorporated outstandingly into the teaching curriculum, and the study steadily urged to employ the strategies of thinking in Quran in the development and improvement of the educational process

أوجه الاتفاق و الافتراق بين الأديان الكتابية في الشرائع والشعائر في ضوء القرآن الكريم

د. أحمد سليمان البشارية

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدعوة وأصول الدين، قسم أصول الدين

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى الكشف عما بين الأديان الكتابية من وجوه الاتفاق والافتراق في الشرائع والشعائر، إذ الأصل في الأديان المتفقة المصدر -على افتراض صحة دعوى أصحابها أنها أديان سماوية- أن تكون على قدر كبير من التوافق في أصول تشريعاتها وشعائرها لما يفترض أن تكون على قدر من التوافق في المقاصد والأهداف المؤدية إلى قسط من التوافق في الشرائع فضلا عن عدم التنافر والتباعد، وإن تباينت في بعض الفروع والجزئيات التي يقتضيها اختلاف الزمان وتباين البيئات. وذلك من خلال البحث فيما عليه واقع هذه الأديان من الصور العامة للشرائع والشعائر والنظر في مدى ما بينها من التقارب أو التباعد.

تناول هذا البحث الخطوط العامة للشرائع والشعائر التي اشتملت عليها الأديان الكتابية، مبينا ما تلتقي وما تفترق فيه في هذا المجال، كما أبان عن السمات البارزة التي يتميز بها كل دين مما يعد من شعائره ومعالمة التي تعبر عنه وتكشف عن خصوصياته، ولم تتعرض هذه الدراسة لما بين الأديان من وجوه الاتفاق والافتراق في الأصول والعقائد، فإنها تستحق دراسة مستقلة.

ولعل هذه الدراسة تكشف بصورة مباشرة وغير مباشرة عن معالم وحدة المصدر لهذه الأديان التي لا تزال آثارها ماثلة. كما تكشف عما حوته من صور الاختلاف والتباين التي تجعل لكل دين معالمة الخاصة، وتظهر بعض أسباب الاختلاف، وصورها الدالة على العبث البشري في كل من اليهودية والنصرانية، وتسلب الضوء على جانب من العلل المستعصية في حياة البشرية.

مقدمة البحث

تنوعت المناهج والأساليب في دراسة الأديان ومقارنتها؛ فمن دارس لكل دين على انفراد في كتاب خاص، ومن مستوعب للحديث عن أكثر ما عرف بين الناس من الأديان والملل في كتاب واحد؛ ككتاب الملل والنحل للشهرستاني، أو كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، مع التفاوت فيما بينها في الاستيعاب للعناصر والمضامين. ومن دارس لقضية من قضايا الدين عند بعضها أو أكثرها، وهناك دراسات خاصة لأديان محددة من حيثيات متعددة منها؛ مدى التوثيق لمحتواها، أو نماذج وصور من الصراع والجدل بينها، وأكثرها نصيباً وأهمية في هذا المجال هي الأديان السماوية، لتعلقها بكتاب سماوي، ولأنها أكثر أثراً في حياة الإنسان من نواح عديدة، من أبرزها أن الاختلاف بينها من أبرز عوامل الصراع البشري ومحركاته، ولأنها الأغلب انتشاراً في أنحاء المعمورة، ولما للشرائع والشعائر على وجه التحديد من أثر في صياغة المعالم الاجتماعية وبناء القيم والأعراف التي تميز الشعوب والمجتمعات، لذا أثرت أن أسلط الضوء في هذا البحث على الشرائع والشعائر التي تشتمل عليها هذه الأديان الثلاثة ولأنها المعالم البارزة التي تتميز بها الأديان ويظهر تباينها، ولتقف على ما يريد كل منها من الإنسان الذي هو المقصود الأعظم، من حيث ما يراد منه وله، ومدى قدرة هذه التكاليف على تلبية حاجات الإنسان وأغراضه وتحقيق سعادته وعلى أي مستوى من الشمول أو المحدودية. مجتهداً ما وسعني الجهد أن أستدل على مضامين هذا البحث بآيات من القرآن الكريم.

ويعد هذا البحث مكملاً لدراسات أخرى تدور حول وجوه الاتفاق والافتراق

بين الأديان الكتابية الثلاثة في أصولها النصية ومذاهبها الاعتقادية.

وقد جاء هذا البحث مشتملا على مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي :

١ - المقدمة.

٢ - الفصل الأول: مقدمات حول التشريع ، ويشتمل على تمهيد وثلاثة

مباحث :

التمهيد.

المبحث الأول: أصل الشرائع وأسباب الخلاف بينها.

المبحث الثاني: النسخ؛ مفهومه، وموقف الأديان منه.

المبحث الثالث: مصدر التشريع.

٣ - الفصل الثاني: وجوه الاتفاق والافتراق في الشرائع والشعائر ويشتمل

على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الاتفاق العام.

المبحث الثاني: أوجه الافتراق في العبادات والشعائر.

المبحث الثالث: أوجه الافتراق في الحلال والحرام.

٤ - الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

الفصل الأول: مقدمات حول التشريع

تمهيد

الشريعة: هي الطريقة المستقيمة المشتملة على العبادات والمعاملات والحلال والحرام، التي شرعها الله لعباده^(١). وتتفرع عنها الشعائر وهي المعالم البارزة التي يقع

(١) انظر: زيدان: د.عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، بغداد، مؤسسة

الرسالة، مكتبة القدس، (ط٩)، ص ٣٨-٣٩.

بها الإشهار وهي: "ما جعل علما لطاعة الله سبحانه"^(٢)، وكلاهما مكمل للعقيدة؛ حيث إن العقيدة تبين الأحكام الاعتقادية، والشريعة تبين الأحكام العملية. وكلاهما يمثل هدي الله تعالى لعباده الذي وعدهم به ابتلاء منذ أهبط آدم إلى الأرض وجعلها دار اختبار، حيث قال سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٣ - ١٢٤)، وقال: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٨ - ٣٩)، بهذا الوعد الذي وعد الله تعالى بإرسال الرسل وإنزال الكتب يضمن فيه لمن اتبع هداه بأن آمن به وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، وتكفل لهم أن لا يفوتهم شيء من الدنيا فيحزنون عليه، ولا يزعجهم شيء من أهوال الآخرة فيخافون منه^(٣). وتوعد من أعرض عن ذلك معيشة الضيق والشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة. ولهذا كانت شرائع السماء تستهدف الإنسان وتجعلهم فريقين بحسب استجابتهم أو إعراضهم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢)، وترتب على ذلك سعادة أو شقاء في

(٢) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، معجم ديوان الأدب: تحقيق د. أحمد مختار عمر، القاهرة، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر: ٤٢٩/١. وانظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، دار صادر، ٤/٤١٤. وفي الخطاب الديني المسيحي يُشار إلى الشعائر بكلمة «الطقوس» ومفردتها «طقس»، وهو نظام الخدمة والصلوات والاحتفالات الدينية. دكتور عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: مجلد ٥، ج ٢، باب ١١.

(٣) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ١٣٦٧هـ ١٩٦٧م، القاهرة، (ط ٣) ج ١ ص ٣٢٨، ج ١١، ص ٢٥٨-٢٥٩.

الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥)، وتمثل ذلك الهدي برسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فما من أمة إلا خلا فيها نذير، حيث بعث الأنبياء بأصول واحدة في العقائد وأصول العبادات ومكارم الأخلاق، وتحريم المفسد والمنكرات مما تلتقي فيه العقول السوية والفطر السليمة^(٤)، وإن اختلفت في بعض الفروع والكيفيات، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)، وخص هؤلاء الأنبياء بالذكر لأنهم أصحاب الشرائع^(٥)، ولم يبق معروفًا من هذه الشرائع إلا ما ينسب إلى موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وما بعث محمد ﷺ إلا من بعد ما اختلف اليهود والنصارى واتبعوا أهواءهم فبعث بشريعة مستقيمة وأمر باتباعها ومخالفة الذين يتبعون أهواءهم قال تعال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتَّنْبُؤَةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الحجاثية: ١٦ - ١٨) أي "أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم

(٤) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١١.

(٥) المصدر نفسه.

على بعض. ثم جعل محمدا ﷺ على شريعة شرعها له وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون: كل من خالف شريعته" (٦).

المبحث الأول: الاختلاف في الشرائع وأسبابه

لما كان مصدر الدين واحداً كانت العقيدة عند الأنبياء واحدة، لأنها تتحدث عن الحقائق الثابتة، وأما الأحكام العملية فتختلف من شريعة إلى أخرى بعض الاختلاف قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)، وقال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) (٧)، ومعنى الحديث أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع (٨). وهذا الاختلاف الذي تذكره هذه الآية يعود إلى ما تقتضيه مصلحة التشريع، ويعود سبب هذا الاختلاف إلى الأمور التالية:

- ١ - تنزلت الشرائع لتحقيق مصالح العباد وهذه المصالح لا تختلف في الأصول التي تجمع على حفظ الضروريات الخمس، ولكنها تختلف في الفروع باختلاف العصور والبيئات والمجتمعات.
- ٢ - التباين في مستوى تطور الحياة البشرية من عصر إلى عصر مع ما يصحبه من اختلاف في القيم والأعراف.

(٦) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام (المتوفى: ٧٢٨هـ) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ٩٨/١.

(٧) البخاري: محمد بن إسماعيل (توفي ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم، طبعة بيت الأفكار مع شرحه، حديث رقم: ٣٤٤٣).

(٨) انظر: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (توفي ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الرياض بيت الأفكار الدولية. المؤلفون للتوزيع، (ط١)، م ٢، ص ١٥٨٩.

٣ - اختلاف طبائع البشر بين القسوة واللين ومدى استجابتهم للأوامر الإلهية؛ فقد تكثر المعاصي في قوم فتنزل عليهم أحكام مشددة عقوبة على معاصيهم.

٤ - تختلف باختلاف عمومها وخصوصها فالشريعة الخاصة لقوم محدودين تعالج قضاياهم خاصة وأما الشريعة العامة للإنسانية فلا بد أن تكون أوسع لتعالج القضايا على مستوى بشري واسع، لا تتقيد بضوابط الزمان والمكان.

ويترتب على ذلك فوارق عديدة بين الشرائع في الأديان السماوية الثلاثة؛ ذلك لما بينها من التفاوت الزمني، كما أن اليهودية والنصرانية نزلتا إلى بني إسرائيل خاصة، وأما الإسلام فهو للناس كافة، قال ﷺ: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبلي بعثت إلى الأحمر والأسود وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)^(٩). ويترتب على ذلك أن تكون ناسخة لما قبلها، كي لا يقع التعارض فيما يطلبه الله من عباده، والإقرار بهذه الحقيقة يدور مع الإقرار بمصدر الإسلام أو عدمه.

وإذا تعدى الخلاف هذه الأسباب وتزايد حتى أصبح مخالفا لما تقتضيه المصلحة مصادما للفطرة مناقضا لأصول الشرائع التي لا يستقيم دين إلا بها دل على تدخل الأهواء وتحريف الدين عن مقاصده.

المبحث الثاني: الاختلاف حول موضوع النسخ

يطلق النسخ في اللغة ويراد به أحد معنيين هما؛ الأول: النقل أي نقل الشيء من مكان إلى مكان، ويتضمن معنى كتب الشيء عن معارضه، أو كتب كتاب من

(٩) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب ١، حديث رقم ٣٣٥، كتاب الصلاة، باب ٥٦، حديث رقم ٤٣٨، ابن حنبل: الأمام أحمد، المسند: ٣/٣٠٤، أحمد عبد الرحمن البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، القاهرة، دار الشهاب، كتاب التيمم، باب اشتراط دخول الوقت، رقم ٦ ج ٢، ص ١٨٧.

كتاب، وفي التنزيل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُتِبَ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمانية: ٢٩)، أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله.

الثاني: الإزالة، وتتضمن إبطال الشيء وإقامة آخر مكانه، ومنه قول العرب نسخت الشمس الظل إذا أزالته وحلت محله، ومنه في التنزيل: ﴿مَا نَسَخْنَا مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة: ١٠٦) فالثانية ناسخة والأولى منسوخة^(١٠).

وأما المعنى الاصطلاحي: "فهو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ عنه"^(١١). وهو كما ترى لا ينفك عن صلة بالمعنى اللغوي. والنسخ قسمان منه نسخ أحكام الشريعة السابقة بشرعية لاحقة، ومنه نسخ أحكام شرعية بأحكام أخرى من نفس الشريعة^(١٢)، وهذا ما قال المسلمون بوقوعه بقسميه. للآية السابقة، ولقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)، وهذا يعني أن شريعة الإسلام ناسخة للشرائع السابقة فهي الشريعة الخاتمة وآخر عهد الله تعالى لعباده فوجب على الناس اتباع أقرب الشرائع عهدا بالسماء.

(١٠) ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي المصري (توفي ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (ط١)، ٣م، ص ٦١.

(١١) الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٣٦٢هـ ١٩٤٣م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ط٣)، ج ٢، ص ١٧٦، عباس: أ.د. فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ١٩٩٧م، عمان، دار الفرقان، (ط١)، ج ٢، ص ٨، وانظر: الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام: ١٠١/٣ - ١٠٤.

(١٢) انظر: الهندي: رحمة الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، (ط١)، ص ٢٣٣.

وأما أهل الكتاب فينكرون النسخ ويقولون بعدم وقوعه ولا يعترفون بوقوع أي من قسميه ؛ وذلك لأنه يستلزم في نظرهم البداء^(١٣) ونسبة الجهل إلى الله ، وهذا مستحيل ؛ فيترتب عليه استحالة وقوع النسخ. ومع اتفاق أكثرهم^(١٤) على هذا القول إلا أنهم يختلفون في المقصد من الإنكار من وجه ويتفقون عليه من وجه آخر.

أما ما اختلفوا فيه فإن اليهود مقصدهم إنكار شريعة عيسى عليه السلام والكفر به ، لأنه يلزمهم من الإقرار بالنسخ الإقرار بما جاء به عيسى عليه السلام من تشريعات مغايرة لما في التوراة. وأما إثبات النسخ لدى النصارى فيترتب عليه أمران متباينان ؛ أحدهما: قيام الحجة لهم على اليهود بلزوم اتباع عيسى عليه السلام ، وأما الثاني فقيام الحجة عليهم بنسخ شريعتهم بشريعة الإسلام ، لذلك يؤثرون القول بإنكار النسخ للتخلص من حجية الإسلام عليهم ، ويحتجون على اليهود بأن شريعة عيسى

(١٣) أنظر: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (متوفي ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٢٣٢، ابن حزم: الإمام أبو محمد علي بن أحمد (توفي ٤٥٦هـ ١٠٦٣م) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصر، مكتبة الخانجي مطبوع بمأشئة الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ج ١، ص ١٠٠، الهندي: رحمة الله، إظهار الحق، ٢٣١، د. فضل حسن عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٩. والبداء: ظهور الشيء بعد خفائه، ثم استعمل لظهور الرأي بعد أن لم يكن، ومقصدهم إثبات التلازم بين النسخ والبداء وبما أن البداء مستحيل فالنسخ مستحيل، وهذه مغالطة وتلبيس الحق بالباطل، والحق أن لا تلازم بين النسخ والبداء لا شرعا ولا عقلا ؛ لأن الأمر والنهي الذي هو محل النسخ غرضه المصلحة، والمصلحة تختلف باختلاف الزمان والمكان، والله تعالى يعلم الحكم السابق واللاحق أزلا، وحقبة النسخ إظهار الله تعالى لعباده ما كان خافيا عليهم، لا ظهور الأمر له سبحانه. انظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٨٠-١٨٢. ويقول ابن حزم: إن حجتهم أنهم قالوا: يستحيل على الله تعالى أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه، ولو كان الأمر كذلك لعاد الحق باطلا والباطل حقا والطاعة معصية والمعصية طاعة، وأجاب عن هذه الحجة من خلال الواقع وبما ثبت عندهم من وقوع النسخ بل والبداء الذي هو أشد من النسخ، الفصل ج ١، ص ١٠١.

(١٤) أجاز فريق من اليهود النسخ عقلا ولكنهم أنكروا وقوعه فعلا. انظر: ابن حزم: الفصل، ج ١، ص ١٠٠.

مكملة لشريعة موسى لا ناسخة لها، ذلك أن عيسى لم يأت بشرائع وأحكام مفصلة، ولكنه جاء ليخفف بعض الأحكام المشددة على بني إسرائيل.

وبهذا يظهر أنهم متوافقون على إنكار رسالة الإسلام ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام، للتوصل من الالتزام بها وعدم الاعتراف بأنها ناسخة لأديانهم ملزمة لهم باتباعها، وهم محجوجون من عدة وجوه:

أولاً: أن النسخ لا يلزم منه البدء وإنما يكون لحكمة تقتضيها حال المكلفين واختلاف المصالح باختلاف الزمان والمكان، ولا اعتبارات بشرية يعلمها علام الغيوب، وربط النسخ بالبدء من تلييس الحق بالباطل، وهو نوع من المغالطة التي يوهمون بها لزوم ما لا يلزم.

ثانياً: أن النسخ وقع عندهم بالفعل بقسميه جميعاً عند كل من اليهود والنصارى، أما اليهود فعندهم أن إبراهيم أمر بذبح إسحاق ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به. وأن العمدة كانت محللة قبل موسى عليه السلام وحرمت في شريعته، وأن الجمع بين الأختين كان جائزاً قبل موسى وحرم في شريعته عليه السلام^(١٥). وأما النصارى فقد وقع النسخ عندهم أيضاً، فهذا عيسى يخبرهم قائلاً: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)^(١٦) ثم يقول: (اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها)^(١٧). وإذا كانوا لا يثبتون نسخ التوراة فلماذا لا يثبتون؟ ولا يبيحون طلاق النساء؟ ولا يَحْتَننون؟ ولماذا يأكلون الخنزير وهو محرم في التوراة؟

(١٥) انظر: الهندي: رحمة الله: إظهار الحق: ٢٣٣ وما بعدها حيث ذكر أمثلة كثيرة من صور وقوع النسخ في العهدين القديم والجديد، هذا على اعتبار فرض صحتهما بما تقوم به الحجة عليهم فإما أن يسلموا بالنسخ أو ينكروا النص.

(١٦) الإنجيل متى: ٢٤/١٥.

(١٧) الإنجيل مرقس: ١٥/١٦.

ثالثا: ثبوت البشارة في كتبهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم^(١٨)، وأخذ العهد العهد والميثاق على أنبيائهم أن يتبعوه إن هم أدركوه قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

المبحث الثالث: الاختلاف في مصادر التشريع

لا شك أن اعتبار أي دين سماويا يعني أنه يستمد تشريعه من السماء، ولا يعد دينا ذا بال يلزم أتباعه وتقوم به الحجة على البشر إن لم يكن كذلك، لأن التشريع في حقيقته منهج التعبد الذي يدين به العبد لله رب العالمين، ولا يكون ذلك بغير ما شرع

(١٨) لا نشك في ثبوت البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل لقوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: ١٤٦)، ولقوله تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (الصف: ٦) وغيرها من الآيات، ولكن المقصود إقامة الحجة على أهل الكتاب بما ثبت عندهم من ذلك، وذلك من خلال الاعترافات التي سجلها التاريخ على مدى الزمان من عدد لا يحصى من العلماء والأكابر الذين كان لهم شأن في اليهودية والنصرانية، وانزاحت عنهم غاشية التعصب فأعلنوا إسلامهم رغبة منهم من غير إكراه ولا طمع، وقد أورد ابن قيم الجوزية نماذج متعددة من ذلك حتى عصره تحت عنوان: من آمن بالنبي من رؤساء النصارى، انظر: ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (توفي ٧٥١هـ) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ١٣٩٦هـ، ص ٢٣ وما بعدها، كما تجدر الإشارة إلى ما قدمه الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي من دراسة وافية ومناقشة ضافية في إثبات ما جاء في مصادر أهل الكتاب من البشارة بمحمد ﷺ. انظر: إظهار الحق: ٤٠٧ وما بعدها، وانظر: الخضرى: الشيخ محمد: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى، بيروت ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصارى، ٣١-٣٤، ومن أهم الأبحاث المعاصرة في هذا الشأن ما قدمه البروفسور ديفيد بنجامين كلداني الذي كان قسيسا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وعالما في اللاهوت حتى حاز على أعلى الدرجات العلمية والدينية فيه، والذي أسلم وتسمى بعد إسلامه بعبد الأحد داود في كتابه: محمد في الكتاب المقدس.

الله، وقد جاء في القرآن العظيم على لسان يوسف عليه السلام ما يقرر به نسبة الحاكمية لله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠)، ولكن التتبع لتاريخ كل من اليهودية والنصرانية في وضعها الحالي يكشف لنا عدم صحة نسبتها إلى الله تعالى جراء ما لحقهما من انقطاع السند وما تحويانه من تعارض وتناقض يستحيل على الله، رغم حرص الذين صاغوا هذه الكتب على إبراز نسبتها إلى الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿قَوْلٍ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٩)، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ السِّنِّهْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨)، أقول ومع حرصهم على ذلك إلا أننا نجد عندهم إقرار حق التشريع لغير الله، فالمرشعون اليهود في كتاب التلمود يعطون أنفسهم صلاحيات تشريعية فوق مستوى التشريع الإلهي حيث يقولون: إن تعاليم الحاخامين لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر من الله^(١٩). ويدعون أنها كلام الله مهما وجد فيها من تناقض فمن لم يعتبرها كذلك فقد أخطأ في حقه تعالى، ويقولون بأنها منزلة من السماء ومن يحتقرها فمشواه جهنم وبئس المصير^(٢٠)، ومحصلة الأمر أن مصدر التشريع عند اليهود يرجع إلى ثلاثة أمور هي:

(١٩) نصر الله: د. يوسف حنا، الكنز المرصود في قواعد التلمود، تحقيق: مصطفى أحمد الزرقا ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م (٢ط)، ص ٤٧

(٢٠) نفس المصدر، والغريب أنهم في هذا الموطن يعترفون بجهنم، حين لا نجد للأخرة ذكرا في كتبهم، ومن حماقتهم في ذلك ما ذكره السموأل (الذي كان حبرا يهوديا فأسلم وتوفي سنة ٥٦٧هـ ١١٨٠م) في كتابه إفحام اليهود عرفت أن ألك السلف الذين ألفوا المشناة والتلمود (الجمارا) وهم فقهاء اليهود قوم كذابون على الله تعالى وعلى موسى النبي عليه السلام، أصحاب حماقات ورقاعات هائلة، من ذلك أن أكثر مسائل فقهم ومذهبهم يختلفون فيها، ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه=

الأول: ما بقي من أصول الدين الحق الذي نزل على موسى وتعاقبت عليه أنبياءهم عليهم السلام، وهذا لا تقبله اعتمادا على مصادرهم، إلا إذا شهد له شاهد عدل موثوق المصدر.

الثاني: ما كتبه بأيديهم ونسبوه إلى الله زورا، وهو من قبيل الافتراء على الله، ولقد علمنا بطلانه بشهادة القرآن الكريم عليهم، كما مر في الآيات السابقة.

الثالث: ما ابتدعوه من عند أنفسهم وجعلوه دينا يتبع، جاعلين لأنفسهم حق صياغة الدين وصناعته.

أما عند النصارى فيعتمد التشريع على مصادر متعددة منها العهد القديم، وذلك لما يذكر عن عيسى عليه السلام أنه قال: (لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)^(٢١). ولكن الاعتماد عليه لا يخلو من التلاعب والتدخل البشري الذي يظهر من خلال الجراءة على التأويل الظاهر الفساد مما يترتب عليه إحالة الشريعة عن أصلها^(٢٢).

كما يعد الإنجيل على قلة ما يحويه من التشريعات مصدرا مع أن الغالب عليه أنه منهج للسير وسرد للأحداث التاريخية، هذا على افتراض صحة الموجود بين أيديهم.

المسائل يوحي الله إليه بصوت يسمعه جمهورهم، يقول (الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان) وهم يسمون هذا الصوت (بث قول). الشرقاوي: د. محمد عبد الله: الكنز المرصود في فضائح التلمود، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م مكتبة الوعي الإسلامي، ص ٤١.

(٢١) انجيل متى: ١٧/٥.

(٢٢) انظر: القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإعلام بما في دين النصارى من المفاصد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة - ١٣٩٨: ١/٣٩٦-٣٩٨.

ومن أهم هذه المصادر ما أدخله بولس حيث تضمن الكثير من الأسفار التعليمية، إضافة إلى ما أضافه الرسل (في مفهومهم) من تشريعات وتعديلات كثرت مع كثرتهم وتعدد أناجيلهم، ولما تم الاعتراف بالمسيحية لدى الإمبراطورية الرومانية انتقل حق التشريع إلى المجمع^(٢٣) التي لم تقف عند الأحكام العملية بل تعدتها إلى أهم القضايا الاعتقادية التي لا تخضع بأي حال لاجتهاد البشر، ولما قرر مجمع رومية سنة ١٨٦٩ عصمة البابا تصدرت الكنيسة التي يترأسها البابا كنائب عن المسيح في حق التشريع إلى الآن^(٢٤).

وأما عند المسلمين فالمعتمد في التشريع وحي السماء المتمثل في القرآن الكريم المنزل على النبي الكريم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿تَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَبِعُوا مِنْ دُونِهِ

(٢٣) المجمع هيئات شورية في الكنيسة، رسم (الرسل) نظامها في حياتهم، إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة ١٠٥ م برئاسة الأسقف (يعقوب الرسول) للنظر في ختان الأممي (غير اليهود) ثم نسجت الكنيسة على منوالهم. والمجمع قسمان؛ مجمع مسكونية (أي عالمية نسبة إلى الأرض المسكونة) ومجمع محلية أو مكانية، وقد عقدت المجمع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسي لعقدها ظهور مذاهب دينية عُدت غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعها، وقد عقد من المجمع المسكونية عشرون مجمعا ابتداء من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حتى مجمع الفاتيكان سنة ١٨٦٩م، ولا يعترف الأرثوذكس إلا بقرارات المجمع السبعة الأولى التي كان آخرها مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧م ومن أهم المجمع مجمع نيقية الأول ومجمع القسطنطينية الأول، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية المسيحية التي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية وهي: ألوهية المسيح وألوهية روح القدس واستكمال عقيدة التثليث بذلك.

وأما المجمع المكانية فكثيرة، وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة، أو رفض بعض العقائد، أو للنظر في بعض الشؤون المحلية. د. أحمد شليبي: مقارنة الأديان (المسيحية)، القاهرة/ مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣م، (ط ١٠) ص ١٦٦، أبو زهرة: الإمام محمد، محاضرات في النصرانية، ١٣٨١هـ ١٩٦٦م، دار الفكر العربي، (ط ٣)، ص ١٤١-١٤٢.

(٢٤) انظر: شليبي: المسيحية، ص ١٩٢-١٩٦.

أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿ (الأعراف: ٣) ، وبسننہ ﷺ التي تلقاها تعليماً من الله ، قال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ (النجم: ١ - ٥) ولا يملك أن يغير مما أوحى إليه شيء بل هو أشد الناس تمسكا به وحرصا عليه وأمرا به ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بُرَّانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس: ١٥). كما يعتمد ما شهد له النص بالحجية كالإجماع والقياس ، وهناك جملة من الأدلة مختلف فيها بحسب مدى قوة الحجية على اعتبارها ، وحجيتها في الدلالة على المعنى المراد من النص ، مما هو مفصل في علم أصول الفقه .

الفصل الثاني: وجوه الاتفاق والافتراق في الشرائع والشعائر

المبحث الأول: الاتفاق العام

تهدف الشرائع السماوية في تنزيلها إلى هداية الناس وذلك بإنقاذهم من الضلال والشقاء كما دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَاِمَا يَا تُنِيكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه: ١٢٣) ، ويتم ذلك بما تتحقق به مصالح الإنسان من جلب المنافع ودرء المفاسد ، فمن الطبيعي أن تتفق في أصول الشرائع التي تحقق هذه المقاصد ، ومن أبرز المعالم المؤدية إلى هذه الغاية الوصايا العشر وهي ؛ تحريم الشرك بالله ، ووجوب الإحسان للوالدين ، وتحريم قتل النفس المحرمة بغير حق ، وقتل الأولاد ، وإتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأشدها الزنى ، وتحريم أكل مال اليتيم ، ووجوب توفية الكيل والميزان ، وقول الحق ، والوفاء بالعهد ، وهي الوصايا التي جمعها قوله

تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْفِئُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأَنْعَام: ١٥١ - ١٥٣).

روى الطبري بسنده عن كعب الأخبار أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآيات فقال والذي نفس كعب بيده إن هذا لأول شيء في التوراة^(٢٥).

ومما يدل على أهمية هذه الآيات ما رواه ابن كثير عن ابن مسعود قوله: من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات. وروى عن الحاكم بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيكم يبأيعني على ثلاث) ثم تلا هذه الآيات^(٢٦).

ولما كانت هذه الوصايا مقاصد أساسية لا قوام لدين بدونها عقب عليها بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾، ثم دل على توافيقها مع ملة إبراهيم عليه السلام حيث وصفهما جميعا بالصراط المستقيم فقال: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأَنْعَام: ١٦١)،

(٢٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٥، ص٣٩٥، حديث رقم: ١٤١٦٢. قال أحمد محمد شاكر: (وهب بن جرير بن حازم الأزدي)، الحافظ الثقة (يعني الذي روى عنه الطبري).

(٢٦) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (توفي ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج٢، ص١٨٧.

ومما لا شك فيه أن ملة إبراهيم عليه السلام جامعة تحمل الأسس التشريعية لكل دين مصدره وحى السماء، وتحوي القيم السامية السمحة الخالية عن الإصر والأغلال. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة: ١٣٥)، وهذا يدل على أن الأديان ومن بينها اليهودية والنصرانية لا تخلو من هذه الأحكام التي لا يتصور خلو دين سماوي منها. وإذا خلت منها فهو من عبث الإنسان وتحريفه.

كما اتفقت الشرائع على تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح للأوثان، وتحريم شرب الخمر. ومن ذلك أيضاً ما شرعه الله تعالى من القصاص حيث جاء الإخبار عما شرع فيه لمن قبلنا بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥). كما أخبرنا سبحانه أنه فرض الصيام علينا كما فرضه على من قبلنا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وإن اختلفت الكيفية.

وليس غرضنا البحث في مسألة هل شرع من قبلنا شرع لنا حيث استوفاهما الأصوليون في مباحث أصول الفقه، وخلصتها أن هذه المسألة تدور بين طرفين وواسطة؛ أما الطرفان فالأول: ما وقع فيه الإجماع على أنه شرع لنا. والثاني ما وقع فيه الإجماع على أنه ليس شرعاً لنا. وأما الواسطة فهي محل الخلاف.

أما الطرف الأول الذي يكون فيه شرع من قبلنا شرعاً لنا إجماعاً، فهو ما ثبت أولاً أنه شرع لمن قبلنا وذلك بطريق صحيح، وثبت ثانياً أنه شرع لنا. وذلك كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وأما الطرف الثاني وهو الذي يكون فيه شرع من قبلنا غير حجة إجماعاً، فهو أحد أمرين:

الأول: ما لم يثبت بطريق صحيح أصلاً، كالمأخوذ من الإسرائيليات.

والثاني: ما ثبت بطريق صحيح أنه شرع لمن قبلنا وصرح في شرعنا بنسخه كالإصر والأغلال التي كانت عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧)^(٢٧)، ومن هذا النوع تحريم شحوم الأنعام الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٦). وذلك عقوبة على ظلم ارتكبه قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٦)٠

أما الوساطة التي وقع فيها الخلاف فتضبط بثلاثة ضوابط:

الأول: أن يثبت أنه شرع لمن قبلنا بطريق صحيح وهو الكتاب والسنة الصحيحة، ويكفي الأحاد في ذلك، فإن ورد بطريق غير صحيح لم يكن شرعاً لنا بلا خلاف.

الثاني: ألا يرد في شرعنا ما يؤيده ويقرره، فإن ورد في شرعنا ما يؤيده كان شرعاً لنا بلا خلاف.

الثالث: ألا يرد في شرعنا ما ينسخه ويبطله، فإن ورد في شرعنا ما ينسخه لم يكن شرعاً لنا بلا خلاف^(٢٨).

(٢٧) ابن تيمية: انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم: ١/١٧٩.

(٢٨) الجيزاني: محمد بن حسين بن حسن، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ، دار ابن الجوزي: ١/٢٢٥-٢٢٦.

والغرض من هذا البحث إظهار ما فيه التوافق بين الشرائع إما في التفاصيل الفرعية إن وجدت، أو في الأصول التشريعية العامة، أو ما به توافق في أصل شعيرة من الشعائر مع اختلاف في التفاصيل مثل النسك الذي دل القرآن على وجود أصل مشترك فيه مع اختلاف تختص به كل أمة، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج: ٣٤).

وليس من السهل أن نحدد الكثير مما اتفقت عليه الشرائع، ولا إلى متى استمر أتباع الديانتين السابقتين بالالتزام والاحتكام إلى هذه التعاليم، لأن التحريف والتغيير تتابع على أزمنة متعاقبة حسب الظروف والأهواء والمتغيرات التاريخية التي مرت بها كل منهما.

المبحث الثاني: أوجه الافتراق في العبادات والشعائر

تعتبر العبادات والشعائر من أهم المعالم المعبرة عن الدين، وقد جاءت رسالات الأنبياء داعية إلى عبادة الله وحده، أمرة بترك ما كان يعبد الناس من آلهة باطلة، ولما كانت العبادة معبرة عن أقصى درجات الخضوع والطاعة كانت موقوفة على الوحي لا سبيل إلى الاجتهاد فيها، فإذا خرجت عن ذلك كانت معصية لله؛ لأن الله تعالى لا يعبد إلا بما شرع. ويمكن أن نقف على أهم المعالم البارزة في الأديان السماوية في الصلاة والصيام وما يلحق بهما من الشعائر.

١- الصلاة:

لليهود صلاتان واحدة في الصباح وأخرى في المساء، وكانت في الأصل ثلاث صلوات كما في سفر دانيال وفيها ركوع وشكر لله^(٢٩)، وفي المزمور أنها مرتين كل

(٢٩) سفر دانيال: ٦ : ١٠.

يوم^(٣٠) فافتنوا بالأقل^(٣١)، وهي واجبة عندهم. وإذا أراد أحدهم الزيادة فليس له أن يصلي أكثر من ثلاث صلوات لادعائهم أن الله يميل الصلاة كل ساعة^(٣٢). وصورتها أنهم يضعون اليدين على الصدر مع حني الرأس قليلاً كوقوف الخادم أمام سيده لزيادة الاحترام، ويقرأون فيها نصوصاً من التوراة وأصبح أكثرها ترانيم من الغناء ثم أصبحت مصحوبة بالموسيقى وهي مشحونة بالكراهية لغير اليهود، والشكر لله أنه لم يجعلهم من الأغيار^(٣٣)، ودعاء على الأمم غيرهم بالبوار وعلى بلادهم بالخراب إلا أرض كنعان. وكانوا أحدثوا ذلك أيام السبي فلما تنبه ملوك الفرس لهذه الصلاة ومحتواها منعوهم منها، فاخترعوا أدعية مزجوا بها صلواتهم سموها الخزانة، وتحتوي على تلحين وتطريب، فإذا أنكر الفرس عليهم ذلك قالوا ننوح على أنفسنا فيتركونهم، واستمرت الخزانة سنة فيهم في الأعياد والمواسم والأفراح.

والصلاة نوعان: فردية ارتجالية تُتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم، وأخرى مشتركة. وهذه صلوات تُؤدَّى باشتراك عشرة أشخاص على الأقل يُطلق على عددهم مُصطلح (منيان) أي (النصاب) في مواعيد معلومة وأمكنة مخصوصة حسب الشعائر والقوانين المقررة. ويردد

(٣٠) مزبور: ٥٥: ١٧.

(٣١) كانت الصلوات الواجبة عليهم ثلاث صلوات كل يوم هي: ١. صلاة الصبح (شخاريت)، وهي من الفجر حتى نحو ثلث النهار. ٢. صلاة نصف النهار، وهي صلاة القربان (منحه)، من نقطة الزوال إلى قبيل الغروب. ٣. صلاة المساء (مغاريب)، من بعد غروب الشمس إلى طلوع القمر. ثم اختزلت الأخيرتان إلى صلاة واحدة (منحه - معاريف). انظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية: ١٤/١١٠.

(٣٢) انظر: أبو زهرة: محاضرات في النصرانية: ١٢٥.

(٣٣) شاحك: إسرائيل: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة رضى سلمان، تقديم، دوار سعيد، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠١م (ط٦)، ص ١٥٣.

الصلوات كل المشتركين فيها، إلا أجزاء قليلة يردها القائد أو الإمام أو المرتل (حزّان) بمفرده^(٣٤).

وكانت صلاتهم في السابق تؤدي بركوع وسجود كما دل على ذلك القرآن حيث قال مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣)، وجاء الخطاب لمريم وهي من بني إسرائيل: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣)، ولكنهم غيروها وأصبح أكثرهم يصليها جلوساً على الكراسي كما يفعل النصارى، وهذه الصلاة خالية من الغذاء الروحي، ولا تقام الصلاة إلا في البيع والكنس والأماكن المخصصة بها.

وأما الصلاة عند النصارى فليس لها عدد معين ولا أوقات معلومة بل ذلك موكل إلى نشاط المصلين ليخالفوا بذلك اليهود الذين حددوا الصلوات والأوقات، كما أنهم ليس عندهم عبارات خاصة معلومة يقولونها في صلاتهم ولكن يشترطون لهذه الصلاة شرطين: الأول: أن تكون باسم المسيح. والثاني: أن يسبقها الإيمان الكامل بما عندهم^(٣٥).

والصلاة عندهم أنواع: منها صلاة فردية سرية، وصلاة عائلية في البيت، ومنها الصلاة العامة في الكنيسة، وأهمها صلاة يوم الأحد حيث يقرأ الكاهن عليهم شيئاً من المزامير أو من غيرها من الكتاب المقدس، والجميع وقوف يستمعون، ثم تطورت فأصبحوا يصلون جلوساً على الكراسي، وعند نهاية كل مقطع

(٣٤) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية: ١٤/١١١.

(٣٥) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص ١٢٢-١٢٥.

يؤمنون^(٣٦). وجاء في الإنجيل التوجيه إلى الإخلاص بالصلاة والبعد بها عن الرياء بقوله: "ومتى صليت فلا تكن كالمرائين... وأما أنت فمتى صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك في الخفاء"^(٣٧).

ولم يرد عن المسيح عليه السلام بيان لكيفية الصلاة، وذلك لاتباعه الصلاة التي كانت معروفة في التوراة، وحواريوه كانوا يعرفون تلك الصلاة لأنهم من بني إسرائيل فلماذا لم يلزم أن يعرفهم المسيح عليه السلام بكيفيتها.

وجاء في إنجيل متى: "ثم تقدم (المسيح) قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي"^(٣٨) وهذا يدل على اشتغالها على السجود.

فهذا يفهم منه أن المسيح كان يسجد في صلاته، وهو ما لا يفعله النصارى، كما يدل على أن النصارى لا يعرفون كيف كان يصلي المسيح على التفصيل وإنما أخذوا من أمره بالصلاة المعنى العام وهو الدعاء والتزموه بدون دليل صحيح^(٣٩). والعجب أنهم يدعون أن المسيح هو الرب ويثبتون أنه صلى، فلمن صلى إذا كان هو الرب؟

والملاحظ أنهم لا يشترطون لصلاتهم طهارة من الأحداث، ولا من الجنابة ولا من النجاسات، فقد يصلي أحدهم وهو جنب وآثار البول على ثيابه، ويرون أن هذه الصلاة أفضل من الصلاة بالطهارة، وهذا يخالف ما حفظوه عن السيد المسيح عليه

(٣٦) انظر: دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ص ٤٠-٤١ في العبادات المسيحية ص ١٦-١٧. وحقائق أساسية في

الإيمان المسيحي ص ٢٠٠.

(٣٧) متى: ٥/٦.

(٣٨) متى: ٢٦/٣٩.

(٣٩) انظر: سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض، المملكة العربية

السعودية، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٤٠-٣٤١.

السلام، ولكنهم يفعلون ذلك مخالفة لليهود وإتباعاً للبطارقة والأساقفة^(٤٠)، ومن العجب أنهم لم يخالفوا اليهود في اشتراط أن تكون في أماكن العبادة المخصصة لها.

أما الصلاة عند المسلمين فمنها صلوات مفروضة وأخرى مندوبة؛ أما المفروضة فخمس صلوات في اليوم واللييلة موزعة على أوقات الليل والنهار؛ الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ذات أقوال وأدعية وحركات مخصوصة، تشعر بروح التعبد لله تعالى يشترط فيها الطهارة من الأحداث والنجاسات في الجسد والثوب والمكان، وتكون قبله التوجه فيها إلى الكعبة المشرفة، وخير مكان تصلى فيه المساجد في أداء جماعي، وتصح بأداء فردي، وفي أي مكان، فلو كان جمع أو أفراد من المسلمين في سفر أو خارج العمران أو في أي مكان فلهم أن يصلوا حيثما حضرت الصلاة ولا تتعين في المساجد لقوله ﷺ (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)^(٤١)، وخصصت صلاة مفروضة أسبوعية يوم الجمعة مسبوقة بخطبة. وكل هذه مسبوقة بأذان وإقامة. وتعد هذه الصلوات ركنا من أهم أركان الإسلام وعموده.

كما توجد عدة صلوات مندوبة منها صلوات مقترنة بالفرائض تسمى الرواتب، ومنها مخصوصة بأوقات معلومة أهمها قيام الليل وصلاة الضحى، و صلوات تشرع في أحوال وأوقات مخصوصة منها صلاة التراويح مخصوصة بقيام الليل في شهر رمضان وصلاة العيدين والخسوف والكسوف والاستسقاء.

(٤٠) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى، ص ١٤١.

(٤١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، حديث رقم: ٤٣٨. مسلم: الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، حديث رقم: ٥٢١

٢- الصيام:

الصيام عند اليهود يبتدئ من قبل غروب الشمس إلى بعد غروب الشمس من اليوم اللاحق، ويمتنعون فيه عن الطعام والشراب والجماع، وبعض الأيام يكون صيامهم فيه من شروق الشمس إلى غروبها، ويمتنعون فيه عن الطعام والشراب فقط. ولليهود أيام عديدة متفرقة يصومونها لمناسبات عدة، منها:

١ - صوم يوم الغفران: وهو أهم صوم عندهم، وهو الصوم الوحيد الذي يعزونه إلى الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام.

٢ - صوم تموز: وهو صيام يوم واحد وهو في الثامن عشر من شهر تموز اليهودي، ويعتبرونه حداً على حوادث مختلفة، أهمها: تحطيم ألواح التوراة، إبطال القربان اليومي صباحاً ومساءً، إحراق التوراة في أورشليم على يد القائد "إتسويندوموس"، وكذلك يجعلون هذا الصوم ذكرى بداية مهاجمة تيطس الروماني لأورشليم بقصد إبادة اليهود سنة ٧٠م.

٣ - صيام التاسع من آب: وهو ذكرى سقوط أورشليم على يد تيطس وتخريب الهيكل الثاني زمن ادريانوس^(٤٢).

وأما الصوم عند النصارى فإنهم يقولون أن شرعه عليهم اختياري لا إجباري، ويختلفون في ميقاته وصفته، والأغلب أنهم يصومون أربعين يوماً أو ثلاثة وأربعين يوماً تنتهي بعيد الميلاد، يمتنعون خلالها عن أكل اللحوم والأغذية الحيوانية^(٤٣)، وأورده إنجيل متى على سبيل التحذير من المراءاة به كي لا يضع الأجر^(٤٤).

(٤٢) انظر: الفكر اليهودي: ص ١٩٠.

(٤٣) العمري: د. محمد نبيل طاهر ود. محمد أحمد الحاج، مقارنة أديان، عمان/الأردن، جامعة القدس المفتوحة ومطبوعاتها، (ط ٢)، ص ٢٩٠، سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٣٤١.

أما عند المسلمين فالصيام فريضة واجبة من أركان الإسلام وهو مخصوص بشهر رمضان يتحقق بالامتناع عن الطعام والشراب وشهوة الفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية في جميع أيام الشهر. ويندب في أوقات أخرى منها صيام ستة أيام من شهر شوال، والأيام البيض من كل شهر قمري، والاثنين والخميس من كل أسبوع والتاسع والعاشر من شهر المحرم ويوم عرفة. وجاء في شرعنا بيان الفرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ذلك أنهم كانوا إذا ناموا بعد الإفطار لم يحل لهم معاودة الأكل والشرب وعلى مثل ذلك كان الأمر في أول الإسلام ثم نسخ الله عز وجل ذلك ورخص في الطعام والشراب إلى وقت الفجر بقوله ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (البقرة: ١٨٧)^(٤٥)، وقال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»^(٤٦) وكذلك تعجيل الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون، ومثله النهي عن الوصال مخالفة للربان^(٤٧).

٣- الحج:

كان الحج شعيرة من شعائر اليهودية حيث يتعين على كل يهودي أن يحج ثلاث مرات في العام إلى القدس: عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال. ولذا، فإن هذه الأعياد تُسمى (أعياد الحج). وقد جاء في العهد القديم: (ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره في عيد الفطير [الفصح]

(٤٤) انظر: انجيل متى: ١٦/٦-١٨.

(٤٥) الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب (المتوفى: ٣٨٨هـ) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م: ١٠٤/٢.

(٤٦) صحيح مسلم حديث رقم: ١٠٩٦، وانظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ٢٠٨/١.

(٤٧) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ٢٠٩/١، ٢١٣.

وعيد الأسابيع وعيد المظال ، ولا يحضروا أمام الإله فارغين^(٤٨). فكان اليهود يقدمون في حجهم قرباناً مشوباً للهيكل حيث كان يُشوى إلى أن يحترق تماماً فلا يبقى منه شيء للكهنة. وذلك من عهد داود عليه السلام ، وكانوا قبل ذلك يحجون إلى مكان غير القدس يُسمى «شيلوه»^(٤٩).

ولما انقسمت الدولة الإسرائيلية إلى شمالية وجنوبية منع الجنوبيون الشماليين من الحج إلى القدس فأقاموا معبداً في السامرة ينافس الهيكل يحج إليه الشماليون ، ثم أسست معابد أخرى في أماكن متفرقة حيث تقيم فرق اليهود ، وتلاشت فكرة تقديس القدس ، ثم أثارها الصهيونية لأغراض سياسية.

وقد توقف الحج تماماً بعد هدم الهيكل. ثم بُعثت فكرة الحج في العصور الوسطى تحت تأثير القرائين. أما الآن ، فلا يؤدي فريضة الحج سوى المغالين في (التقوى والورع).

ومن الآثار الباقية للحج تقديس حائط المبكى أو الحائط الغربي^(٥٠) عند فريق منهم لاعتقادهم تقديس الأشياء التي يفترض أن يحل فيها الإله ، فتحول إلى مزار ، ثم أصبح من أهم الأماكن قداسة في العقيدة اليهودية ، وأصبح الاستيلاء عليه في رأي بعض المتمسكين بأهداب العقيدة اليهودية فرضاً دينياً.

أما الحج عند النصارى فيعد امتداداً لما في اليهودية ولكنه أخذ منحى خاصاً ظلت للقدس فيه مكانتها الخاصة في الوجدان المسيحي فهي تضم كنيسة القيامة حيث قبر المسيح (في اعتقادهم) ، كما تُعدُّ فلسطين الوطن المقدس الذي ورثه المسيح لأبنائه المسيحيين ففيها بيت لحم (مولد المسيح) ونهر الأردن (المغطس). ثم تضاءلت أهمية

(٤٨) سفر التثنية ١٦/١٦

(٤٩) انظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية: ١٠/٤٤٨.

(٥٠) لم يرد له ذكر في الكتابات الدينية وهو بدعة مفتعلة من الفكر اليهودي الحلولي.

هذه المدينة كمدينة مقدّسة بعد عام ٥٩٠م حين أصبح عرش البابا جريجوري العظيم مركز السلطة المسيحية، وأصبحت لروما الخطوة على القدس. وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة في السلسلة الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية. ومع ذلك، بقيت فلسطين (الأرض المقدّسة) تتغلغل في حياة وخيال مسيحيّ العصور الوسطى. وكانت الرحلة إلى الأرض المقدّسة مطمح كل مسيحي، مع ما قد يرافق ذلك من إغراء بالمغامرة والكسب الاقتصادي ومن مشاهد رائعة، وكان من يزورونها يثيرون لدى الآخرين الرغبة في زيارتها. ثم تراجع أهمية الحج عند المسيحيين مع ضعف السلطان الديني وبقيت القدس ورقة سياسية تراهن بها القوى السياسية التي تحمل شعار الصليبية من جهة، والصهيونية من جهة أخرى.

أما الحج عند المسلمين فهو ركن من أركان الإسلام حيث يفرض الحج إلى بيت الله الحرام في وقت مخصوص، مقترن بيوم عرفه ويشتمل على أركان وواجبات وسنن، تجب على المستطيع مرة في العمر ومن تطوع زيادة على ذلك فهو نافلة، وهي امتداد لحنيفة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، وقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِرِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٦ - ٢٧). وتشتمل على حكم إيمانية وروحية واجتماعية واقتصادية كثيرة ولها أحكام مفصلة في كتب الفقه ليس هذا مقام ذكرها.

ويمتاز الإسلام بعبادة كبرى إضافة إلى الصلاة والصيام والحج هي فريضة الزكاة، وهي مقدار من المال يؤخذ من مال مخصوص بشرائط مخصوصة إلى مصارف مخصوصة. ولها دور عظيم إشاعة التواصي وروح المحبة والتعاون بين المسلمين كما تسد

خلة اقتصادية واسعة. ولكل عبادة من هذه العبادات أحكامها المفصلة المنضبطة الواضحة ليس هذا موطن تفصيلها.

ولم يبق عند اليهود معالم العبادات إلا اليسير لانصرافهم إلى النهم المادي حيث يغلب على طبعهم وحياتهم المادية والحرص على التفتن في ابتزاز الأموال بكل طرق التحايل والمخادعة. وليس النصارى بأمثل حالا خصوصا وأنهم تركوا الصلاة للاختيار فإذا ضعف روح الانتماء إلى الدين وغلبت النزعة المادية فلا تجد إلا القليل ممن يؤدي شيئا من العبادات كما هو الحال في أوروبا حيث عطلت الكثير من الكنائس وفقدت سلطانها.

٤ - الأعياد:

الأعياد من أهم الشعائر التي تشكل أبرز المعالم تتميز بها الملل والأمم بعضها عن بعض وهي تنبثق عما تختص به الأمم من أصولها العقائدية أو وقائعها التاريخية، ويمكن أن نسلط الضوء على بعض الأعياد المشهورة عند كل فريق:

أما اليهود فتكثر الأعياد عندهم كثرة بالغة فمنها ما يتصل بأحداث تاريخية، ومنها ما يتصل بمواسم الزراعة والحصاد، ومنها ما يتصل بالتوبة والهلال، ومن أشهر هذه الأعياد:

١ - عيد الفصح حيث يحمل ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر ومن ذل العبودية التي كانوا يخضعون لها، ويستمر هذا العيد أسبوعا كاملا هو الأسبوع الثالث من شهر نيسان، يبدأ بحفل مقدس وينتهي بحفل مقدس أيضا، يتلون الأدعية ويقومون الصلوات ويحرقون القرابين، ويجتمعون على مائدة تقص فيها حكاية الفصح، وهي

قصة ما حدث لبني إسرائيل مع موسى إبان خروجهم من مصر^(٥١). ويتميز بأكل خبز الفطير غير المختمر^(٥٢)، وأضاف التلمود إلى طريقة تصنيع هذا الفطير أن يعجن بدم بشري ولذلك كثرت الضحايا التي تفقد من الأميين المجاورين لأحياء اليهود، ومن أشهر الأحداث في ذلك قصة مقتل الأب توما وخادمه في سوريا سنة ١٨٤٠م^(٥٣).

٢ - يوم التكفير والغفران: وهو اليوم العاشر من شهر تشرين، وهو من أهم أعيادهم، وأقدس أيام السنة عندهم، حيث يحمل ذكرى نزول موسى عليه السلام من جبل سيناء ومعه الشريعة، وأعلن لهم فيه أن الله قد غفر لهم خطيئتهم في عبادتهم للعجل، ويبدأ قبل غروب الشمس من اليوم التاسع من تشرين، ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالي. ويشرع لهم فيه الصيام ويطلبون فيه المغفرة عن الذنوب التي فعلها اليهود، في صلاة جماعية يؤديها الكهنة^(٥٤).

٣ - الهلال الجديد وهو مقترن برؤية الهلال عند بداية كل شهر قمري.

٤ - يوم التكفير وهو يوم من أيام العام يحاول فيه اليهودي أن يعبد الله لا كإنسان بل كملاك، حيث يرون أنه في هذا اليوم قد غفرت سيئاتهم عن الماضي ويستعدون لاستقبال عام جديد^(٥٥).

(٥١) الفكر الديني اليهودي ص٣٠٣. وانظر: سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص١٣٦.

(٥٢) شلبي: د. أحمد، مقارنة الأديان (اليهودية)، القاهرة، ١٩٨٨م، مكتبة النهضة المصرية، (ط٨)، ص٣٠٣.

(٥٣) الشرقاوي: الكنز المرصود في فضائح التلمود: ١٨٥، ٣٣٢ وما بعدها، حنا نصر: د. يوسف: الكنز المرصود في قواعد التلمود ١٠٩ وما بعدها.

(٥٤) الفكر الديني اليهودي ص١٦٨، ١٦٩، اليهود تاريخ وعقيدة ص٢٢٣، ٢٢٤ موسوعة اليهود واليهودية ٢٦٤/٥.

(٥٥) شلبي، اليهودية، ص٣٠٥

٥ - عيد المظلات ويقع في شهر تشرين الأول حيث يبنون خياما أو أكواخا يمشون بها أياما يرمزون به إلى التاريخ الطويل الذي مر بهم وهم ضياع ليس لهم بيوت ثابتة^(٥٦).

٦ - عيد الشهادة حيث تقدم فيه القرابين (ويفترض أن تكون ثيرانا) خلال سبعة أيام للشيطان من أجل إبقائه منشغلا إلى حد لا يستطيع معه التدخل في اليوم الثامن عندما تقدم التضحية لله^(٥٧).

٧ - يوم السبت وهو من أهم الأعياد المقدسة عند اليهود والتي يجب مراعاة حرمتها فليس عندهم خطيئة أعظم من عدم حفظ يوم السبت إلا عبادة الأوثان، وهو مرتبط بعقيدة فاسدة فيها إساءة للذات الإلهية حيث يعتقدون أن الله تعالى لما خلق السماوات والأرض في ستة أيام تعب فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، وأمر عباده بالاستراحة فيه وباركها^(٥٨). ومن أهم معالم السبت التعطيل عن العمل وترك كثير من الأعمال، ولكن إذا تعارض ذلك مع مصلحة أو منفعة فكثيرا ما يحتالون عليه ويخرجون له الفتاوى^(٥٩) كما فعل أسلافهم من قبل حيث قص علينا القرآن العظيم

(٥٦) نفس المصدر

(٥٧) شاحك، الديانة اليهودية، ص ٦٨.

(٥٨) شلي، اليهودية، ص ٣٠٥

(٥٩) فمن الفتاوى السبئية التي يعمل بها يهود؛ أنه يحرم حلب المواشي يوم السبت، ولكن بفتوى من الحاخامين يصبح الحلب مباحا بشرط أن لا يكون الحليب أبيض اللون فيعمدون إلى صبغه باللون الأزرق ثم يزال اللون مع المصل ليستخدم الحليب في صناعة الأجبان، ثم اكتشفوا نصا قديما يسمح بإفراغ ضروع البقر يوم السبت فقط من أجل إراحتها من المعاناة التي يسببها انتفاخ ضروعها، ولكن بشرط متشدد يقضي بترك الحليب يهدر سائلا على الأرض، ولكن ماذا يجري؟! يأتي أحد الأتقياء يوم السبت إلى حضيرة البقر ويضع الجرادل تحت الأبقار ثم يذهب إلى الكنيس من أجل الصلاة، ثم يأتي آخر ليريح الأبقار من عناء الاحتقان (وبنية صادقة) ليهدر الحليب على الأرض فيجد الجرادل التي لم يضعها هو وليس مجبرا على =

نبأهم في سورة الأعراف، وأخبر أنهم مسخوا قرده خاسئين نتيجة الاحتيال على شريعة السماء، قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذِ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا تَابِثُ لَاسِبُونَ لَا تُؤْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبُؤُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَللَّهِ مُهْلَكُهُمْ أَوْ مَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَعَلَّاهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ مَبْسُومَةٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف: ١٦٣- ١٦٦)، ووصمهم بلعنة اقترنت بالسبت لتبقى ملازمة لهم أبد الدهر، قال تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (النساء: ٤٧).

وعند النصرارى عدد من الأعياد أشهرها عيد الفصح الذي يسبق بالصيام المفروض وهو المسمى بالصوم الكبير. وأعياد الميلاد في بداية كل عام شمسي حيث ميلاد السيد المسيح عليه السلام، مع اختلاف بين طوائفهم في تحديد مواعده، يسبقه صوم مفروض يسمى صوم الأزمنة الأربعة ويعرف بالبارامون (أي الاستعداد للاحتفالات)^(٦٠).

رفعها ثم يذهب إلى الكنيس لأداء الصلاة ليترك الخطوة الثالثة لتقي ثالث فيكتشف لدهشته العظيمة الجراد المليئة بالحليب فيضعه في براد ثم يلحق برفاقه إلى الكنيس. شاحك، الديانة اليهودية، ص ٨٢.

(٦٠) الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني، الرياض، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، (٣ط)، ص ٦١٨.

ومن أبرز شعائريهم يوم الأحد حيث يعدونه يوماً مقدساً لاعتقادهم أنه اليوم الذي خرج فيه المسيح عليه السلام من قبره وذهب إلى الجليل^(١١). ومن أبرز شعائري هذا اليوم قرع الأجراس وإقامة قداس الأحد.

وأما المسلمون فلهم عيدان سنويان أحدهما يرتبط بشهر رمضان بعد أداء فريضة الصيام تعبيراً عن الشكر لأنعم الله بتمام هذا الشهر الذي هو مظنة غفران الذنوب لمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، ولنزول القرآن العظيم فيه قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

والثاني مقترن بأيام الحج وهو عيد الأضحى حيث يتقرب المسلمون إلى الله تعالى بالأضاحي التي تعبر عن بعد تعبدي في نسك مشروع يتقربون به إلى الله تعالى يلزم فيه الإخلاص لقوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)، ويتحقق ذلك بخروج المسلم عن بعض ماله تزكية للنفس وتقرباً إلى الله، وبرهاناً على ثقته بما عند الله من الثواب، وذات بعد تاريخي يعبرون فيه عن شكر الله تعالى في فداء إسماعيل عليه السلام. وذات بعد اجتماعي تتم فيه التوسعة على العيال خاصة والأقربين والمسلمين عامة، وطعمة للفقراء والمساكين بما يعمم المواسة وتبادل الهدايا، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ مِن بَهِيمَةِ النَّعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالْبُدْنَ جَعَلْنَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا

(٦١) انظر: إنجيل متى: ٢٨/، إنجيل لوقا: ٢٤، إنجيل يوحنا: ٢٠.

اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٤﴾ (الحج: ٣٤-٣٦). قال ابن الجوزي في تفسير هذه الآية: "لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَةِ الْأَنْعَامِ، وإنما خص بئيمة الأنعام، لأنها المشروعة في القرب. والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة" (٦٢).

أي أن وجود القرابين من الأنعام عند اليهود وعند المسلمين يدل على وجود أصل مشترك في هذه الشعيرة دلت عليه هذه الآية، وتعميم ذلك في القرآن دال على أن جميع الأمم لها مثل ذلك. واختفاء ذلك من النصرانية ناتج عن تحريفهم وحرصهم على مخالفة اليهود، كما حرف اليهود معالم هذه الشعيرة بما يتناسب مع روحهم العدوانية، وجعلوا التقرب فيها بالدم البشري، وتلبية لشهوة يتشهى بها إلههم (يهوه)، أما الله تعالى فيتزده عما يقولون سبحانه. قال تعالى: ﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَكَأَ دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ الْقَوِيُّ﴾ (الحج: ٣٧).

كما يختص المسلمون بيوم أسبوعي هو يوم الجمعة يقيمون به صلاة الجمعة وهي فرض على كل مسلم ذكر بالغ عاقل حر مقيم^(٦٣) يستمعون فيه إلى موعظة

(٦٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ)، ٢٣٦/٣. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٥٨/١٢. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) غرائب القرآن و غرائب الفرقان تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ): ٨١/٥.

(٦٣) الزحيلي: د. وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الفكر، (٢ط) ج ٢، ص ٢٦٥.

تشحذ الهمم إلى طاعة الله، وتذكر بتقواه، وتعالج ما يستجد من القضايا التي تهتم المسلمين، إضافة إلى حكم أخرى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَدَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩ - ١٠). وفي السنة النبوية جاء قوله ﷺ: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم وهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد)^(٦٤). ولفظ هذا الحديث يدل على أن أول ما فرض عليهم يوم الجمعة ولكن اختلافهم صرفهم عنه فضلوا^(٦٥)، وذلك أن يوم الجمعة هو أفضل الأيام لقوله ﷺ: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة)^(٦٦)، وهذا يدل على قدر من التوافق بين الشرائع، ولكن فعل الناس هو الذي غير وبدل.

كما نرى اقتران تعظيم كل من اليهود والنصارى ليومهم بخلل عقدي؛ فاليهود ادعوا أن الله تعالى تعب واستراح يوم السبت، والنصارى يدعون أن عيسى صلب

(٦٤) القشيري: مسلم بن الحجاج (توفي ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، المطبعة المصرية ومكنتها، كتاب الجمعة: ١٤٤/٦، البخاري: صحيح البخاري، دار إحياء التراث، دار الجيل، كتاب الجمعة: باب فرض الجمعة: ٢/٢.

(٦٥) انظر: الطبري: محمد بن جرير (توفي ٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، ١٩٩٩م ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، (ط٣) ٧م، ص ٦٦٢، ابن حجر: فتح الباري: ١/٦٥٩-٦٦٠، النووي: يحيى بن شرف (توفي ٦٧٦هـ): المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المطبعة المصرية ومكنتها، ج ٦، ص ١٤٣-١٤٤.

(٦٦) مسلم: صحيح مسلم: كتاب الجمعة: ١٤١/٦

ومات وخرج من قبره يوم الأحد، وليس لشعائر المسلمين في يوم الجمعة ما يلتبس باعتقاد فاسد.

ومما يستحق المقارنة بين الأديان القبلة؛ فهي من أهم الشعائر التي تمتاز بها الأديان فقد قال ﷺ: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم)^(٦٧). أما قبلة اليهود فبيت المقدس، وذلك لما يدعي اليهود من صلة تربطهم بها، فهي أول مسجد بني لهم، وفيها مقر ملك كل من داود وسليمان عليهما السلام وكانت عاصمة دولتهم، ولما انقسمت الدولة اليهودية بعد سليمان عليه السلام إلى قسمين اتخذ السامريون جبلا يسمى "جرزيم"^(٦٨) قبلة لهم ويعتبرهم اليهود من شعب يهوذا ملاحدة وكفاراً لتغييرهم القبلة^(٦٩).

ولا شك أن بيت المقدس له مكانته في شرائع السماء وكان قبلة المسلمين إلى سبعة عشر شهرا من الهجرة النبوية حتى نزل تحويلها إلى المسجد الحرام، حيث هو القبلة الثابتة لأمة الإسلام منذ نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤)، وكان تقليب وجهه ﷺ في السماء طلبا إلى الله تعالى أن يحول قبلته إلى المسجد الحرام لغرضين^(٧٠)؛ الأول: العدول عن قبلة اليهود الذين كانوا يقولون: يتبع قبلتنا ويخالف ديننا. فكانت رغبته ﷺ أن تكون أمته مستقلة في شعائرها. والثاني: الرغبة في اتباع قبلة إبراهيم عليه السلام، حيث هي أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ

(٦٧) البخاري: الصحيح، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، حديث رقم ٣٩١.

(٦٨) يقع في منطقة نابلس. انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٨.

(٦٩) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٥٤.

(٧٠) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢م، ص ٢٢-٢٣.

وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلذِّي بِيكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ (آل عمران: ٩٦)، واستقرت قبلة المسلمين إلى الكعبة المشرفة وهي من أهم معالم الإسلام وشعائره، وقد ورد في شرفها آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة.

وأما النصارى فقبلتهم إلى المشرق، وكان الأصل أن تكون إلى بيت المقدس حيث شريعتهم في أصلها امتداد لليهودية ولكن حرصهم على مخالفة يهود حولهم إلى غير القبلة، وأما توجههم للمشرق فمن أجل اعتزال مريم من أهلها في موضع قبل المشرق، حيث كان حملها بعميس عليه السلام، كما ذكر الله ذلك بقوله: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ١٦- ١٧)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأعلم خلق الله لأبي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة؛ لقول الله تعالى: ﴿إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة^(٧١).

ومن الشعائر البارزة التي تختلف فيها الأديان طريقة التنبيه والنداء إلى العبادة ففي الإسلام شعار عظيم معبر عن مضمون الدين بأهم أركان العقيدة والعبادة والمقاصد ألا وهو الأذان، الذي فيه إعلان الشهادتين والنداء إلى الصلاة وما فيها من الفلاح والفوز، وعند اليهود النفخ في البوق وعند النصارى ضرب الناقوس، أخرج البخاري عن نافع، أن ابن عمر، كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحنون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا

(٧١) الطبري: جامع البيان، ٨م، ص ٣١٩، رقم ٢٣٥٧٤.

بلال قم فناد بالصلاة»^(٧٢). قال ابن تيمية: " وإنما الغرض هنا: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كره بوق اليهود المنفوخ بالفم، وناقوس النصارى المضروب باليد، علل هذا بأنه من أمر اليهود، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى؛ لأن ذكر الوصف عقيب الحكم، يدل على أنه علة له، وهذا يقتضي نهييه عن كل ما هو من أمر اليهود والنصارى. هذا مع أن قرن اليهود يقال: إن أصله مأخوذ عن موسى عليه السلام، وأنه كان يضرب بالبوق في عهده، وأما ناقوس النصارى فمبتدع، إذ عامة شرائع النصارى أحدثها أحبارهم ورهبانهم"^(٧٣).

ومن أبرز شعائر النصارى التي يعلنون بها عن انتمائهم للنصرانية حمل الصليب وتقديسه حيث يرمزون به إلى صلب المسيح عليه السلام عندهم. ويزعمون أن حملهم يشعروهم بإنكار النفس واقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار والسير وراء مخلصهم وفاديتهم. ولا يوجد لدى النصارى دليل على حمل الصليب فضلاً عن تقديسه، كما أنه لا يعرف متى صار الصليب مقدساً، حيث لا يوجد له أي ذكر لدى المتقدمين من النصارى، ولا يعرف من الذي دعا إلى حمله على التحقيق، وإنما هو أمر استحسنته ودرجوا عليه في زمن متأخر حتى صار من أظهر شعائرهم^(٧٤).

(٧٢) صحيح البخاري باب بدء الأذان حديث رقم: ٦٠٤، وفي الباب أحاديث كثيرة منها ما تضمن كلمات الأذان تركتها اكتفاء بالتنبيه على أصل الشعيرة. وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ٣٥٧-٣٥٢/١.

(٧٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ٣٥٦/١.

(٧٤) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م، ص ١١٠. سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٣٤٦.

تتميز النصرانية بأسرار سبعة تمارسها الكنيسة هي :

١ - التعميد وذلك بأن يقوم الكاهن بغمس الشخص بالماء أو رش الماء على الجبهة ثلاث مرات، باسم الأب والابن وروح القدس، وهذا يرمز إلى التطهر من الخطيئة والاتحاد بجسد المسيح، وهي فريضة مقدسة عندهم وقد جعلوها بديلاً عن الختان عند اليهود، ذلك أنهم وجدوا أن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى النصرانية فيفرون منها بسببه، فقرروا إلغائه وجعلوا التعميد بديلاً عنه علماً بأنه مخالف للمسيح فإنه عليه السلام قد اختتن، وهذه الطقوس مأخوذة عن فلسفات وثنية سابقة للنصرانية^(٧٥).

٢ - سر الاعتراف ويكون ذلك بمثول المذنب بين يدي الكاهن معترفاً بكل ما اقترف طالبا المغفرة حيث يعتقدون أن التوبة تنقل عبر الكاهن إلى الرب وتعود إلى صاحبها عبر الكاهن فيغفر له ذنبه وهي من أخطر وسائل ابتزاز الناس وأكل أموالهم بالباطل، وإلباس الكاهن هالة من القداسة ما أنزل الله بها من سلطان، كما يعد اعتقاد النصراني بهذا الباطل وخضوعهم له تأليها لهؤلاء الأحرار الذي ندد به القرآن، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣١).

وقد أخذ هذا السر صبغة تتبناه الكنيسة منذ قرر في المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥م أن الكنيسة الكاثوليكية تملك حق الغفران للذنوب وتمنحه لمن تشاء. فاستغلت الكنيسة والقسس هذا الأمر، وطبعوا صكوك الغفران، وباعوها وربحوا من ورائها أموالاً طائلة، وهذه الصكوك يغفر فيها جميع الذنوب السابقة واللاحقة وتخلص صاحبها من جميع التبعات والحقوق التي في ذمته، وهي من أكبر وصمات العار الذي

(٧٥) انظر: العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ٢٨٢-٢٨٣.

لحق الكنسية حيث نصبت نفسها وكيلا عن الله وعن جميع أصحاب الحقوق المعتدى عليهم مقابل الكسب المادي الحرام^(٧٦). وهذا ما أعلن القرآن الكريم النكير عليه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٤).

٣ - العشاء الرباني وهذا يعدونه فريضة تذكارية لموت المسيح ويستعملون فيه قليلاً من الخبز وقليلًا من الخمر، ويرمزون بالخبز إلى جسد المسيح المكسور وبالخمر إلى دمه المسفوح^(٧٧)، فمن أكل في ذلك اليوم خبزا فقد امتزج جسده بجسد المسيح ومن شرب خمرا فكأنما امتزج دمه بدم المسيح، وهذه الشعيرة مأخوذة من إنجيل لوقا ومن رسالة بولس إلى أهالي كورنثوس^(٧٨). وهذه الفكرة لا تتوافق مع الواقع، حيث يبقى الخبز خبزا، بل ويصير إلى ما يصير إليه الطعام، كما تتعارض مع الواقع الشرعي؛ حيث لا يصح أن يشرب نبي الخمر أو يأمر به ويجعله تذكارا له، ولعلها انبثقت عن واقعة ذهبت معالمها وشوهت حقيقتها، فذهب رونقها ووقعها الإيماني بفعل التحريف وطمس الحقائق. وكم هم مدينون للقرآن وخاتم الأنبياء ﷺ الذي جاء ليكشف الكثير من الحفايا، حيث يذكر القرآن العظيم من أحوال نبي الله عيسى عليه السلام قصة ذات رونق ومغزى تستحق أن تكون ذكراها عيدا إيمانيا، وهي قصة المائدة التي سميت بها سورة من سور القرآن لجلالها، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا

(٧٦) انظر: سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٣٤٤.

(٧٧) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص ١٢٧، شلي، المسيحية، ص ١٤٦.

(٧٨) العمري والحاج: مقارنة أديان، ص ٢٨٥، شلي، المسيحية، ص ١٤٧، وانظر: لوقا: ١٩/٢٢-٢١،

كورنثوس الأول: ٢٣/١١-٢٦.

وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا وَعَلِمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ. قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿المائدة: ١١٢ - ١١٥﴾.

ومع أهمية هذه القصة إلا إنها لم ترد في الأناجيل لما اعترها من التحريف، ولكن ورد في الأناجيل خبر عن مائدة في صورة أخرى ففي إنجيل متى يقول: (وأما يسوع فدعا تلاميذه وقال أني أشفق على الجمع لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون، ولست أريد أن أصرفهم صائمين لثلا يخوروا في الطريق. فقال له تلاميذه من أين لنا في البرية خبز بهذا المقدار حتى يشبع جمعا هذا عدده؟ فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز؟ فقالوا سبعة وقليل من صغار السمك، فأمر الجموع أن يتكثوا على الأرض، وأخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسّر وأعطى تلاميذه، والتلاميذ أعطوا الجمع فأكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبعة سلال مملوءة. والأكلون كانوا أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد)^(٧٩). فانظر الفرق بين المسطور في الكتب وبين طقوسهم العملية التي استحلوا بها شرب الخمر وممارسة خرافات يبندها الدين ويأبأها.

٤ - سر الدهن بالميرون المقدس: وفلسفة هذا السر أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد السيد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة ثم أذابوه في زيت الزيتون وقدسوه في عليّة صهيون وجعلوا منه دهنا مقدسا خاتما للمعمودية، وهذا الدهن يأتي بعد التعميد لتثبيت الإيمان وحلول الروح القدس في الإنسان الذي نال المعمودية (كما يقولون)، وهذه من الشعائر التي ليس لها أصل في

(٧٩) انجيل متى: ١٥/٣٣-٣٩.

الكتاب المقدس^(٨٠)، ولا يقبلها العقل السوي، ولكنها راقت للقساوسة لأنها وسيلة من وسائل ابتزاز أموال الناس.

٥ - المسح على المريض: وهو سر يسمح الكاهن بمقتضاه على المريض بزيت مقدس ويستمد له الشفاء، وهو وسيلة للابتزاز أيضا^(٨١).

٦ - سر الزواج: حيث جعلوا للزواج أسراراً مقدسة لا تجري إلا على يد القسيس في الكنيسة مع أنه رباط تقتضيه الفطرة، وتنظمه الشريعة، لا يحتاج إلى أسرار مقدسة تختص بها الكنيسة، ولكنهم يلصقونها بما جاء في إنجيل متى: (الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان)، ومن هذا الباب يرمون الطلاق إلا بعة الزنا^(٨٢)، وهذا يتناقض مع الدعوة إلى تفكك الأسرة الذي يدعو إليه إنجيل لوقا حيث جاء فيه عن المسيح قوله: (إن كل أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وإخوته لا يقدر أن يكون لي تلميذا)^(٨٣).

٧ - سر الكهنوت: ويستخدم عند التنصيب لأي منصب ديني في الكنيسة. ويقصد منه إضفاء هالة من القداسة الدينية على مناصب الكنيسة، ليوهموا أن الوصول إليها مرهون بأسرار خاصة.

وكان بعض هذه الأسرار من جملة الأسباب التي أثارت الشعوب النصرانية على الكنيسة في العصور الوسطى للقيام بحركة الإصلاح الديني التي أدت إلى ظهور

(٨٠) العمري والحاج: مقارنة أديان: ٢٨٣، شلبي: المسيحية: ٢٠٣

(٨١) المصدر نفسه.

(٨٢) كما في إنجيل متى: ١٩/٣-١٠، ولا يخفى ما لهذا التشريع من أثر سلبي على الأسرة إذا استمرت الحياة بين زوجين متباغضين، ولعل في هذا التشريع أسراراً تعلمها الكنيسة.

(٨٣) إنجيل لوقا: ١٤/٢٦.

والكنيسة البروتستانتية التي رفضت الكثير من هذه الأسرار وجملة من العقائد والتقاليد والأعياد^(٨٤).

الرهينة عند النصارى :

يختص النصارى بنهج تعبدي يسمى الرهينة وتعني الخلوص للعبادة، ويميل إلى الغلو فيها من فرط الرهبة، وهو الخوف من الله^(٨٥)، وتمثل بالهروب من ضجيج الحياة والحرمات من لذيذ العيش، وتعذيب الجسم بالجوع والعطش، ولبس خشن الثياب، والتبتل بالامتناع عن لين العيش تفرغا للعكوف على العبادة. وينسبون هذا اللون من التبعد للمسيح عليه السلام قولاً وفعلاً؛ أما القول فما ورد في إنجيل متى عن المسيح قوله: "لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات، من استطاع أن يقبل فليقبل"^(٨٦). وعندما سأله أحدهم كيف أعمل لتكون لي الحياة الأبدية قال: "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني"^(٨٧). أما الواقع العملي للمسيح فهو لم يتزوج، وكان يلجأ إلى الجبال والبراري حين يريد أن يصلي ويعلم الجموع، كما أن يوحنا المعمدان لم يتزوج وكان يعيش في البرية ويكرز فيها^(٨٨).

(٨٤) انظر: شلي، المسيحية: ٢١٨، الموسوعة الميسرة: ٦٣١-٦٣٢.

(٨٥) الراغب الأصفهاني (توفي ٤٢٥هـ): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي،

١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، توزيع دار البشير/جدة، (ط٢)، ص ٣٦٧.

(٨٦) متى: ١٩/١٢.

(٨٧) متى: ١٩/١٨-٢٢.

(٨٨) انظر: شلي، المسيحية، ص ٢٠٥، ويعنون بيوحنا المعمدان النبي يحيى بن زكريا ابن خالة عيسى عليهم

والحقيقة أن دعوة عيسى عليه السلام كانت دعوة إلى الزهد في الدنيا وتفرغ القلب لعبادة الله، لا تركاً لأساسيات الحياة، كالطعام والشراب والزواج الذي به بقاء النوع البشري، أو تعريض النفس للمشاق والمتاعب وتعذيب النفس، فلا تصح نسبة الرهينة إليه، لأنه يتنافى مع مقاصد الدين وأغراضه، فلو افترضنا استجابة الناس جميعاً إلى هذه المبادئ لأدى إلى انقراض النوع البشري.

ويؤيد هذا ما أثبتته القرآن من نفي كتابتها عليهم كما قال سبحانه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ (الحديد: ٢٧) ^(٨٩)، ولكن النصرانية مرت بمرحلة قاسية نتيجة الابتلاء والاضطهاد الذي تعرض له أتباع المسيح مما دفعهم إلى اعتزال الناس والإقامة في الصوامع على رؤوس الجبال ^(٩٠). ثم لم يلبث أن احتاج

(٨٩) كيف نوفق بين قوله ابتدعوها، وبين قوله: ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله؟ ذكر المفسرون في توجيه ذلك أقوالاً منها: ما كتبناها عليهم ولا أمرناهم بما ولكن أمرناهم بما يرضي الله، ومنها: ما كتبناها عليهم لأن ذلك أي عدم كتابتها فيه ابتغاء مرضاة الله. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٢٦٣، الجمل: سليمان بن عمر العجلي (توفي ١٢٠٤هـ)، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج ٤، ص ٢٩٧. ومنها ما شرعناها لهم ولكنهم التزموها من أنفسهم يقصدون بذلك ابتغاء مرضاة الله، فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين الأول الابتداء في دين الله، الثاني: التقصير بما التزموه ظناً منهم أنه قربة تقرهم إلى الله. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣١٥. ومنها: ابتدعها الصالحون هرباً بدينهم من الاضطهاد والفتنة ابتغاء مرضاة الله، فما رعاها المتأخرون الذين جاءوا بعدهم حق رعايتها، { فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ } وهم الصالحون أو الذين أدركوا محمداً ﷺ فاتبعوه، { وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } هم المتأخرون أو الذين أدخلوا التثليل وكفروا بمحمد ﷺ. انظر: الجمل: الفتوحات الإلهية: ٢٩٦/٤-٢٩٧.

(٩٠) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/١٧، ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن ثلاثة فرق من النصارى نجت، ذكر منها طائفة لم يكن لها قوة بالقتال، ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٤.

الرهبان إلى التجمع لدفع المخاطر، ثم كان بناء الأديرة المحاطة بالأسوار، ثم زيد الاهتمام بالبناء حتى أصبحت تتخذ الأسوار العالية والأبواب المحكمة والسراديب الكثيرة، واتخذت لها أنظمة صعبة للانضمام إليها لا يستطيعها إلا القلة من الناس^(٩١). ولما كان هذا المنهج في حقيقته يصطدم مع الفطرة البشرية، ولا ينسجم مع روح الدين الحق، وكان الترهيب يجمع الرجال والنساء أصبحت هذه الأديرة بعد زمن قصير مرتعا للعشق والمجون وصارت مضرب المثل في ذلك، وألفت فيها الكتب^(٩٢)، ونظمت فيها القصائد الغزلية والوصفية التي تكشف ما يجري وراء تلك الأسوار^(٩٣).

وفي الكشف عن هذا المنهج ومصيره يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَةٌ أَتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٧).

المبحث الثالث: أوجه الافتراق في الحلال والحرام

يعتبر الحلال والحرام من العناصر الأساسية التي يشتمل عليها الدين ذلك أن من أخص معاني الدين الطاعة والانقياد لما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي، التي تتعلق بشؤون عديدة من مرافق الحياة الإنسانية التي من بينها التحليل والتحرير. كما أنها من أبرز المعالم التي تميز بها الأديان ويظهر التوافق أو الاختلاف من خلالها.

(٩١) العمري والحاج: مقارنة أديان: ٢٩١.

(٩٢) من الكتب المؤلفة في هذا الشأن كتاب الديارات للشابوشتي وقد حققه الباحث المسيحي كوركيس عواد ثم حصل المحقق على معلومات إضافية من البطريك مارأرناطيوس نشرها في ذيل الكتاب.

(٩٣) للإطلاع على واقع هذه الأديرة راجع شلبي، المسيحية، ص ٢٠٦-٢١١.

ويمكن أن نتناول بعض التشريعات كنماذج للمقارنة منها:

١ - الوصايا العشر: وردت الوصايا العشر في موطنين من التوراة مختلفين بينهما شيء من التوافق إحداهما في سفر الخروج^(٩٤) والأخرى في سفر التثنية^(٩٥) فالتوافق في أمرين هما: ١ - لا تسجد لإله آخر ٢ - الوصية بتعطيل يوم السبت. وتناولت وصايا سفر التثنية أموراً ألصق بالدين مما جاء في سفر الخروج، منها: النهي عن الحلف بالله كذبا، وإكرام الوالدين، وتحريم القتل، والزنى، والسرقه، وشهادة الزور، والنهي عن تشهي ما لقريبك. ومع اختلاف مضمون الوصايا في الموضوعين ودلالته على عدم سلامتها من أيدي العبث مالوا بها إلى الاتجاه العنصري الذي انغمست به اليهودية، فجعلوا الإله عنصريا، وجعلوا تحريم القتل والزنى والسرقه وشهادة الزور والربا في حق اليهود دون غيرهم، ولكن كل ذلك حلال في حقوق الأميمين^(٩٦).

وعند النصرارى أكد عيسى عليه السلام هذه الوصايا كما جاء في إنجيل متى ومرقص: لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك^(٩٧). كما جاء في موعظة الجبل الكثير من التعاليم الداعية إلى الزهد في الدنيا وترك الغضب، وعدم الإساءة للآخرين، والمساورة إلى مصالحة الخصوم، وعدم الحلف، وترك الرباء وغيرها مما فيه توافق مع تعاليم الإسلام^(٩٨).

(٩٤) الخروج: ٢٨-١١/٣٤.

(٩٥) التثنية: ٥-٦/٢٢.

(٩٦) انظر: نصر الله: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص ٦٦ وما بعدها، الشرقاوي: الكنز المرصود في فضح

التلمود، ص ٢٠٩ وما بعدها، شاحك: الديانة اليهودية، ص ٧١ وما بعدها، ص ١٣٨-١٥٢.

(٩٧) متى: ١٩/١٨-٢٠، مرقص: ١٠/١٩-٢٠.

(٩٨) انظر: إنجيل متى: الإصحاحات: ٥، ٦، ٧.

وجاء في القرآن الكريم ما هو أكمل وأوضح وأجمع في ثلاث آيات اشتملت على أهم أسس التشريع، وهي آيات الوصايا العشر السابقة الذكر.

٢ - الختان: يأخذ اليهود بالختان وهو مرتبط عندهم بعدة منطلقات؛ منها القربان، فقد كان الإنسان نفسه يقدم قربانا ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان، ومنها اتخاذه وسيلة لعدم الاندماج والاختلاط بين الشعوب، ويرى الدكتور أحمد شلبي أنهم أخذوها عن قدماء المصريين حيث كان يقصد منها الوقاية الصحية من الأقدار^(٩٩). وأصح من هذا أن يكون الطرفان أعني المصريين واليهود أخذوها عن حنيفة إبراهيم عليه السلام، كما دل على ذلك ما ورد في سفر التكوين أن الله قال لإبراهيم "يختن منكم كل ذكر فُتُخْتَنُونَ في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم...وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي"^(١٠٠). أما النصارى فقد حرموا الختان مخالفة لليهود. على الرغم من أن المسيح اختن^(١٠١)، وهم بهذا ناكثون للعهد. وفي الإسلام يعد الختان من خصال الفطرة التي يحافظ عليها المسلمون، لقوله ﷺ (خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار)^(١٠٢)، ولقوله ﷺ (من أسلم فليختن)^(١٠٣)،

(٩٩) شلبي، اليهودية، ص ٢٩٧

(١٠٠) سفر التكوين: ١٧/١١.

(١٠١) انجيل لوقا: ٢١/٢.

(١٠٢) البخاري: الصحيح: كتاب اللباس / باب قص الشارب: ٥/٢٢٠٨، رقم الحديث: ٥٥٥٠، باب الختان بعد الكبر: ٥/٢٣٢٠، رقم الحديث: ٥٩٣٩، النسائي: أحمد بن شعيب بن علي: السنن الكبرى: كتاب الطهارة: أبواب الفطرة: ١/٦٥ (٩، ١٠، ١١)، أحمد: المسند: ٢/٢٣٩، رقم الحديث: ٧٢٦٠، وفي حديث ابن ماجة جمع خصال الفطرة العشرة وذكر منها الختان، محمد بن يزيد القزويني (توفي ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجة، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، كتاب الطهارة / باب الفطرة: ١٠٧/١ حديث رقم: ٢٩٤.

وهو واجب عند الشافعية والحنابلة، سنة عند الحنفية والمالكية^(١٠٤). وهي واحدة من التشريعات التي تتعلق بخصوصيات الإنسان تسمى خصال الفطرة، فيها ما يضمن النظافة الشخصية لكل مسلم؛ كالتحтан وحلق العانة وتنف الإبط وتقليم الأظافر وحف الشوارب وإعفاء اللحية وتنظيف البراجم، أي؛ أن الإسلام يركز على العناية بنظافة الإنسان الذاتية، وحفظه من أسباب التلوث في جسده وما يحيط به. أما النصارى فلا يختنون لحرسهم على مخالفة يهود.

٣ - المرأة: ينظر اليهود إلى المرأة على أنها مصدر شر لأنها تسببت في إخراج آدم من الجنة، وذلك أنهم يحملونها مسؤولية الخروج وحدها، ويرون أن السعيد من رزق الذكور، وما أسوأ حظ من رزق الإناث، وإن كانت الأنثى لا بد منها للتناسل، لكن الذكر كرائحة العطر الزكية والأنثى كرائحة الجلد الخبيث، ويترتب على هذه النظرة جملة من الأحكام منها؛ أنها خادمة للرجل، وللأب الحق في بيعها وإذا تزوجت أصبحت مملوكة للزوج، وتصبح كالقاصر لا تبيع ولا تشتري، وكل ما تملكه يصبح ملكاً لزوجها، كما يحق للرجل أن يعدد بلا تحديد عدد، وبعض فرقهم حصرها بأربع، كما يجوز الطلاق، وإذا كان لها إخوة فليس لها حق في الميراث، وإذا لم يكن لها إخوة وورثت فلا تتزوج من سبط آخر، كما لا تترث من زوجها، وليس لها إلا مؤخر الصداق فإن لم تأخذه لها أن تعيش مع الورثة من مال التركة^(١٠٥).

(١٠٣) أحمد: المسند: ٥ / ٧٥ حديث رقم ٢٠٧٣٨. وله شاهد عند البيهقي عن ابن عباس في السنن الكبرى: ٣٢٤/٨، رقم: ١٧٣٤٣. وقال البيهقي هذا إسناد ضعيف والمحفوظ أقوى. أقول: تعدد الطرق يقوي بعضها.

(١٠٤) الزحيلي: د. وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، ج ١، ص ٣١٠.

(١٠٥) العمري والحاج: مقارنة أديان، ص ٢١٩-٢٢٠، السباعي: د. مصطفى: المرأة بين الفقه والقانون، المكتب الإسلامي (ط ٣) ص ١٩، شلي: اليهودية: ٣٠٠-٣٠٢.

أما عند النصارى فعلى الرغم من إعلان المسيح عليه السلام أن شريعته امتداد للتوراة إلا أن فكرة النصارى عن المرأة تختلف عما عليه اليهود، ذلك أنهم حملوها مسؤولية ما يقع في المجتمعات من فساد وانحلال لأن المرأة أحد طرفيه، وقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن الأعزب أكرم عند الله من المتزوج، وأعلنوا أنها باب الشيطان، وأنها يجب أن تستحي من جمالها لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغراء، ومن أقوال القديسين فيها ما قاله ترتوليان: إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ناقضة لنواميس الله، مشوهة لصورة الرجل. وما قاله سوستام: إنها شر لا بد منه وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة ومصيبة مطلية مموهة^(١٠٦).

كما بحث حقيقة المرأة في مجامعهم ومؤتمراتهم هل هي ذات روح؟ وهل هي إنسان؟ فقرروا في مجمع (ماكون) أنها خلقت من الروح الناجية (يعني من النار). كما قرروا في مؤتمر للفرنسيين أنها إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل فقط. وظلت محتقرة طوال العصور الوسطى تعتبر قاصرة الأهلية لا حق لها في التصرف بأموالها إلا بإذن زوجها، وكان القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥ م يبيح للرجل بيع زوجته^(١٠٧).

أما موقف الإسلام من المرأة فقد انطلق على لسان محمد ﷺ ليبدد ظلمات الجاهلية وتخبطها في الأهواء ليضع الحق في نصابه، ويحل أعقد المشكلات بأيسر السبل وأقربها إلى الفطرة بميزان منضبط، فينصف المرأة ويعطيها حقوقها كاملة غير منقوصة ويرفع عنها وزر الإهانات التي لحقت بها عبر التاريخ، فيعلن إنسانيتها الكاملة، وأهليتها الحقوقية التامة، ويحملها وظيفتها الفطرية الملائمة دون أن يجعلها وسيلة استمتاع رخيص للرجل، وما لحق المرأة من ظلم وجهل في المجتمعات الإسلامية قبيل

(١٠٦) السباعي: المرأة بين الفقه والقانون: ٢٠.

(١٠٧) المصدر نفسه.

انطلاق الدعوات الهادفة إلى إخراج المرأة المسلمة من كرامتها الإسلامية تحت شعار تحرير المرأة ليس من أحكام الإسلام وإنما هو ناتج عما مرت به الأمة من جهل وتخلف عام نتيجة البعد عن تعاليم الإسلام ومبادئه^(١٠٨).

ويمكن أن نلخص أهم المبادئ التي حدد الإسلام بها حقوق المرأة بالنقاط التالية^(١٠٩):

- ١ - أن المرأة مساوية للرجل في الإنسانية لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١) ولقوله ﷺ (إنما النساء شقائق الرجال)^(١١٠).
- ٢ - رفع عنها اللعنة التي ألصقها بها رجال الديانات السابقة فلم يحملها خطأ خروج آدم من الجنة وحدها بل جعلها خطأ مشتركاً يتحمل مسؤوليته الرجل والمرأة سواء بسواء.

(١٠٨) انظر: محمد قطب، قضية تحرير المرأة: ٦٦-٦٧.

(١٠٩) انظر: السباعي: المرأة بين الفقه والقانون: ٢٥-٣٠، إبراهيم: د. محمد عقله، ود. محمد الهزاعمة: دراسات في نظام الأسرة في الإسلام، عمان، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، مكتبة الرسالة الحديثة، ص ٢٨-٣١.

(١١٠) أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (توفي ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، كتاب الطهارة، باب، في الرجل يجد البلة في منامه، حديث رقم ٢٣٦. الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (توفي ٢٧٩هـ) جامع الترمذي، الرياض، بيت الأفكار الدولية، كتاب الطهارة: باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً / حديث رقم ١١٣. ابن حنبل: المسند: ٢٥٦/٦، ٣٧٧. أحمد عبد الرحمن البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، ج ٢، ص ١١٦، باب وجوب الغسل على من احتلم، وقال البناء مفسراً الحديث: أي نظائرهم وأمثالهم كأنهم شققن منهم ولأن حواء خلقت من آدم عليه السلام، وشقيق الرجل أخوه لأبيه وأمه، ثم قال في تخريجه: رواه (د. مد) يعني أبو داود والترمذي، ورواه الدارمي وابن ماجه.. وفي إسناده عند الجميع عبد الله بن عمر العمري المتفرد بروايته. وضعفه ابن المديني والنسائي ووثقه الإمام أحمد ويحيى بن معين، وقد أخرج له مسلم مقروناً بأخيه عبيد الله. وضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. بلوغ الأماني: ١١٦/٢.

٣ - أنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت ، وتقع عليها المعاقبة بدخول النار إن أساءت.

٤ - أمر بإكرامها أما وبنتا وزوجة ، والنصوص الشرعية في هذا كثيرة.

٥ - أعلن أن من يرزق بها فإنها هبة من الله ، وحارب التشاؤم بها والحزن عند ولادتها وحرّم وأدها.

٦ - جعلها قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها لرعايتها وإعدادها ، وبعد البلوغ منحها حق الأهلية في التملك والتعامل وإبرام العقود.

٧ - رغب في تعليمها وجعل تعليمها من أرجى الأعمال لدخول الجنة والنجاة من النار ، وجعلها مساوية للرجل في حق التعلم.

٨ - أعطها حق الإرث أما وزوجة وبنتا وأختا ، كبيرة كانت أو صغيرة.

٩ - رتب بينها وبين الرجل في الحياة الزوجية حقوقا متبادلة تكاملية تتناسب مع بنية كل منهما الفطرية.

١٠ - نظم جميع القضايا التي كان يستخدمها الرجل وسيلة للتعسف والاستبداد كالطلاق والتعدد والإيلاء فضبط ذلك بأن حدد الطلاق بثلاث مرات ورفع سلطان الرجل عنها بأبلغ صورة ، وحدد التعدد بما لا يزيد عن أربع مع اشتراط العدل والقدرة على النفقة ، وحدد الإيلاء بأربعة أشهر.

وبين جملة من الفروق في بعض المجالات التي لا علاقة لها بالمساواة الإنسانية والكرامة والأهلية ، ولكنها ترتبط بضرورات اجتماعية ووظيفية ونفسية ، كما أن الإسلام أمرها بالصون والعفاف والاحتشام ، وأن لا تكون سلعة رخيصة للرجل ، فلا يجيز أي صلة لا يتحمل فيها الرجل مسؤوليته ، ولضبط إشباع الغريزة الجنسية بطريق

مشروع يضمن الإيجابيات ويدفع السلبيات، لتكون أما محترمة، ومربية أجيال لهم كرامتهم وعزتهم.

ومن العجب أن نرى أقواما طالما تخطوا في البحث عن إنسانية المرأة، لم تنعم عندهم يوما بكرامة، أو قيمة يتناولون على الإسلام لهذه الفوارق الوظيفية، ويزعجهم لباس الحشمة والعفة، وضبط العلاقات الزوجية الذي يعد من أهم أسرار قوة بناء الأسرة وتماسكها واستقرارها وسعادتها. يريدون القضاء عليها تحت شعارات تحرير المرأة والدعوة إلى المساواة مع الرجل. ومن يحرقونها؟ وإلى أين يريدون إخراجها؟ ويبد من تقع إذا خرجت من حصنها؟ وماذا ستخلف وراءها من مسؤوليات وواجبات؟ لمن تترك أطفالها؟ وكيف سينشأون في ظل غيابها عنهم؟ أليست رعاية الأطفال من أبرز معالم احترام الإنسان وصيانة حقوقه؟ أليس استقرار البيت وتحقيق السكن النفسي ركن مهم من لوازم الحياة؟ وبيئة ضرورية فطرية لتخريج الأجيال؟ أليس تخصيص كل من الزوجين بوظيفة تتلاءم مع فطرته وتكوينه الخلقى من أهم أسرار نجاح الطرفين في التكامل الوظيفي والعمل كفريق واحد.

ولعلك إن رصدت تاريخ ظهور هذه الدعوات ستجد تزامنا بينها وبين انطلاق تفعيل بروتوكولات حكماء صهيون، الهادفة إلى إضعاف الشعوب لتسهيل سبل السيطرة عليها.

الزواج:

يعتبر بقاء اليهودي في العزوبة أمراً منافياً للدين، ويحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، والزواج بغير اليهودي أو اليهودية يعتبر فجوراً وزناً مستمرين. ويجوز لليهودي الزواج ببنت أخيه أو ابنة أخته، ولكن العكس محرم، فلا يتزوج الرجل من عمته أو خالته. وحرم كثير من فقهاءهم زواج بنت الأخت.

وتعدد الزوجات جائز عند اليهود، وليس عندهم حد أقصى لعدد الزوجات، وإن صدرت فتوى متأخرة ابتداء من القرن الحادي عشر في الغرب بتحريم التعدد، وبعض اليهود لازال يمارس هذا الحق.

ومن شرائعهم في الزواج أن أرملة اليهودي الذي مات ولم ينجب منها يجب تزويجها لأخيه الأعزب على وجه الإيجاب، فإذا أنجب منها فإن المولود يحمل اسم أخيه الميت وينسب إليه، وإذا امتنع الأخ من تزوج أرملة أخيه فإنه يشهر به ويخلع من المجتمع اليهودي، وتسمى المرأة التي تؤول إلى أخي زوجها الميت (بيامه)^(١١١).

ومما يذكر في الحياة الزوجية أن المرأة إذا حاضت لا يجامعونها ولا يخالطونها عن أنس رضي الله عنه: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأُنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢) إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح). فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعنهم. فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاها، فعرفنا أنه لم يجد عليهما)^(١١٢) ومخالفة أهل الكتاب "تارة تكون في أصل الحكم وتارة في وصفه. ومجانبة الحائض: لم يخالفوا في أصله بل خولفوا في وصفه حيث شرع الله مقارنة الحائض في غير محل الأذى"^(١١٣).

(١١١) سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ص ١٣٧

(١١٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث رقم (٣٠٢)

(١١٣) ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ٢١٥/١.

أما الزواج عند النصارى فجائز للعامّة محرم على القسس والرهبان اقتداءً في زعمهم بالمسيح عليه السلام الذي لم يتزوج، والذي يستطيع أن يضبط نفسه عن الزنا فالأفضل أن لا يتزوج، ولا يجوز عندهم الزواج بأكثر من واحدة^(١١٤).

٣. الطلاق في التوراة كان حقاً موضوعاً بيد الرجل، مستخدمين عبارة (طرد الزوجة من البيت)، لكن فيما بعد أفتى الحاخام جرشوم بن يهودا المتوفى سنة ١٠٤٠م بتحريم طرد المرأة من بيت الزوجية إلا إذا أفتى القاضي بطلاقها، أو اتفقت مع زوجها بالتراضي على الطلاق. ولا يعتبر الطلاق نافذاً حتى تصدر فيه وثيقة من الحاخام، وبهذه الوثيقة تستطيع المطلقة الزواج، أما إذا لم تحصل عليها فلا يحق لها الزواج، ويعتبر زواجها بغير الوثيقة غير صحيح، وأولادها من ذلك الزواج غير شرعيين^(١١٥).

أما عند النصارى فلا طلاق عندهم إلا في حالة الزنا عند الأرثوذكس وإذا طلق أحدهما الآخر فلا يتزوج مرة أخرى. ويجوز الطلاق عندهم في حالة اختلاف الدين بين الرجل والمرأة إذا لم يتم التوافق بينهما.

المأكل والمشرب:

من شرائعهم في المطاعم أنه لا يجوز لهم من الحيوانات ذوات الأربع إلا كل ماله ظلف مشقوق وليس له أنياب ويأكل العشب ويجتر، فالخيل والبغال والحمير والجمال كلها محرمة وكذلك الخنزير والسباع والأرانب.

ويحرم من الطيور كل ماله منقار معقوف أو مخلب، أو كان من أوابد الطير التي تأكل الجيف والرمم.

(١١٤) سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ص ٣٤٥

(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

ويحل أكل الدجاج والأوز والبط والطيور البرية آكلة العشب والحب، أما الأحياء المائية فيحل منها السمك الذي له زعانف وعليه قشور، وما عدا ذلك فكل صيد البحر حرام. ولا يجوز لهم الجمع بين اللحم واللبن والحليب في طعام واحد^(١١٦). وبعد موجات الاضطهاد التي تعرضوا لها أدخلوا بعض الأحكام التي تحرم أكل ذبيحة غير اليهود ومناكحتهم، وتفرض عليهم قيوداً وأحكاماً مشددة في الذبائح تخالف التوراة، وقد اختلقوا لهذه التعليمات كتاباً اسمه (هلكت شحيطا) أي علم الذباجة^(١١٧).

أما النصارى فقد ركزوا على مخالفة اليهود في كثير من أحكامهم، ولم يقرؤا مما حرّمته التوراة إلا أربعة أشياء هي؛ الزنى وأكل المخنوق والدم وما ذبح للأوثان^(١١٨)، وذلك أن بولس لما وجه الدعوة إلى الأميمين والوثنيين ووجهوا بعدم قبول الوثنيين للشرائع التوراتية قرر هو وتلاميذه أن لا يلزموا الناس بشيء من الأمور الواجبة عند بني إسرائيل سوى الامتناع عن الذبح للأصنام، وعن أكل الدم، والمخنوق، والامتناع عن الزنا^(١١٩).

وأكثر الأحكام عند النصارى بنيت على مخالفة اليهود إلى ضده، أو التساهل فيما شددوا فيه؛ فمما خالفوهم فيه إلى ضده، أنهم رأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها، ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملاستها ومخالطتها جملة فجامعوها، ورأوهم يحرّمون الخنزير فأباحوه وجعلوه شعار دينهم، ورأوهم يميزون الطلاق فحرّموه إلا في حالة الزنى أو اختلاف الدين، ورأوهم يحافظون على الختان فحرّموه.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(١١٧) الشرقاوي: الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص ٤٩.

(١١٨) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص ١٣٨.

(١١٩) انظر أعمال الرسل: ٢٨/١٥.

ومنها ما شرعوا فيه حكماً مشدداً، من أمثلة ذلك؛ أن شريعة موسى نهت عن القتل، أما المسيح فقد نهى عن التفكير في الإساءة على العموم ودم الغضب والبغض واحتقار الغير. ونهت شريعة موسى عن الزنى وأما المسيح فقد حرم التشهي بالقتل. ونهت شريعة موسى عن الحنث في اليمين، وأما المسيح فقد حرم الحلف مطلقاً أيا كان نوعه. وشرعت التوراة مقابلة الشر بمثله فالعين بالعين والسن بالسن، وفي الإنجيل لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر^(١٢٠)، ورأوهم يجرمون كثيراً من الذبائح والحيوان ويتشددوا فيها فتهاونوا وأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة.

ومن العجب أن يأتي النصارى بشريعة تخالف شريعة اليهود، علماً بأن عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة جديدة وإنما بعث بالتوراة وخفف المشدد منها، وكان يأمر باتباعها ومرد ذلك إلى التحريف والتغيير الذي أحدثه بولس وقصد مخالفة اليهود، لا اتباعاً لما أنزل ولا مراعاة للمصلحة.

أما شريعة الإسلام فقد جاءت شريعة كاملة شاملة لكل جوانب الحياة البشرية في كافة نظمها التعبدية والروحية والاجتماعية والاقتصادية والدستورية والجناية والأخلاقية، وتميزت بالتوسط والاعتدال في معالجة شؤون الحياة بما يحفظ التوازن بين حق الله تعالى وحق الفرد وحق الجماعة، مراعية فيه مصلحة الإنسان من جلب المنافع ودرء المفاسد من حيث هو إنسان، دون النظر إلى اعتبارات أخرى عصبية أو عرقية أو مزاجية، متوافقة مع الفطرة البشرية في تقرير الحقوق والواجبات، مراعية طاقة الإنسان في تقرير التكليف، مما يجعله ديناً صالحاً للناس أجمعين على اختلاف أزمانهم وبلدانهم.

ولعلك إن ألقيت نظرة فاحصة في مجموع هذه الأحكام تجد الملحوظات الآتية:

(١٢٠) انظر: شلبي: المسيحية، ص ١٩٤.

١ - أنها عند اليهود والنصارى لم تسلم من التحريف والتلاعب لما فيها من الاختلاف في أصل النصوص كما رأينا في الوصايا العشر، وفي غيرها، وهذا يعني أنها لم تكتسب صفة الدوام والبقاء، فضلا عن قدرتها على مواكبة المستجدات والمتغيرات في الحياة الإنسانية ذات القضايا المتطورة والمتجددة.

٢ - وما فيها من تقرير حرمة الأنفس والأموال والأعراض حوله اليهود باتجاه عنصري عدواني لخدمة مصالحهم دون غيرهم، فكل ما حرّمته التوراة إنما هو حرام على اليهود فيما بينهم، ولكنها أباحت لهم حرّمات الأميين، بل جعلت الاعتداء عليها قرينة يتقربون بها إلى يهوه الإله الخاص بهم.

٣ - جعل اليهود بعض الأحكام التي تعد من الشعائر وسيلة لتمييز اليهود عن غيرهم، كما جعلوا فلسفة الختان، كما نجد حرص اليهود على فصل النصرانية عن اليهودية لذا تعمد بولس اليهودي الأصل إلغاء العمل بالتوراة وتحويل النصرانية عنها إلى دين آخر صنعه لهم. وهذا هو السبب الرئيس في مخالفة النصارى لليهود في كثير من الشرائع، بل والعقائد فقد جاء في رسالته لأهل غلاطية (إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما)^(١٢١). وفي موضع آخر يقول: (لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به)^(١٢٢).

٤ - كثير من أحكام اليهود يغلب عليها جانب الشدة والقسوة^(١٢٣)، في حين تراها تقابل عند النصارى باللين والتساهل، قال ابن تيمية: "وقد قيل إن سبب ذلك أن

(١٢١) رسالة بولس لأهل غلاطية: ١٦/٢.

(١٢٢) المصدر نفسه: ١٠/٣.

(١٢٣) انظر: القرضاوي: الدكتور يوسف، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، القاهرة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م،

مكتبة وهبة، ص ١٥.

بني إسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت بقهر واستعباد فرعون وقومه لهم، فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم ويزول عنها ذلك الذل" (١٢٤)، كما حدثنا القرآن أن كثيرا من الأحكام شددت عليهم عقوبة لهم بسبب ظلمهم، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (المائدة: ١٦٠)، وقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمْ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

وقال ابن تيمية عن تساهل النصارى: "فبعث المسيح عليه السلام باللين والصفح والعفو عن المسيء، واحتمال أذاه ليلين أخلاقهم، ويزيل ما كانوا فيه من الجبرية والقسوة، فأفرط هؤلاء في اللين حتى تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهد في سبيل الله، وتركوا الحكم بين الناس بالعدل، وإقامة الحدود، وترهب عبادهم منفردين" (١٢٥).

٥ - كما يغلب على التشريعات اليهودية النزعة المادية فلا تكاد تجد للجانب الروحي أثرا، ولا تسمع للوازع الديني ذكرا، فلا ذكر للآخرة ولا للجنة ولا للنار، ولا ربط للأعمال بحب الله أو الرسل أو ابتغاء وجه الله. وليس فيها إلا مطامع دنيوية عدوانية، وتستفحل المادية حتى تبلغ أقبح صورها في استحلال المحرمات إذا كانت تحقق مكاسب مادية، من ذلك عدم إقامة الحد على من زنى بالمحارم إذا كان يجنبه تبذير

(١٢٤) أحمد بن تيمية (توفي ٧٢٨هـ) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية، ج٣، ص٢٤٠.

(١٢٥) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص٢٤١.

ماله مع العاهرات الأجنبية^(١٢٦)، وكأن ليس أمام اليهودي خيارات إلا في مستتقات الرذائل مهما تفاحشت.

٦ - أما المسيحية التي خلت من كثير من التشريعات فكانت قاصرة عن الوفاء بحاجة الإنسان، إضافة إلى أنها لم تراعى مصلحة الإنسان فيما تقرر من أحكام، لأن منظرها تعمدوا مخالفة اليهود في كثير من أحكامهم، حتى ولو خالفت نصوص ما عندهم من الكتاب المقدس، ووقعت فيما هو شر وبلاء حين صادمت الفطرة الإنسانية في كثير من أحكامها، فأوقعت الإنسان في حرج دفعه إلى الإيغال في الفواحش والمنكرات، ومما يزيدنا نكرا أنها ترتكب باسم الدين أو تحت ستار الدين. ويمكن أن نجمل أهم ما تميزت به الشريعة الإسلامية بالنقاط التالية:

١ - أنها جاءت معتدلة جامعة بين الشدة واللين جاعلة كلا في موضعه، قال تعال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

٢ - التزمت بما ثبت حكمه بنص شرعي، مع الحرص على التثبت من صحته، أو التحقق من أن له حجة من النص باعتبار من الاعتبارات التي التزمها الفقهاء في مباحث أصول الفقه الإسلامي.

٣ - شاملة لكل ما يحتاجه الإنسان في شؤون حياته لم تدع مجالاً إلا شرعت فيه هدياً.

٤ - إنسانية تشريع للإنسان من حيث هو إنسان، دون تمييز بين قوم وقوم، متوافقة مع الفطرة، فهي شريعة عالمية.

٥ - إيجابية تحرص على تحقيق مصالح الإنسان في جلب المنافع ودرء المفسد.

(١٢٦) القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص ١٢-١٥.

- ٦ - متوازنة تجمع بين جميع المطالب المادية والروحية دون تغليب جانب على آخر بلا إفراط ولا تفريط.
- ٧ - تحرص على إصلاح النفس من الداخل، وتنمية الجانب الروحي والنفسي والسلوكي والأخلاقي، وربطه بالأحكام العملية.
- ٨ - تجمع بين الثبات والمرونة التي تؤهلها للمحافظة على أساسيات الدين وثوابته، قادرة على استيعاب المستجدات مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

الخاتمة

أولاً: النتائج

- ١ - لما كان مصدر الأديان السماوية واحدا لزم أن يكون بينها قسط كبير من التوافق إلا ما دعت إليه ضرورة العصر والبيئة.
- ٢ - ولما كانت الأديان السماوية متفاوتة في حضورها الزمني لتتلاءم مع أحوال عصرها والمعنيين بها تفرع عنه أن يكون بينها شيء من الخلاف الذي تقتضيه المصلحة مما يحمل على ثبوت النسخ الذي أقره الإسلام وأنكره كل من اليهود والنصارى مع ثبوته في شريعتهم تفاديا لقيام الحجة عليهم من قبل المسلمين. فوقع التناقض عندهم من وجهين؛ الأول ثبوت النسخ عندهم وإنكاره على ألسنتهم، الثاني ما يريدون الفرار منه وهو الإقرار بنبوة محمد ﷺ مع أخذ العهود والمواثيق عليهم أن يؤمنوا به. ولكنهم أنكروا ذلك ونقضوه. وبهذا نقض أهل الكتاب عهد الله وموآثيقه التي أخذت عليهم وكنتموا ما أمروا ببيانه ليضللوا قومهم ويحشدوا طاقاتهم للصد عن سبيل الله فكانوا سببا في حرمان أقوامهم من نور الإسلام وهديه ورحمته وعدله ولو آمنوا لكان خيرا لهم.

٣ - اعتمد التشريع في الإسلام على مصدر الوحي كمصدر رئيس للتشريع متمثلاً بالقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وما شهد هذان المصدران كمنهج لاستنباط الأحكام وطريق للتوصل إلى مقاصدهما دون أن يكون أي دور للرأي الشخصي المجرد مما يجعل للإسلام صبغة ربانية، بينما نجد كلا من اليهودية والنصرانية اعتمدت عدة مصادر في تشريعاتها، وتدخلت عناصر بشرية في تقرير كثير من تشريعاتها. وتعدت ذلك إلى العقيدة، مما جعلها غير صافية المنبع مدخولة بالزرعة البشرية.

٤ - من المعالم الأساسية لأي دين اشتماله على ألوان من العبادات، والمتفحص في الأديان السماوية مدار البحث يجد آثارا لمعالم دراسة من التوافق الذي تبدو له بعض الملامح، ولكنها في واقعها المائل تختلف اختلافاً بيناً في الصورة والمضمون فعند اليهود عبادات من الصلاة المشحونة بروح العنصرية والعداء يتوجهون بها إلى إله خاص بهم، والصيام ممسوخ الصورة مشوه الوجه لا روح للإيمان وتهذيب النفس فيها، أما النصراني فلهم صلاة وصيام اختلفوا في كفيتهما وعددها ووقتها ودرجة المطالبة بها ليس لها اثر إيجابي في حياة الإنسان يتوجهون بها إلى المسيح لا إلى رب المسيح، ويتحرون فيها مخالفة اليهود. أما الإسلام ففيه عبادات متنوعة من الصلاة والزكاة والصيام والحج من الفرائض والنوافل لا خلاف بين مذاهب المسلمين على أصولها ومواقيتها، يتوجهون بها إلى الله وحده، ذات آثار إيجابية على الفرد والمجتمع إذا كان أداؤها بإخلاص وخشوع.

٥ - كما يشتمل كل دين على عدد من الأعياد فاليهود عندهم كثرة بالغة من الأعياد ذات أبعاد تاريخية وعنصرية ألبت ثوب الدين، تهدف إلى ترسيخ الترابط بين طوائف اليهود، وعند النصراني عدد من الأعياد ذات أبعاد دينية وتاريخية خاصة، لها صلة بذات المسيح عليه السلام وبعض العبادات. وفي الإسلام عيدان دينيان فقط؛

أحدهما مرتبط بشهر الصيام، والآخر مرتبط بالقربات ومناسك الحج لهما أبعاد دينية روحية واجتماعية وتاريخية عامة.

ولكل دين يوم عيد أسبوعي فاليهود يوم السبت مرتبط بعقيدة فاسدة، وعند النصارى يوم الأحد كذلك، وعند المسلمين يوم الجمعة يوم خلق آدم أبو البشرية كلها. ٦ - تفرد النصرانية بعدد من الطقوس والأسرار الخاصة التي تهدف إلى إضفاء هالة على الكنيسة ورجال الدين ووسيلة لابتزاز الأموال ومقاصد أخرى سبقت الإشارة إليها.

٧ - وفي أحكام الحلال والحرام لا تزال اليهودية تحتفظ بشيء من الأحكام التي غالبا ما يحتالون في تنفيذها والتقيد بها إذا صادمت مصلحة دنيوية مادية، أو يجعلونها خاصة باليهود دون غيرهم كتحریم القتل والزنا واكل أموال الناس بالباطل التي تحرم في حق اليهودي دون غيره بل ويعدون الاعتداء على الأممي عبادة يتقربون بها إلى إلههم يهوه العنصري، أي أنها أخذت صورة خاصة قد فسد محتواها لم تصلح حال أصحابها فضلا عن أن تصلح تشريعا للبشرية.

٨ - وأما النصارى فعندهم أحكام محدودة في مجالات ضيقة إذ يعتمدون في ذلك على التوراة ويتحرون مخالفة اليهود في أكثر أحكامهم التي لا تقوم على تحقيق المصالح أو درء المفساد ولو خالفت نصوص كتبهم. أما الإسلام ففيه أحكام تشريعية شاملة لكل مناحي الحياة الإنسانية مبنية على تحقيق المصالح الإنسانية من جلب المصالح ودرء المفساد، متلائمة مع الفطرة البشرية، تنظم العلاقات وتضبط الغرائز وتحقيق التوازن بين المطالب المادية والروحية، وكذلك تحقق التوازن بين الحقوق الواجبات بين الفرد والجماعة والرئيس والمرؤوس والرجل والمرأة.

٩ - وعلى الجملة فقد غلب التشدد على كثير من الأحكام عند اليهود، وغلب التهاون والتساهل عند النصارى، وتميزت شريعة الإسلام بالتوسط والاعتدال والتوازن، فلا يتشدد إلا فيما لا يعالجه إلا الشدة ويترخص فيما يحتاج إلى رخصة.

المصادر والمراجع

- [١] القرآن الكريم.
- [٢] الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
- [٣] الآمدي: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- [٤] إبراهيم: د. محمد عقله ومحمد الهزائمة: دراسات في نظام الأسرة في الإسلام، عمان، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، مكتبة الرسالة الحديثة.
- [٥] الأصفهاني: الراغب (ت ٤٢٥هـ): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، توزيع دار البشير/جدة، (ط ٢).
- [٦] البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري، دار إحياء التراث، دار الجليل.
- [٧] الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) جامع الترمذي، الرياض، بيت الأفكار الدولية.
- [٨] ابن تيمية: أحمد (ت ٧٢٨هـ) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية.

- [٩] الجمل: سليمان بن عمر العجلي (ت ١٢٠٤هـ)، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- [١٠] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ).
- [١١] الجيزاني: محمد بن حسين بن حسن، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ، دار ابن الجوزي.
- [١٢] ابن حزم: الإمام أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ ١٠٦٣م) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصر، مكتبة الخانجي مطبوع بهامشه الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
- [١٣] الخضري: الشيخ محمد: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، بيروت ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢م، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري.
- [١٤] الخلف: سعود بن عبد العزيز: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- [١٥] أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.
- [١٦] الزحيلي: د. وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الفكر، (ط ٢).

- [١٧] الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٣٦٢ هـ
١٩٤٣ م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ط٣).
- [١٨] أبو زهرة: الإمام محمد، محاضرات في النصرانية، ١٣٨١ هـ ١٩٦٦ م، دار الفكر
العربي، (ط٣).
- [١٩] زيدان: د. عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م،
بغداد، مؤسسة الرسالة، مكتبة القدس، (ط٩).
- [٢٠] السباعي: د. مصطفى، المرأة بين الفقه والقانون، المكتب الإسلامي (ط٣).
- [٢١] شاحك: إسرائيل، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة رضى سلمان،
تقديم: دوار سعيد، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠١ م،
(ط٦).
- [٢٢] الشوقاوي: د. محمد عبد الله، الكنز المرصود في فضائح التلمود، ١٤١٠ هـ
١٩٩٠ م، مكتبة الوعي الإسلامي.
- [٢٣] شلبي: د. أحمد، مقارنة الأديان (اليهودية)، القاهرة، ١٩٨٨ م، مكتبة النهضة
المصرية، (ط٨).
- [٢٤] شلبي: د. أحمد، مقارنة الأديان (المسيحية)، القاهرة، ١٩٩٣ م، مكتبة النهضة
المصرية، (ط١٠).
- [٢٥] الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ)، الملل والنحل، أحمد فهمي
محمد، بيروت، دار الكتب العلمية.
- [٢٦] الشيباني: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، أحمد عبد الرحمن البنا، الفتح
الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل مع شرحه بلوغ الأمان من أسرار
الفتح الرباني، القاهرة، دار الشهاب، القاهرة.

[٢٧] الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، (ط٣).

[٢٨] عباس: أ.د. فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ١٩٩٧م، عمان، دار الفرقان، (ط١).

[٢٩] العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الرياض بيت الأفكار الدولية. المؤتمن للتوزيع، (ط١).

[٣٠] العمري، والحاج: د. محمد نبيل طاهر، و د. محمد أحمد، مقارنة أديان، عمان/الأردن، جامعة القدس المفتوحة ومطبوعاتها، (ط٢).

[٣١] الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، معجم ديوان الأدب: تحقيق د. أحمد مختار عمر، القاهرة، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر.

[٣٢] القرضاوي: الدكتور يوسف، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، مكتبة وهبة.

[٣٣] القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ١٣٦٧هـ ١٩٦٧م، القاهرة، (ط٣).

[٣٤] القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة ١٣٩٨.

[٣٥] قطب: محمد، قضية تحرير المرأة، الطبعة الأولى، ذو الحجة ١٤١٠هـ.

[٣٦] القشيري: مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، المطبعة المصرية ومكبتها.

[٣٧] ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ١٣٩٦هـ.

[٣٨] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

[٣٩] ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

[٤٠] ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (ط ١).

[٤١] الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني، الرياض، إصدار، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، (ط ٣).

[٤٢] المسيري: دكتور عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية

[٤٣] نصر الله: يوسف حنا، الكنز المرصود في قواعد التلمود، تحقيق: مصطفى أحمد الزرقا ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م (ط ٢).

[٤٤] النووي: يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المطبعة المصرية ومكبتها.

- [٤٥] النسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) غرائب القرآن و رغائب الفرقان تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ).
- [٤٦] الهندي: رحمة الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، (ط١).

The Agreement and Separating Aspects Between Heavenly Religions (In legislation and Rites) on the Guidance "of The Holy Quran"

Prof. Ahmad Solayman Al-Bashayra
The World Islamic Science and Education University
Faculty of: Misson call and Religion Fundamentals

Abstract. this research aims to detect between the religions of faces written agreement and divergence in laws and rituals, as the original religions compatible source-assuming they owners correctness celestial religions-that much of the assets of its legislation and practices of what is supposed to be some consensus on goals and objectives leading to premium of laws as well as non-antagonism and spacing, and Varied in some branches and particles required by different time and different environments. Through research with the reality of the images of the divine laws, rituals and consider the extent of convergence or divergence.

This research outlines the laws and rituals included written, indicating what religions converge and diverge in this area, as at the salient features of each religion, which is a religion and its features that reflect and reveal the privacy, and the study of the religions of the agreement and the separation of assets and doctrines, they deserve separate study.

Perhaps this study reveal directly and indirectly on the parameters of the source unit to these religions still present effects. It also reveals his whale of differences and disparities that make the special features of each religion, and show some of the reasons for disagreement, and images function to human tampering in both Judaism and Christianity, and highlights of the intractable ills in human life.

الكتب والمراجعات

موجز التمويل العقاري: دراسة تأصيلية مقارنة في أنظمة التمويل العقاري السعودي

المؤلف: د. أحمد السعيد الزقرد

شهدت المملكة في العام الماضي ميلاد أنظمة أربعة من نظام الائتمان أو التمويل العقاري أو النقولات :الأول فيها من التمويل العقاري والثاني من الرهن العقاري والثالث من التمويل التأجيري أو الليزنج ، والأخير من مراقبة شركات التمويل. وارتأى المؤلف لأسباب عملية ، ومنهجية ضرورة تناول هذه الأنظمة بالدراسة المقارنة ، واستهلها بقانون التمويل العقاري محمولاً على قانون الرهن العقاري من منشورات مكتبة الرشد /١٤٣٥ وقد توزعت الدراسة فيه على بابين يسبقهما تحديد لإطار الدراسة؛ حيث خصص الباب الأول للتمويل العقاري، والثاني من الرهن العقاري. وقد ربط المؤلف بينهما على سند بأن التمويل العقاري قرض مضمون برهن أو رهن ضامن للقرض ، وكلاهما لأجل تملك المستفيد وحدة سكنية وقسم المؤلف الباب الأول فصلين :الأول من عقد التمويل العقاري ذاته ، أي من حيث تعريفه ، وخصائصه ، وتكييفه وتمييزه عن غيره من العقود التي تتشابه معه وقد تختلط به .

وخلص المؤلف بأن تعريف القانون السعودي لعقد التمويل العقاري بأنه عقد الدفع الآجل لأجل تملك المستفيد للسكن "غامض ومعدد' ولا يمنع من اختلاط العقد بغيره من العقود بينهما. وجاء تعريف القانون الفرنسي والقانون المصري لعقد التمويل العقاري أفضل.

كما اتجه المؤلف إلى ضرورة التفسير الواسع لمصطلح التمويل الوارد بالمادة الأولى من النظام السعودي لتشمل تحليل المقترض للسكني 'بغض النظر عن كيفية التمليك؛ أي سواء بشراء المبنى والأرض المقام عليها أو التمويل لأحدهما فقط.

كما انتهى المؤلف إلى أن عملية التمويل العقاري بالنظام السعودي كالنظام المصري ثلاثية الأطراف بين الممول والمقترض وبائع العقار محل التمويل لا يصح القول بأن اتفاق التمويل العقاري يبرم بين الممول والمقترض لمصلحة أي شخص توجه إلى خدمات التمويل العقاري كبائع العقار مثلاً من اشتراط لمصلحة الغير، فالأخير طرف من هذه العملية القانونية وليس مشروطاً له في اشتراطه لمصلحة الغير.

كما انتهى المؤلف إلى أن عقد التمويل العقاري عقد تجاري إعمالاً لما ورد بالمادة الثانية من نظام المملكة التجاري السعودي وبأنه عقد مركب من العلاقة بين أطرافه الثلاثة يتمخض عن قرض وبيع وتأمين ورهن وحوالة حق وغير ذلك. كما أنه عقد مهني أو استهلاكي. وانتهى المؤلف إلى أنه من زمرة عقود الاستهلاك التي تدخل المنظم لحماية الطرف الضعيف من العلاقة التعاقدية وهو المقترض، كما أن العقد شكلي إعمالاً للمادة ١٠ من اللائحة التنفيذية لنظام التمويل العقاري. وأخيراً فالعقد معاوضة يلقي بالتزامات تبادلية على عاتق أطرافه الثلاثة

كما حرص المؤلف على التفرقة بين عقد التمويل العقاري والعقود الأخرى التي قد تتشابه معه.

كما خصص المؤلف الفصل الثاني من الباب الأول لانعقاد العقد وآثاره فقسمه إلى مبشرين: الأول في كيفية انعقاد العقد من حيث مراحل إبرامه ومن حيث أطرافه الثلاثة، وجرى التركيز في المنحنى الثاني على تحديد آثار العقد، فخصص المطلب الأول لتحديد التزامات الممول العقاري (مانح الائتمان) والمطلب التالي من بيان

التزامات المقترض ، والثالث من التزامات من توجه إلى خدمات التمويل العقاري (بائع العقار)

واستهل المؤلف الباب الثاني من الرهن العقاري بمقدمه ربط فيها بين التمويل وضمانه، وبأنه لا وجود للأول دون الثاني إلي عرف الرهن العقاري، وحدد خصائصه. وقسم الباب الثاني إلى فصلين: الأول من إنشاء الرهن والثاني في آثاره. وقسم الفصل الأول إلى مطلبين الأول من الشروط العامة للرهن والثاني من الشروط وصفة بالرهن العقاري.

أما الفصل الثاني فقد خصصه المؤلف لبيان آثار الرهن العقاري وقسمه إلى مبحثين، الأول: في آثار الرهن العقاري في العلاقة بين طرفيه، والثاني لآثار الرهن في مواجهة الغير. وتمثل الأول في التزامات تقع على عاتق المدين الراهن، ومن حقوق أو سلطات يمنحها القانون للدائن المرتهن. أما آثار الرهن بالنسبة للغير فهي تربط بتسجيل الرهن حيث عرج المؤلف بهذا الخصوص على قانون التسجيل العيني السعودي ١٤٢٣ هـ وربط بينه وبين التمويل العقاري، كما عرض المؤلف بعد ذلك لحق التقدم أو الأفضلية بالنسبة للدائن المرتهن وحق البيع إذا تصرف المقترض في العقار محل التمويل إلى الغير قبل سداد بقية القرض، وختم المؤلف الباب الثاني باقتضاء الرهن العقاري. وقد حرص المؤلف على أن تكون دراسته للتمويل العقاري تأصيلية وأن تجرى المقارنة فيها بين القانون السعودي وبعض الأنظمة الأخرى للإشارة منها، كما حرص على أن تكون الدراسة سهله واضحة خصوصا أنها استغرقت ما يقرب من مائة صفحة. ندعو الله أن تكون خالصة لوجهه.

Guidelines for Authors

a) Conditions:

1. The paper must be innovative, scientific, well typed and in good style.
2. The paper must not be previously published, or sent to another press.
3. All received papers are to be refereed.

b) Instructions:

1. The author must provide a request to publish his paper.
2. The author must provide Four hardcopies of his paper (the original plus two copies) in Arabic. The paper must be typed using Microsoft Word on an IBM compatible PC. The paper must be printed on single faced A4 papers, leaving 3 cm for each margin. The pages of the paper should be sequentially numbered, along with numbering figures and tables (if available). The author must also provide an electronic copy of his paper. In addition, the author must provide an Arabic and an English abstract for his paper, each of which not exceeding 200 words.
3. The font type used for typing is Traditional Arabic, with the size of 20 pt for headings, 18 pt for the main text and 14 pt for footnotes.
4. The paper must not exceed 40 pages.
5. The paper must include the title of the paper, the author's name, his address, his title and his affiliation.
6. Book references are to be cited in one of the two following ways:
 - a. The reference is cited in the main text, where the author mentions the abbreviation, followed by the part and page number, then the Hadith number.
Example: Narrated by Al-Bukhari in the Correct (1/88H 166) or Al-Nawawi Said in the Collection 8/29: "..."
 - b. The reference is cited in a footnote.
Example: Ibn Qudama Said "...⁽¹⁾"
7. Paper references are to be cited in a footnote, where the author mentions the title of the paper and the title of the journal.
Example: The author mentioned in his Paper that he didn't Stop at any one Saying this "..."⁽²⁾
8. Footnotes must be mentioned in their respective pages.
9. In the reference list, the book citations should start with author's full name, followed by the title of his work/book, his year of death, the publisher and year of publication. The same with journal citations, in which they should start with the title of the paper, its author, the title of the journal and its volume.
10. When mentioning names of Arab or Islamic scholars, the year of death should be mentioned in Hijri (lunar) year if the scholar is deceased. As for foreign names, the names should be written in Arabic, followed by the name in English/Latin letters between brackets. The name should be fully written when first mentioned in the paper.
11. The paper will be returned to the author, whether or not the paper is published.
12. The author will be given two copies of the journal, along with 20 copies of his paper free of charge. Any more copies will be charged according to the Editorial Board.
13. The author must follow the corrections of the referees. In addition, the author must provide a justification for not following a certain correction by the referees.
14. The papers published reflect the opinions of their authors.
15. The journal is issued Four times a year an issue each mid-term.

Correspondence

All correspondence and manuscripts are to be sent/delivered to: the Editor-in-Chief:

- Scientific Journal of Qassim University (Sharia Sciences)
- P.O. Box 6600, Buraydah 51452, Buraydah Kingdom of Saudi Arabia
- Tel.: 06-3220330, Ext.: 2145
- Fax and Direct Line: 06-3220358
- E-mail: qu.mgllah@gmail.com

(1) Al-Maghni 6/322.

(2) Collaborative Insurance – Journal of Sharia Colleg –



**In The Name of ALLAH,
Most Gracious, Most Merciful**



Volume (7) – NO.(2)

Journal of
ISLAMIC SCIENCES

February 2014 – Rabi'II 1435H

Scientific Publications & translation

EDITORIAL BOARD

Editor-in-Chief

Prof. Saleh M. Al-Sultan
Professor, Department of Fiqh, Sharia College, Qassim University

Member Editors

- Prof. Abdullah A. Al-Qusun.
Professor of Sunnah, College of Sharia and Islamic Studies. Qassem University.
- Prof. Ahmad M. Abd Alrazaq.
Professor of Aqidah (Islamic Theology) , College of Sharia and Islamic Studies. Qassem University
- Prof. Hamed A. Al-Wafi.
Professor of Usul AlFiqh, College of Sharia and Islamic Studies. Qassem University
- Prof. Ali H. Al-Shatanawi.
Professor of Law, College of Sharia and Islamic Studies. Qassem University
- Prof. Abdullah S. Al-Matrodi.
Professor of AlFiqh, College of Sharia and Islamic Studies. Qassem University

Journal Secretary

Dr. Mohammad fawzi alhader
Assistant Professor At Department of AlFiqh, College of Sharia and Islamic Studies, Qassem University

Deposif: 1429/2028

Contents

Page

Multiplicity of Infinitive Structure in the Qur'an A Rhetorical Study Chapter 47 (Muhammad) as a Case Study (English Abstract) Dr. Khulud (Mohammad-Ameen) Mahmoud Al-Huwary	520
Christian impact on the doctrine of divinity and related doctrines of the Nusayris (English Abstract) Dr. Saeed Muhammad Hussain Malwi	595
Hadiths of evil eye Envy (Collecting and Study) (English Abstract) Dr. Entesar Bint Ibrahim Abdulrahman Alomar	657
?? (English Abstract) Dr. Abdullah almeman	704
Judgment of the Gifting for Children (English Abstract) Dr. Aqeel Bin Abdurrahman Bin Mohammed ALAqeel	753
Thinking in the Holy Quran: Contents Disciplines and its Development Strategies (English Abstract) Dr. Ahmad Mohammed Najadat, and Dr. Hassan Mohammed Al Omari	833
The Believers affirmation of the attribute of the two eyes to the Lord of the Aalameen (The Two Worlds) (English Abstract) Dr. Khalid Dhawee AlDhufayree	893
The Agreement and Separating Aspects Between Heavenly Religions (In legislation and Rites) on the Guidance "of The Holy Quran" (English Abstract) Dr. Ahmad Mohammed Najadat, and Dr. Hassan Mohammed Al Omari	962

